ديوان ابن الحداد الأندلسي

المتوفى سنة ٤٨٠ هـ

جمعه وحققه وشرحه وقدَّم له
الدكتور يوسف علي طويل
رئيس قسم اللغة العربية
وأستاذ كرسي الأدب الأندلسي
بالجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

إلى

أبي

وأمي



وقد جَرَحَتْ عَيْنايَ صَفْحَةَ خَدِّهِ
على خَطَإٍ فٱختارَ قَتْلِي على عَمْدِ

ابن الحداد الأندلسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدِّمة

أولاً ـ لمحة عن الديوان :

هذا شعر آبن الحدّاد الأندلسيّ أقدِّمه للقارىء الكريم مجموعاً في ديوانٍ بعد أنْ فَقَدْتُ الأمل في الحصول على ديوانه المخطوط . ولقد وَقَفْتُ على كتب غير محقّقة كالأفضليّات لابن الصيرفي ، وعقود الجمان للزركشي ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، ووقَفْتُ على كتب محقّقة كالذخيرة لابن بسام ، والخريدة للأصفهاني ، فَوَجَدْتُ أنَّ هذه المصادر ومصادر أخرى تشفي العليل كما تشفي الغليل ، فجمعْتُ كلَّ ما تضمَّنَتْهُ هذه الكتب من شعر آبن الحدّاد ، وبوَّبْتُه على حروف المعجم . وأودعْتُ حواشي الديوان شرحاً وافياً لكلِّ ما غمض فيه ، وترجمةً لشخصيات أدبيّة وعلميّة ، وتحديداً للعديد من المواضع والأماكن ، راجياً أنْ يشبع رغباتِ أهل الأدب العربي ، وملتمساً آلعذر منهم إنْ هُمُ عثروا فيه على خطإ ؛ لأنَّ العصمة لا تكون إلَّا لرب العالمين .

وارتأيْتُ أنْ أتمِّم عملي هذا بتقديم نبذة عن سيرة آبن الحدّاد ، وصورة موجزة عن خصائص شعره الفنيّة ، ونبذة عن سيرة ممدوحه المعتصم بن صمادح ، ولمحة عامّة عن مدينة المريّة كُرْسِيِّ مُلْكِ المعتصم وموطنِ آبن الحدّاد ، وذلك من النواحي التاريخيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصادية والثقافيّة والعمرانيّة .

ثانياً ـ سيرة آبن الحدّاد :

١ ـ اسمه وكنيته ولقبه :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم

المعروف بالحدّاد[1] ، القيسي[2] ثم النُّمَيْري[3] ، ويلقّب بمازن ، وقيل : اسمه مازن[4] .

٢ ـ ولادته وموطنه :

ولد آبن الحداد في وادي آش[5] ، إلاَّ أنه آستوطن المريّة منذ طفولته

---

١ ـ جعل آبـن فضل الله العمري والدَ أبي عبد الله حدّاداً ، فقال : « محمد بن أحمد الحدّاد أبو عبد الله نَجْلُ حدّاد » . مسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقة ٤٠٠) .

٢ ـ نسبة إلى قيس عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان ، أخي إلياس بن مضر . جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠ . وقال في لسان العرب مادة (قيس) : قيس عَيْلان أبو قبيلة من مُضَر ، وهو لقبٌ وآسمه الحقيقي الناسُ بنُ مُضَر بن نزار . وفي تاريخ ابن خلدون (م ١ ص ٣٨٠) : قيس من مضر .

٣ ـ نسبة إلى نُمَيْر بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكْرِمَة بن خَصَفَة بن قيس عَيْلان بن مُضَر . جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٩ .

٤ ـ انظر أخباره في مسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقتان ٤٠٠ ـ ٤٠١) ، والأفضليات (ج ١ ، الورقة ٣٩) ، وعقود الجمان (ج ٣ ، الورقة ٢٦٢) ، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩١) ، ومطمح الأنفس ص ٣٣٦ ، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤١) ، وفوات الوفيات (ج ٣ ص ٢٨٣) ، والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٦) ، والتكملة لكتاب الصلة (ج ١ ص ٣٩٨) ، والذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٤٣) ، ورايات المبرزين ص ٧٤ ، وفي النص الإسباني ص ٢٣٤ ، والمقتضب من تحفة القادم ص ١٧٤ ، والمحمدون من الشعراء ص ٩٩ ، والإحاطة تحقيق عنان (ج ٢ ص ٣٣٣) ، والإحاطة التي لا تحمل اسم المحقق (ج ٢ ص ٢٥٠) ، ونهاية الأرب (ج ٢ ص ٢٥١) ، وبدائع البدائه ص ٣٦٥ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٨ ـ ٤٩) و (ج ٧ ص ٢٦) ، وسير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٦٠١ ـ ٦٠٢) ، وكشف الظنون (ج ١ ص ٧٦٥) ، وهديه العارفين (ج ٢ ص ٧٥) ، وفيه « الفيشي » بدل « القيسي » ، ودائرة المعارف (ج ٢ ص ٤٣٩) ، ومعجم المؤلفين (ج ٨ ص ٢٩١) ، والأعلام (ج ٥ ص ٣١٥) و Encyclopédie de l'Islam, V.III, P. 799

٥ ـ وادي آش ، ويقال لها أيضاً وادي الأشات أو وادي الأشى Guadix : مدينة تابعة لكورة إلبيرة ، وتقع شمال شرقي غرناطة على نهر كان يسمَّى بآسمها أيام العرب ، أي نهر وادي آش ، ويسمَّى الآن Rio Fardes وينحدر من جبل شُلَيْر عند السفح الشمالي لجبل الثلج =

وقضى فيها أكثر عمره ، ولازم بلاط بني صمادح فآشتهر بمدح رؤسائهم[1] .
وقد أشار آبن الحداد في إحدى رسائله إلى سبب آنتقال أسلافه من وادي آش إلى المرية بقوله : « ومَطْلَعُنا من أفق ، ومَرْجَعُنا إلى تحقّق ، وإنْ كانتْ أيدي الفتن قد أزعجتْ أسلافنا عن الوطن (وادي آش) ، وآغتصبتْ أملاكنا[2] . . » .

= سيرانافادا Sierra Nevada ، وهو في شرقيِّها ، وهي على ضفّته . تقع بين غرناطة وبجّانة ، وتبعد عن غرناطة أربعين ميلا . وهي مدينة جليلة ، كثيرة الجداول ، مخضرة الجوانب ، أُحْدقتْ بها البساتين والأنهار ، والغالب على شجرها الشّاهبَلُّوْط ، وفيها يكون الإبريسم الكثير ، وهي كثيرة التوت والعنب والزيتون والقطن . لها بابان ؛ باب شرقي على النهر ، وآخر غربي على خندق . وقصبتها مشرفة عليها ، وعليها سور حجارة . وبقربها قرية بها عين تجري سبعة أعوام وتغور سبعة أعوام . وقد خصَّ الله تعالى أهلها بالأدب وحبّ الشعر . سقطت في يد فرناندو وإيزابيلا سنة ٨٩٥ هـ ، وهي اليوم مركز إداري في مدينة غرناطة . انظر معجم البلدان (ج ١ ص ١٩٨ ، مادة أش) ، ومشاهدات لسان الدين ص ٨٨ ، وصورة الأرض ص ١١٠ ، والروض المعطار ص ٦٠٤ ، والذخيرة (ق ٣ م ١ ص ٤٠٣) وفيها : وادي آش من عمل المريّة ، والمغرب (ج ٢ ص ٢٨) ، والمعجب ص ٢٤٧ ، وفيه : وادي آش بليدة على مسيرة يوم من غرناطة ، وقطعة من كتاب فرحة الأنفس ، مجلة معهد المخطوطات العربية (المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص ٢٨٣) ، واللمحة البدرية ص ١٩ ، ورايات المبرزين ص ٦٢ ، وفي النص الإسباني ص ٢١٤ ، وأخبار وتراجم أندلسية ص ٥١ ، والإحاطة تحقيق عنان (ج ٢ ص ٣٣٧) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٤٩) ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٣٥٤) ، والآثار الأندلسية في إسبانيا والبرتغال ص ١٨٣ - ١٨٥ .

١ - انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٢) ، والتكملة لكتاب الصلة (ج ١ ص ٣٩٨) ، والذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠) ، والإحاطة (تحقيق عنان) (ج ٢ ص ٣٣٣) ، والإحاطة التي لا تحمل اسم المحقق (ج ٢ ص ٢٥١) ، ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٦) ، وسير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٦٠٢) ، ومعجم المؤلفين (ج ٨ ص ٢٩١) ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٧٧ .

٢ - انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٦ - ٦٩٧) .

٣ ـ حياته العائلية وتحصيله العلم :

أغفل مؤرّخو الأدب الحديث عن عائلة آبن الحداد ، بآستثناء آبن عبد الملك المراكشي الذي أشار إشارة عابرة إلى أنَّ والدته من أسرة عربيّة مرموقة بقرطبة تنسب إلى بني تميم : « وأمّه أخت القاضي أبي عمر آبن الحذّاء[١] » . وإغفالُ المؤرّخين ذكر عائلة آبن الحداد يعود إلى كونها فقيرةً متواضعة ليست من تلك البيوتات الكبيرة التي وَلِيَتْ مناصبَ هامّة في الدولة . وتلك ظاهرة ليست لصالح أدباء الأندلس ومؤرّخيها الذين لم يكونوا يهتمّون إلاَّ بالطبقة الحاكمة ومن كان يسير في فلكها .

وهكذا يتحدر آبن الحداد من أصل عربي مشرقي لجهة الأب والأمّ معاً ، ولكنه لم يكن من أسرة ثريّة يسَّرَتْ له المناخ العلمي المشجّع ، وسمحتْ له بأن يتأدّب على شيوخ عصره أو يقوم برحلة للعلماء ؛ فآستقى بذلك ثقافته عن طريق مطالعة الكتب . ولقد أشار إلى ذلك في إحدى رسائله : « إنّي لم أرِمْ ذَرَايَ ، ولا بَرِحْتُ مَثْوايَ ، ولا أُعْمِلَتْ لي رحلةٌ للعلماء ، ولا هِجْرةٌ للفهماء[٢] » . وبذلك يكون قد آعتمد في تحصيل معارفه على ذاته وإنْ كان روى عن خاله آبن الحذاء وأفاد منه كما يشير إلى ذلك آبن عبد الملك

---

١ ـ الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠) . وآبن الحذّاء هو أبو عمر أحمد بن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي القرطبي المالكي . أخذ عن والده الحافظ أبي عبد الله ، وكان من رجالات العلم والفقه والشعر . ندبه والده صغيراً إلى طلب العلم والسَّمَاع من الشيوخ الجلّة أمثال سعيد بن نصر ومحمد بن أسد وغيرهما . وعندما وقعت الفتنة بقرطبة نزح عنها أبو عمر وسكن سرقسطة والمرية ، ثم تقلّد أحكام القضاء بطليطلة ودانية . وفي آخر عمره عاد إلى قرطبة ، ولكنه ظل يتنقّل بينها وبين إشبيلية إلى أنْ وافته المنيّة في ربيع الآخر سنة سبع وستين وأربعمائة بإشبيلية وله سبع وثمانون سنة ، ومشى في جنازته راجلاً ملكها المعتمد بن عباد . انظر الصلة (ج ١ ص ٦٥ ـ ٦٦) ، وجذوة المقتبس ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ، وبغية الملتمس ص ٥٢٧ ، وسير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥) .

٢ ـ انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٨) .

المراكشي[١] . وقول آبن الأبار : « وكان له حظ من التعليم وافر[٢] » فيه نظر ؛ لأنَّ ذلك يفيد أنَّ آبن الحداد أخذ عن غير شيخ .

٤ ـ تلامذته :

انفرد آبن عبد الملك المراكشي بذكر آثنين من تلاميذ آبن الحداد ، وهما عبد الله بن عوف ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان بن عبد الله التجيبي الأوريولي المعروف بآبن الصفار . يقول : « روى عنه عبد الله بن عوف وأبو عبد الله بن أحمد بن سليمان ابن الصفار[٣] » . ويقول آبن الأبار : « وقرأت بخطِّ آبن الدبّاغ[٤] ، قال: أخبرني الشيخ أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن سليمان بن عبد الله التجيبي ، قال : قرأت على أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان القيسي المعروف بآبن الحدّاد ، من أهل المرية ، قصيدته التي سمّاها حديقة الحقيقة ، وأولها (الخفيف) :

ذَهَبَ النـاسُ فآنفـرادي أنيسي وكـتـابي مُـحَـدِّثي وجـليسـي[٥] »

وإذا لم نَحْظَ بترجمة لابن عوف فإننا حظيْنا بترجمة لابن الصفار ، وهو

---

١ ـ الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠) .
٢ ـ التكملة (ج ١ ص ٣٩٨) .
٣ ـ الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠) .
٤ ـ هو الوزير الكاتب البليغ أبو المطرف عبد الرحمن بن فاخر ؛ نشأ في ظلِّ المقتدر بن هود ، ثم آستوحش منه فخرج عنه وفرَّ إلى إشبيلية ، فأجزل المعتمد بن عبّاد قِراه ، ثم لحق بالمتوكل بن الأفطس ببطليوس ، ثم كرَّ راجعاً إلى سرقسطة بلده ومحلّه ليكون مع ولده وأهله ، فلمّا وصل إليها استُدْعي إلى إحدى حدائقها ليلاً ، فلمّا أُغفي طعنه أحدهم بسكين وقتله ، فسقى الأرض من نجيعه . انظر قلائد العقيان ص ١٠٦ ـ ١٠٩ ، والذخيرة (ق ٣ م ١ ص ٢٥١ ـ ٣١٧) ، والخريدة (ج ٢ ص ٣٤٩) طبعة دار نهضة مصر ، و (ج ٣ ص ٣٨٧) طبعة الدار التونسية ، والمغرب (ج ٢ ص ٤٤٠) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٠٦) .
٥ ـ التكملة (ج ١ ص ٣٩٩) ونفح الطيب (ج ٤ ص ١١٥) .

من بيت القضاء والعلم بقرطبة وأديب تاريخي حافظ أيام الناس . كان ذا عناية ورواية يغلب عليه الأدب ، وقد ولي أحباس بلده أوريوله Orhuela ، وصنّف في أخبار آبن عباد وشعره كتاباً سمّاه « الدرر الأفراد في شعر آبن عبّاد » . جال في الأندلس وبرِّ العُدْوة ، ودخل مراكش . روى عن عبيد الله بن أدهم ، و آبن عيسى آبن اللبّانة ، والكاتب أبي الحسن بن اليسع ، وآبن الحداد[1] .

٥ ـ منافسوه وحُسّاده :

بسبب تقرّب آبن الحداد من المعتصم بن صمادح حسده العديد من الأشخاص ، فأرادوا الإيقاع به عند مليكه ، فردَّ عليهم في إحدى رسائله قائلاً : « ولم أمتدحِ المعتصمَ طالبَ جَدىً ، ولا راغِبَ نَدىً ؛ على أنَّ جَمِيْعنا رائدٌ في رياض إنعامِه ، ووارِدٌ في حِياض إكرامِه ، ولكنّي مُنِيْتُ بقَرَدَة حَسَدَةٍ ، أَعْجَزَتْهُمْ محاكاتي ، وأَعْوَزَتْهُمْ محاذاتي ، فوخزوا فضلي بمثل الأشافي ، ورَمَوْا عِرْضي بثالثة الأثافي[2] . »وردَّ عليهم أيضاً في فصل آخر ، أرجِّح أنّه موجَّه إلى المعتصم بن صمادح يحثُّه فيه على عدم الاكتراث بأقوال منافسيه وحُسّاده : « وهذه نزعاتُ الحاسدين ، ونَتَغَات[3] المنافسين ، فَأَعْرِضْ عن فَنَدِهِمْ ، ولا تحفلْ بِعَنَدِهِمْ . . فلا تسمعْ مِمَّنْ يقصدُ إسماعك ، ويعتمد إيجاعك[4] . . » كذلك ردَّ عليهم بشعر أَفْصَحَ فيه عن آيات فهمه من جهة ، وعن جهلهم من جهة ثانية[5] .

---

١ ـ انظر الذيل والتكملة (السفر الخامس من القسم الثاني ص ٦٤٤) ، والتكملة (ج ١ ص ٤٢٧) ، ومعجم الصدفي ص ١١٥ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٠٦) .

٢ ـ انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٧) .

٣ ـ النتغات : ج نَتْغ وهو العَيْب ؛ يقال : نَتَغَ الرجلَ يَنْتِغُهُ إذا عَابَه . لسان العرب والقاموس المحيط ، مادة (نتغ) .

٤ ـ انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠١) .

٥ ـ انظر المقطّعة الزائيّة ذات الرقم ٣٣ ، والأبيات : ١٢ ، ٢٣ ـ ٢٤ من القصيدة النونيّة ذات الرقم ٦٠ .

٦ ـ مركزه في بلاط المعتصم :

رغم تقرّبه من المعتصم بن صمادح فإنّ الذين ترجموا له لم يحدّدوا المنصب الذي تبوّأه في بلاط المريّة . وقد آنفرد الذهبي بجعله ناظر الديوان الكبير[١] . وناظر الدواوين ، بمفهوم القلقشندي ، هو الذي يُعَبَّر عنه بناظر الدولة ، ويتحدَّث في كلِّ ما يتحدّث فيه الوزير ، وكلُّ ما كتب فيه الوزيرُ كَتَبَ فيه هو ، أي إنّه يشارك الوزير في التصرّف[٢] . وقد يقصد الذهبي بالديوان الكبير ديوان الإنشاء ، وصاحبه هو كاتب الرسائل ، وهو ذو محلّ رفيع وقدر شريف ، يكاد أنْ لا يكون عند الملك أخصُّ منه ولا ألزمُ لمجالسته ، ولم يزلْ صاحبه معظّماً عند الملوك في كل زمن ، مقدَّماً لديهم على مَنْ عَدَاه . وهو أول داخل على الملك وآخر خارج عنه ، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه ، والإفضاء إليه بمهمّاته ، وتقريبه من نفسه في ليله ونهاره ، لا يثق بأحد من خاصّته ثقته به . ولا يتولّى ديوانَ الإنشاء إلّا أجلُّ كُتّاب البلاغة ، ويخاطب بالأَجَلّ[٣] .

كما لم يذكروا أنّه كان وزيراً بآستثناء النويري[٤] . وأيّده في ذلك المستشرقون الإسبان ، فقال إميليو غرسيّة غومس : كان آبن الحدّاد وزيراً في المرية[٥] . وقال أنجل بالنثيا : من شعراء المعتصم بن صمادح الوزير آبن الحداد الوادي آشي[٦] . وذهب مذهبهما الأستاذان عبد العزيز سالم وأبو الفضل ، فقال سالم : « وأعظم شعراء المعتصم بلا مُنَازِع هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الحدّاد ، الذي تقلّد الوزارة لعلوِّ مكانته[٧] » .

---

١ ـ سير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٦٠٢) .

٢ ـ صبح الأعشى (ج ٤ ص ٣١) و (ج ٥ ص ٤٦٥) .

٣ ـ انظر صبح الأعشى (ج ١ ص ٨٩ ، ١٠١)و (ج ٣ ص ٤٩٠) .

٤ ـ نهاية الأرب (ج ٢ ص ٢٦٦) .

٥ ـ Poemas arabigoandaluces, P. 35

٦ ـ Historia de la literatura arabigoespanola, p. 90

٧ ـ تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٧٧ .

وقال أبو الفضل : « ارتفعتْ منزلته عند المعتصم إلى حدٍّ أنْ أُسْنَدَ إليه الوزارة[1] » . ونحن بدورنا نرجِّح أن يكون آبنِ الحداد ناظر ديوان ، ونستبعد أن يكون وزيراً ، معتمدين في ذلك على شعره الذي يتشكّى فيه من الدهر الخؤون والذي يعكس الصورة التي انحطَّ فيها أصحاب الكفاءات ، وهو منهم ، وآرتفع إلى مناصب دولة المعتصم العليا أهل السَّفه والجهل[2] .

٧ ـ خروجه عن المريّة ثم عودته إليها :

لم يكن آبن الحداد ذا رِحْلةٍ إلى الملوك ، بل آقتصر على المريّة وظلَّ وفيّاً لها لا يبغي بها بديلاً حتى وفاته ، وهو إنْ خرج منها مُكْرَهاً إلى مرسية وسرقسطة كان بسبب مُطالبةٍ نَالَتْه . وقد شرح آبن عبد الملك هذه المطالبة بقوله : « وكان لأبي عبد الله هذا أخٌ[3] ، فَقَتَلَ رجلاً ، ونالتْ أبا عبد الله بسببه مطالبةٌ أَخْفَى نفسه من أجلها حيناً حتى قُبِضَ على أخيه وآعتُقِلَ ، ففصل أبو عبد الله إلى مرسية[4] ونفذ منها إلى سرقسطة[5] فآحتلَّها يوم السبت لثلاثَ

---

١ ـ تاريخ مدينة المرية الأندلسية ص ٢٣٧ .

٢ ـ راجع الأبيات ١٨ ـ ٢١ من القصيدة الهمزيّة رقم ٢ ، والبيتين اللذين قالهما بعد خروجه من المريّة من قطعة فلسفيّة رائيّة ذات الرقم ٣٠ .

٣ ـ لم تذكر المصادر آسم أخي آبن الحداد ، ولا ذكره شاعرنا في شعره ونثره اللذين وصلا إلينا .

٤ ـ مرسيه Murcia : مدينة بشرق الأندلس من كورة تدمير . تقع على نهر كبير ، وقد بناها الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢١٦ هـ ، فخلفت تُدْمِيْرَ ، وأصبحتْ كورةُ تدميرَ تسمَّى كلُّها بآسمها ، وكانت القاعدة قبلها أُرْيُوْله . وهي ذات أشجارٍ وحدائق مُحْدقةٍ بها ، وكان بها منزلُ آبن مَرْدَنِيش Martinez ، فانعمرت في أيّامه حتى صارتْ قاعدة الأندلس . راجع معجم البلدان (ج ٥ ص ١٠٧) ، والروض المعطار ص ٥٣٩ ، ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٣٣١) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٦ حاشية ٣) ، وقطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٥ ، والآثار الأندلسية ص ٧٤ ـ ٧٦ .

٥ ـ سرقسطه Zaragoza : مدينة في شرق الأندلس، تقع على ضفة نهر كبير، وتسمَّى المدينة البيضاء لكثرة جِصِّها وجيارها، وقيل لأنَّ أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض. اسمها مشتق من اسم قيصر وهو الذي بناها، وتتّصل أعمالها بأعمال تطيله Tudela . كان =

عشرةَ ليلة خَلَتْ من شعبان أحد وستين وأربعمائة ، فآغتنم وفادَتَهُ المقتدرُ[1] أحمد بن المستعين سليمان بن أحمد بن هود ، وقابله من الإقبال عليه والتَّحَفِّي به بما لا كفاء له ، وأقام في كنفه مدة وآمتدحه وآبنَهُ الحاجبَ المؤتمن[2] » .
وأشار آبن بسام إلى ذلك بقوله : « وفي بني صمادح معظم شعره ، ومع ذلك

= لأهلها الفضل في صنعة فِراء السَّمُّوْر، وفيها معدن الملح الأَنْدَرانيّ وهو الأبيض الصافي وليس هو في غيرها .
مَلَكَها التُّجيبيّون بعيد الفتنة البربريّة بقرطبة (٤٠٩ - ٤٣١ هـ) ثم آستبدَّ بها بنو هُوْد الجذاميّون (٤٣١ - ٥٠٣ هـ)، ثم صارتْ للمرابطين (٥٠٣ - ٥١٢ هـ) ، ثم سقطت نهائياً في أيدي الإفرنج بعد أن حاصروها تسعة شهور . انظر معجم البلدان (ج ٣ ص ٢١٢ - ٢١٣) ، والروض المعطار ص ٣١٧ ، وقطعه من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ، والبيان المغرب (ج ٤ ص ٥٤ - ٥٥) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٧٠ - ١٧٦) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ٤٤١) ، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٥١ - ٣٥٢) ، والآثار الأندلسية ص ٧٨ - ٨٠ و El reino de zaragoza en le siglo XI de Gristo (V de la Hégira) .

١ - هو عميد بني هود وعظيمهم ؛ وَلِيَ سرقسطة سنة ٤٣٨ هـ بعد موت أبيه سليمان ، وكان له الغزوات المشهورة والوقائع المذكورة ، إلَّا أنه ضرب على رعيّته ضريبة مالٍ للروم . استمرَّ في الحكم إلى أن توفي سنة ٤٧٥ هـ بسرقسطة . انظر المغرب (ج ٢ ص ٦١٨ - ٦١٩) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٦٠ - ١٧١ - ١٧٢) . وفي البيان المغرب (ج ٣ ص ٢٢٢ - ٢٢٩) و (ج ٤ ص ٥٥) ، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٥١ ، ٣٥٤) : وفاته سنة ٤٧٤ هـ . وانظر أيضاً الأعلام (ج ١ ص ١٣٢) و El reino de Zaragoza, P. 75 - 122. وبنوهُوْد من جُذام بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرة بن أُدد بن زيد بن يَشْجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، وقيل : بنو هود بن عبد الله بن موسى بن سالم الجذامي ، وقيل : إنهم من ولد روح بن زنباع .راجع قلائد الجمان ص ٥٤ ، ٥٧ ، والبيان المغرب (ج ٤ ص ٥٤) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ٤٤١) .

٢ - الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١١) . والمؤتمن هو يوسف بن المقتدر ، وقد ولي الحجابة لأبيه ، وبعد مهلك أبيه سنة ٤٧٥ هـ ولي مملكة سرقسطة فتصيَّر له مُلْك الثغر كله . كان قائماً على العلوم الرياضيّة وله فيها تآليف منها « الاستكمال » أو « الاستهلال » ، و « المناظر » . وكان بينه وبين المعتمد بن عبّاد ، ملك إشبيلية ، ما =

طُوْلِبَ عندهم هنالك ، ولحق بثغر بني هود ، وله فيهم أيضاً غيرُ ما قصيد[1] . وأضاف : « ولحق آبن الحدّاد بسرقسطة سنة إحدى وستين ، فأَكْثَرَ المقتدرُ بالله من برِّه[2] » . وذكر آخرون أنه لمَّا آكتنفتِ آبن الحداد سِعَايَاتٌ قال هذين البيتين : « واصِلْ أخاك . . يُدَخِّنُ[3] » . وذكر المقَّري أنَّ آبن الحداد ، لمّا قال في المعتصم الأبيات الثلاثة الحائيّة : « يا طالب المعروف . . النازحِ[4] » ، اغتاظ عليه المعتصمُ وأبعده ، ففرَّ عن بلده . وأشار أيضاً إلى أنَّ المعتصم أَطْلَقَ سراحَ أخي آبن الحداد وأَمَرَ بلحاقه به خارج المرية بعد قول هذا الأخير الأبيات : « الدهر لا يَنْفَكُّ . . رِضْوَانِهِ[5] » . كذلك أشار آبن الأبار إلى آنتقال آبن الحداد إلى سرقسطة وإقامته هنالك في كنف المقتدر بن هود[6] . وآكتفى القفطي بالإشارة إلى خروجه عن المريّة دون أن يحدِّد

= يكون بين الفحول في الهَجَمَات ، والليوث في الأَجَمَات ، لذلك تلاحقَ به آبنُ عمّار الشاعرُ الشهير لما خالف على المعتمد . استمرّتْ أيامه في الثغر إلى أن هلك سنة ٤٧٨ هـ ، فولي بعده آبنه المستعين أحمد بن المؤتمن ، فلم يزل أحمد أميراً بسرقسطة إلى أن هلك شهيداً في مستهل رجب من سنة ٥٠٣ هـ بظاهر سرقسطة في زحف الطاغية الإسباني إليها . انـظر المغرب (ج ٢ ص ٤٣٧) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٧٢) ووقع آسمه فيه : محمد بن المقتدر ، والبيان المغرب (ج ٤ ص ٥٥) وفيه : توفي المقتدر سنة ٤٧٤ هـ فولي آبنه المؤتمن في السنة نفسها فكانت مدته أربع سنوات ، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٧) ، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٥١ - ٣٥٢) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ٤٤١) ، والأعلام (ج ٨ ص ٢١٤) و El reino de Zaragoza, P. 123 - 144

١ - الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٢) .

٢ - المصدر نفسه ص ٧٢٥ .

٣ - انظر البيتين في الديوان رقم ٥٤ ، وتعليق المقَّري عليهما في الحاشية رقم ٢ .

٤ - انظرها في الديوان رقم ١٢ ، وتعليق المقّري عليها في تخريج الأبيات .

٥ - انظرها في الديوان ضمن القصيدة النونيّة رقم ٦٥ ، وهي : ١ ، ٦- ٧ ، وآنظر تعليق المقري عليها في حاشية ٦ .

٦ - التكملة (ج ١ ص ٣٩٨ - ٣٩٩) .

وجهته[1] . وقال الذهبي ، نقلاً عن آبن الأبّار : « اختصَّ بالمعتصم بن صمادح ، واستفرغ فيه مدائحه ، ثم سار عنه إلى سرقسطة ، فأقام في كنف المقتدر بن هود[2] » . وانفرد آبن الخطيب بإشارة إلى أنَّ آبن الحداد : « دخل غرناطة ، ومن بنات عملها وطنه رحمه الله[3] » . أمّا آبن خاقان فإنّه جهل أمر خروج آبن الحداد عن المرية ، فقال : « و آقتصر على المرية . . فعكف فيها ينثر دُرَرَهُ في ذلك المُنْتَدَى ، ويرتشف أبداً ثغور ذلك الندى[4] . . » .

وهكذا لم تَمْضِ حياة آبن الحدّاد في ظلٍّ بني صمادح وادعة مطمئنّة كما كانت توحي بذلك علاقته الطيّبة بهم ؛ لأنَّ حسّاده آستطاعوا أخيراً أنْ يوقعوا به عند مليكه المعتصم ، وكان من الطبيعي أنْ يغتاظ المعتصمُ من شاعره ليأخذ قراره بإبعاده عن المريّة . ولم تكن محنة آبن الحداد محنة غيره من شعراء الأندلس الذين آضطهدوا أو قُتلوا أو شرّدوا طوال حياتهم . وخير ما يصوّر محنة الشعراء في عصر آبن الحداد بيتان قالهما أحد أدباء قرطبة (السريع) :

الحمدُ لله على أنّني كَضِفْدَعٍ في لُجَّةِ اليَمِّ
إنْ هِيَ قالتْ مَلأتْ حَلْقَها أو سَكَتَتْ ماتتْ من الغَمِّ[5]

وهكذا لم يكنِ آبنُ الحداد كغيره مِمَّنْ ماتوا غَمّاً خارج بلدهم ، إذ نَجا من العاقبة وعاد إلى المعتصم بعد رحلة إلى سرقسطة لم تستغرق طويلا . وقد أشار آبن بسام إلى ذلك بقوله : « ثم عاد آبنُ الحداد إلى المريّة ، وحَسُنَ بَعْدُ

---

١ ـ المحدون من الشعراء ص ٩٩ .
٢ ـ سير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٦٠٢) .
٣ ـ الإحاطة تحقيق عنان (ج ٢ ص ٣٣٧) . ويقصد بوطنه مدينة وادي آش التي هي من أعمال غرناطة .
٤ ـ مطمح الأنفس ص ٣٣٧ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٩) .
٥ ـ انظر جذوة المقتبس ص ٣٥٢ (ترجمة مُصْعب بن عبد الله رقم ٨٢٨) ، وبغية الملتمس ص ٤٧١ رقم ١٣٧٩ ، والصلة (ج ٢ ص ٥٩٣) .

بها مَثْوَاه ، وأَكْرَمَهُ المعتصمُ وأَجْزَلَ قِرَاه[1] » . وحدَّد ٱبنُ عبد الملك تاريخ عودة ٱبن الحداد إلى المريّة بقوله : « ثم فصل عنه (أي عن المقتدر بن هود) في جُمَادَى الأولى سنة أربع وستين وأربعمائة ، وعاد إلى المريّة قاصراً أمداحه على أميرها المعتصم إلى أن توفي في حدود الثمانين وأربعمائة[2] » . كما أشار ٱبن الأبّار إلى رجوعه من سرقسطة إلى المرية بقوله : « وأقام هنالك في كنف المقتدر بن هود ، وعاد بَعْدُ إلى المعتصم[3] » .

وكان ٱبن الحداد شديد التعلّق بأهله وموطنه المريّة ، إذ ظلَّ يَحِنُّ إليهما وهو في الغربة ، لا يقوى على مفارقتهما ؛ لأنَّ ٱشتياقه إليهما بات كبيراً ، وقد عبَّر عن ذلك بقوله وهو في تُدْمير : « أخفي ٱشتياقي .. تُظْهِرُهُ[4] » . ولشدّة تعلُّقه ببلده فضَّل الأماكن الأندلسية على الأماكن المشرقيّة[5] .

٨ ـ أصدقاؤه :

لم تذكر لنا كتب التراجم سوى ٱثنين من أصدقاء ٱبن الحداد كانا من أهل الفقه والتنجيم ؛ الأول هو الفقيه أبو بكر ٱبن الحديدي ، والثاني هو المنجّم أبو بكر الخولاني .

و ٱبن الحديدي هو أبو بكر يحيى بن سعيد بن أحمد بن يحيى بن الحديدي ، من أهل طليطلة وشيخها وأحد رجالاتها المشهورين في العلم والدهاء وحُسْن النظر في صلاح البلد . كانت العامّة تعضده ، وكان إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون ، ملك طليطلة ، لا يقطع أمراً دونه ، يشاوره في مَهَمّات أموره ، فحسده قوم من أهل طليطلة على منزلته عند أميرهم . ولمّا مَلَكَ يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون ، الملقّب بالمأمون ، مدينة

---

١ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٨) .
٢ ـ الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١١) .
٣ ـ التكملة (ج ١ ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩) .
٤ ـ هو البيت الخامس من الأبيات الخمسة الواردة في الديوان رقم ٢٥ ، فٱنظره .
٥ ـ عبَّر عن ذلك في البيت الأول من الأبيات الأربعة الواردة في الديوان رقم ٤٨ ، فٱنظره .

طليطلة ، جرى مع آبن الحديدي على سَنَن أبيه ، فجعل إليه الرأي والمشـورة . ولمّا تـوفي المأمـون ولي بعده حفيـده ، آبنُ آبنـه ، القادرُ بالله يحيى بن إسماعيل بن المأمون آبن ذي النون ، وكان سيء الرأي ؛ استدرج آبنَ الحديدي بالأمان ، فقتله أصحابه في القصر ضحوة يوم الجمعة في المحرّم سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة[1] .

والخولاني هو أحد الأدباء الشعراء المشهورين ، من أهل باجة ، إلاَّ أنّه سكن إشبيلية وكان منجِّم مليكها المعتمد بن عباد. خاطبه المعتمد بأبيات من الشعر أولها (الكامل) :

أَرَمِدْتَ أَمْ بنجومـك الـرَّمَـدُ ؟ قـد عاد ضِـدّاً كـلُّ مـا تَعِـدُ[2]

ولقد آحتفظ آبنُ بسام برسالة بعث بها آبـنُ الحداد إلى صديقه آبن الحديدي ، تُظْهر مدى صداقته له ، ويستفتحها بالثناء عليه ، ويصف له فيها ما أَلَمَّتْ به صروف الدهر ونوائبه ، بسبب إبعاده عن موطنه المرية ، فيقول : « قد سَطَعَ ـ أعزَّكَ اللهُ ـ من سَنَاكَ وسَنَائِك ، وتضوَّعَ من نَثَاكَ[3] وثنائك . . فَسُوَرُ سِيَرِكَ تُتْلَى في منازل الفضائل ، وصُوَرُ غُرَرِكَ تُجْلَى في محافل الأفاضل . . وما زِلْتُ قد تنسَّمْتُ أَرَجَ ذِكْراك ، وتَوَسَّمْتُ نَهجَ علياك ، أصبو إليكَ صبوّ الهائم ، وأظمأ نحوكَ ظَمَأ الحائم . . والزمن يَأْبَى إلاَّ اللَّيّ ، فَيُنْهِدُ العوائقَ إليّ ، إلى أنْ دَهَمَني من ضروب خطوبه بعجائب ، وآستقبلني من صنوف صروفه بغرائب ، قَذَفَتْني من سمائي ، وسَقَتْني غيرَ مائي ، فأيدي التَّغَرُّب تتـعـاطــاني ، وأقدام النُّوَبِ لا تتخطّاني ، واللهُ يُحْسِنُ العُقْبَى ، ويُعْقِبُ الحُسْنَى ، بِمَنِّه[4] » . وهنا

---

١ ـ انظر الذخيرة (ق ٤ م ١ ص ١٥١ ـ ١٥٦) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٣) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٧٧) والصلة (ج ٢ ص ٦٣٢ ـ ٦٣٣) .

٢ ـ انظر جذوة المقتبس ص ٣٩٢ ، وبغية الملتمس ص ٥١٧ ، والخريدة (ج ٣ ص ٥٨٤) طبعة الدار التونسية ، و (ق٤ ج٢ ص ٦٧٤) طبعة دار نهضة مصر ، والذخيرة (ق ٢ م ١ ص ٥٦) و (ق ٤ م ١ ص ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩) .

٣ ـ النَّثَا : ما أَخْبِرْتَ به عن الرجل من حَسَن .

٤ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٢ ـ ٧٠٣) .

لم يُشِر آبنُ بسام ما إذا كان بَعَثَ آبنُ الحديدي بجوابٍ على هذه الرسالة أم لا .

كذلك آحتفظ آبن بسام برسالة أخرى بعث بها آبنُ الحداد إلى صديقه الخولاني ، تشهد على صداقتهما ، ويقول فيها : « لو أَنْصَفَكَ الزمانُ[1] الذي أنت غُرَّةُ أيامه ، ودُرَّةُ نظامه ، لَكُنْتَ أحقَّ بالسَّرطَان[2] مِنَ الزِّبْرِقان[3] ، وأولى بالمِيْزان[4] من كَيْوان[5] ، وأَحْجَى[6] بعلوِّ المراتب من سائر الكواكب ، فما زِلْتَ لِفَلَكِ عِلْمِها مركزاً ، ولِمَدَى فَهْمِها مُحْرِزاً . . فيا ليت شعري هل يتمارَى فيك ، فيقول مَنْ يصافيك : ما رَشَق ، ولا مَشَق ، ولكنه شبَّه ومَوَّه . أَوْرَدَنا الله خَيْرَ مواردِ النجاةِ والهُدَى ، وعَصَمَنا من الضَّلالة والرَّدَى ، بِمَنِّه[7] » . ولكن آبن بسام لم يذكر ، كعادته ، ما إذا كان الخولاني قد ردَّ على آبن الحداد برسالة جوابيّة أم لا .

٩ ـ علاقته بآبن اللّبانة والسُّمَيْسر وبمن حوله من الناس :

من خلال شعر آبن الحداد تبيّن لنا أنه لم يكن على علاقة حسنة بمعاصِرَيْهِ آبن اللبّانة[8] والسُّمَيْسر[9] . ذكر آبن خاقان أنَّ آبن الحداد حضرَ مجلسَ المعتصم بن صمادح بحضور آبن اللّبّانة ، فأنشد هذا في المعتصم

---

١ ـ في مسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠٤) : « الزمن » بدل « الزمان » .

٢ ـ السَّرطَان : برج من بروج الفلك . لسان العرب (سرط) .

٣ ـ الزِّبْرِقان : القمر ، والجمع زباريق . قال الشاعر (الوافر) :

تضيء لـه المنابـرُ حين يَـرْقَى عليهـا ، مثـل ضَـوْءِ الـزِّبْـرِقـانِ

لسان العرب (زبرق) .

٤ ـ المِيْزان : اسم برج عند المنجمين .

٥ ـ كَيْوَان : زُحَل ، فارسي ، ممنوع من الصرف .

٦ ـ في مسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠٤) : « وأحقّ بعلى المراتب . . » .

٧ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٣ ـ ٧٠٤) . ونقل آبن فضل الله العمري بعضاً من هذه الرسالة في مسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠٤) .

٨ ـ سيرد الحديث عنه ص ٨٥ .

٩ ـ سيرد الحديث عنه ص ٨٦ .

قصيداً أبرز به من عُرَى الإحسان ما لم يَنْفِصِمْ ، وآستمرَّ فيها يستكمل بدائعها وقوافيها ، فإذا هو قد أغار على قصيد آبن الحداد الذي أوله :

عُجْ بالحِمَى حيث الخِماص العِيْنُ[1]

فآرتجل آبنُ الحداد عندئذ هذه الأبيات الثلاثة : « حَاشَا لعدلك . . يمينُ[2] » . ويطلب فيها من المعتصم أن يحكم بقطع لسان آبـن اللبنانة ، لا بقطع يده اليمنى ؛ لأنَّ لسانه هو الذي سرق القريض وليس يمينه . وهذا دليل على مدى الخصومة بينهما .

وإذا كانت تلك هي علاقته بآبن اللبنانة ، فإنَّ علاقته بالسُّمَيْسر يمثّلها بيت قاله في هجاء السميسر ردّاً على بيتين قالهما هذا الأخير في هجاء آبن الحداد[3] .

كذلك لم يكن آبن الحداد يثق بأحد مِمَّنْ حوله ، فبات يُقِرُّ بأنْ ليس له صديق يُؤْتمن غيرُ الكِتَاب ، فكانت الهوَّة بينه وبين الناس كبيرة ، كقوله : « والناسُ أغربة . . الأبيض[4] » . وقوله : « ذهب الناس . . بالمرموسِ[5] » .

١٠ ـ صورة من شخصيته وأخلاقه ، ووفاته :

كان آبن الحداد يتّسم بالظرف والدعابة ؛ ذكر آبـن الخطيب أنَّ آبـن الحداد فَقَدَ سَكَناً[6] عزيزاً عليه ، وأحوجتِ الحالُ إلى تكلُّف سَلْوة ، فلمّا حضر

---

١ ـ رواية هذا الصدر في مصادر أخرى هكذا : عُجْ بالحِمَى حيث الغِياضُ الغِيْنُ ،وهو صدر مطلع القصيدة النونية رقم ٥٨ في الديوان .

٢ ـ مطمح الأنفس ص ٣٣٨ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٩ ـ ٥٠) وفيه ينقل المقري النصَّ نفسه عن المطمح . وقد وردت الأبيات في الديوان رقم ٥٦ .

٣ ـ ورد بيت آبن الحداد في الديوان رقم ٤٥ ، وورد بيتا السميسر في حاشية ٢ تعليقاً على بيت آبن الحداد ، فآنظرها.

٤ ـ هو البيت السادس والأخير من المقطوعة الواردة في الديوان رقم ٣٧ .

٥ ـ هي ثلاثة أبيات وردت في الديوان رقم ٣٦ .

٦ ـ السَّكَنُ : المرأة لأنها يُسْكَنُ إليها ، والساكن . لسان العرب (سكن) .

الندماء ، وكان قد رَصَدَ خسوف القمر ، وحقّق أنّه آبتدأ ، أخذ العود وغنّى هذين البيتين : « شقيقك غُيِّبَ . . فَقْدِهِ » ، وجعل يردّدهما ويخاطب البدر ، فلم يتمّ ذلك إلاّ وقد آعتراه الخسوف ، فعظم من الحاضرين التعجب[1] . ويستفاد من هذا النص أنَّ آبن الحداد كان ، إلى جانب معرفته بالتنجيم ، مغنّياً وعازفاً على العود .

ومما آتّصف به آبن الحداد أيضاً أنّه كان يتحيّز إلى فئة الوَقَار والحِلْم ، وأنَّ مذهبه كان مذاهب أهل الشرف[2] . قال القفطي : « وكان شريف النفس عزوفها[3] » . وقوله في المعتصم بن صمادح : « وكَمْ قد رَأَتْ . . شُرَاتها[4] » ، يجعلنا نميل إلى أنه كان من أهل التشيّع .

هذا ما آستطعنا أن نجمعه عن سيرة آبن الحداد ، فآنقطعتْ أخباره دون أن نهتدي إلى السنة التي ولد فيها ، أو نتعرَّفَ على معالم طفولته وشبابه ، أو نحدِّد الشهر واليوم اللذين توفي فيهما ، فأجمعت المصادر على أنَّ شعلة هذا الرجل الفذّ آنطفأت في المريّة في سنة ثمانين وأربعمائة[5] .

١١ - تبحّره في العلوم :

كان آبن الحداد نموذجاً فذّاً في الثقافة ، واسع العلم ، عميق الإدراك ، عَرَفَ كيف يُفيد بذهنه المتوقّد الكثيرَ من موروث العرب والإسلام ، فكانت له مشاركة في علوم العروض ، والفلسفة ، والرياضيات ، والفلك ، والنحو ،

---

١ - الإحاطة (ج ٢ ص ٣٣٤) بتحقيق عنان ، والإحاطة التي لا تحمل اسم المحقق ص ٢٥١ ، ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٦) وفيه ينقل المقّري عن الإحاطة . والبيتان وردا في الديوان رقم ٢٣ ، فآنظرهما .

٢ - انظر مطمح الأنفس ص ٣٣٧ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٩) .

٣ - المحدون من الشعراء ص ٩٩ ، ومطمح الأنفس ص ٣٣٧ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٩) .

٤ - هو البيت العشرون من القصيدة التائيّة رقم ٧ في الديوان ، فآنظره .

٥ - عن تاريخ وفاته انظر : فوات الوفيات (ج ٣ ص ٢٨٣) ، والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٦) ، والتكملة (ج ١ ص ٣٩٩) ، والذيل والتكملة (السفر السادس ص ١١) ، =

والفقه ، والتاريخ . ولقد أدلى في نثره وشعره بآراءَ قيّمةٍ في هذه العلوم دلّتْ على تضلّعه منها وممارسته لها . ففي إحدى رسائله ، التي بعث بها إلى أحد أصدقائه يطلب منه فيها أن يتوسّط في أمر شخص مسجون عزيز عليه ، يستعمل الاصطلاحات العروضيّة : « قد كنْتُ خاطبْتُكَ في أمر فلان .. لتنظر كيفيّة حاله ، ولعلّك تصرفه عن محاله . فما أَصَرْتَ[1] بنهرك زَبَداً ولا حَبَبًا، ولا أثْرْتَ لِمُهْرِكَ عَنقاً ولا خَبَبًا ، ولا سَلَكْتَ لشعبك صُعُداً ولا صَبَبًا ، ولا فَكَكْتَ لسعيك وَتَداً ولا سَبَبًا[2] » . وفي شعره آستعمل آصطلاحات عروضيّة كقوله في بيتين من قصيدة قالها في مدح المعتصم : « ومعرفةُ الأيام .. ووافرَا[3] » ، وقوله في بيت من قصيدة قالها أيضاً في مدح المعتصم : « هُمْ كالقريض .. والإسكانِ[4] » .

كذلك آستعمل في شعره آصطلاحات الفلسفة كقوله بعد خروجه عن المرية : « لزمْتُ قناعتي .. سميَرا[5] » ، وقوله في وصف قصر المعتصم :

= وعقود الجمان (ج ٣ الورقة ٢٦٢) ، وكشف الظنون (ج ١ ص ٧٦٥) ، وهدية العارفين (ج ٢ ص ٧٥) ، وسير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٦٠٢) ، ومعجم المؤلفين (ج ٨ ص ٢٩١) والأعلام (ج ٥ ص ٣١٥) .

١ - أَصَرْتَ : غَيَّرْتَ ؛ يقال : أَصَارَه إصارةً إذا حَوَّله وغيَّره من صورة أو حالة إلى أخرى كتصيير الجاهل عالماً والفقير غنيًا .

٢ ـ انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٣) . والسبب : سببان ؛ خفيف وثقيل ، فالخفيف حَرْفٌ متحرّك بعده حَرْفٌ ساكن نحو : « قَدْ » و « لَنْ » . والثقيل حرفان متحرّكان معاً نحو : « لَكَ » و « بِكَ » . والوتد : وتدان ؛ مجموع ومفروق ، فالمجموع حرفان متحرّكان بعدهما حرف ساكن نحو : « قَضَى » و « دعا » . والمفروق حرفان متحرّكان بينهما حرف ساكن نحو : « كَيْفَ » و« قَبْلَ » . انظر الكافي في العروض والقوافي ص ١٧ ـ ١٨ ، والإقناع في العروض وتخريج القوافي ص ٣ .

٣ - هما البيتان السادس والسابع من القصيدة الرائيّة الواردة في الديوان رقم ٢٧ ، فآنظرهما .

٤ - هو البيت السابع عشر من القصيدة النونيّة الواردة في الديوان رقم ٦٠ ، فآنظره .

٥ ـ هما بيتان وردا في الديوان رقم ٣٠ ، فآنظرهما .

« وكأنَّ هِرْمِسَ . . أفلاطونُ[1] » . كما عبَّر عن تمكنه من الفلسفة في الرسالة نفسها التي ذكرنا آنفاً بعضاً منها فيقول : « فَعَوْداً إلى معترفاتك ، وجَرْياً على قديم عاداتك ، في أنْ تعملَ حِيَلَكَ البابليّة ، وهدايتك اللاهوتيّة ، وألطافك الناموسيّة ، ودقائقك البطليموسيّة ، فعساكَ أنْ تُطْلِقَ ربقي ، وتُعْتِقَ رقِّي[2] » .

كذلك أشار في شعره إلى مشاركته في العلوم الرياضية كقوله في نويرة : « صُنْتُ آسمَ إلْفي . . خافِيْهِ[3] » ، وقوله فيها أيضاً : « أمَّا الذي . . وباقِيْهِ[4] » ، وقوله في وصف قصر المعتصم : « وكأنَّ راسمَ . . والتَّثْمينُ [5] » .

كما عبَّر عن شغفه بعلم الفلك وتوسّعه فيه في وصفه حَنَايَا قباب قصر المعتصم : « عُطِفَتْ حَنَايَاهُ . . والتِّنِّيْنُ[6] » .

وأشار إلى تبحُّره في عِلْمَي النحو والفقه في قوله من قصيدة في مدح المعتصم : « فأنتِ ضميرٌ . . مصادرَا[7] » ، وفي وصفه عدل المعتصم : « لا تألفُ . . والتَّنْوينُ[8] » .

ولكي يظهر معرفته بتاريخ الشعوب والأفراد ضَمَّنَ شعره أسماء الشعوب والأفراد المشهورين كالفرس ، والروم ، وبني شيبان ، وساسان ، وكسرى ، وشيرين ، وقسطنطين ، وآبن ذي يَزَن ، وسِنِمّار ، كقوله في وصف قصر

---

١ ـ هو البيت الثالث والثلاثون من القصيدة النونيّة الواردة في الديوان رقم ٥٨ ، فآنظره.

٢ ـ انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٣) .

٣ ـ هي أربعة أبيات وردت في الديوان رقم ٧٠ ، فآنظرها .

٤ ـ هي أربعة أبيات أخرى وردت في الديوان رقم ٧١ ، فآنظرها .

٥ ـ هي الأبيات : ٣٤ ـ ٣٥ ، ٣٧ من القصيدة النونيّة الواردة في الديوان رقم ٥٨ ، فآنظرها .

٦ ـ هي الأبيات : ٢٩ ـ ٣١ من القصيدة النونيّة السابقة الذكر ، فآنظرها .

٧ ـ هما البيتان الثالث والرابع من القصيدة الرائيّة الواردة في الديوان رقم ٢٧ ، فآنظرهما .

٨ ـ هو البيت السابع والخمسون من القصيدة النونيّة الواردة في الديوان رقم ٥٨ ، فآنظره.

المعتصم : « لو أَبْصَرَتْهُ الفُرْسُ . . تحصينُ[١] » ، وقوله في مدح المعتصم : « شاد . . ساسانِ[٢] » .

١٢ ـ آثاره :

صنَّف آبن الحداد كتباً في علم العروض لا نظير لها نبلاً وإفادة . وقد آنفرد آبن عبد الملك بذكر ثلاثة منها : « المستنبط في علم الأعاريض المهملة عند العرب ممّا تقتضيه الدوائر الأربع من الدوائر الخمس التي تنفكّ منها أشعار العرب » وهو تصنيف حسن ، و « قَيْدُ الأوابد وصَيْدُ الشوارد في إيراد الشواذّ والردّ على الشّذّاذ»،و«الامتعاض للخليل» وهو تصنيف مشهور معروف يمزج فيه صاحبه بين الأنحاء الموسيقية والآراء الخليلية ، ويردُّ فيه على سعيد بن فتحون السرقسطي المنبوز بالحمار ، وينقض كلامه فيما تكلَّم عليه من الأشطار[٣] .

ومن الغريب أنَّ آبن بسّام الذي خصَّص لابن الحدّاد فصلاً كاملاً أورد فيه الكثير من شعره ونثره ، لم يُسَمِّ هذه التصانيف الثلاثة ، وآكتفى بالقول : « وله في العَرُوْض تأليفٌ ، وتصنيف مشهورٌ معروفٌ ، مَزَجَ فيه بين الأنحاء[٤]

١ ـ هي الأبيات ٤٤ ـ ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٢ من القصيدة النونيّة السابقة الذكر ، فآنظرها .
٢ ـ هما البيتان : ٣١ ، ٣٣ من القصيدة النونيّة الواردة في الديوان رقم ٦٠ ، فآنظرهما .
٣ ـ الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠) .
٤ ـ يتعذّر علينا أنْ نتصوّر طبيعة هذه الأنحاء الموسيقية ؛ لأنَّ كتاب « الامتعاض » لابن الحداد من الكتب التي لم تصلنا . ولكنّا نقدّر أنَّ الأصول التلحلينيّة التي وضعها زرياب وتلامذته ظلَّتْ أساساً للغناء الأندلسي ، وربّما جدَّتْ تفريعات في شؤون الألحان آقتضتها طبيعة الموشحات والأزجال . كما إنَّ المصادر لم تُشِرْ بوضوح إلى ما كانت عليه الموسيقى في الأندلس في عصر آبن الحداد ، وظلَّت الناحية الموسيقيّة قبل ظهور آبن باجة فيلسوف الأندلس وإمامها في الألحان غير واضحة المعالم . انظر المغرب (ج ٢ ص ١١٩ ـ ١٢٠) وتاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ص ٥٠ ـ ٥١ .

الموسيقية ، والآراء الخليلية ، وردَّ فيه على السرقسطي[1] المنبوز بالحمار ، ونَقَضَ كلامَهُ فيما تكلَّم عليه من الأشطار[2] » .

واقتصر غيره ، مِمَّنْ ترجموا لابن الحداد ، على ذكر مصنَّف واحد له ، فقال ابن الخطيب : « وله في العروض تصنيف مَزَجَ فيه بين الأنحاء الموسيقيّة والآراء الخليلية[3] » . وقال المقَّري نقلاً عن ابـن الخطيب : « وله في العروض تصنيف مشهور ، مزج فيه بين الألحان الموسيقية والآراء الخليلية[4] » . وقال مرة أخرى : « وله في العروض تأليف مَزَجَ فيه بين الأنحاء الموسيقيّة ، والآراء الخليليّة ، وردَّ فيه على السرقسطي المنبوز بالحمار[5] » . وقال ابن الأبّار : « وألَّف في العروض تأليفاً حَسَناً سمّاه بالمستنبط[6] » . وقال ابن شاكر الكتبي : « له ديوان كبير ، وكتاب في العَرُوْض[7] » . وقريب منه قول الصفدي : « له ديوان كبير ، ومؤلَّف في العروض[8] » ، وقول الزركشي :

---

١ ـ هو أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مُكْرَم التُّجيبي القرطبي النَّحْويّ ؛ كان متمكناً في علوم اللسان ، وألَّف في العروض مختصراً ، ومطوّلاً بيّن فيه الموسيقى في زعمه ، ومقتضباً أشار فيه أيضاً إلى الموسيقى . كان له أدب وعلم وتصرُّفٌ في حدود المنطق ، وكان ذا حظّ من علوم الفلاسفة القدماء . امتحن من قبل المنصور محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محنةً أدَّتْ إلى سجنه مدّة ، ثم أطلق فَفَصَلَ إلى صقلية فأوطنها إلى أنْ توفي بها . انظر جذوة المقتبس ص ٢٣٣ ، وبغية الملتمس ص ٣١١ ، والذيل والتكملة (ج ٤ ص ٤٠ ـ ٤١) وبغية الوعاة ص ٢٥٦ .

٢ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٢) .

٣ ـ الإحاطة تحقيق عنان (ج ٢ ص ٣٣٤) ، وفي الإحاطة التي لا تحمل اسم المحقق ص ٢٥١ : « وله في العروض تصنيف » .

٤ ـ نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٦) .

٥ ـ نفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٢) .

٦ ـ التكملة (ج ١ ص ٣٩٨) .

٧ ـ فوات الوفيات (ج ٣ ص ٢٨٣) .

٨ ـ الوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٦) .

« له ديوان مشهور ، ومُصَنَّف في العروض[1] » ، وقول البغدادي : « له ديوان شعر ، وكتاب في العروض[2] » ، وقول الذهبي : « له مؤلَّفٌ في العروض[3] » .

ومهما يكن من أمر ، فإنَّ هذه الكتب لم تصلنا ، فضاعت كما ضاع غيرها من كتب أهل الأندلس ، وهي لو وصلتنا لأغْنَت مكتبتنا علماً وثقافةً ومعرفة .

١٣ ـ مكانته الأدبية والعلمية :

لم تُنْجِبِ المريّةُ مثل آبن الحدّاد في الشعر ، فإنه يمثّل بحقٍّ ثمرة الشاعريّة الأندلسيّة في أزهى عصور الأندلس . ولقد آتفق كثير من النقّاد والمؤرّخين على أنّه أعظم شاعر أَنْجَبَتْه الأندلس . ومع ذلك فإنَّ ما وصلنا عن حياته قليلٌ لا يتناسب ومكانته العالية التي آعترف بها هؤلاء الباحثون .

وهكذا كان آبن الحداد محطّ إعجاب المؤلّفين وتقديرهم ؛ فآبن بسام يقول فيه : « وكان أبو عبد الله هذا شمسَ ظهيرة ، وبَحْرَ خَبَرٍ وسِيْرة ، وديوانَ تعاليمَ مشهورة ؛ وَضَحَ في طريق المعارف وُضُوْحَ الصُّبْحِ المُتَهَلِّل ، وضَرَبَ فيها بِقِدْحِ آبن[4] مُقْبل ، إلى جلالة مَقْطَع ، وأصالة مَنْزِع ، ترى العلمَ ينمُّ

---

١ ـ عقود الجمان (ج ٣ ، الورقة ٢٦٢) .

٢ ـ هدية العارفين (ج ٢ ص ٧٥) .

٣ ـ سير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٦٠٢) .

٤ ـ هو أبو كعب تميم بن أُبَيّ بن مُقْبِل بن عوف بن حنيف بن العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة ؛ شاعر خنديد ، أدرك الإسلام وأسلم ، إلَّا أنّه ظلَّ يبكي أهل الجاهليّة ويذكرها . وكان من أوصف العرب لِقِدْح ، ولذلك يقال : قِدْحُ آبن مُقْبل . عدَّه آبن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء العرب . وعاش نيّفاً ومائة سنة ، فتوفي بعد ٣٧ هـ . وله ديوان شعر حقّقه الدكتور عزة حسن (دمشق ١٩٦٢) وجعل له مقدمة درس فيها حياة آبن مقبل وشعره . انظر ترجمته في طبقات الشعراء ص ٦١ ، ٦٣ ، والشعر والشعراء ص ٣٦٦ ـ ٣٦٨ ، والأعلام (ج ٢ ص ٨٧) .

على أشعاره ، ويتبيَّن في مَنَازعه وآثاره[1] » . وقال فيه أيضاً : « ولزمه (أي لزم المعتصمَ) جملة من فحول شعراء الوقت كأبي عبد الله بن الحداد[2] . . » .
ويقول فيه آبن خاقان : « شاعرٌ مادح ، وعلى أيْكِ النَّدَى صادح ، لم يُنْطِقْهُ إلاَّ مَعْنٌ أو صُمَاحِ ، فلم يَرِمْ مَثْوَاهُما ، ولم يَنْتَجِعْ سِوَاهُما . . مع تميُّزه بالعلم ، وتحيُّزه إلى فئة الوَقَار والحِلْم . . وكان له لَسَن ، ورُوَاءُ حَسَن ، يشهدانِ له بالنَّبَاهة ، ويقلّدان كاهله ما شاء من الوَجَاهَة ، وقد أَثْبَتُّ له بعض ما قذفه من دُرَرَه ، وفَاهَ به من محاسن غُرَرِه[3] . . » .

وعدَّه ابن الصيرفي « من المكثرين المُبْدعِيْنَ والمُتَصَرِّفِيْنَ المُتُوَسِّعين[4] » . وآفتخر به آبن سعيد الأندلسي بقوله : « من السِّمْط[5] : المُسْتولي على الآماد ، المُجَلِّي في حلبات الأفذاذ والأفراد ، ووصفه الحجاري وآبن بسام بالتفنّن في العلوم ولا سيما القديمة[6] » .

ونال من تقدير آبن عبد الملك فقال فيه : « وكان شاعراً مجيداً مفلقاً ، مفخرة من مفاخر عصره ، متصرّفاً في فنون من العلم ، متقدّما في التعاليم

---

١ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩١ ـ ٦٩٢) . وورد هذا النص في الإحاطة (ج ٢ ص ٢٥١) التي لا تحمل اسم المحقق ، وبتحقيق عنان ص ٣٣٣ ، ومسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقة ٤٠١) ، ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٦) ولكن بآختلاف يسير عمّا هنا .
٢ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٣) . ووردت هذه العبارة في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠) ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٢) بآختلاف يسير عما هنا .
٣ ـ مطمح الأنفس ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٩) وفيه ينقل المقّري عن المطمح . .
٤ ـ الأفضليات (ج ١ ، الورقة ٤٦) .
٥ ـ هو كتاب « سِمْط الجمان وسقيط المرجان » لأبي عمرو آبن الإمام الأندلسي . راجع إيضاح المكنون (ج ٢ ص ٢٧) وفيه : « سِمْط الجمان وسفط المرجان » .
٦ ـ المغرب (ج ٢ ص ١٤٣) .

والفلسفة ، مبرزاً في فكّ المُعَمَّى لا يكاد يُدْرَكُ فيه شأوه[1] . . » . وقال فيه آبن الخطيب : « شاعر مُفْلِقٌ ، وأديب شهيرٌ ، مُشَارٌ إليه في التعاليم ، منقطع القرين منها في الموسيقى ، مضطلعٌ بفكِّ المُعَمّى[2] » . وهو في نظر القفطي : « شاعرٌ مُجِيْدٌ ، مذكور في عصره ، مشهور في مصره[3] » .

وأشاد به آبن فضل الله العمري ، بقوله : « طُبِعَ ذِهْنُهُ مُهَنَّدَا ، وطَلَعَ نَجْمُهُ فَرْقَدَا . . وأَضْحَتْ بضاعتُه تُسَامُ بالغَلاَ ، وصناعَتُهُ لا تحادثُ بالجَلا ، وأَمْسَتْ سيوفُ الهند لا تُشَامُ[4] إلَّا من فِيْهِ ، أو من سيوف أجفان هِنْدٍ كما تَدَّعِيْهِ[5] . . » وقال فيه الأصفهاني : « من شعراء المغرب[6] المتأخّرين ، سألْتُ القاضي[7] الفاضل عنه ، وقولُهُ حجّةٌ ، فقال : كان في الصمادحيّة[8] ،

---

١ - الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠) .

٢ - الإحاطة (ج ٢ ص ٣٣٣) بتحقيق عنان ، وفي الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقق ص ٢٥١ جاء النص هكذا : « كان شاعراً منقطع القرين فيه ، مضطلعاً بفكِّ المُعَنَّى » . وفي نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٦) ، حيث ينقل المقّري عن الإحاطة ، جاء النص مطابقاً لما ورد أعلاه .

٣ - المحمدون من الشعراء ص ٩٩ .

٤ - تُشَامُ : تُسْتَلُّ ؛ يقال : شَامَ سَيْفَهُ يَشِيْمُهُ إذا أغمده وآستلّه ، ضِدّ .

٥ - مسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقة ٤٠٠) .

٦ - كانت كلمة « المغرب » تطلق على الأندلس وبلاد المغرب معا .

٧ - هو أبو علي عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللَّخْمي ، العسقلانيُّ المولد ، المصريُّ الدار . وَزَرَ للسلطان صلاح الدين الأيوبي ، وتمكّن منه غاية التمكّن . وبرز في صناعة الإنشاء ، وفاق المتقدّمين ، فكان كاتب الشرق والغرب في زمانه وعصره ، وشعره كثير . وبعد وفاة صلاح الدين آستمرَّ على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز في المكانة والرفعة ونفاذ الأمر . توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة بالقاهرة فجأة . وله ديوان حقّقه الدكتور أحمد أحمد بدوي (القاهرة ١٩٦١) . انظر ترجمته في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ١٥٨ - ١٦٢) ، ونهاية الأرب (ج ٨ ص ١ - ٥١) والأعلام (ج ٣ ص ٣٤٦) .

٨ - هي قصور المعتصم بن صمادح . نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٦) .

وهو أديب فاضل . . وليس في العرب أشعر منه[1] » .

وعدَّه آبن الأبّار « من فحول الشعراء وأفراد البلغاء[2] » . وترجم له الذهبي بقوله : « قال الأبار (المراد آبن الأبار) في تاريخه (أي في كتاب التكملة) : هو من أهل مدينة وادي آش ، سكن المريّة ، وكان من فحول الشعراء[3] . . » . ووصفه الصفدي « الشاعر المشهور[4] » . وقريب منه قول المقّري : « الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن الحداد[5] » . وقوله مرة أخرى : « ولشاعر الأندلس أبي عبد الله آبن الحداد الوادي آشي[6] . . » .

١٤ ـ شعره :

لم يقصِّر آبنُ الحدّاد عن أجود ما وصلتْهُ الأندلس ، بآستثناء فن التوشيح ؛ فشعره كثير جيّد ، يتناول مختلف الأغراض الشعرية من مديح ، وحماسة ، وفخر ، وهجاء ، ورثاء ، وحكمة ، وغزل ، ووصف . وهو مدوّن ومبوّب على حروف المعجم ، وقد نال إعجاب مؤرّخي الأدب ومتذوّقيه ، فقال آبن بسّام يصفه : « وقد كتبْتُ في هذا الفصل بعضَ ما قال فيها (أي في نويرة) من مُلَحِه ، ورائقِ أوصافِهِ ومِدَحِه ، وسائرِ شِعْرِه ، بعد تقديم فصولٍ من نَثْرِه ، ما يُقِرُّ بتفضيله ، ويَشْهَدُ له بجملةِ الإِحسان وتفصيله[7] » . وقال آبن عبد الملك : « وشعره كثيرٌ جيِّدٌ مدوَّنٌ ، وقفْتُ على نسخة منه في ثلاثة أسفار

---

١ ـ الخريدة طبعة الدار التونسية (ج ٢ ص ٢٧١) . وفي طبعة دار نهضة مصر ص ١٧٧ : « الغرب » بدل « العرب » .

٢ ـ التكملة (ج ١ ص ٣٩٨) .

٣ ـ سير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٦٠٢) .

٤ ـ الوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٦) .

٥ ـ نفح الطيب (ج ٤ ص ٤٨) .

٦ ـ نفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٢) .

٧ ـ الذخيره (ق ١ م ٢ ص ٦٩٣) .

ضخمة مبوّباً على حروف المعجم[1] » . وقال آبن الأبار : « وشعره مدوَّنٌ على حروف المعجم[2] » . وقال آبن سعيد : « وديوان شعره كبير جليل[3] » . وقال آبن شاكر الكتبي والصفدي : « له ديوانٌ كبير[4] » . وقال الزركشي : « له ديوان مشهور[5] » . وقال آبن الخطيب : « ديوان شعره كبير معروف[6] » . وقال البغدادي : « له ديوان شعر[7] » . وآكتفى حاجي خليفة بالقول : « ديوان آبن الحداد محمد بن أحمد بن عثمان الأندلسي الشاعر المتوفَّى سنة ٤٨٠ ثمانين وأربعمائة[8]» .

ولبلاغة شعره وفصاحته كان الشعراء يُغيرون عليه . وقد ذكرْنا آنفاً كيف أغار آبن اللبّانة ، وهو شاعر كبير ، على شعر آبن الحداد ، في مجلس المعتصم بن صمادح وبحضور آبن الحداد نفسه[9] .

ففي غرض المديح قال آبن الحداد معظم شعره في المعتصم ، والقليل الباقي خصَّصه لبني هود ملوك سرقسطة. وقد ذكر ذلك معظم الذين ترجموا له ، فقال آبن بسام : « وفي بني صُمادح معظم شعره[10] . . » . وقال آبن الأبار :

---

١ ـ الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠) .
٢ ـ التكملة (ج ١ ص ٣٩٨) .
٣ ـ المغرب (ج ٢ ص ١٤٣ ـ ١٤٤) .
٤ ـ فوات الوفيات (ج ٣ ص ٢٨٣) والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٦) .
٥ ـ عقود الجمان (ج ٣ ، الورقة ٢٦٢) .
٦ ـ الإحاطة (ج ٢ ص ٢٥١) التي لا تحمل آسم المحقق ، وبتحقيق عنان ص ٣٣٤ . ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٦) وفيه ينقل المقّري عن الإحاطة .
٧ ـ هدية العارفين (ج ٢ ص ٧٥) .
٨ ـ كشف الظنون (ج ١ ص ٧٦٥) .
٩ ـ راجع ص ٢٠ ـ ٢١ .
١٠ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٢) .

« وفيه (أي في المعتصم) آستفرغ شعره[1] » . وقال مرة أخرى : « وآختصَّ بالمعتصم محمد بن معن بن صمادح وفيه آستفرغ مدائحه[2] » . وأجمع كلٌّ من الكتبي والصفدي والزركشي على هذه العبارة : « اختصَّ بالمعتصم آبن صمادح[3] » . وقال آبن الخطيب : « سَكَنَ المريّة وآشتهر بمدح رؤسائها من بني صمادح[4] » . وقال آبن عبد الملك : « وقد آمتدح طائفة من ملوك الأندلس ، وآختصَّ بالمعتصم أبي يحيى محمد ابن معن بن صمادح وأَكْثَرَ من آمتداحه[5] » . وقال آبن فضل الله العمري : « وآتّصل بِمَلِكٍ (أي بالمعتصم) أقال جَدَّه العاثر وأقام مجده عَلَماً للمآثر[6] » . وقال الذهبي : « اختصَّ بالمعتصم بن صمادح وآستفرغ فيه مدائحه[7] » .

ولمَّا أمضى آبنُ الحداد معظم وقته في بلاط المعتصم ، كونه مقرّباً إليه وخَيْرَ جليسٍ له ، فقد صدرتْ معظم مِدَحِهِ فيه ، وكان فيها طويل النَّفَس الشعري ، بحيث تجاوز كثير منها المئة ، ومنها ما نيَّف على الأربعمائة ، وهو مهما أطال فيها فإنَّ نسجه لم ينحطَّ ، وبقي على متانته وقوّة سَبْكه .

وكثيراً ما كان يستفتح مدائحه على طريقة شعراء الجاهلية ، كأنْ يصف رحلة محبوبته وآنتقالها إلى بلدٍ غير الذي تقيم فيه ، كما كانت الأعراب تنتوي

---

١ ـ الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٣) .
٢ ـ التكملة (ج ١ ص ٣٩٨) .
٣ ـ فوات الوفيات (ج ٣ ص ٢٨٣) ، والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٦) وعقود الجمان (ج ٣ ، الورقة ٢٦٢) .
٤ ـ الإحاطة (ج ٢ ص ٢٥١) التي لا تحمل آسم المحقق ، وبتحقيق عنان ص ٣٣٣ ، ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٦) وفيه ينقل المقّري عن الإحاطة .
٥ ـ الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١١) .
٦ ـ مسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقة ٤٠٠) .
٧ ـ سير أعلام النبلاء (ج ١٨ ص ٦٠٢) .

في باديتها ، ثم ينتقل إلى موضوع المديح[1] ، أو يستفتحها بالغزل ثم يخلص إلى موضوعه الرئيسي[2] .

ومن خلال مدائحه التي عثْرنا عليها والتي بلغتْ ثماني عشرة قصيدة ، كَوَّنا فكرةً واضحة على أنَّ المديح كان في عصره وسيلة ٱرتزاق وأداة تزلّف للأمراء . ففي مقطوعته[3] الداليّة التي يهنّىء فيها المؤتمنَ بن المقتدر بن هود بمولود ، نتساءل : كيف عَرَفَ ٱبنُ الحداد أنَّ مولود المؤتمن نجم هدى ؟ أو هلالٌ متألِّقٌ في بني هود ؟ أو شِهَابُ حَرْبٍ على الأعداء ؟ أو نَصْلٌ يُبِيْدُ الأعداء ؟ وكيف عرف أنّه سيتفجّر ذكاءً عندما يَشِبُّ ويكبر ؟ .

أمّا المعاني التي أسبغها ٱبنُ الحداد على ممدوحيْه فهي شائعة ومطروقة من قبل المشارقة ، لا تكاد تخرج عن المألوف إلاَّ نادراً ، كقوله من قصيدة في مدح المعتصم : « جَوَادٌ . . سَرْمَدَا[4] » .

وفي باب **الحماسة** لم يكن لابن الحداد يَدٌ في وصف المعارك ؛ فالمصادر التي ترجمتْ له لم تذكرْ لنا أنّه كان يصطحبُ المعتصمَ أو قوّادَهُ إلى ساحة الوغى ، وشعره الحربي الذي عثْرنا عليه بعيدٌ عن الصدق والمعاناة ، وعليه مسحةٌ من التكلُّف والإجهاد ، وتنقصه روح ٱلاندفاع والحماسة ، بحيث يوحي أنَّ قائله كان بعيداً عن أرض المعركة ، غائباً عنها .

وممّا يعزِّزُ رأينا هذا أنَّ ٱبن الحداد لم نَرَهُ ٱندفعَ وطنيّاً وٱستنهضَ هِمَمَ ملوك الطوائف لاسترجاع مدينة بَرْبَشْتُرَ[5] التي سقطت بيد النصارى

---

١ - راجع القصيدتين الجيميّة والحائيّة في الديوان رقم ٩ و ١٠ .

٢ - راجع القصيدة التائيّة في الديوان رقم ٧ .

٣ - انظر هذه المقطوعة في الديوان رقم ٢١ .

٤ - هو البيت الخامس من المقطوعة الداليّة الواردة في الديوان رقم ١٦ .

٥ - بَرْبَشْتُرُ Barbastro : مدينة عظيمة في شرقي الأندلس ، تقع على أحد فروع نهر إبْرُه Ebro بين لاردة وسرقسطة . غزاها النورمان في نحو أربعين ألف راكب ، فقاتلوها أربعين يوماً ، وافتتحوها في سنة ست وخمسين وأربعمائة . وبعد سنة من سقوطها ٱسترجعها =

النورمانديين[1] سنة ست وخمسين وأربعمائة . كذلك لم يلتهب صدره ليرى أنّ الثأر من العدوّ أصبح واجباً مقدّساً على المسلمين عندما سقطتْ مدينة

= المقتدر أحمد بن المستعين سليمان بن أحمد بن هود الجذامي ، المُفرِّط فيها . راجع قطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٦ ، والذخيرة (ق ٣ م ١ ص ١٧٣ ، ١٧٩ ـ ١٩٠) ، والمغرب (ج ١ ص ٢٣٩) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٧١) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨) ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٤) . وذكرها ياقوت بضم الباء الثانية وفتح التاء ، وقال : صارت للروم في صدر سنة ٤٥٢ هـ ، ثم آستعادها المسلمون في إمارة أحمد بن سليمان بن هود في سنة ٤٥٧ هـ ، بعد ذلك بخمسة أعوام . وهنا مخالفة لما ذكرناه . معجم البلدان (ج ١ ص ٣٧٠) .

١ - ورد ذكر النورمان أو النورمانديين في المراجع العربية بآسم الأرْدُمانيّين أو المجوس . وهم من أصل جرماني ، ويعرفون باللغة الإسبانيّة بـ Los Normandos وبالإنكليزية بـ Vikings والتسمية الأولى (Normandos)تعني سكان الشمال ، والتسمية الثانية (Vikings) تعني سكان الخلجان ، وهي مشتقّة من الكلمة النروجيّة (Vik) التي تعني ساكن الخليج . ثم أطلقتْ كلمة Vikings على سكان شبه الجزيرة الإسكندنافيّة أو الجزر الإسكندنافيّة . سُمُّوا بالمجوس لأنهم ، حين غزوا الأندلس ، أشعلوا النار في كل مكان حَلُّوا فيه . فظنّ العربُ أنّهم يعبدون النار كالزرادشتيّة . وهم سكان شبه الجزيرة الإسكندنافية (السويد والنرويج والدانمرك) ، والنورمان الدانمركيون هم الذين كانوا يهاجمون سواحل المسلمين في الأندلس والمغرب ، وسواحل فرنسا وإنكلترا . وقد تحدّث المؤرّخون عن نزولهم بسواحل الأندلس أيام الأمير عبد الرحمن الثاني ، وبالتحديد في سنة ٢٣٠ هـ ، وقيل : ٢٢٩ هـ ، وتحدّثوا عن هجومهم الثاني على العُدْوة المغربيّة وسواحل الأندلس الغربيّة والشرقيّة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني ، في سنة ٢٤٥ هـ ، وقيل : ٢٤٤ هـ . كانوا في القرن الثامن الميلادي شعباً شرساً غير متحضّر ، وبسبب المناخ البارد آتّجهوا نحو البحر طلباً للرزق حتى اشتهروا بالملاحة وأصبحوا مبعث خوف على آمتداد شواطىء أوروبا الغربية ، إذ كانوا يُغيرون على البلاد فينهبون ويقتلون ويعودون محمّلين بالغنائم . وفي نهاية القرن التاسع الميلادي توغّلوا في بلاد روسيا ، وقاموا بهجمات على إنكلترا ، ثم دخلوا فرنسا فآستقرّوا في المنطقة المعروفة بآسم نورماندي Normandie الواقعة غرب باريس فأصبحوا يعرفون بآسمها . وبآتّصالهم بالفرنسيين تخلّوْا عن ديانتهم الخاصّة وآعتنقوا الديانة المسيحية وآستبدلوا لغتهم بلغة الفرنسيين ، وآتّبعوا الحياة =

طليطلة[1] أقوى حصون الأندلس في عام ثمانية وسبعين وأربعمائة بيد ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون . وأغلب الظنّ أن شعره المفقود لم يُشِرْ إلى سقوط تَيْنِكَ المدينتين ، ولا إلى آلاستنجاد أو الحماس لاسترجاعهما . وبذلك يكون تقصير الشاعر عائداً إلى عدم آهتمامه بغير المريّة ، بحيث باتتْ مدن الأندلس

= الحياة الفرنسية . وفي القرن الحادي عشر الميلادي بدأوا يقهرون أوروبا ، فقهروا إنكلترا وجنوبي إيطاليا وجزيرة صقلية ، ووصلوا إلى مشارف القسطنطينية ، فآستطاعوا بذلك أنْ يشكلّوا إمبراطوريّة نورمانديّة في صقلية التي أخذوها من المسلمين ، وجنوب إيطاليا ، وإنكلترا ، كانت من أقوى الممالك الأوروبيّة آنذاك . وعن طريق آنصهار شعوب تلك الإمبراطورية قامتْ حضارة من الفنّ والمعمار ما تزال نماذجها قائمة في جزيرة صقلية حتى يومنا هذا . راجع المقتبس تحقيق مكي ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩ وحاشيته رقم ٤٩٦ ص ٥٩٦ ، والمقتبس تحقيق الحجي ص ٢٣ و ٢٤٩ وما يليها (تعليق على الصفحة ٢٣) ، وتاريخ آفتتاح الأندلس ص ٨٣ ، والذخيرة (ق ٣ م ١ ص ١٨١) ، والمغرب (ج ١ ص ٤٩) ، والبيان المغرب (ج ٢ ص ٨٧ ، ٩٦ ـ ٩٧ ، ٢٤١)) و (ج ٣ ص ٢٢٥) ، والكامل في التاريخ (ج ٧ ص ١٦) ، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٢٨٤) ، وموسوعة المعرفة (م ١ ص ٤٢ ـ ٤٣) ، وفي التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٤٨ ـ ٣٨٩ ، وتاريخ مدينة المرية الأندلسية ص ٥٠ ـ ٥١ حاشية ٥ ، و Histoire de l'Espagne Musulmane (Tome 1, P. 310 - 312)

١ ـ طليطلة Toledo ؛ مدينة كبيرة بالأندلس ، يتّصل عملها بعمل وادي الحجارة ، وتقع على شاطىء نهر تاجُه Tajo ، بينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس ، ولها قصبة حصينة ، وقنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد . سقطت بيد الأذفونش بن فَرْذِلَنْد ، ملك قشتالة وليون ، في منتصف محرّم سنة ٤٧٨ هـ ، وقيل : لِعَشْر خَلَوْنَ من المحرّم ، وقيل : في مستهلّ صفر، وذلك بعد حصار دام سبع سنين. وقيل: إنَّ ملكها القادر بن ذي النون هو الذي سلَّمها للأذفونش . انظر الذخيرة (ق ٣ م ١ ص ٩٢ ـ ٩٣) ، والمغرب (ج٢ ص ٨ ، ١٣) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨١ ، ٢٤٣) ، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٢٧) ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٤) ، ومعجم البلدان (ج ٤ ص ٤٠) وفيه : مَلَكها الإفرنجُ في سنة ٤٧٧ هـ .

عنده غيرَ ذاتِ شأنٍ يذكر. ورغم قلّة قصائده الحماسية التي لا تتعدّى الأربع[1] ، فإنّها آمتزجت بغرض المديح .

وفي **الغزل** آحتلّ آبنُ الحداد مكان الصَّدَارة في المريّة حتى عُدَّ شاعرها في الحبّ دون منازِع[2] . وغزله أنثويٌّ لم يعرفِ الغلاميّة آلبتَّة ، فآبتعد بذلك عن الغزل الغِلْماني الذي كان قد قطع أشواطاً بعيدة في عصره . وقد بلغ شعره الغزلي الذي جمعناه أربعاً وعشرين قصيدةً مستقلّةً بذاتها ، عدا قصائد المديح التي آستفتحها بأبيات غزليّة .

والمصادر التي ترجمت له لم تذكرْ أنّه أحبَّ غير واحدة ، وشعره الغزلي لم يُشِرْ إلى أنّه عَلِقَ بغير صبيَّة . فالفتاة التي تغنّى فيها ، وكَثُرَ تشبيْهُهُ بها ، وآستفرغَ فيها كلَّ غزله ، نصرانيّةٌ من مُسْتَعْرَبِيِّ المريّة ، وآسمُها على الحقيقة « جميلة » ، فغيَّر آسمها وذكرها بآسم « نويرة » ، على حدِّ قول آبن بسام : « وكان أبو عبد الله قد مُنِيَ في صِبَاهُ بصبيّةٍ نصرانيّةٍ ذهبتْ بلُبِّه كلَّ مذهب ، ورَكِبَ إليها أصْعَبَ مَرْكَب ، فَصَرَفَ نحوها وَجْهَ رضاه ، وحَكَّمَها في رأيه وهَوَاه ، وكان يسمِّيْها نويرة كما فعله الشعراءُ الظُّرَفَاءُ قديماً في الكناية عَمَّنْ أَحَبُّوْه ، وتغييرِ آسم مَنْ عَلِقُوْه[3] » ، وقول آبن سعيد : « وكان يَهْوَى روميّةً يكني عنها بنويرة ، وله فيها شعر كثير[4] » .

---

١ ـ هي القصائد رقم ١٠ ، ١٣ ، ٤٩ ، ٥٠ .

٢ ـ جعله الدكتور محمود صبح أشهر شعراء الغزل في الأندلس . انظر مقاله باللغة الإسبانية بعنوان La poesia amorosa aràbigo - andaluza ، في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد (المجلد ١٤ ، مدريد ١٩٧١) .

٣ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٣) . وانظر أيضاً الإحاطة (ج ٢ ص ٢٥١) التي لا تحمل اسم المحقق ، وبتحقيق عنان ص ٣٣٤ ، ومسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقة ٤٠١) ، وآبن الخطيب وابن فضل الله العمري ينقلان عن الذخيرة ، ولكن بآختلاف يسير عمّا هنا .

٤ ـ المغرب (ج ٢ ص ١٤٤) .

ولقد أَكْثَرَ آبنُ الحداد من ذكر آسم نويرة في شعره[1] . وإذا ما ذكر في غزله أسماء فتيات مثل لُبَيْنَى ، ولُبْنَى ، وسُلَيْمَى ، ومَهْدَدَ ، فإنّه يرمز بها إلى محبوبته المذكورة ؛ لأنه لم يكن يريد أن يصرِّح بآسمها الحقيقي ، كقوله من قصيدة مدحٍ في المعتصم : « رويداً . . مَوَاطِيء[2] » ، وقوله من قصيدة أخرى في مدح المعتصم : « إذا شِئْتَ . . وَمَهْدَدَا[3] » . والتصريح بأسماء النساء المعشوقات في شعر الغزل لم يكن ظاهرة منتشرة في عصر الشاعر ، ولا في العصر السابق، عصر الدولة الأموية بفترتيها الإمارة والخلافة .

وكان آبن الحداد يذهب أحياناً إلى تصحيف آسم « جميلة » مُبْدِلاً الجيم خاءً كقوله : « وفي طَيِّ الخميلة . . الخميلَهْ[4] » . وكون محبوبته من نصارى المريّة ، فقد آستطاع ، بقدرة فنيّة قلَّ نظيرها في دنيا الأدب ، أنْ يضفي الغزل على ذلك الجوّ النصراني السَّمْح بأسلوب قصصي رائع ممتع جميل ، فحفل شعره بذكر كلٍّ ما له علاقة بالجو المسيحي ، كالتثليث ، والإنجيل ، وعيسى المسيح ، والقَسّ ، والصُّلْبان ، والرُّهْبان ، والنُّسّاك ، والكنائس . . كقوله في وصف الفِصْحِ عند النصارى : « قلبي . . تحياتي[5] » ، وقوله : « حديثكِ . . بِمُكْرَثِ[6] » ، وقوله : « عَسَاكِ بحقِّ عِيْسَاكِ . . لولاكِ[7] » ، وقوله : « وبين المَسِيْحِيَّاتِ . . والحُزْنُ[8] » ، وقوله : « وفي شِرْعَةِ التَّثْلِيْثِ . . والسَّبْيَا[9] » .

---

١ ـ انظر القصائد رقم ٦ ، ١٥ ، ٤٤ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٦٨ .
٢ ـ هما البيتان السادس والسابع من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٢ ، فآنظرهما .
٣ ـ هو البيت الثاني من المقطوعة الواردة في الديوان رقم ١٦ ، فآنظره.
٤ ـ هو البيت الثاني من البيتين الواردين في الديوان رقم ٤٧ ، فآنظره .
٥ ـ هي القصيدة التائيّة الواردة في الديوان رقم ٦ ، فآنظرها .
٦ ـ هي الأبيات الأربعة : ١ ، ٥ ـ ٧ ، وقد وردت في الديوان رقم ٨ ، فآنظرها .
٧ ـ هي الأبيات الأربعة : ١ ـ ٤ ، وقد وردت في الديوان رقم ٤٤ ، فآنظرها .
٨ ـ هما البيتان الأول والثاني من المقطوعة الواردة في الديوان رقم ٥٢ ، فآنظرهما .
٩ ـ هي أربعة أبيات وردت في الديوان رقم ٦٨ ، فآنظرها .

ولقد دار معظم غزله حول الحرمان ، والصَّدِّ المستمرّ ، والمكابدة الدائمة ؛ لأنه جرَّب في الشعر والواقع مرارةَ حُبٍّ جَادٍّ وصادق ، ناتجةً عمَّا يحدثه آبتعادُ نويرةَ عنه من شقاء وعذاب . فهو لا يستطيع أنْ يكون مرتاحاً طالما المسافة شاسعة بينه وبينها ، ورؤيتُهُ لها إنّما تُبْعِدُ عنه الحُرْقة وتطرد الصَّبَابَة والوَجْد ، وتُهْدي إلى جوانحه المُنَى[1] .

وأجمل ما قيل في باب الغزل قوله من قصيدة مدحٍ في المعتصم : « وقد جَرَحَتْ . . عَمْدِ[2] » ، وقوله من قصيدة يمدح بها المعتصم : « مالَتْ مَعَاطِفُهُنَّ . . تَسْقُطَا[3] » ، وقوله من قصيدة مدحٍ في المعتصم أيضاً : « فإذا رَمَقْتِ . . تَلْقِيْنُ[4] » .

ومما يُتَغَنَّى بغزله بالأندلس قوله : « فَذَرِ العقيقَ . . بالي[5] » .

ولم تكن طبيعة الأندلس الفاتنة تغيب عن مخيلّة آبن الحداد ؛ ففي ظلال أشجارها الوارفة كان يأنس بمحبوبته ، ويقضي - إنْ صَحَّ ما يقوله - أجمل لحظات العمر معها ، كقوله وهو يخاطب تلك الشجراتِ الباسقاتِ داعياً لها بالسُّقْيَا : « أيا شجراتِ الحَيِّ . . شادِ[6] » .

كذلك دخل المثل في غزله عنصراً آخرَ لا يقلُّ شأنه كثيراً عن عنصر الطبيعة ، كقوله : « أَهْوَاهُمُ . . الغرابُ الأبيضُ[7] » .

وفي غرض **الرثاء** لم نعثرْ في شعر آبن الحداد المجموع إلاَّ على مرثية[8]

---

١ - راجع قصائده رقم ٣٢ ، ٤٤ ، ٥٧ .
٢ - هو البيت التاسع من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٢٠ .
٣ - هو البيت الثالث من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٣٨ .
٤ - هو البيت التاسع عشر من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٥٨ .
٥ - هي الأبيات الواردة في الديوان رقم ٤٨ .
٦ - هي ستة أبيات وردت في الديوان رقم ٢٢ ، فآنظرها .
٧ - هما البيتان : ٣ ، ٦ من المقطوعة الواردة في الديوان رقم ٣٧ ، فآنظرهما .
٨ - هي مرثية من ٣٢ بيتاً ، وقد وردتْ في الديوان رقم ٥٩ .

واحدة قالها بمناسبة وفاة والدة المعتصم بن صمادح ، وآستفتحها بمطلع حكمي . وهي حافلة بالحكمة والموعظة ، ومعانيها تقليديّة تدور حول ذكر الموت وحقيقته ، ووَهَنِ الإنسان وحيرته أمامه . وهو كغيره ممَّنْ سبقوه ، ينتقل من رثاء المَيْتِ إلى مدح مَنْ يخصُّه من ذَوِيْه .

وإذا تطرَّق إلى **الحكمة** في غرض الرثاء فإنّه لم يخصِّصْ لها قصائدَ مستقلَّةً ، فجاءتْ حكمه متناثرة هنا وهناك ، وكانت أقربَ إلى السطحيّة منها إلى العمق ، كقوله : « الناسُ مثل حَبَابٍ . . في آنطفاءِ[1] ، وقوله : « وما الناسُ إلَّا فِعَالُهُمُ . . المَعْدِنُ[2] » ، وقوله : « حيثما كُنْتَ . . سليمًا[3] » ، وقوله من قصيدة مدح : « فلا تَكْرَهَنْ . . كارِهٌ[4] » ، وقوله من قصيدة في المقتدر بن هود : « وليس يَحيْقُ المَكْرُ . . لَفْحُ[5] » .

وفي غرض **الفخر** لم يصلنا مِنٍ شعر آبن الحداد سوى ثلاثة[6] أبيات عدَّد فيها مناقبه وحصرها في علمه وفنِّه .

كذلك لم يكن له باع في **الهجاء** ، وكلُّ ما حَظِيْنا به أبيات قليلة صدرتْ عنه كَرَدّاتِ فعلٍ ، كقوله في المعتصم لمّا ساءت الحال بينهما : « يا طالبَ المعروفِ . . النازِحِ[7] » ، وقوله في السميسر : « يا أهل غرناطةٍ . . شُغُلُ[8] » .

---

١ ـ هما بيتان وردا في الديوان رقم ٣ ، فآنظرهما .
٢ ـ هما بيتان وردا في الديوان رقم ٥٣ ، فآنظرهما .
٣ ـ هو بيت ورد في الديوان رقم ٥١ ، فآنظره .
٤ ـ هو البيت الرابع من المقطوعة الواردة في الديوان رقم ٦٦ ، فآنظره .
٥ ـ هما البيتان السابع والثامن من القصيدة الحائيّة الواردة في الديوان رقم ١٠ .
٦ ـ انظرها في الديوان رقم ٤ .
٧ ـ هي ثلاثة أبيات وردت في الديوان رقم ١٢ ، فآنظرها .
٨ ـ هو بيت واحد ورد في الديوان رقم ٤٥ ، فآنظره .

وفي باب **الوصف** كان له يَدٌ في وصف آلات الحرب ، كالقوس[1] ، والرُّمْح[2] والنَّبْل ، والأسطول[3] البحري ، وفي وصف الطبيعة[4] ، ووصف مجالس[5] الأنس والشراب ، ووصف خسوف[6] القمر ، وما إلى ذلك من أوصاف شتّى كوصف[7] حمامة ، ووصف ضيافة[8] ، ووصف[9] مَهْد ، ووصف[10] أَرْمَد .

وشعر ابن الحداد غنيٌّ مليء بالصور الشعرية الجميلة المبتكرة ، سواء كانت بيانيّةً كالتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل ، أو بديعية كالجناس والاقتباس ، وهما من المُحَسِّنات اللفظيّة ، والطباق والمقابلة والترديد والغلوّ والمبالغة ، وهي من المُحَسِّنات المعنويّة . وسنعرض لهذه الصور البلاغيّة مقدِّمين نموذجاً لكلّ منها ، علّنا بذلك نلقي بعض الضوء على ما كانت عليه موهبته الشعريّة وما كان عليه فنُّه وخياله .

ففي **التشبيه** يقول من قصيدة في مدح المعتصم (البسيط) :

كـأنَّ سُمْرَكَ ، والإقبـالُ يَعْطِفُهـا ، بَنَـانُ قومٍ إليهمْ بـالرَّدى وَمَـأُ[11]

---

١ ـ هي ثلاثة أبيات قالها في وصف قوس ، وقد وردت في الديوان رقم ٥ .

٢ ـ هما بيتان قالهما في وصف رُمْحٍ ونَبْلٍ ، وقد وردا في الديوان رقم ٦٣ .

٣ ـ هي خمسة أبيات قالها في وصف أسطول المعتصم ، وقد وردت في الديوان رقم ١٤ .

٤ ـ هي ستة أبيات قالها في وصف المنظر الطبيعي ، وقد وردت في الديوان رقم ٢٢ .

٥ ـ هي قصيدة رائيّة مؤلّفة من ١٤ بيتاً ، قالها في وصف مجلس أنس وشراب ، وقد وردت في الديوان رقم ٢٦ .

٦ ـ هما بيتان قالهما في وصف خسوف القمر ، وقد وردا في الديوان رقم ٢٣ .

٧ ـ هو بيت واحد قاله في وصف حمامة ، وقد ورد في الديوان رقم ٢٤ .

٨ ـ هي خمسة أبيات قالها في وصف ضيافة ، وقد وردت في الديوان رقم ٦٢ .

٩ ـ هما بيتان قالهما في وصف مهد ، وقد وردا في الديوان رقم ٤٣ .

١٠ ـ هي أربعة أبيات قالها في وصف أرمد ، وقد وردت في الديوان رقم ١٨ .

١١ ـ هو البيت الأربعون من الهمزية الواردة في الديوان رقم ١ .

يشبّه الرِّماح التي تنثني في أيدي جُنْد المعتصم ، وهم يقاتلون عدوَّهَمْ ، بأنامل أناسٍ يشارفون على الموت ، وذلك بجامع اللِّيْنْ والضعف ؛ لأن الرماح توصف باللين والطول والصلابة ، وأطراف المُحْتَضِرِ توصف بالضعف وعدم القدرة على الحركة . والتشبيه تمثيل ، وهو من التشابيه المبتكرة في دنيا الأدب .

وفي باب **آلاستعارة** يوفّق آبن الحداد في وصفه لنهرٍ من قصيدةٍ في المعتصم (الطويل) :

إذا صَافَحَتْهُ الـرِّيْحُ تَصْقُـلُ مَتْنَـهُ وتَصْنَعُ فيه صُنْعَ داودَ في السَّرْدِ[1]

يستعير المصافحة من الإنسان إلى الريح ، فيشبّه الرِّيْح ، وهي تلاعب صفحة ماء النهر ، بإنسان يضع دِرْعَ الكَمِيِّ الشبيه بدرع النبيّ داود عليه السلام . وآلاستعارة مكنيّة لأنه حذف لفظ المشبه به وهو الإنسان وذكر لفظ المشبّه وهو الريح . وبذلك تكون المصافحةُ اللفظ المستعار ، والريح مستعاراً له ، والإنسان مستعاراً منه .

وفي **المجاز المرسل** يقول من قصيدة في المعتصم (البسيط) :

وللثُّغُـوْرِ بِـذِكْـرَى عَـدْلِـهِ وَلَـعٌ وللقُلُوْبِ لِـمَثْـوَى حُبِّـهِ لَـطَأُ[2]

فكلمة « الثغور » مجاز مرسل ، ويقصد بها الألسنة ، فذكر الكلَّ وأراد الجزء. والعلاقة بين الثغور والألسنة قائمة على غير المشابهة ، وهي العلاقة الكليّة .

وفي **الجناس** يقول من أبيات في وصف مجلس أنس وشراب (المتقارب) :

---

١ ـ هو البيت الثالث عشر من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٢٠ .
٢ ـ هو البيت السابع عشر من الهمزية الواردة في الديوان رقم ١ .

وسَيْبُـكَ صَـوْبُ نَـدىً مُـغْـدِقٍ   أَقَـامَ لَـنَـا هَـامِـلاً هَـامِـرًا[1]

يتلاعب الشاعر بالألفاظ فيستعمل الجناس بين « السَّيْب » و « الصَّوْب » ، وبين « هاملا » و « هامرا » ليزَيِّن به شعره ، وكلاهما جناس ناقص .

وفي **آلاقتباس** يقول من قصيدة في المقتدر بن هود (الطويل) :

وليس يَحِيْقُ المَكْـرُ إلاَّ بـأَهْـلِهِ   وكم مُوْقِدٍ يَغْشَاه مِنْ وَقْدِهِ لَفْحُ[2]

ففي صدر البيت يقتبس من القرآن الكريم قول الله تعالى : « ﴿ **ولا يَحْيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاَّ بأهله**[3] ﴾ . وكون البيت يدخل في باب الشعر الحكمي فإنَّ الشاعر لم يخرج فيه عن شروط آلاقتباس ، وهي ألاَّ يكون في غير موضوعات الوَعْظ والأخلاق .

وفي **الطباق** إليكم قوله من قصيدة في المعتصم (البسيط) :

وكُلُّ ما شَاءَ مِنْ حُكْمٍ ومُحْتَكَمٍ   يَمْضي على ما أَحَبُّوا منه أو نَدَأُوا
والعَـدْلُ أَلْزَمُ مـاتُعْنَى الملوكُ بـه   فَلْيُزْجَرُوا عن سبيل الحَيْفِ وَلْيَزَأُوا[4]

ففي البيت الأول يطابق بين « أحبوا » و « نَدَأُوا » ، وفي البيت الثاني يطابق بين « العدل » و« الحيف » .

وفي **المقابلة** إليكم قوله من أبيات قالها في وصف مجلس أنس وشراب (المتقارب) :

فَـظَاهِـرُهـا يَنْثَني بـاطِـنـاً   وبـاطنها ينثني ظـاهِـرًا[5]

---

١ ـ هو البيت الثاني من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٢٦ .
٢ ـ هو البيت السابع من القصيدة الواردة في الديوان رقم ١٠ .
٣ ـ سورة فاطر ٣٥ ، الآية ٤٣ . ومعنى الآية : لا تَرْجِعُ عاقبةٌ مكروهةٌ إلاَّ عليهم .
٤ ـ هما البيتان الثامن والتاسع عشر من الهمزية الواردة في الديوان رقم ١ .
٥ ـ هو البيت التاسع من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٢٦ .

والمقابلة أعمُّ من الطباق ، وتكون بين معاني صدر البيت ومعاني عجزه على الترتيب . والشاعر هنا يقابل بين « ظاهرها » في الصدر و « باطنها » في العجز ، وبين « باطِناً » في الصدر و « ظاهراً » في العجز .

ولم يَنْسَ أن يضفي على شعره مسحة من جمال **الترديد** ، فقال من قصيدة في المعتصم (البسيط) :

يَقِـلُّ أنْ يَـطَأَ العَيُّـوْقُ أَخْمَصَـهُ   وكـلُّ مَلْكٍ على أَعْقَـابِـهِ يَطَأُ[1]

والترديد هنا في كلمة « يطأ » حيث أعادها الشاعر في آخر العجز بعد أن ذكرها في حشو الصدر .

ومن شواهد **الغلوّ والمبالغة** قوله من قصيدة في مدح المعتصم (الطويل) :

فَمِنْ جُوْدِهِ ما في الغَمَامَةِ مِنْ حَياً   ومِنْ نُوْرِهِ ما في الغَزَالَةِ مِنْ وَقْدِ[2]

فغلوُّ الشاعر واضحٌ في وصف كرم الممدوح ، بحيث جعل الغَمَامَةَ تمتلىء مطراً من جُوْدِهِ ، وجعل الشمسَ تقتبسُ نُوْرَها من إشراقة وجهه أو نُوْرِ عَدْله .

وقوله أيضاً من قصيدة في مدح المعتصم (الطويل) :

بِـهِ آعْتَـدَلَتْ أَزْمَـانُـهـا وهـواؤهـا   فكـانـونُ أيلولُ وتَمُّـوْزُ نَيْسَـانُ[3]

وهنا يخرج الشاعر في المبالغة عن المألوف حين يجعل مدينة المريّة تعتدل أزمانُها بقدرة مليكها المعتصم ، بحيث يصبح فيها كانونُ أيلولَ ، وتموزُ

---

١ - هو البيت الخامس عشر من الهمزية الواردة في الديوان رقم ١ .
٢ - هو البيت الثامن عشر من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٢٠ .
٣ - هو البيت العاشر من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٥٥ .

نَيْسان . ومَرَدُّ التغيير في المناخ ، كما هو معلوم ، عائدٌ إلى عوامل بيولوجية ليس غير .

كذلك كان له مشاركة في علم المعاني ، فآستعمل آلاستفهام بمعانٍ أخرى خارجة عن معاني آلاستفهام الأصليّة ، كالنَّفْي ، والتمنّي ، والتقرير ، وما أشبه ذلك . هاكه يقول من قصيدة في المعتصم (البسيط) :

وكيف يَلْقَى قَنَاةَ الدَّهْرِ قائمةً ... وفَوْقَنا لِقِسِيِّ الشُّهْبِ مُنْحَنأُ[1] ؟

البيت بصيغة آلاستفهام ، إلاَّ أنّه يفيد **النَّفْي** ؛ أي إنَّ المعتصمَ لن يُبْقي قناةَ الدهر منتصبةً أمامه ، وسوف يكسرها بقوّة شكيمته قبل أنْ تصيبه بأذاها .

ويقول من قصيدة في مدح المعتصم (الطويل) :

فَعَهْدِي به في ذلك الدَّوْحِ كانِساً ... ومَنْ ليَ بالرُّجْعَى إلى ذلك العَهْدِ[2] ؟

البيت بصيغة آلاستفهام ، إلاَّ أنه يفيد **التمنّي** ؛ فالشاعر يتمنّى لو عادتْ تلك الأيام الحلوة لكي يتمَّ اللقاء من جديد بمحبوبته نويرة تحت أفياء الشجر .

ويقول من قصيدة في مدح المعتصم (الطويل) :

فأيُّ جَنَانٍ لم يُدَعْ نَهْبَ لَوْعَةٍ ... وقد لاَحَ من تلك المحاسِنِ في جُنْدِ[3] ؟

البيت بصيغة آلاستفهام ، إلاَّ أنّه يفيد **التقرير** ؛ فالشاعر أراد أنْ يقرِّر أنَّ محبوبته ، بمحاسنها الفاتنة ، أخذتْ بمجامع قلوب ناظريها ، وأنَّ الحصول عليها بات بمثابة غنيمة حرب .

وقبل أن ننهي باب علم المعاني نشير إلى أنَّ آبن الحداد أطلق العنان لقلمه في بعض شعره ، فتصرّف باللغة العربية كيفما أراد ، متجاوزاً بذلك

---

١ ـ هو البيت العشرون من الهمزية الواردة في الديوان رقم ١ .
٢ ـ هو البيت الثالث من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٢٠ .
٣ ـ هو البيت الخامس من القصيدة الواردة في الديوان رقم ٢٠ .

قواعدها وخارجاً عليها ، وهامزاً ما لا يُهْمَزُ ، ومشتقّاً من الأفعال ما لا يسمح به آلاشتقاق ، ومستعملاً الجمع في غير موقعه[1] .

ثالثاً ـ شيء عن المرية كرسيِّ مُلْكِ المعتصم بن صمادح وموطن الشاعر ابن الحداد

١ ـ موقعها الجغرافي :

المريّة Almeria مدينة كبيرة من مشهور مدن الأندلس ، ومن أعمال كورة إلبيرة ، تقع بين مدينتي مالقة ومرسية على حافّة بحر الزقاق (البحر الأبيض المتوسط) ، مقابلةً وادي آش . وهي في ذاتها جبلان بينهما خندق[2] معمور ، وعلى جبل قَصَبَتُها المشهورة بالحصانة ، وعلى الجبل الآخر المسمّى لَيْهَمْ[3] أولاهم رَبَضُها الشرقي . وقد آستدار بها من كل جهة حصون مرتفعة ، وأحجار أولية ، كأنما غُرْبِلَتْ أرضها من التراب[4] .

ومن المريّة إلى مدينة بجانة خمسة أميال وسدس الميل ، وقيل : ستة أميال . وبينها وبين وادي آش مرحلتان للمُجِدِّ ، وبينها وبين غرناطة مسيرة ثلاثة

---

١ ـ راجع الأبيات ٩ ـ ١٠ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٩ ـ ٣١ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٥ ـ ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٧ ـ ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٠ ـ ٧١ ، ٨٠ من القصيدة الهمزية رقم ١ ، والأبيات ١٥ ، ٢٠ ، ٣٢ من القصيدة الهمزية رقم ٢ .
والبيت السادس من القصيدة الثائيّة رقم ٨ والبيت الخامس من القصيدة التائية رقم ٦ ، والبيت الرابع من القصيدة الدالية رقم ٢٠ ، ففيها شرحٌ وافٍ عن تصرّف آبن الحداد باللغة وتجاوزه قواعدها .

٢ ـ سمِّي هذا الخندق بخندق باب موسى . تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١١٣ .

٣ ـ أُطْلق عليه أيضاً آسم مرتفع العرقوب ، ويسمّى اليوم مرتفع سان كريستوبال San Gristobal . انظر Almeria islamica, en Al - Andalus, XXII, P. 434

٤ ـ راجع معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩) ، وتقويم البلدان ص ١٧٧ ، والروض المعطار ص ٥٣٨ ، ووصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٥ ، ووفيات الأعيان (ج ١ ص ٦٣) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٢ ـ ١٦٣) ، والمعجب ص ٢٤٧ ، وقطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٣ .

أيام ، وبينها وبين حِصْن المُنَكَّب أربع مراحل ، ومنها إلى مرسية خمسة أيام ، ومنها إلى قرطبة سبعة أيام[1] . وجعل العذري المسافة بين المريّة وقرطبة ستة أميال[2] .

والمريّة من المدن التي آستحدثها العرب المسلمون بعد الفتح ، على حد قول آبن حوقل : « وجميع مدنها (أي مدن الأندلس) قديمة أزليّة لم يُحْدَثْ بها في الإسلام غير مدينة بجّانة ، وهي المرية ، وهي على حدود رُسْتاق لَبْيْرَة[3] » . وذكر الحميري أنَّ عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ) هو الذي أمر ببنائها في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة[4] .

وقبل بنائها كان العرب المسلمون قد آتّخذوا من موقعها القديم رباطاً للجهاد ينتجعونه ويرابطون فيه ، وأصبح هذا الموقع مَرْأىً ومَحْرَساً بحريّاً لمدينة بجانة القريبة منه ، وسمّي بمرية بجانة[5] . ولذلك يرى الدكتور عبد العزيز سالم أنَّ آسم المرية مشتقٌّ من كلمة « رأى »[6] . وذهب الأستاذ محمد عبد الله عنان إلى أنَّ آسمها مشتقٌّ من كلمتين عربيتين هما « مرآة البحر[7] » . ورأى ياقوت أنَّ آسمها يجوز أن يكون آشتقَّ من فعل مَرَى : « المرية ، بالفتح ثم الكسر ، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها ، يجوز أن يكون من مَرَى الدَّمُ يمري

---

١ ـ نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ص ٨٦ ، وصورة الأرض ص ١١١ ، ووصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦ ، والمعجب ص ٢٤٧ ، والروض المعطار ص ٨٠ .

٢ ـ نصوص عن الأندلس ص ٨٩ .

٣ ـ صورة الأرض ص ١٠٥ ، ولبيرة هنا هي إلبيرة .

٤ ـ الروض المعطار ص ٥٣٧ .

٥ ـ انظر نصوص عن الأندلس ص ٨٦ ، والروض المعطار ص ٥٣٧ ، ومقدمة ديوان ابن خاتمة ص ٩م .

٦ ـ تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٩ .

٧ ـ الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ص ١٩١ .

إذا جَرَى ، والمرأة مَرْئية ، ويجوز أن يكون من الشيء المريّ فحذفوا الهمزة[1] » .

ومنذ تأسيسها بدأ عمرانها يتّسع على حساب جارتها بجّانة ، فبنى فيها عبد الرحمن الناصر القصبة التي نسبت فيما بَعْدُ إلى خيران العامري عندما ولّاه عليها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر[2] . وقول آبن سعيد ، نقلاً عن المسهب : « وبنى فيها خيران العامريّ قلعته العظيمة المنسوبة إليه[3] » ، فيه نظر ؛ لأن خيران عندما دخل المريّة كانت قصبتها قائمة البنيان ، بدليل أنّه آنتزعها من أفلح الذي كان قد تحصَّن فيها[4] . كذلك لا يمكننا أن نطمئنَّ إلى قول الأستاذ عنان : وترجع هذه القصبة إلى بداية عهد الطوائف ، وينسب إنشاؤها إلى خيران الفتى العامري ، ولذا كانت تسمَّى قلعة خيران [5] ؛ لأن هذا القول يعتريه غموض وعدم دقة في تعيين بانيها الحقيقي .

وآتخذت مدينة المرية شكل مستطيل بلغ طوله حوالى خمسمائة وستين متراً ، وبلغ عرضه حوالى ثلاثمائة وخمسين متراً ، وكانت تمتدُّ ما بين القلعة المنسوبة إلى خيران العامري شمالاً والساحل جنوباً ، وكان يحدُّها من الشرق والغرب واديان ضحلان ، وأقيم في وسطها المسجد الجامع الذي توزَّعت حول ساحته الأسواق والحمامات والفنادق ، وفي جنوبها القيساريّة ، وفي جنوبها الشرقي دار الصناعة[6] .

ومنذ بداية القرن الخامس الهجري والوفود ترد إليها من مدن الأندلس ،

---

١ ـ معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩) .
٢ ـ انظر أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١١) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٢) ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ٣٢ ، ٦٠) .
٣ ـ المغرب (ج ٢ ص ١٩٣) .
٤ ـ راجع نصوص عن الأندلس ص ٨٢ ـ ٨٣ ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١١) .
٥ ـ الآثار الأندلسية ص ١٩٢ .
٦ ـ انظر تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١١٠ ، ١١٦ ، وتاريخ مدينة المرية الأندلسية ص ١٦٩ ، و Almeria islamica P. 430 - 436

ولا سيما من قرطبة التي طحنتها الفتنة البربرية ، ومن بجّانة التي بدأت تخرب بعمارة المرية[1] . ومن بين الذين لجأوا إليها من قرطبة الفقيه الأديب أبو محمد علي بن حزم ، صاحب طوق الحمامة ، وذلك في أول المحرم من سنة أربع وأربعمائة[2] . وهكذا آختار هؤلاء القادمون المرية ملجأ لهم ؛ لأنهم وجدوا فيها حياة هادئة لا تتوفّر في غيرها من مدن الأندلس . ولضيقها عن آلاتّساع لهذه الوفود كان من الطبيعي أن تتكوّن بؤرات عمرانيّة على جانبيها الشرقي والغربي فيما وراء أسوارها ؛ إذ كان من المستحيل أن يمتدَّ العمران لجهة الشمال لاعتراض جبل القصبة ، أو لجهة الجنوب لوجود البحر ، فآمتدَّ العمران فيها شرقاً وغرباً ليتكوَّنَ بالتالي رَبَضَا المريّة الشرقي والغربي[3] .

وقد حدَّد المقري موقع هذين الربضين بقوله : « وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة ، وعلى الآخر ربضها (أي الربض الشرقي) ، والسور محيط بالمدينة والربض ، وغَرْبِيَّها رَبَضٌ لها آخرُ يسمَّى ربض الحوض (أي الربض الغربي) ، ذو فنادق وحمامات وخنادق وصناعات[4] » . ويمدّنا آبن فضل الله العمري بمعلومات قيّمة عن هذين الربضين ، ومفادها أنَّ الربض الغربي أصبح بلا عمارة ، ليس فيه سوى سُمّار وحُرّاس يقومون بحراسة أسواره ، وأنَّ الربض الشرقي كان كثير آلاتّساع ، بحيث كان أكبر آلاثنين ؛ مدينة المرية القديمة ، والربض الغربي . يقول : « والمرية ثلاث مدن ؛ الأولى من جهة الغرب تعرف بالحوض الداخلي ، لها سورٌ محفوظ من العدوِّ بالسّمّار والحرّاس ، ولا عمارة بها . ويليها إلى الشرق المدينة القديمة[5] ، وتليها

---

١ ـ انظر نصوص عن الأندلس ص ٨٢ ، والروض المعطار ص ٨٠ .

٢ ـ رسائل ابن حزم (ج ١ ص ٣٨ ، ٢٦٠ ـ ٢٦١) وطوق الحمامة ص ٢٦١ .

٣ ـ انظر تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١١١ .

٤ ـ نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣) .

٥ ـ هي المدينة التي أسّسها وسوّرها عبد الرحمن الناصر ، وعرفت فيما بَعْدُ بالمدينة الداخلية .

المدينة الثالثة المعروفة بمصلّى المريّة ، وهي أكبر الثلاث[1] » .

ولكي تدافع المرية عن نفسها من أي هجوم طارىء كان لا بُدَّ من تحويط رَبَضَيْها الشرقي والغربي بالأسوار ، فأقدم خيران العامري على تسوير الربض الشرقي المعروف بالمُصَلَّى[2] . ويرجِّح الدكتور سالم أن خيران هو الذي سوَّر الربض الغربي أيضاً ، بدليل أنَّ المدينة آتَّسعت من الجانبين الشرقي والغربي في آن واحد ، وأنَّه كان لا بُدَّ أن يحاط الربضان بالأسوار في وقت واحد[3] .

وأصبحت في عهد المعتصم بن صمادح عبارة عن مدينة وسطى أو داخلية ، لها قصبتها المنيعة ، ورَبَضَاهَا الشرقي والغربي المحيطان بالأسوار[4] . وصار لها ، على حدِّ قول الحميري ، أبواب عدة[5] . وذكر العذري أربعة من هذه الأبواب : « وبنى خيرانُ الفتى السُّوْرَ الهابطَ من جبل لَيْهَمْ إلى البحر ، وجعل له أربعة أبواب ، باب في الجبل المسمَّى (أي باب لَيْهَمْ) ، وباب يُخْرَجُ منه إلى بجّانة ، وباب يسمّى بباب المربى ، وباب قرب ضفة البحر يعرف بباب السودان ، وهو الآن يعرف بباب الأسد[6] » .

ولقد أغفل المؤرخون ذكر هذه الأبواب بآستثناء باب بجانة الذي ذكره آبن الأبار عند ترجمته لأبي الطاهر محمد آبن إبراهيم التميمي السرقسطي[7] ، وفي

---

١ ـ وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦ . وأغلب الظن آن هذا الوصف ينطبق على المرية في عصر العمري ، أي في القرن الثامن الهجري .

٢ ـ سمِّي كذلك بسبب وجود المصلَّى القديم خارج نطاق المدينة القديمة التي أسّسها عبد الرحمن الناصر ، وعندما سوَّرها خيران أصبح المصلَّى داخلها . والمصلّى في المدن الإسلامية فضاء فسيح يقع عادة خارج أسوار المدينة ، وكانت تقام فيه صلوات العِيْدَيْن والاستسقاء أيام الجفاف . تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١١١ ، ١١٧ .

٣ ـ تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١١٣ .

٤ ـ المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٥ ـ الروض المعطار ص ٥٣٨ .

٦ ـ نصوص عن الأندلس ص ٨٣ .

٧ ـ المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ص ١٤٧ .

ترجمة أبي العباس أحمد ابن أحمد الأنصاري[1] .

وذكره آبن بشكوال عند ترجمته لابن اللوّان المريي[2] ، وفي ترجمة آبن المرابط[3] . وذكرد آبن الخطيب في ترجمة أحمد بن عبد النور المالقي بآسم باب بجاية[4] . وأغلب الظن أن الناسخ هو الذي وقع في خطإ النقل ، وكان على محقّق الإحاطة ، الأستاذ محمد عبد الله عنان ، ألاّ يشارك في تحريف آلاسم ، أو على الأقل كان عليه أن يشير إلى ذلك في تعليقاته؛ لأن بجاية[5] ليست مدينة أندلسيّة ، بل مدينة جزائرية من عمل قسنطينة . وذكر بلباس أن القشتاليين ، عند دخولهم المرية في سنة ٨٩٥ هـ ، أطلقوا على باب بجانة آسم باب بُرْشانة[6] ، بدلاً من بجانة ؛ لتشابه آلاسمين في النطق ، وأنَّ هذا الباب جدِّد بناؤه في سنة ١٨٢٧ م ، ثم تهدَّم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[7] .

أمّا مدينة المرية القديمة ، فقد أُحْصي لها ثلاثة أبواب ، باب الزياتين ، وباب المرسى ، وباب الخروج . فيما يتعلق بباب الزياتين ، فقد ذكره آبن الأبار في ترجمة أبي عبد الله محمد بن خُلَيْد بن محمد التميمي المريي[8] . أما

---

١ ـ التكملة (ج ١ ص ٨٣ ـ ٨٤) .

٢ ـ الصلة (ج ٢ ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦) .

٣ ـ المصدر نفسه (ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨) .

٤ ـ الإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٢٠٢) .

٥ ـ ورد ذكرها في معجم البلدان (ج ١ ص ٣٣٩) ، ووفيات الأعيان (ج ٦ ص ٢١٧) ، وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٧٦ ، ٩٦)، ونفاضة الجراب ص ٢١٩ ، وكناسة الدكان ص ٩٠ ـ ٩١ .

٦ ـ بُرْشانة Purchena : حِصْن من حصون الأندلس ، أكثرها عمارة وأوثقها بنيانا . الروض المعطار ص ٨٨ . وجعله آبن سعيد من حصون بسطه . (المغرب (ج ٢ ص ٨١) . وفي معجم البلدان (ج ١ ص ٣٨٤) : برشانة من قرى إشبيلية .

٧ ـ Almeria islamica P. 434, 449 .

٨ ـ التكملة (ج ٢ ص ٤٩٥) .

باب المرسى ، فإنّ المؤرخين أغفلوا ذكره ، وآنفرد بذكره الدكتور سالم[1] . وباب الخروج لم يُحْظَ بدوره بآهتمام المؤرخين ، وآنفرد بذكره سالم وبلباس[2] .

وذكر آبن الخطيب باباً آخـر من أبواب مدينة المرية ، هو باب موسى ، مكتفياً بالقول : باب موسى هو الباب الذي خرج منه معز الدولة آبن المعتصم بن صمادح إلى دار الصنعة حيث أبحر إلى بجانة حين وافاه اليقين بتغلب المرابطين على المعتمد بن عباد ، ملك إشبيلية[3] . ويذكر بلباس أنَّ آثار هذا الباب ما تزال ماثلة للعيان حتى يومنا هذا ، حيث سُدَّ بالطابية وآكتنفه برجان مربعا الشكل[4] .

كذلك ذكر المقري باباً آخر ، هو باب العُقاب ، وآكتفى بالقول : « ومن أبوابها باب العُقاب ، عليه صورة عُقاب من حجرٍ قديم عجيب المنظر[5] » . ويضيف الدكتور سالم إلى أبواب المرية باباً آخر هو باب البحر ، فيقول : « هذا الباب يظهر على خريطة المرية المؤرخة في سنة ١٦٠٣ ، وما زال يعرف حتى اليوم بآسم La puerta del mar أو باب البحر ، وقد سمّي بهذا آلاسم لقربه من البحر ، وأعتقد أنَّ تسميته كذلك منذ القرن السابع عشر هي آستمرار لاسمه القديم[6] » . وذكر بلباس ثلاثة أبواب ثانوية ، مستنداً في ذلك على خريطة سنة ١٦٠٣ م ، وهي باب كارميا Carmia ، وباب الصورة Imagen ، وباب العجلات Las ruedas de las Carretas[7] .

---

١ ـ تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٢٧ .

٢ ـ المصدر نفسه ص ١٢٨ و Almeria islamica, P. 450 .

٣ ـ أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٢) .

٤ ـ Almeria islamica, P. 449 . وآنظر أيضاً تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٢٦ .

٥ ـ نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٢ ـ ١٦٣) .

٦ ـ تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٢٧ .

٧ ـ Almeria islamica, P. 449

وقد لعبت هذه الأبواب جميعاً دوراً هامّاً في إحكام غلق حلقة الدفاع عن المدينة بحيث كانت المنافذ الوحيدة للدخول إليها أو الخروج منها ، ولكنها آختفت من الوجود ولم يبق منها سوى بُوَيْب أو خوخة (بويب) مفتوحة في القطاع الشمالي بجبل لَيْهَمْ[1] .

وفيما يتعلق بدور المرية البحري ، فقد طار صيتها في الآفاق ؛ لانفرادها عن غيرها من مدن الأندلس بخليج تميَّز بهدوء مياهه ، وقلة أمواجه ، وشدة اتّساعه ، وعمقه ، بحيث كان يتّسع لعدد كبير من السفن ، وكان يضمّ معظم وحدات الأسطول الأموي في الأندلس[2] . وهكذا بدأت المرية منذ تأسيسها تتبوّأ مركز الريادة البحرية الأندلسية ، وقد أشار آبن غالب إلى ذلك بقوله : « وهي باب الشرق ، ومفتاح التجار والرزق ، وبالمرية دار الصَّنْعة ، وسُوْرُها على ضفة البحر ، قد آستقرَّتْ فيها العُدَّة والآلات للسفن ولما يقوم به الأسطول[3] » . وأضحتْ ، كما يقول الحميري ، أشهر مراسي الأندلس وأعمرها ، تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام[4] . ووصفها الشقندي في رسالته بقوله : « وساحلها أنظف السواحل ، وأشرحها وأملحها منظراً . . وبها كان محطّ مراكب النصارى ، ومجتمع ديوانهم ، ومنها كانت تُسَفَّر لسائر البلاد بضائعهم ، ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التي تصلح لهم[5] » .

وفي عهد المعتصم بن صمادح ، وبالتحديد في بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، بدأت بجانة تضعف لتصبح تابعة للمرية . وقد أثبت العذري هذه الحقيقة في قوله : « وخربتْ مدينة بجانة بعمارة مدينة المرية ،

---

١ ـ انظر تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٧٩ ، ١٨١ .
٢ ـ المصدر نفسه ص ٣٧ ، ٤٢ ، ٥٢ .
٣ ـ قطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٣ .
٤ ـ الروض المعطار ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨ .
٥ ـ فضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨ ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠) .

وذهب باقي عمارتها في سنة تسع وخمسين وأربعمائة[1] » . وأشار كل من ياقوت وآبن فضل الله العمري إلى ذلك ، فقال ياقوت : « خربتْ وقد آنتقل أهلها إلى المرية[2] » . وقال العمري : « وكانت العمارة قَبْلُ لبجانة ، فآنتقلت إلى الساحل (أي إلى المرية) لمنافع الناس[3] » .

وهكذا ظلت المرية في عهد المعتصم تحتلّ المركز الأول بين القواعد البحرية الأندلسية ؛ لأنَّ هذا الملك كان يُوْلي عناية تامّة بأسطوله ، وهذا ما أكّده آبن خاقان : « وآشتغل بترميق أساطيله ، وتنميق أباطيله . . ولم يزد على مراعاة أمر جواريه وفُلْكه[4] » . ولقد وصف آبن الحداد أسطول مليكه المعتصم بقوله : « هَامَ صَرْفُ . . صادُ[5] » .

ولقد أُحْرق معظم أسطول المعتصم على يَدَيْ ولده معزّ الدولة بن المعتصم ، عندما وافاه اليقين بتغلب المرابطين على المعتمد بن عباد وخروجه عن ملكه بإشبيلية ، حيث أَمَرَ رجاله بِنَقْبِ السُّوْر خارج باب موسى ، فخرج منه إلى دار الصنعة وأبحر بمن آختّص به في قِطْعة ، وحمل المال والمتاع في آثنتين وأحرق باقي الأجفان خشية آلاتّباع ، ونزل بالجزائر إلى أن هلك بها[6] .

وبعد أن آنتهينا من عرض مفصّل لموقع المرية الجغرافي كان لا بدَّ لنا أن نلقي ضوءاً على المقابر التي كانت بظاهر المريّة . فآستناداً إلى ما قرأناه، فإنَّ مقبرة أقيمت خارج مدينة المرية القديمة وعرفت بمقبرة الشريعة القديمة أو بمقبرة المُصَلَّى . وقد أشار إليها آبن بشكوال في ترجمة

---

١ - نصوص عن الأندلس ص ٨٧ .

٢ - معجم البلدان (ج ١ ص ٣٣٩) .

٣ - وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦ .

٤ - قلائد العقيان ص ٤٧ . والجواري : جمع جارية وهي السفينة . والفُلْك : السفينة ، يؤنّث ويذكّر .

٥ - هي خمسة أبيات وردت في الديوان رقم ١٤ ، فآنظرها .

٦ - انظر أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٢) .

آبن الزفت[١] . وأشار بلباس إلى وجود مقبرة أخرى خارج مدينة المرية ، وتسمّى مقبرة الشريعة الجديدة التي كان أوجدها خيران العامري[٢] . كما كان خارج أسوار رَبَضَي المرية الشرقي والغربي مقبرتان كبيرتان ، هما مقبرة باب بجانة ، ومقبرة الحوض أو مقبرة الربض الغربي . وقد أشار آبن بشكوال إلى الأولى عند ترجمته لابن اللوان وآبن المرابط[٣] . وذكرها آبن الأبار في ترجمة أبي الطاهر محمد آبن إبراهيم التميمي السرقسطي[٤] . وأعاد ذكرها في ترجمة أبي العباس أحمد آبن أحمد الأنصاري[٥] . وذكرها بلباس وجعلها أكثر مقابر المرية شهرة[٦] . أما مقبرةُ الحوض ، فقد أشار إليها آبنٍ بشكوال في ترجمة العذري المعروف بآبن الدلائي[٧] ، وعند ترجمته للشُمُنْتاني[٨] .

ولقد ألَّف آبن خاتمة الأنصاري تاريخاً حافلاً سمّاه « مَزِيَّة المريّة على غيرها من البلاد الأندلسية » ، وهو مجلّد ضخم كان من جملة الكتب التي آقتناها المقري في مكتبته بالمغرب[٩] . كذلك ألَّف أبو البركات آبن الحاج كتاباً بعنوان « تاريخ المريّة » .

ولهجت الشعراء بذكر المرية ، فقال فيها آبن درّاج القَسْطَلّي ، مفتخراً بخليجها الشديد آلاتّساع ، وبقصرها الذي بناه خيران العامري وعرف ببهو خيران (الطويل) :

---

١ ـ الصلة (ج ١ رقم ٦٠٣) .

٢ ـ Cementerios hispanomusulmanes, en Al - Andalus, Vol. XXII, P. 179.

٣ ـ الصلة (ج ٢ ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ، ٥٢٧ ـ ٥٢٨) .

٤ ـ المعجم ص ١٤٧ .

٥ ـ التكملة (ج ١ ص ٨٣ ـ ٨٤) .

٦ ـ Cementerios hispanomusulmanes P. 177

٧ ـ الصلة (ج ١ ص ٦٩ ـ ٧٠) . وآنظر أيضاً المصدر السابق ص ١٧٩ .

٨ ـ الصلة (ج ١ ص ٣٢٩) .

٩ ـ انظر نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٥٢) .

متى تَلْحَظُوا قَصْرَ المريَّةِ تَـظْفَرُوا ببحرٍ حَصَى يُمْنَاهُ دُرٌّ ومَـرْجَانُ[1]
وتَسْتَبْدِلُوا من مَوْجِ بَحْرِ شَجَـاكُمُ ببحـرٍ لكمْ منه لُجَيْنٌ وعِقْيـانُ[2]

وأنشد فيها أحد الشعراء (الكامل) :

أرضٌ وَطِئْتُ الـدُّرَّ رَضْرَاضـاً بها والتُّرْبَ مِسْكاً والـرياضَ جِنَـانَا[3]

٢ ـ لمحة في أوضاعها التاريخية والسياسية وٱلاجتماعية وٱلاقتصادية والثقافيّة والعمرانيّة :

بٱنتقال الأندلس من نظام الخلافة إلى نظام المملكة أو الإمارة في سنة أربع وعشرين وأربعمائة للهجرة ٱستقلَّ بالمرية خيران[4] الفتى العامري (٤٠٥ ـ ٤١٩ هـ) ، ثم صار الأمر بعده إلى صاحبه زهير[5] الفتى العامري

---

١ ـ يقول : إنَّ قصر خيران يتراءى لكم إذا كنتم في مركب وٱقتربتم من حافّة خليج المرية . وقصر خيران هذا غير القصر العظيم الذي بناه المعتصم بن صمادح وعرف بالصمادحيّة .

٢ ـ ديوان ابن دراج القسطلي ص ٩١ . وورد البيتان أيضاً في الذخيرة (ق ١ م ١ ص ٩٤) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٤) ، ومعجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩) ولكن ببعض ٱلاختلاف عما هنا .

٣ ـ فضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨ ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٢٠) .

٤ ـ انظر أخباره في نصوص عن الأندلس ص ٨٢ ـ ٨٣ ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٠ ـ ٢١٥) ، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٦٩ ، ٢٧٨) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٤) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٦) ، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٤٩) ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ٥٨ وما بعدها ، وتاريخ مدينة المرية الأندلسية ص ٧٧ وما بعدها .

٥ ـ انظر أخباره في نصوص عن الأندلس ص ٨٣ ـ ٨٤ ، ومذكرات الأمير عبد الله ص ٣٤ ـ ٣٥ ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٦ ـ ٢١٧) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ، ١٩١ ، ٢٩٣) ، والإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٥١٧ ـ ٥١٨) ، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩١) ، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٤٩) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٠٧) والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٦١ ـ ٦٦٣) .

(٤١٩ ـ ٤٢٩ هـ) ، ثم مَلَكَها المنصور[١] عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور العامري (٤٢٩ ـ ٤٣٣ هـ) ، ثم معن[٢] بن صمادح (٤٣٣ ـ ٤٤٣ هـ) ، ثم آبنه المعتصم (٤٤٣ ـ ٤٨٤ هـ) .

ولم يكد المعتصم يظفر بالإمارة حتى ثار عليه آبنُ[٣] شبيب عاملُ أبيه على لورقة ، وهي من أعمال المرية ، وآنتزعها من دولته ، فجهّز إليه المعتصم جيشاً ، فآلتمس آبنُ شبيب مساعدة المنصور عبد العزيز بن أبي عامر ، صاحبِ بلنسية ومرسية ؛ فلم يتردّد المنصور بتقديم العون العسكري له مدفوعاً في ذلك بحقده على معن بن صمادح وآبنه المعتصم لانتزاعهما منه حكم المرية وآنفرادهما بحكمها . ورأى المعتصم ، بالمقابل ، أنْ يجدِّد الحلف الذي كان قائماً في أيام أبيه بين المريّة وغرناطة ، فتحالف مع باديس بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي البربري ، صاحب غرناطة ، فزوّده هذا الأخير بكل ما يحتاجه . ودارت معركة ضارية بين الطرفين ، تمكّن فيها المعتصم من آلاستيلاء على بعض حصون لورقة ، ولكنه لم يستطع آلاستيلاء على المدينة ، وقيل : إنّ المعتصم فقد لورقة نهائياً ، وإنّ ملكه آقتصر على المرية وما يجاورها[٤] .

---

١ ـ انظر أخباره في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٠ ـ ٧٣١) ، ونصوص عن الأندلس ص ٨٤ ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٤ ـ ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ـ ٣٠٢) ، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩) ،ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠) ، والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٥) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠ ـ ١٩٥) ، والكامل في التاريخ (ج ٨ ص ٢٨٩) و (ج ٩ ص ٢٩١) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٤) .

٢ ـ انظر أخباره في نصوص عن الأندلس ص ٨٤ ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧ ـ ١٦٨) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٦) والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢) .

٣ ـ ذكره دوزي بقوله : كان آبن شبيب أحد رؤساء الجنود . ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ص ٦٠ .

٤ ـ انظر تاريخ آبن خلدون (م ٤ ص ٣٥٠) ، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩١ ـ =

وطمع المعتصم في مدينة غرناطة عن طريق وزيرها اليهودي يوسف آبن نغرله ؛ إذ أراد هذا الأخير أن يثلَّ عرش باديس بعرش المعتصم ، وسَعَى إلى الإطاحة بباديس وتمكين المعتصم من آلاستيلاء على غرناطة ، فرمى بمداخلة المعتصم في تصيير مُلْك باديس إليه ، فملّكه أكثر حصون غرناطة ، فأضافها المعتصم إلى بلده ، وباديس لا يشعر بخروجها عن يده . ثم آكتشف باديس عمل وزيره اليهودي ، فقتله وصلبه على باب المدينة ، وقُتِلَ في هذا اليوم آلاف من اليهود ، وكان ذلك في سنة ٤٦٩ هـ ، وقيل : ٤٦٥هـ ، ورَجَعَ المعتصمُ إلى المرية وقد صفرت يداه[١] . ويذكر الأمير عبد الله أنَّ المعتصم كان قد أرسل إلى باديس[٢] يسأله العفو والإغضاء على ما كان منه ، وأنه لا يتعرّض من ذلك شيء لولا اليهودي ، فقبل باديس آعتذاره[٣] . ويضيف : وفي أيامي توتَّرت العلاقات بيني وبين المعتصم ، إذ كان كثير الطمع ، يطمع في مدينة غرناطة أو في بعض حصونها ، ثم صالَحْتُهُ مهادنةً وآنجراراً للحال ، وصار أصدق الناس لنا ، فلم نزل مُتَعاقِدَيْنِ مُتَشَارِكَيْنِ في الحلو والمرِّ إلى آنصرام الأجل[٤] .

وهكذا أقام المعتصم مُلْكاً بمدينة المرية وأعمالها مدة طويلة قطعها في حروبه ولذّاته . وقد رسم لنا آبن بسام صورة عما كان عليه المعتصم ، بقوله :

= ٢٩٢) ، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣١ ـ ٧٣٣) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٤ ـ ١٧٥) وتاريخ مدينة المرية الأندلسية ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

١ ـ انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٦٦ ـ ٧٦٩) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣) ، ومذكرات الأمير عبد الله ص ٣٩ ـ ٥٥ وفيها : إنّ مقتل اليهودي كان يوم السبت لعشر خَلَوْنَ من صفر من سنة ٤٥٩ هـ ، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٤٦) وفيه : إنَّ إسماعيل بن نغرله اليهودي ، كاتبَ باديس وكاتبَ أبيه من قَبْلُ ، كان قد آستولى على سلطان باديس ، ثم نكبه هذا وقتله سنة ٤٥٩ هـ ، وملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ص ٥٢ ـ ٥٣ .

٢ ـ باديس هو جَدُّ الأمير عبد الله .

٣ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ٥٧ .

٤ ـ المصدر نفسه ص ٧١ ـ ٧٢ ، ٨٨ ـ ٩٠ .

« ولم يكن أبو يحيى (أي المعتصم) هذا من فحولة ملوك الفتنة ، أخلد إلى الدَّعَة ، وآكتفى بالضِّيْق من السَّعَة ، وآقتصر على قصر يَبْنيه ، وعِلْقٍ يَقْتَنِيْه ، وميدان من اللّذّة يستولي عليه ويبرِّز فيه . . وقد كانت بينه وبين حُلفائه من ملوك الطوائف في الجزيرة فُتُوْنٌ مبيرة ، غلبوه عليها ، وأخرجوه من سجيّته مُكْرَهاً إليها ، لم يكن مكانه منها بمكين ، ولا صُبْحُهُ فيها بمبين[1] » . وآقترب المراكشي من آبن بسام في قوله : « وكان المعتصم هذا قديم الحسد للمعتمد ، كثير النفاسة عليه ، لم يكن في ملوك الجزيرة مَنْ يُناوئه غيره ، وربّما كانت بينهما في بعض الأوقات مراسلات قبيحة ، وكان المعتصمُ يُعيبه في مجالسه وينال منه ، ويمنع المعتمدَ من فعل مثل ذلك مروءتُهُ ونزاهةُ نفسه وطهارةُ سريرته وشدّةُ ملوكيّته[2] » . وذهب الحميري إلى أنَّ العداء المستفحل بين المعتصم والمعتمد بن عباد كان يذكيه المعتصم وينفخ في رماده إلى درجة أنّه كان في مجالسه يعرِّض بالمعتمد ، وأنَّهما كانا يتبادلان الرسائل القبيحة ، ممّا أدّى إلى صدام مسلَّح بينهما عندما أقدم المعتمد على غزو المريّة[3] . وآعتمد المقري على الحميري فأشار إلى أنَّ آشتغال المعتمد بغزو المعتصم هو الذي أخَّره عن دفع الضريبة للأذفونش[4] . ورأى آبن خاقان أنَّ المعتصم آقتصر على صمادحيته[5] البديعة ، وقصبته المنيعة ، وأنَّ همّته لم تمتدَّ إلى مزاحمة ملك في ملكه[6] . كذلك أشار بيريس إلى تلك الخصومة بين الرجلين

---

١ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٢ ـ ٧٣٣) . وقد ورد النص في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠ ـ ١٩١) بآختلاف يسير عما هنا . كما ورد بعض منه في الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٢) .

٢ ـ المعجب ص ٨٥ .

٣ ـ الروض المعطار ص ٢٨٨ (مادة الزلاقة) .

٤ ـ نفح الطيب (ج ٤ ص ٣٥٧) .

٥ ـ هي قصور المعتصم بن صمادح . نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٦) . وجاء في الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥) : « والصمادحية من بلاد الأندلس » . وآنظر أيضاً
Los palacios del taifa almeriense al - Mutasim, en Cuadernos de la Alhambra, III, P. 15 — 20.

٦ ـ قلائد العقيان ص ٤٧ .

بقوله : لم تصبح المرية مدينة أندلسية هامة ومزدهرة إلاَّ في عهد خيران وزهير العامريين ، ثم في عهد أميرها المعتصم بن صمادح ، خصم المعتمد بن عباد[1] .

وبعد أن آستولى ألفونسو السادس بن فرذلند ، ملك قشتالة ، على طليطلة[2] وأعمالها في عام ثمانية وسبعين وأربعمائة ، لم يعد يقنع من ملوك الطوائف بالجزية السنوية ، وصار يروم أخذ القواعد طمعاً في آلاستيلاء على جزيرة الأندلس كلها ، فبدأ في سنة تسع وسبعين وأربعمائة يضغط على هؤلاء الملوك حتى هابوا أمره ؛ لكون طليطلة نقطة دائرة الأندلس ، وآستنجدوا بيوسف بن تاشفين ، أمير المرابطين بالمغرب ، وكان المعتمد بن عباد أكثر المتحمّسين لهذا آلاستنجاد[3] .

ذكر صاحب الحلل الموشية أنَّ المعتمد بعث بكتاب إلى يوسف بن تاشفين يطلب منه فيه الجواز إلى الأندلس ، فأجاز آبنُ تاشفين البحر إلى الجهاد سنة تسع وسبعين[4] وأربعمائة ، وهذا هو الجواز الأول ، فتلقاه المعتمد على مرحلة من الجزيرة ، فقام بها ثلاثة أيام ، ثم آرتحل والمعتمدَ إلى بَطَلْيَوْسَ ، وكتب إلى سائر ملوك الأندلس يستنفرهم إلى الجهاد ، ويحضّهم على اللحاق به ، فلحق به عبد الله بن بُلُقِّيْن صاحب غرناطة ، وأخوه تميم صاحب مالقة ،

---

١ ـ La poésie andalouse en arabe classique au XIe. Siècle, P. 142.

٢ ـ ذكر آبن الكردبوس أنَّ ملوك الأندلس ، ولا سيما المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، وآبن هود ملك سرقسطة ، طمعوا في تملُّك طليطلة ، ولمَّا تحقَّق مَلِكُها القادر بن ذي النون أنَّه لا طاقة له على الدفاع كتبَ إلى ألفونسو السادس ، وتخلَّى له عن طليطلة ، فتملَّكها ألفونسو سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة . تاريخ الأندلس ص ٨٥ .

٣ ـ راجع مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٥٧) ، والروض المعطار ص ٢٨٨ .

٤ ـ يذهب آبن الكردبوس إلى أنَّ عبور آبن تاشفين الأول إلى الأندلس كان في سنة ثمانين وأربعمائة . تاريخ الأندلس ص ٩٠ .

وآبن الأفطس صاحب بطليوس ، وآعتذر المعتصم بن صمادح عن مجيئه بنفسه بسبب العدو الملاصق له بحصن لِيِّيْط[1] . وذكر الأمير عبد الله أنَّ المعتصم ، عند حلول آبن تاشفين بإشبيلية ، ظلَّ متربّصاً ليرى كيفية الأمر ومخرجه مع الروم ، وآعتذر بكبر السِّنّ مع الضعف ، وأرسل آبنه معتذراً[2] . ودارت معركة الزَّلّاقة بين المسلمين والنصارى يوم الجمعة الخامس[3] عشر من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وكانت الهزيمة فيها على ألفونسو ، فآمتلأت أيدي المسلمين بالغنائم الوافرة والسَّبْي الكثير والأموال والذهب والفضة ما أغناهم ، وآنصرف أهل الأندلس إلى بلادهم ، وعاد آبن تاشفين إلى المغرب إثر نبإٍ أفجعه بموت آبنه أبي بكر ، وذلك في سنة ثمانين وأربعمائة ، وشيَّعه آبن عباد إلى الجزيرة[4] .

وفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة جاز آبن تاشفين البحر إلى الجهاد ،

---

١ ـ الحلل الموشية ص ٣٣ ـ ٣٥ . وآنظر أيضاً أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٣٧ ـ ٢٤٤) وملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ص ٢٩٤ . ولييط وألييط Aledo حِصْنٌ حصين من عمل لورقة ، على رأس جبل شاهق ، احتلّه غرسيّة خيمينث Garcia Jimenez أحد قواد ألفونسو السادس ، ومنه أغار في ثمانين فارساً على نظر المرية ، فأخرج المعتصمُ قائداً من قواده ومعه أربعمائة من خيار الجند ، فلما آلتقوا بالعدو آنهزموا . ولمّا عظم أذى هذا الحصن للمسلمين ، لتوسّطه في بلادهم ، تردّدوا إلى يوسف بن تاشفين بالشكوى حتى وعدهم بالجواز إليهم ، فجاز البحر في سنة ٤٨١ هـ ، وأطال حصار هذا الحصن ، فأعجزه . تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ٨٩ ، والحلل الموشية ص ٣٤ ، ٤٨ ـ ٥١ ، وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠) وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ٨٢ حاشية١ .

٢ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٤ .

٣ ـ هكذا في أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٤٢) . وفي الحلل الموشية ص ٤٠ ـ ٤١ : الثاني عشر من رجب . وفي تاريخ ابن الكردبوس ص ٩٥ : « عاشر رجب الفرد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة » .

٤ ـ انظر الحلل الموشية ص ٤٦ ـ ٤٧ ، وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٤٩) وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ٩٥ ـ ٩٦ .

وهذا هو جوازه الثاني ، آستجابة لطلب المعتمد ، فآستقرَّ بالجزيرة الخضراء حيث تلقّاه المعتمد من التعظيم والتكريم . ثم أنفذ كتابه إلى ملوك الأندلس يستدعيهم للجهاد معه ، والموعد حِصْنُ لِيِّيْط ، فتلاحق به عبد الله بن بُلُقِّين صاحبُ غرناطة ، والمعتصمُ بن صمادح صاحبُ المرية . وآتَّصلت الحروب على الحصن ليلاً ونهاراً ، وتمادى ذلك أشهراً ، فعجز آبن تاشفين وملوك الطوائف عن آحتلاله لحصانته ومنعته ، وآقتضى الرأي الإقلاع عنه[1] . ذكر الأمير عبد الله أنَّ المعتصم أتى في حصار لِيِّيْط بِفِيْلٍ أقامه ، فأصابه من الحِصْن قَبَسُ نارٍ فأحرقه[2] .

وفي عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة جاز يوسف بن تاشفين إلى جزيرة الأندلس ، وكان هدفه في هذا الجواز[3] الثالث هو آستئصال شأفة ملوك الطوائف والإطاحة بعروشهم ليتسنَّى له بالتالي ضمّ الأندلس إلى المغرب ، محتّجاً في ذلك بآشتداد الخلاف فيما بينهم ، فآحتلَّ بالجزيرة الخضراء ، فوافاه المعتمد بن عباد وتلقّاه كعادته من التعظيم والتضييف ، فآستنزل المستنصرَ تميمَ بن بُلُقِّيْن صاحب مالقة ، ثم توجَّه إلى غرناطة فلقيه المظفر عبد الله بن بُلُقِّين خارجَ الحاضرة ودخل معه البلد فسلَّم إليه الأمر ، وأخذ ابن تاشفين الأخوين تميماً وعبد الله إلى العدوة المغربية وأسكنهما بأغمات[4] .

---

١ ـ انظر مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٨ ، ١١٢ ـ ١١٣ ، والحلل الموشية ص ٤٧ ـ ٤٩ ، وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠) ، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٣ ـ ٧٣٤) ، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٤) والمعجب ص ٨٥ .

٢ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٩ . وأغلب الظن أن الفيل كان من الخشب .

٣ ـ كان ليوسف بن تاشفين جواز رابع إلى الأندلس في سنة ٤٩٦ هـ ، وقيل : ٤٩٧ هـ . راجع الحلل الموشية ص ٥٥ ، وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ١١٢ .

٤ ـ انظر الحلل الموشية ص ٥٠ ـ ٥١ . وفي أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٢٥٠) : « فتحرّك (أي يوسف بن تاشفين) الحركة الثالثة في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، وأجاز البحر ، ويمّم قرطبة فآحتلّها في جُمادَى الأولى من العام ، فبدأ منهم بعبيد الله بن بلقين صاحب غرناطة ، فآستولى على ملكه وملك أخيه بمالقة في سنة أربع وثمانين » .

وفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة قدَّم آبنُ تاشفين آبنَ عمِّه الأمير سِيْدي آبن أبي بكر ، وقيل : سِيْر بن أبي بكر ، على عسكرٍ ، وأَمَرَهُ بمحاصرة المعتمد بن عباد بإشبيلية ، ثم محاصرة المتوكّل آبن الأفطس ببطليوس ، وقدَّم آبنَ عمِّه أبا عبد الله محمد بن الحاج على عسكر ثانٍ ، وأمره بمنازلة الفتح بن المعتمد بن عباد بقرطبة ، وقدَّم أبا زكريّا بن واسنو ، وقيل : يحيى بن واسيو ، على عسكر ثالث ، وأمره بمحاصرة المعتصم بن صمادح ، فجوَّز العساكرَ ، وآنصرفَ كلُّ فريق إلى حيث أَمَرَهُ ، وأقام هو بسبته مترقّباً لأنبائهم لما يحدث عنهم[1] . وذكر آبن الكردبوس أن سِيْر بن أبي بكر تملَّك المريّة ومرسية ودانية وشاطبة على يدي قائده محمد بن عائشة ، وأنَّ أمير المسلمين آنصرف إثر ذلك إلى العُدْوة[2] . وذكر آبن الخطيب أنَّ آبن تاشفين لم يَسْتَثْنِ من ملوك الطوائف إلاّ المستعين بالله أحمد بن محمد آبن سليمان بن هود بسرقسطة[3] . وذكر آبن خلكان أن سِيْرَ بن أبي بكر آبتدأ بملوك بني هود بسرقسطة ، ثم نازل بني طاهر بشرق الأندلس ، ثم نازل بني صمادح بالمرية ، فلمّا علم المعتصم أنه مغلوب دخل قصره فأدركه أسف قضى عليه ، فمات من ليلته ، فآشتغل أهله به وسلّموا المدينة[4] . وذهب آخرون إلى القول : بينما كان معسكر آبن تاشفين يحاصر المعتصم وهو في مقامه في قصبة المرية ينازع حُشاشة نَفْسه ، سمع آختلاط الأصوات فقال : لا إله إلاّ الله ، نُغِّص علينا كلُّ شيء حتى الموت ! فبكتْ إحدى حظاياه ، فرمقها بطَرْفه الكليل ، وقال وهو يتنفّس الصعداء من حرِّ العليل (المتقارب) :

---

١ ـ انظر الحلل الموشية ص ٥٢ ، وأعمال الأعلام (القسم الثالث ٢٥٠ ـ ٢٥١) ، ووفيات الأعيان (ج ٧ ص ١٢٢) ، والبيان المغرب (ج ٤ ص ١٢١) ، والكامل في التاريخ (ج ١٠ ص ١٩٢) ، ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٧٠) .

٢ ـ تاريخ الأندلس ص ١٠٧ .

٣ ـ أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٧٣) .

٤ ـ وفيات الأعيان (ج ٧ ص ١٢٢ ـ ١٢٣) . وانظر أيضاً البيان المغرب (ج ٤ ص ١٢١ ـ ١٢٢ ، ١٤٤) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١) حيث ينقل صاحباهما عن وفيات الأعيان .

تَـرَفَّـقْ بِـدَمْـعِـكَ لا تُـفْـنِـهِ   فَبَيْنَ يَـدَيْـكَ بكـاءٌ طـويـلُ[1]

ولما توفي المعتصمُ في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ولي الأمرَ بعده وليُّ عهده آبنُهُ مُعِزُّ الدولة أحمد بن المعتصم ، فبقي بعده ستة أشهر حيث بلغه خلع المعتمد ، فعمل عندئذ بوصيّة[2] أبيه المعتصم ، فركب البحر في قطع أعدَّها لفراره ، وأسلم المريّة وأعمالها وذلك في رمضان من سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وقيل : في شعبان ، وقصد بجاية فأقام فيها تحت رعاية المنصور بن الناصر بن عَلَنَّاس ، أو عِلْناس ، آبن حماد بن بُلُقِّين بن زيري بن مناد الصنهاجي ، وفي كنفه ، ويقال إن المنصور أنزله بِتِنِس من أعماله الغربية[3] .

وبآنقضاء أيام بني صمادح تصبح المريّة تابعة للمرابطين ، ومن بعدهم تخضع للموحدين ، ثم تصبح في عهد بني نصر ولاية من ولايات مملكة غرناطة الثلاث ؛ ولاية المرية ، وولاية مالقة ، وولاية غرناطة ، ثم تسقط هي ومدينة بسطة بأيدي القشتاليين الإسبان في يوم الجمعة عاشر محرّم سنة خمس وتسعين وثمانمائة ، بعد سقوط معظم قواعد مملكة غرناطة ، وقبل سقوط الحاضرة غرناطة بسنتين[4] .

---

١ ـ راجع الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٤) ، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٤) ، والـوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٦) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٦) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨) ، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩٢) ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٣ ـ ٨٤) ، وقلائد العقيان ص ٤٧ ـ ٤٨ ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩١) .

٢ ـ وردت هذه الوصيّة في مذكرات الأمير عبد الله ص ١٦٧ ، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٥) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨) ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٧) .

٣ ـ راجع قلائد العقيان ص ٤٨ ، وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ١٠٥ ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨ ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٢) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٦ ، ٢٠١) ، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩٢) و (ج ١٠ ص ١٩٢ ـ ١٩٣) ، وتاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٥٠) .

٤ ـ انظر كناسة الدكان ص ١٦ ـ ١٧ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٢٢) ، والآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ص ١٩٢ ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٠٥ ، ١٦٤ ، وتاريخ مدينـة المرية الأندلسية ص ١٨١ .

ولقد خُصَّ أهل المرية بحسن مزاجهم ، وطيب أخلاقهم ، ورقّة بشرتهم ، وكرم معاشرتهم ، ولطف أذهانهم[1] . وغلب عليهم ، كما غلب على أهل شرق الأندلس ، ترك العمائم . وكان معظم عوامّهم يستعملون الطيلسان[2] ، ولكن دون أن يغطّوا به رؤوسهم ، والذين كانوا يضعونه على رؤوسهم هم الأشياخ المعظّمون . وكثيراً ما كانوا يَلْبَسُوْنَ غفائر[3] الصوف الحمر والخضر ، والصفرُ مخصوصةٌ لليهود . وكان العالم فقط يرخي ذؤابة ويسدلها من تحت الأذن اليسرى[4] .

كذلك كان لبس البياض عادتهم في الحزن على موتاهم ، مخالفين في ذلك أهل المشرق الذين كانوا يَلْبَسُوْنَ فيه السواد[5] .

ونظراً لاهتمام المعتصم بن صمادح **بالغناء** ، فقد نشطت حركته في المريّة ؛ لأن الغناء ، يقول ابن عبد ربه : « مراد السَّمْعِ ، ومَرْتَعُ النَّفْس ، وربيعُ القَلْب ، ومجال الهَوَى ، ومسلاة الكئيب ، وأُنْسُ الوحيد ، وزادُ الراكب ؛ لِعِظَمِ مَوْقِعِ الصَّوْتِ الحَسَنِ من القلب ، وأَخْذِهِ بمجامع النَّفْس[6] » . وكانت المرية ، كغيرها من مدن الأندلس ، تعتمد إلى حد كبير على حركة الموسيقى والغناء التي شاعت في الأندلس منذ قدوم زرياب من المشرق إلى قرطبة . وانتشر الغناء في القصور والحقول والأسواق والحوانيت والبيوت والمنتزهات ، وكان عاملاً مساعداً في رفع مستوى الحياة الاجتماعية

---

١ ـ انظر المغرب (ج ٢ ص ١٩٣) ، وفضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨ ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢١٩) .

٢ ـ هو ثوب أخضر موصول به غطاء للرأس .

٣ ـ الغفائر : جمع غفيرة وهي لباس يغطّي العنق والقفا .

٤ ـ انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

٥ ـ نفح الطيب (ج ٣ ص ٤٤٠ ـ ٤٤١) .

٦ ـ العقد الفريد (ج ٦ ص ٣) .

في المرية وسائر مدن الأندلس[1] . وذكر المستشرق الإسباني غومس أنَّ الفيض من الأنغام المشرقيّة التي حملها معه زرياب إلى إسبانيا الإسلامية أصبح الأصلَ النغمي للموسيقى الإسبانية[2] . وأشارت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه إلىٰ أنَّ النظريات الموسيقية العربية بدأت تظهر في الموسيقى اللاتينية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، وأنَّ أوروبا ظلّت مدينة لعرب الأندلس بالكثير من الآلات الموسيقية[3] .

وأكثر نساء المرية جوارٍ ، وكانت الجواري متفاوتاتٍ في المنزلة آلاجتماعية ؛ فمنهنَّ اللواتي يُتَّخذْنَ للخدمة ، ومنهنَّ اللواتي يُتَّخذْنَ للذّة والنسل ، والفريق الثاني بطبيعة الحال أرفع منزلةً من الأول[4] . ذكر المقري أنَّ المعتصم بن صمادح كان ينتقي جارياته من بين اللواتي كُنَّ يَقُلْنَ الشعر[5] . وكان لحرائر المرية اليد الطُّولَى في البلاغة ، فَنَظَمْنَ الشِّعْرَ والموشحات ، كأمِّ الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية ، القائلة في فتىً من فتيان قصر أبيها ، وكان من دانية ، وشهر بالجمال ، وعُرِفَ بالسّمّار (السريع) :

يا مَعْشَرَ الناسِ ، ألَا فاعْجَبُوا … مِمَّا جَنَتْهُ لَوْعَةُ الحُبِّ
لولاهُ لم يَنْزِلْ بِبَدْرِ الدُّجَى … مِنْ أُفْقِهِ العُلْوِيِّ للتُّرْبِ
حَسْبِي بِمَنْ أَهْوَاهُ ، لَوْ أنَّه … فارَقَنِي تابَعَهُ قلبي[6]

وقد علَّق الدكتور مصطفى الشكعة على هذا الشعر بقوله : « هذا غزل رقيق وشعر لطيف ، لكنه جريء من أنثى تقوله في فتى[7] » .

---

١ ـ انظر مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص ١١٠) .
٢ ـ Poemas arabigoandaluces, P. 27 .
٣ ـ شمس العرب تسطع على الغرب ص ٤٩٢ .
٤ ـ راجع رسائل ابن حزم (ج ١ ص ٦٨ ـ ٦٩) .
٥ ـ نفح الطيب (ج ٤ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧) .
٦ ـ انظر المغرب (ج ٢ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣) ونفح الطيب (ج ٤ ص ١٧٠) .
٧ ـ صور من الأدب الأندلسي ص ١١٩ .

وذكر الأستاذ لوبون أنَّ النِّسْوة الأندلسيّات آشتهرْنَ بالمعرفة العلميّة والأدبيّة ، وأنَّهُنَّ كُنَّ مُحِبّاتٍ للدرس[1] . وذكر آبن حزم أن الفرق بين النساء والرجال هو في العمل وأنواع النشاط ؛ فالنساء متفرّغاتُ البال من كلِّ شيء إلاَّ من الحبّ ، والرجالُ مُقْتَسَمُوْنَ في صحبة السلطان ، وطلب العلم ، وحياطة العِيال ، وكسب المال ، ومكابدة الأسفار ، والصيد ، وضروب الصناعات ، ومباشرة الحروب[2] . ثم عدَّد وظائف النساء بقوله : منهنَّ الطبيبة ، والحَجَّامَة ، والماشطة ، والنائحة ، والمغنّية ، والكاهنة ، والمعلّمة ، والمستخدمة ، والعاملة في المغزل والنسيج ، وما أشبه ذلك[3] .

وكان **مجتمع المرية** يعاني من تناقض رهيب ؛ فالثروة فيه لم تكن تُوَزَّعُ توزيعاً عادلاً ، مما أتاح وجود طبقة فقيرة مُعْدِمة تعيش في بؤس دائم ، وأخرى أرستقراطية تعيش حياة ترف ونعيم . وكان هذا المجتمع يتكون من عناصرَ مسلمةٍ وأخرى غير مسلمة ؛ فآنحصرت العناصر المسلمة في العرب الذين تولَّوا السلطة ، ومثَّلهم بنو صمادح . وفي البربر الذين تدّفقوا من المغرب على جزيرة الأندلس حتى آزداد عددهم وآنتشروا في المرية وبقية المدن الأندلسية . وفي الصقالبة ، وغالبيتهم كانوا يُجلبون صغاراً من أوروبا إلى المرية وسائر مدن الأندلس ، ويُرَبَّوْن تربية إسلامية . وفي الإسبان الذين أسلموا وسُمُّوا المُسَالمة ، وأطلق على نسلهم آسم المُوَلَّدين[4] . أما العناصر غير المسلمة ، فقد آنحصرت بالمسيحيين الذين عُرفوا بالمُسْتَعْرَبِيْنَ Los Mozarabes ، وأُطلق عليهم أيضاً آسم عجم الأندلس . وفي اليهود الذين كانوا قد وفدوا على الأندلس قبل الفتح العربي بقرون .

---

١ ـ حضارة العرب ص ٤٨٩ .

٢ ـ رسائل ابن حزم (ج ١ ص ١٦٥) .

٣ ـ المصدر نفسه ص ١٤٢ .

٤ ـ كذلك أطلق آسم المولدي على من كانت أمه إسبانيّة وأبوه مسلما . راجع مجلة عالم الفكر (المجلد الثامن ، العدد الأول ص ٤٢) و (المجلد الثاني عشر ص ٦ ـ ٧) .

وكان هذا المجتمع يتكوَّن من ثلاث طبقات هي طبقة الخاصة أو الأرستقراطية ، والطبقة الوسطى ، والطبقة الدنيا .

أ ـ طبقة الخاصة : تعتبر هذه الطبقة أغنى طبقات مجتمع المريّة وأكثرها ثراء ، وتتكوّن من أفراد الأسرة الحاكمة ، وكبار الملاّكين ، وكبار الأغنياء . وتكاد تنحصر بالعنصر العربي وحده . وهكذا آنفردت الأرستقراطية العربية بآقتسام أرض المريّة ، وسيطرت على معظمها عن طريق السلطة ؛ فالمعتصم بن صمادح مثلاً ، كان يمثّل قِمَّة الثراء والملكيّة بحيث لم يكن يوجد حدود فاصلة بين خزانته الخاصة وخزانة الدولة .

وكان معظم أفراد هذه الطبقة يميلون إلى الترف وينغمسون في حياة اللهو والغناء والصيد ، ولم يكن أمامهم سوى التمتّع بالحياة الدنيا على حساب السواد الأعظم من شعب المريّة . وإذا كان المعتصم أقلَّ ظلماً من نظرائه الملوك ، فإنّه أَثْقَلَ كاهل الرعيّة بالضرائب الباهضة لحاجته إليها في تأدية بعضها إلى الأذفونش ملك الفرنج سنوياً ، ولدفع مُرَتَّبات الجُنْد ، والإنفاق على بناء القصور وآقتناء فاخر الأثاث . وما قصور الصُّمادحية التي بناها المعتصم سوى تجسيد لبذخ الأسرة الحاكمة . ومن الطبيعي أن يصحب ذلك حِرْمانٌ عسيرٌ لطوائفَ كثيرةٍ من الناس ، وأن تنتشر الكِدْية على نطاق واسع[1] .

ولقد متَّن العرب علاقاتهم مع عناصر هذا المجتمع ، فآختلطوا بهم عن طريق الزواج أو السُّكْنَى والمعاملة ، وكانت لغتهم العربية الفصحى اللغة الرسمية في مملكة المرية ، حيث سيطرت على مجتمع المرية وآنتشرت بين عناصره . كذلك كانت لغتهم العربية العاميّة مجالاً للتفاهم بين عناصر المجتمع ، ومجالاً للانتشار في كثير من خرجات الموشحات[2] .

---

١ ـ راجع نفح الطيب (ج ١ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩) ، ومذكرات الأمير عبد الله ص ١٢٤ ، والكامل في التاريخ (ج ١٠ ص ١٤٢) ، وتاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ص ٣٩ ـ ٤١ .

٢ ـ راجع قصة الأدب في الأندلس (ج ١ ص ٢٢٦ وما بعدها) .

ولقد أثَّر عرب المرية في حياة النصارى الإسبان تأثيراً كبيراً ، فمارس هؤلاء عادات المسلمين العرب وتقاليدهم ، كختن صغارهم ، وآلامتناع عن أكل لحم الخنزير ، وتعلّموا لغتهم وأتقنوها[1] . وما آحتواء اللغة الإسبانية اليوم على ما يزيد على الأربعة آلاف كلمة عربية ، وعلى كثير من تركيبات وتعابير لغوية عربية ، إضافةً إلى آنفرادها بين لغات أوروبا اللاتينية بآمتلاكها أداة التعريف العربية وحَرْفَي الخاء والثاء إلَّا دليلاً على مدى هذا التأثير[2] .

ورغم رجحان كفّة ميزان العرب الكبير في التأثير ، فإنَّ الإسبان آستطاعوا إلى حدٍّ ما أن يؤثّروا في الثقافة العربية وفي حياة عرب المرية آلاجتماعية . ودليل تأثّرهم بالنصارى آلتزامهم يومَ الأحد من كل أسبوع عطلةً رسمية . وقد تمَّ ذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) ، وظلّ معمولاً به على الأقل حتى أواخر القرن الخامس الهجري[3] .

كذلك شارك عربُ المرية المُسْتَعْربين في أعيادهم كعيد ميلاد السيد المسيح ، وعيد رأس السنة الميلادية ، وعيد العنصرة وهو عيد سان خوان San Juan الكائن في الرابع والعشرين من شهر حزيران ، وخميس نيسان أو خميس العهد الذي يسبق عيد الفصح المسيحي بثلاثة أيام . وكانوا في هذه الأعياد يبتاعون الفواكه والحلوى كما كان يفعل النصارى تماما[4] . وكان لمسلمي المرية أعيادٌ ومواسمُ دينية كعيدي الفِطْر والأضحى ، وعيد المولد النبويّ ، وموسم عاشوراء . وعرفوا أعياداً قومية كعيد العصير الذي كان ، على ما أعتقد ، مشتركاً لجميع عناصر مجتمع المرية . وكان هذا العيد ، حسبما يذكر الدكتور العبادي ، يقام عند جَنْي محصول العنب وعصره ، وهو المحصول

---

١ ـ انظر فصول في الأدب الأندلسي ص ١٥٢ ، وفي التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٧٤ ، وأندلسيات ص ١٦٠ ، وفجر الأندلس ص ٤٢٥ وما بعدها .

٢ ـ انظر فصول في الأدب الأندلسي ص ١٤٧ ـ ١٤٩ ، وحضارة العرب في الأندلس ص ٨١ ـ ٨٤ .

٣ ـ راجع المقتبس تحقيق مكي ص ١٣٨ ، ونفح الطيب (ج ١ ص ٤١٧) .

٤ ـ انظر مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص ١٠٧) .

الرئيسي هناك ، بحيث كانوا ينتقلون إلى حقول الكرم عدة أيام يجمعون خلالها محصولهم في جوّ يسوده الغناء والرقص ، وهي عادةٌ ما تزال مستمرّة في المريّة وسائر مدن إسبانيا حتى اليوم[1] . ويضيف العبادي : كذلك كانوا يحتفلون في مناسبات أخرى كالانتصارات والزواج والإعذار (ختان الأبناء) ، وذلك بوسائل مختلفة كالغناء ، والموسيقى ، والرقص ، وألعاب الفروسية ، وسباق الخيل ، وحفلات الصيد ، والقنص[2] .

وإلى جانب ما ذكرناه ، هناك التأثير الثقافي ، حيث آنتشرت الرومنثيّةُ ، لغةُ النصارى ، بين عرب المريّة . والرومنثيّة هي الإسبانية القديمة المتولّدة من اللاتينية والتي تطوّرت منها الإسبانية المكتوبة والمحكيّة اليوم في إسبانيا ودول أميركا اللاتينية . وقد عُرِفَتْ عند المؤلّفين الأندلسيين بآسم العجميّة أو اللطينية ، وعاشت بين أوساط المسلمين العرب بحيث أصبحتْ قبائلُ عربيةٌ كثيرةٌ تُجِيْدُها[3] . وكانت تلك اللغة عاميّة ؛ لأنَّ لغة الإسبان الفصحى والمكتوبة آنذاك كانت اللغة اللاتينيّة ، وبالتالي فإنَّ الخرجات الأعجميّة في الموشحات الأندلسيّة كان يأخذها الوشّاحون عن أفواه الناس وليس عن الكتب والأساتذة[4] . وهكذا ظلّت الحياة المشتركة بين عرب المريّة ومسيحيّيها سائدة سنين طويلة .

أمّا المرأة الأرستقراطيّة ، فإنَّ المؤرّخين لم يغفلوا ذكرها آلبتّة ؛ فقد تحدّثوا عن قدراتها الثقافيّة والفنّية وآلاجتماعية ، وآستعرضوا محاسنها وصفاتها الحسنة ، ليرفعوا من مكانتهم لدى الحاكم ، ويحصلوا بالتالي على ما يريدون من

---

١ ـ المصدر نفسه ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

٢ ـ المصدر نفسه ص ١٠٨ .

٣ ـ انظر في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٧١ ، ومجلة عالم الفكر (المجلد الثامن ، العدد الأول ص ٨٣ ، ١٦٩ ـ ١٧٠) و (المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص ٦٦) .

٤ ـ انظر الزجل في الأندلس ص ٤٧ . وهناك نصوص لابن حزم والخشني تبيّن مدى تأثير الرومنثيّة على أهل قرطبة ، وهذا ليس معناه أنها آنحصرت في قرطبة وحدها . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٣ ، وقضاة قرطبة ص ١٢٣ ، ١٣٩ ، ١٦٦ ـ ١٦٧ .

صلات . وقد كانت علاقاتها بزوجها الأرستقراطي بغير المستوى الذي كانت عليه المرأة المنتمية إلى طبقات أخرى ؛ فهي غير مضطرّة بشكل عام للقيام بأيّ عمل داخل البيت أو خارجه ؛ لأن أطفالها يقوم بتربيتهم الجواري والأموات الحاضنات . وسواء كانت متزوجة أو عزباء فإنّ شغلها الشاغل هو الحبّ .

وكون الرجل الأرستقراطي مسلماً ، له الحقُّ في أنْ يتزوَّج أربع نساء من الحرائر ، وما شاء من الإماء ، وأولاد الإماء شرعيّون كأولاد الحرائر . وله أن يطلِّق زوجته ، ولكن عليه بالمقابل أن يصنع ما يَكْفُل به مصيرها[1] .

ورغم إهمال المرأة الحرّة في المجتمع المريي من قبل الرجل ، وفرض القيود عليها كمراقبتها في القصر بحيث لم يكن يسمح لها بالخروج إلاّ في حالات خاصة ، وإعطاء الرجل النصيب الأكبر من الحرية ، فإنَّ مجتمع المرية عَرَفَ حرائرَ أرستقراطيات مَثَّلْنَ الحياة العاطفية في الشعر[2] .

ب ـ **الطبقة الوسطى** : تضمُّ هذه الطبقة التجار الكبار والمتوسطين ، وأصحاب الأعمال والمشاريع الصناعية ، وموظَّفي الدولة التابعين ، والملاّكين الصغار بمن فيهم المزارعون الكبار والمتوسّطون . وظلت شديدة آلارتباط بالطبقة الأرستقراطية الحاكمة من أجل الحفاظ على مصالحها ، تعمل على حماية ما تمتلك ، وتسعى إلى توسيع ثرائها على حساب غيرها من العامّة ، وذلك للوصول إلى مستوى الطبقة الأولى ، ولكن الظروف لم تسمح لها بالحصول على ثروات ضخمة كما كانت حال طبقة الخاصة .

والمرأة في الطبقة الوسطى لم تكن تختلف كثيراً عن المرأة الأرستقراطية . ولقد آنضوى إلى هذه الطبقة كافة عناصر المجتمع من عرب ، وبربر ، وصقالبة ، ومُسَالمة ، ومُسْتَعْرَبِيْنَ ، ويهود .

---

١ ـ راجع حضارة العرب ص ٤٩٥ .

٢ ـ سَبَقَ وذكرْنا ثلاثة أبيات لأمِّ الكرام بنت المعتصم قالتها في أحد فتيان قصر أبيها ص ٦٥، فآنظرها .

ولقد آنصهر البربر في المجتمع عن طريق الزواج ، وأتقنوا اللغة العربية إتقاناً كاملاً إلى جانب تعلّمهم اللغة الرومنثيّة ؛ لأنَّ لغتهم البربريّة لم تكن مكتوبة عندهم ، فزالت مع الوقت ولم تعد تصمد أمام اللغتين العربية والرومنثية .

كذلك تعلّم **الصقالبة** اللغة العربية ، وآكتسبوا الكثير من عادات مؤدِّبيهم . وآسْتُعْمِلَ الذكور منهم للخدمة أو الحرب ، والإناثُ للتسرِّي ، والخِصْيان لحراسة الحريم ؛ إذ كان التجار اليهود يخصونهم ويقدّمونهم إلى الحكام[1] . وبالمقابل نقلوا عادات أممهم وتقاليدها إلى المرية، ومَنْ تعلَّمَ منهم اللغة العربية نقل الأفكار والأقاصيص الأوروبية باللغة العربية[2] .

أما **المولَّدون** ، فقد آختلطوا بالعرب عن طريق التزاوج والولاء ، وآتّخذ بعضهم الأنساب العربية ، ومنهم من نسي أصله ، ومنهم من ظلَّ على نسبه القديم ، ومنهم من أضاف إلى آسمه العربي المقطع الإسباني « On »[3] . كما أتقنوا اللغة العربية وتمكّنوا من الكتابة ، فبرز منهم الأديب والشاعر ، حتى كان دورهم في نقل الحضارة العربية إلى إسبانيا المسيحية كبيراً ، فعملوا على تطوّر التداخل الذي حصل بين لغتهم العربية التي آكتسبوها وبين الرومنثية لغة أمهاتهم وأجدادهم .

كذلك أتقن **المُسْتَعْرَبُوْن** اللغة العربية إلى جانب لغتهم الرومنثية ، وآتخذوا أسماء عربية إلى جانب أسمائهم المسيحية . وبحكم معرفتهم هاتين اللغتين ، لعبوا دوراً هامّاً في نقل الحضارة الإسلامية إلى الممالك الإسبانية حيث آنتشرت ثقافة العرب المسلمين وعاداتهم[4] .

---

١ ـ انظر تاريخ التمدن الإسلامي (ج ٢ ص ٤٩٥) ومجلة عالم الفكر (المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص ٦٠ ، ٩٢) .

٢ ـ المصدر الأول نفسه ، والصفحة نفسها .

٣ ـ انظر مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص ٦٥ ـ ٦٦) .

٤ ـ انظر في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٧٤ ، ومجلة عالم الفكر (المجلد الثاني عشر ، ص ٧) .

ولقد عاش هؤلاء النصارى في المريّة بسلام ، كما في سائر مدن الأندلس ، يزاولون شعائرهم الدينية بحريّة تامّة مقابل دفع الجزية للمسلمين تمشّياً مع الشريعة الإسلامية ، كونهم من أهل الكتاب . وهكذا آحترهم العرب وعاملوهم معاملة حسنة ، فأَبْقَوْا لهم أماكن العبادة ، يقرعون فيها نواقيسهم بحريّة[1] . وقد تجلّى ذلك في قول آبن حزم (البسيط) :

أَتَـيْتَـنـي وهِـلاَلُ الـجَـوِّ مُـطَّلِعٌ   قُبَيْلَ قَرْعِ النَّصَارَى للنواقيسِ[2] .

وهكذا كانت العلاقة بين المسلمين والنصارى طبيعية ، فشاعتِ المصاهرةُ بين الفريقين ، ولكنَّ زواج المسلمين بإسبانيّات فاق بكثير زواج الإسبان من مُسْلمات . وتلك ظاهرة آجتماعية تبيّن مدى التأثير الإسباني على عقول وعواطف عرب الأندلس ومسلميها[3] . ويقدّم لنا آبن الحداد صورة موجزة عن ذلك التعايش ، في شعره الذي آستفرغ معظمه في نويرة النصرانية فيقول : « قَلْبِيَ في ذاتِ . . تحياتي[4] » ، ويقول : « حَدِيْثُكِ ما أحلى . . ومِثْلَثِ[5] » ويقول أيضاً : « عَسَاكِ بحقِّ عِيْسَاكِ . . لولاكِ[6] » .

كذلك مارس **اليهود** عادات المسلمين وتقاليدهم ، وأتقنوا اللغة العربية إلى جانب لغتهم العبرية واللغتين الرومنشية واللاتينية اللتين تعلموهما منذ أيام الرومان والقوط . وتعلُّم اللغات ساعدهم في عملهم الذي آنحصر ، إلى حدٍّ كبير ، في تجارة العبيد والجواري والخِصْيان ، والحرير والفرو . كما شاركوا في تقدّم المريّة من الناحيتين آلاجتماعية والسياسية معا .

---

١ ـ انظر مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص ٦٠) .
٢ ـ رسائل ابن حزم (ج ١ ص ٢٨٢) وطوق الحمامة ص ٢٨٧ .
٣ ـ راجع مجلة عالم الفكر (المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص ٦٢ ـ ٦٤) .
٤ ـ هي القصيدة التائية المؤلّفة من ٢١ بيتاً ، وقد وردت في الديوان رقم ٦ ، فآنظرها .
٥ ـ هي القصيدة الثائية المؤلّفة من عشرة أبيات ، وقد وردت في الديوان رقم ٨ ، فآنظرها .
٦ ـ هي الأبيات الأربعة الأولى من قصيدته الكافيّة الواردة في الديوان رقم ٤٤ ، فآنظرها .

ج ـ **الطبقة الدنيا** : تضمّ هذه الطبقة كافة عناصر مجتمع المريّة ، وينضوي إليها العامل ، والحرفي ، والتاجر الصغير ، والأجير ، والمزارع الصغير ، والقصّاب ، وحتى العاطل عن العمل . ومعنى ذلك هي الأكثريّة الساحقة من أهل المريّة ، والسواد الأعظم من السكان الذين كانوا يفتقرون حتى إلى قُوْتهم اليومي . وهكذا فإنَّ هذه الطبقة أكثر تهيّؤاً للثورة من غيرها ، وأكثرها تأثراً بالأزمات والحروب والقَحْط والجفاف ؛ فمستوى حياتها مُتَدَنٍّ ، والبون شاسع بين مستوى حياتها ومستوى حياة الأرستقراطيين والأغنياء . وكانت أكثر الطبقات آستياءً من زيادة الضرائب التي كان المعتصم يُثْقلها بها .

وكانت علاقة المرأة العاميّة بزوجها تقوم على أساس التعاون والتعاضد لتأمين الحاجات الماديّة اليوميّة إلى جانب تربية أطفالها وتدبير شؤون منزلها . وبسبب ضِيْق وضع زوجها المادي تعذّر عليه آقتناء النساء المملوكات ؛ لأنَّ أسعارهنّ كانت مرتفعة جداً ، بحيث لم يكن بمقدوره شراء جارية أو أَمَة ، وإذا ما حصل على جارية ، وهذا نادرٌ جداً ، يكون ذلك في فترات الغزو التي فيها ينخفض سعر الجارية .

ويقدِّم لنا آبن الخطيب تقسيماً آجتماعياً ينطبق على المجتمع الأندلسي في جميع مدن الأندلس وفي كل العصور الأندلسية[١] .

وفي مجال **الزراعة** ذهب معظم المؤرّخين إلى أنَّ المريّة قليلة الأمطار ، وأنَّ مناخها جافٌّ ، وأرضها صخريّة جرداء[٢] ، ورغم ذلك ، فإنّها كانت في وضع زراعي جيد ، ساعدها على ذلك بستانها العظيم آلاتّساع الذي أقامه المعتصم بن صمادح بالقرب من المريّة في الجهة القِبْليّة من قصره الكبير والذي كان يُغْني مملكة المريّة بجميع الثمار الغريبة ، وواديها المعروف بوادي بجّانة ، الذي كان أيضاً يُغني المريّة بفواكهه والذي وصفه المؤرّخون وذكروا أنّه كان يغلُّ

---

١ ـ انظر هذا التقسيم في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٤٤ ـ ٤٨) .

٢ ـ راجع في هذا الشأن نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣) ، ومشاهدات لسان الدين ص ٨٤ ، ووصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦ ، وقلائد العقيان ص ٤٧ ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٤ .

الكثير من الزيتون والعنب[١] . كذلك كانت أعمال المريّة تقدِّم الكثير من الحاصلات الزراعية للمريّة . وأهم هذه الأعمال مدينة بجّانة ، ومدينة بَرْجَة ، ودَلاَيَة ، وحِصْن شَنَش ، وحِصْن طَبَرْنَش ،ومدينة أَنْدَرش ، وحِصْن مَرْشَانة ، ودُوْجَر . ولقد آشتهرت مدينة بَجّانة بالزيتون والأعناب ، والفواكه المختلفة ، والبساتين الضخمة الكثيرة الثمار[٢] . وكانت برجة غنيّة بالفواكه ، ولا سيما العنب ، تزوِّد المريّة بما تحتاجه منها ، لكونها على نهر تُحْدِقُ بها الحانات[٣] . وكثرت في دَلاَيَة Dalias الأجبان ، وآشتهرت بعود الأَلَنْجُوْج[٤] ، وسمِّي عود النَّضُوْح[٥] أو عود التجوج[٦] .

وكانت برجة ودَلاَيَة عبارة عن مُتَنَزَّهَيْن ، كان يقصدهما المعتصم ويقيم فيهما أياماً للراحة والهدوء، بعيداً عن صخب المدينة وشؤون الحكم[٧] . ويكثر في حِصْن شَنَشٍ شجر التوت اللازم لتربية دود الحرير ، ولأهله فيه غِلَلٌ عظيمة ، وله وادٍ يعرف بوادي طَبَرْنَش[٨] Tabernas (ومعناها بالإسبانية حوانيت وأكواخ) . وطَبَرْنَش ، يقول آبن الخطيب ، بلدٌ كبير يقع شرقي المريّة ، وكان

---

١ ـ انظر فضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨ ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣) و (ج ٣ ص ٢٢٠) ، ومشاهدات لسان الدين ص ٤٧ ، ٨٣ ، والروض المعطار ص ٥٣٨ ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ٧٧ .

٢ ـ انظر نصوص عن الأندلس ص ٨٦ ، ووصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦ ، ومشاهدات لسان الدين ص ٤٧ .

٣ ـ انظر المغرب (ج ٢ ص ٢٢٨) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠ ـ ١٥١) ومشاهدات لسان الدين ص ٨١ ـ ٨٢ .

٤ ـ الأَلَنْجُوْج واليَلَنْجُوْج عود جيد ، طيب الريح ، يُتَبَخَّرُ به . لسان العرب (لنج) .

٥ ـ النَّضُوْح : ضرب من الطيب . لسان العرب (نضح) .

٦ ـ انظر مشاهدات لسان الدين ص ٨٢ ، والإحاطة تحقيق عنان (ج ١ ص ٩٨) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٤٠ ـ ١٤١) ، وجغرافية الأندلس وأوروبا ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ، وقطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٣٠٨ .

٧ ـ انظر قلائد العقيان ص ٥١ ، ونفح الطيب (ج ١ ص ٦٦٧) .

٨ ـ المغرب (ج ٢ ص ٢٢٥) ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٤) .

يكثر فيه الزيتون بدليل أنَّهم كانوا يعصرون فيه الزيتون ويستخرجون منه الزيوت[1] .

وآشتهرت مدينة أَنْدَرَش[2] Andarax بجنّاتها ذات المناظر الخلاّبة ، ونهرها المنساب ، وحِصْنها المنيع ، وكتّانها الفائق[3] . ولقد تغنَّى بكتّانها أبو الحجّاج آبن عتبة الإشبيلي ، وقد مرَّ عليها ، فقال (الكامل) :

لله أَنْـدَرُشٍ ! لقـد حَـازَتْ على حُسْنٍ تـتيْـهُ بـه عـلى البـلدانِ
النهـر مُنْسَـابٌ سَــرَتْ خُـلْـجَانُهُ في الروضِ بين أَزَاهِرِ الكُتَّانِ[4]

أما مرشانة ودوجر فإنَّ المصادر لم تَمُدَّنا بشيء عن منتوجاتهما الزراعيّة . هذا إلى جانب قرى المريّة ، التي آشتهرت بفواكهها على حدِّ قول آبن فضل الله العمري : « وحولها حصون وقرى كثيرة الفواكه[5] » .

وفي مجال **الصناعة** شهدت المريّة في عهد المعتصم تقدّما آمتازت به على غيرها من مدن الأندلس ، وبلغت شهرة تجاوزت بها الآفاق . وأهم الصناعات التي شهدتها آنذاك صناعة النسيج ، والرخام ، والمعادن ، والزجاج ، والسفن ، والفخار ، والزيوت .

فيما يتعلَّق بصناعة **النسيج** ،فإنَّ أنسجة من الصوف والكتّان كانت تحاك

---

١ ـ مشاهدات لسان الدين ص ٨٤ ، واللمحة البدرية ص ١٩ .
٢ ـ هذه المدينة غير موجودة الآن ، ولكنه لا يزال آسم « أَنْدَرَش » يطلق على نهرٍ هناك ينبع من جبال شلير Sierra Nevada وينحدر شرقاً وجنوباً ثم يصب في البحر المتوسط عند المريّة . مشاهدات لسان الدين ص ٨٨ حاشية ١ .
٣ ـ انظر المغرب (ج ٢ ص ٢٣٥) ، ومشاهدات لسان الدين ص ٨٨ ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٩٦) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٦) ، ومعجم البلدان (ج ١ ص ٢٦٠) .
٤ ـ الروض المعطار ص ٤٢ (مادة أندرش) .
٥ ـ وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦ .

في المرية[1] . ولكنَّ المنسوجات الحريرية تُعَدُّ أكثر مُنْتجات المريّة الصناعيّة شهرة . ولقد آنتقلت صناعة المنسوجات الحريريّة من بَجّانة إلى المريّة على أيدي البَجّانيين بعد آنتقالهم إلى المريّة في سنة آثنتين وأربعمائة[2] . وفي عهد المعتصم أتقن أهل المريّة طريقة آستخراج الحرير ، فراجَتْ صناعتهم في مدينتهم ، وأصبح فيها في فترة المرابطِين - وهي فترة آمتداد لعصر ملوك الطوائف - ثمانمائة نَوْلٍ لنسج طُرُز الحرير ، على حدِّ قول الحميري : « وكانت المرية في أيام المُلَثَّمين مدينة الإسلام ، وبها من كلِّ الصناعات كلُّ غريبة ، وكان بها من طُرُز الحرير ثمانمائة طراز ، وتُعْمَلُ بها الحُلَلُ ، والدِّيْباج ، والسَّقْلاطون ، والأصبهاني ، والجرجاني ، والستور المكلَّلة ، والثياب المُعَيَّنة ، والعَتَّابي ، والمعاجر ، وصنوف أنواع الحرير[3] » .

ولم تكن المدن التابعة للمرية بمنأىً عن هذه الصناعة ؛ فَشَنَش مثلاً كانت تغلُّ الكثير من الحرير الخام ؛ وذلك لكثرة شجر التوت فيها[4] . كذلك كانت غلَّة برجة من الحرير كبيرة[5] .

وفيما يتعلق بصناعة **الرخام** ، فقد آنتشرت في المريّة أيام المعتصم ؛ وذلك لتوافر مادّة الرخام فيها ، حيث كان يكثر في جبل سيّرا دي لوس فِلَابريس

---

١ - انظر مشاهدات لسان الدين ص ٨٣ ، وتاريخ العرب ص ٦٠٧ .
٢ - انظر نصوص عن الأندلس ص ٨٢ .
٣ - الروض المعطار ص ٥٣٨ . وانظر أيضاً نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣) . وعن هذه الأصناف من المنسوجات الحريرية انظر نهاية الأرب (ج ١ ص ٣٦٩) ، وصبح الأعشى (ج ٣ ص ٤٧٦) ، ورحلة ابن جبير ص ٢٠١ ، والفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ص ١٢٤ - ١٢٥ ، والزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية ص ٥٣ - ٥٤ ، وتاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ص ١٠١ ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٥٧ - ١٥٨ ، وتاريخ مدينة المرية الأندلسية ص ٢١٤ ، ٢١٦ ، ولسان العرب (عجر) ، وتكملة المعاجم العربية (ج ١ ص ١٣٦) .
٤ - انظر المغرب (ج ٢ ص ٢٢٥) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٤) .
٥ - مشاهدات لسان الدين ص ٨٢ .

الواقع إلى الشمال منها ، وكان يصلح لصناعة Sierra de los Filabres الأحواض ، والتوابيت ، واللوحات المنشوريّة الشكل ، والفوّارات ، والشواهد اللازمة للمقابر[1] . وقد وصف ابن الخطيب المريّة ببلد الرخام[2] . وأشار الشقنــدي إلى رخـام المــريّـة فــوصفـه بــالصقيــل الملوكي[3] . وذكر العذري أنَّ المعتصم بنى بخارج مدينة المريّة بستاناً سمّي بالصمادحيّة ، وكان في وسطه بحيرة عظيمة عليها مجالس مفتحة مفروشة بالرخام الأبيض[4] . وذكر مورينو أنّه عُثِرَ بين أطلال قصر قصبة المريّة على أجزا ء من أحواض من الرخام مزيّنة بزخارفَ بارزةٍ ، منها حوض من الرخام ناقص القاع ، بقيتْ فيه أقدام بشريّة تَلْبَسُ أخفافاً ، وخَلْفَ ذلك شجرةٌ وأرجلُ حيوان[5] .

كذلك تفتّن أهل المريّة بصناعة **المعادن** ، بحيث كان يصنع في مدينتهم من صنوف آلات الحديد والنحاس ما لا يوصف ولا يُحَدّ[6] . وأشار ابن سعيد والمقّري إلى وفرة الرصاص في مدينة برجة من أعمال المريّة[7] . وأشار المراكشي إلى وفرة هذا المعدن في دَلاَيَة ، ووفرة الحديد في موضعٍ آخر يسمَّى بكَارش ، وهما من أعمال المريّة[8] . وذكر المقري أنَّ معادن الفِضّة كثيرة في جبال حَمَّة بجّانة ، وأنَّ المـرجان موجود بساحل بِيْرة من عمل المريّة[9] . وذكر أبو عبيد البكري أنّه وُجد بناحية مريّة بجّانة حجرٌ يشبه الياقوت الأحمر ، وبساحل بحر بِيْرة من عمل المريّة المرجان ، وفي جبال حَمَّة بجّانة معادن

---

١ ـ انظر تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٦٣ ، ١٦٥ .
٢ ـ مشاهدات لسان الدين ص ٨٣ .
٣ ـ فضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨ ، ونفح الطيب (ج ١ ص ٢٢٠) .
٤ ـ نصوص عن الأندلس ص ٨٥ .
٥ ـ الفن الإسلامي في إسبانيا ص ٣١٩ ، ٣٢٤ .
٦ ـ انظر الروض المعطار ص ٥٣٨ ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣) .
٧ ـ المغرب (ج ٢ ص ٢٢٨) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠) .
٨ ـ المعجب ص ٢٤٢ .
٩ ـ نفح الطيب (ج ١ ص ١٤٢ ـ ١٤٣) .

الفِضّة[1] . كذلك أشار آبن غالب إلى وجود الياقوت الأحمر في ناحية مدينة بجّانة[2] .

وعن صناعة **الزجاج** ، فقد ذكر المقّري أنه كان يصنع بالمريّة زجاج غريب عجيب لا يُوصَف[1] . ولعلَّ المقّري أراد أن يشير إلى إعجاب الناس بهذا النوع من الزجاج لدقّة صنعه وجمال ألوانه ، بحيث لم يكن له مثيل في المشرق .

كما أتقن أهل المريّة صناعة **السفن** ، ولتوافر المواد الخام اللازمة لذلك كان بمدينتهم دارٌ مخصّصةٌ لهذه الصناعة سُمِّيت دار الصنعة أو دار الصناعة[4] .

أما صناعة **الخزف** ، فقد كانت مزدهرة في المريّة ، وقد أشار المقّري إلى ذلك بقوله : كان يصنع بالمريّة فخّار مزجج مذهب[5] .

وعن صناعة **الزيوت** ، فقد ذكر آبن الخطيب أنه قامت في وادي طَبَرْنَش من أعمال المريّة صناعة آستخراج الزيت من الزيتون[6] .

وفي مجال **التجارة** شهدت المريّة في عهد المعتصم نشاطاً تجاريّاً على المستويين الداخلي والخارجي ؛ لأنَّ خيراتها كانت متوافرة ، حيث آشتهرت **بالغلّات** ، والكروم ، والأسواق ، والخانات[7] . وكانت تصدِّر عبر مينائها الشهير الكثيرَ من محاصيلها الزراعية ومُنْتجاتها الصناعيّة ، وكانت بالمقابل ،

---

١ ـ جغرافية الأندلس وأوروبا ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

٢ ـ قطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

٣ ـ نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣ ، ٢٠٢) . وانظر أيضاً الفنون الزخرفيّة الإسلاميّة ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

٤ ـ راجع أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٢) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٣) .

٥ ـ نفح الطيب (ج ١ ص ٢٠٢) . وآنظر أيضاً الفنون الزخرفيّة الإسلاميّة ص ١١٦ .

٦ ـ مشاهدات لسان الدين ص ٨٤ .

٧ ـ انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٦٣) ، والروض المعطار ص ٥٣٨ ، وصورة الأرض ص ١١١ .

تستورد جميع البضائع التي كانت تحتاجها ولا سيما من الإسكندرية والشام[1] .

وهكذا كانت المريّة سوقاً نافقة لمنسوجاتها التي كانت تحاك من الحرير والكتّان والصوف[2] . ذكر المقّري أنَّ أهل المريّة كانوا يُصدِّرون الفائض من حَصَى مدينتهم إلى خارج البلاد[3] . وتحدَّث الأستاذ ليفي بروفنسال عن نشاط مدينة المريّة التجاري ، فقال : أمَّا من جهة العلاقات آلاقتصاديّة في القرن الحادي عشر الميلادي ، أي القرن الخامس الهجري ، فإنها أخذت ترتقي آرتقاء مدهشاً ؛ ذلك أنَّ أساطيل الموانىء الأندلسيّة التجاريّة في إشبيلية ومالقة ودانية وبلنسية والمريّة خاصة كانت في جميع طرق البحر المتوسط تنقل المنتجات القادمة من مختلف أنحاء إسبانيا أو من المعامل الصناعيّة في المدن الإسلاميّة الأندلسيّة ، وكانت تلك العلاقات دائمةً على وجه الخصوص مع مصر التي أخذ تأثيرها على إسبانيا يزداد منذ القرن المذكور[4] .

ولقد بلغت المريّة **أوجها الأدبي** في عهد المعتصم ، وذلك من خلال المجالس الأدبيّة التي كان يعقدها ويرعاها بقصره ، حيث لم تكن أيّامه ، كما يقول آبن خاقان ، تخلو من مناظرة ، ولا عُمِرَتْ إلاَّ بمذاكرة أو محاضرة[5] . والذي حفزه على إقامة مثل هذه المجالس مَلَكَتُه الأدبيّة المرهفة وشاعريّته الفذّة التي تتجلّى صورتُها في أشعاره الحسنة التي آحتفظت بها مُتُوْنُ الكتب وردَّدَتْها ، كقوله وقد كتب إلى ذي الوزارتين أبي بكر محمد بن عمّار الشِّلْبي يعاتبه ، وقد بلغه عنه ما أوجب ذلك من سوء آلاغتياب (الطويل) :

---

١ ـ راجع معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩) ، ومشاهدات لسان الدين ص ٨٣ ، والروض المعطار ص ٥٣٨ ، وفضائل الأندلس وأهلها ص ٥٨ ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٢٠) .

٢ ـ انظر مشاهدات لسان الدين ص ٨٣ ، وتاريخ العرب ص ٦٠٧ .

٣ ـ نفح الطيب (ج ١ ص ٢٠١) .

٤ ـ حضارة العرب في الأندلس ص ٥٣ ـ ٥٤ .

٥ ـ قلائد العقيان ص ٤٧ . وانظر أيضاً المغرب (ج ٢ ص ١٩٦ ـ ١٩٧) .

وزَهَّدَني في الناسِ مَعْرِفَتي بِهِمْ   وطُوْلُ آختبارِي صاحِباً بعد صاحِبِ
فلم تُرِنِي الأيّامُ خِلاًّ تَسُرُّني   مَبادِيْهِ إلاَّ سَاءَني في العَواقِبِ
ولا قُلْتُ أرْجُوْهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ   مِنَ الدَّهْرِ إلاَّ كان إحدى المَصَائِبِ[1]

فأجابه آبن عمار على نفس الوزن والقافية :

فَدَيْتُكَ لا تَزْهَدْ فَثَمَّ بَقِيَّةٌ   سترغبُ فيها عند وَقْعِ التَّجَارُبِ[2]

ومن شعر المعتصم في الغزل قوله (المنسرح) :

يا مَنْ بجسمِي لِبُعْدِهِ سَقَمُ   ما منه غَيْرُ الدُّنُوِّ يَبْرِيْني
بين جُفُوْني والنَّوْمِ مُعْتَرَكٌ   تَصْغُرُ عنه حروبُ صِفِّيْنِ
إنْ كان صَرْفُ الزمانِ أبْعَدَني   عنك فَطَيْفُ الخيالِ يُدْنيني[3]

ولقد أورد آبن خاقان والأزدي نَصَّيْنِ يدلّان على شاعرية المعتصم ومقدرته على آرتجال الشعر وقوله على البديهة[4] .

وهكذا كان المعتصم من أهل الأدب ، يرتاح للشعر كثيراً ، فهتفتْ بآسمه المُدّاح ، وصار مَرْمَى جِمَارِ مدائحهم . وقد أقرَّ بشاعريّته وملكته الأدبيّة غير واحد من نقّاد الأدب أمثال آبن خاقان ، وآبن بسّام ، وآبن الأبار ، وآبن عِذاري ، وآبن سعيد ، وآبن الأثير[5] .

---

١ ـ انظر الذخيرة (ق ٢ م ١ ص ٤٠٣) ، والمطرب ص ١٧٣ ، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٧) ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٤ ـ ٨٥) وفيه : « النوائب » بدل « المصائب » .
٢ ـ الذخيرة (ق ٢ م ١ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤) والمطرب ص ١٧٣ .
٣ ـ وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠ ـ ٤١) .
٤ ـ انظر النَّصَّيْن في قلائد العقيان ص ٤٩ وبدائع البدائه ص ٣٧٤ .
٥ ـ راجع قلائد العقيان ص ٤٧ ، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٢ ـ ٧٣٣) ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٣) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٦) والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩٢) .

وإذا كان المعتصم شاعراً مجيداً ، فإنَّ بنيه كانوا كذلك شعراء مطبوعين ، افتخر بهم أهل الأدب ، ونخصُّ بالذكر منهم رفيعَ الدولة أبا زكريّا يحيى بن المعتصم ، ويكنى أيضاً أبا يحي وهي كنية والده ، وعزَّ الدولة أبا مروان عبيد الله بن المعتصم ، وأبا جعفر أحمد بن المعتصم ، وأمَّ الكرم بنت المعتصم[1] .

وقصد المعتصمَ شعراءُ كُثُر ، وعلى رأسهم آبن الحداد[2] الذي لازم بلاطه وآستفرغ فيه معظم مدائحه . وأبو الفضل[3] جعفر بن أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي البَرْجي نسبةً إلى بَرْجَة من ناحية المريّة . وكان من جُلّة الأدباء وكبار الشعراء ، وآشتهر بمدح المعتصم ، وقصر أمداحه عليه . وأحسن ما قاله فيه هذا البيت الذي يعبِّر فيه عن مقدرة فائقة في النظم ، حيث يربط المديح بالغزل (البسيط) :

لم يَبْقَ للجَوْرِ في أيامِكُمْ أَثَرٌ   إلاَّ الذي في عيون الغِيْدِ من حَوَرِ[4]

وعلّق آبن سعيد على هذا الشعر بقوله : لمَّا سمع الحجاري هذا البيت أطنب في الثناء على قائله وعظَّمه في الشعر[5] .

---

١ ـ راجع الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٧) ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٩٢) ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠) ، والمغرب (ج ٢ ص ٢٠٠) والمطرب ص ٣٧ .

٢ ـ تقدم الحديث عنه في المقدمة ص ٧ ـ ٤٥ .

٣ ـ انظر ترجمته في الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٨٦٧ ـ ٨٨٦) ، وبغية الملتمس ص ٢٥٦ ، وقلائد العقيان ص ٢٥١ ـ ٢٥٨ ، والصلة (ج ١ ص ١٢٩ ـ ١٣٠) ، والمطرب ص ٦٦ ـ ٦٧ ، ٧١ ، والمغرب (ج ٢ ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢) ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦) ، والأعلام (ج ٢ ص ١٢٨) ، و Poemas arabigoandaluces, P. 35 و Historia de la literatura arabigoespanola, P. 23

٤ ـ المغرب (ج ٢ ص ٢٣٢) .

٥ ـ المصدر نفسه والصفحة نفسها .

وأبو عبد الله محمد آبن عبادة الوشّاح المالقي ، المعروف بآبن[1] القزّاز ، وهو من صدور الأدباء ، ومشاهير الشعراء الألِبّاء ، وأكثر ما آشتُهر آسمُه في أوزان الموشّحات التي كثر آستعمالها عند أهل الأندلس . اختصَّ بالمعتصم وكان شاعره، ومن شعره فيه قوله (المتقارب) :

نَفى الحُبُّ عَنْ مُقْلَتَيَّ آلكَرَى   كما قد نَفى عَنْ يَدَيَّ العَدَمْ
فقد قَرَّ حُبُّكَ في خاطري   كما قَرَّ في راحَتَيْكَ الكَرَمْ[2]

وأبو حفص عمر[3] بن الشَّهيد التجيبي ، شاعر المريّة في زمانه . وقد آقتصر على المعتصم فكان وزيره وكاتبه . ومن شعره فيه بيت أبدع فيه حين جعل مُحَيّاه أكثر جمالاً من الروض وقد آكتسى بنَوْره (الطويل) :

وأَحْسَنُ من رَوْضٍ تَحَلَّى بِنَوْرِهِ   مُحَيّا آبنِ مَعْنٍ في حُلِيِّ الفَضائلِ[4]

وأبو القاسم الأسعد[5] بن إبراهيم بن بِلِّيْطَةَ ، أحد فحول شعراء الأندلس

---

١ ـ انظر ترجمته في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٨٠١ ـ ٨٠٥) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٣٤) ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤١١ ، ٤٩٢) و (ج ٤ ص ١٣ ، ١٠٣) و (ج ٧ ص ٦) ، وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥) وفيه : أبو بكر المعروف بالقزاز ، وأخبار وتراجم أندلسية ص ٧٦ وفيه أنه عُبادة بن محمد بن عُبادة القزاز . وعبادة ، كما هو معلوم ، هو آبن أبي عبد الله محمد المترجم له . وتاريخ آبن خلدون (م ١ ص ١١٣٨) . وفيه : عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح .
٢ ـ نفح الطيب (ج ٤ ص ١٠٣) .
٣ ـ انظر ترجمته في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٧٠ ـ ٦٩١) ، وجذوة المقتبس ص ٣٠٢ ، وبغية الملتمس ص ٤٠٧ ، والمغرب (ج ٢ ص ٢٠٩) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤١٣) .
٤ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٨٧) .
٥ ـ انظر ترجمته في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٩٠ ـ ٨٠١) ، وجذوة المقتبس ص ١٧٦ ، وبغية الملتمس ص ٢٤٣ ، ومطمح الأنفس ص ٣٤١ ـ ٣٤٤ ، والمغرب (ج ٢ ص ١٧) ، والمطرب ص ١٢٦ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥١ ـ ٥٢) ، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٢ ـ ٤٥) و Poemas arabigoandaluces, P. 35

في زمانه . ومن مدائحه في المعتصم قوله من قصيدة طويلة (الطويل) :

كأنَّ أبا يَحْيى بنَ مَعْنٍ أَجادَها فَعَلَّمَها مِنْ كَفِّه الوَكْفَ والبَسْطَا
إذا سارَ سارَ المَجْدُ تَحْتَ لوائِه فليس يَحُطُّ المَجْدُ إلاَّ إذا حَطَّا[1]

وأبو محمد بن مالك[2] القرطبي ، الأديب البارع في الشعر والنثر . أقام بالمريّة مدّةً تحت ضَنْكِ معيشةٍ مع عدّة مدائحَ رفعها لأميرها المعتصم ، فلمّا كان يومُ عيدٍ أنشده شعراً قال فيه (الطويل) :

أَمُعْتَصِماً بالله ، يا خَيْرَ مَوْئلٍ وأَكْرَمَ مأمولٍ وأَفْضَلَ واهِبِ
مَضَى الفِطْرُ والأَضْحَى ولا نَيْلَ يُقْتَضَى فَلِمْ أَخْفَقَتْ وَحْدِي إليكَ مطالبي[3] ؟

وذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمّار[4] الشِّلْبي ، الشاعر المشهور ، وله يعتذر من وداعه للمعتصم (الطويل) :

أَمُعْتَصِماً بالله ، والحَرْبُ تَرْتَمي بأَبْطالِها والخَيْلُ بالخيلِ تَلْتَقي
دَعَتْني المَطَايَا للرحيلِ وإنّني لأَفْرَقُ مِنْ ذِكْرِ النَّوَى والتَّفَرُّقِ
وإنِّي إذا غَرَّبْتُ عنكَ فإنَّما جَبِيْنُكَ شَمْسِي والمريّةُ مَشْرِقي[5]

---

١ ـ وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٣) .
٢ ـ انظر ترجمته في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٩) ، وقلائد العقيان ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ، ونفح الطيب (ج ١ ص ٦٧٤ ـ ٦٧٥) ، وتاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ص ٣١١ .
٣ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٤٠) .
٤ ـ انظر أخباره في بغية الملتمس ص ١١٣ ، وقلائد العقيان ص ٨٣ ـ ٩٨ ، والمغرب (ج ١ ص ٣٨٩ ـ ٣٩١) ، ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٢٥) ، والمطرب ص ١٦٩ ، والمعجب ص ٦٨ ـ ٨٠ ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٥٩ ـ ١٦١) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ٦٥٢ ـ ٦٥٦) ، والأعلام (ج ٦ ص ٣١٠ ـ ٣١١) ، و Poemas arabigoandaluces, P. 35 وللدكتور صلاح خالص مؤلَّف عنه جمع فيه شعره وهو بعنوان « محمد بن عمار الأندلسي » (بغداد ، ١٩٥٧) .
٥ ـ قلائد العقيان ص ٤٧ ، والمطرب ص ١٧٣ .

وأبو جعفر أحمد بن[1] الجزّار البَطَرْني نسبةً إلى بَطَرْنَة من قرى بلنسية ، وقد آقتصر على مدائح المعتصم . ومن شعره فيه (الطويل) :

وما زِلْتُ أَجْنِي منكَ ، والدَّهْرُ مُمْحِلٌ ولا ثَمرٌ يُجْنَى ولا زَرْعَ يُحْصَدُ
ثِمَارَ أَيادٍ دانياتٍ قُطُوفُها لأَغْصَانِها ظِلٌّ عليَّ مُمَدَّدُ
يُرَى جارياً ماءُ المَكَارِمِ تَحْتَهُ وأطيارُ شُكْرِي فَوْقَهُنَّ تُغَرِّدُ[2]

وذو الوزارتين الوشّاح أبو الحسن[3] جعفر بن إبراهيم بن أحمد آبن الحسن بن سعيد بن أحمد بن حسنٍ بن الحاج اللورقي، وكان مقدَّماً في النظم والنثر ، وقصد المعتصم فأكرمه وجلّه . وقد أورد له المقّري مخمّسة رَثَى فيها المعتصم ، ومنها (الرجز) :

تَنْتَحِبُ الدُّنْيا على آبن مَعْنِ كأنَّها ثَكْلَى أُصِيبَتْ بآبنِ
أَكْرَمِ مأمولٍ ولا أَسْتَثْنِي أُثْنِي بِنُعْمَاهُ ولا أُثَنِّي
والروضُ لا يُنْكِرُ معروفَ المَطَرْ

عَهْدِي به والمُلْكُ في ذِمَارِهِ والنَّصْرُ فيما شاءَ من أَنْصارِهِ
يَطْلُعُ بَدْرُ التِّمِّ مِنْ أَزْرارِهِ وتَكْمُنُ العِفَّةُ في إِزَارِهِ
ويَحْضُرُ السُّؤْدُدُ أَيَانَ حَضَرْ[4]

---

١ ـ انظر ترجمته في المغرب (ج ٢ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ، ٤٠٦ ـ ٤٠٧) ، والذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٧٠٤) ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤١٣) ، وورد آسمه في المصدرين الأخيرين : ابن الخراز .

٢ ـ المغرب (ج ٢ ص ٣٥٦) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤١٣) .

٣ ـ انظر ترجمته في بغية الملتمس ص ٢٥٧ ـ ٢٥٩ ، والمغرب (ج ٢ ص ٢٧٧ ـ ٢٨١) ، والمطرب ص ١٧٥ ـ ١٧٧) ، وقلائد العقيان ص ١٣٩ ـ ١٤٣ ، ونفح الطيب (ج ٢ ص ١٠٨) و (ج ٣ ص ٢٥٩) و (ج ٤ ص ٢٢٦) .

٤ ـ نفح الطيب (ج ٤ ص ١٠٥) .

والوزير أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني، المعروف بآبن اللبّانة[1] ، نسبةً إلى أمِّه لاشتغالها ببيع اللبن . كان أديباً شاعراً ، مديد الباع ، من كبراء دولة المعتصم . ومن شعره فيه (الطويل) :

أَلَا يا آبنَ مَعْنٍ ، ما لِمَجْدِكَ غايةٌ ولا لمكانٍ أنتَ فيه مَرَامُ
قد آتَّفَقَتْ فيكَ المَذاهِبُ كلُّها فلم يَبْقَ في شَرْعِ الكرامِ خِصامُ[2]

والفقيه الكاتب البليغ والأديب الشاعر أبو إسحاق[3] إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة ، أَوْحَدُ الناس في وصف الطبيعة . تعرّض لاستماحة أمراء المرابطين ومَدَحهم بغير قصيد ، ولكنَّه لم يمدح من ملوك الطوائف إلَّا المعتصم ، ورغم ذلك لم يَخُصَّه إلَّا بقصيدة واحدة قالها في أحد مجالس المعتصم ، وفيه أحضر هذا الملكُ صورةً حسنةً قد رُكِّبَتْ من رَيْحانٍ في هيئة جارية ، ثم طُيِّبَتْ وقُلِّدَتْ ، وأَمَرَ مَنْ حَضَرَ من الشعراء بوصفها ، فقال آبن خفاجة في ذلك (الطويل) :

أَمَا وآعتزازِ الضَّيْفِ والسَّيْفِ والنَّدَى بِخَيْرِ مليكٍ هَشَّ في صَدْرِ مَجْلِسِ

---

١ ـ انظر ترجمته في الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٦٦٦ ـ ٧٠٢) ، وبغية الملتمس ص ١٠٩ ـ ١١٠ ، وقلائد العقيان ص ٢٤٤ ـ ٢٥١ ، والمغرب (ج ٢ ص ٤٠٩ ـ ٤١٦)، والتكملة (ج ١ ص ٤١٠ ـ ٤١١) ، والمعجب ص ٩٣ ، والمطرب ص ١٧٨ ـ ١٧٩ ، والوافي بالوفيات (ج ٤ ص ٢٩٧) ، وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٢٧ ـ ٣١) ، وجيش التوشيح ص ٥٩ ـ ٧٢ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٢٢) وصفحات أخرى متفرقة ، والأعلام (ج ٦ ص ٣٢٢) .

٢ ـ الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٦٩٩) .

٣ ـ انظر ترجمته في قلائد العقيان ص ٢٣٠ ـ ٢٤١ ، ومطمح الأنفس ص ٣٤٨ ، والذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٥٤١ ـ ٦٥٢) والمغرب (ج ٢ ص ٣٦٧ ـ ٣٧١) ، والمطرب ص ١١١ ـ ١١٨ ، ووفيات الأعيان (ج ١ ص ٥٦ ـ ٥٧) ، وبغية الملتمس ص ٢١٦ ـ ٢١٧ ، ونفح الطيب (ج ١ ص ٦٧٧ ـ ٦٨١) و (ج ٣ ص ٤٨٨) وصفحات أخرى متفرقة ، والروض المعطار ص ٩٧ ـ ٩٨ ، ٣٤٩ ، والأعلام (ج ١ ص ٥٧) ومقدمة ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور مصطفى غازي ، وطبعة دار بيروت .

بَـدَا بَيْنَ كفٍّ للسَّمَـاحِ مُغِيْمَـةٍ تَصُوْبُ ، وَوَجْهٍ للطَّلاَقَةِ مُشْمِسِ
لقَـد زَفَّ بِنْتـاً للخـميـلةِ طِفْـلَةً يَهُزُّ إليها الدَّسْتُ[1] أَعْطَافَ مُعْرِسِ
تَنُوْبُ عن الحَسْنَاءِ والـدارُ غُرْبَـةٌ فَمَا شِئْتَ مِنْ لَهْوٍ بها وَتَأَنُّسِ[2]

وأبو القاسم خلف آبن فرج الإلبيري ، المعروف بالسُّمَيْسر[3] ، الشاعر المعروف بهجائه المقذع ، وكان من شعراء إلبيرة (غرناطة) ، ثم غادرها ولجأ إلى بَلاَط المعتصم بالمريّة . له تصرُّف مستحسن في مقطوعات الأبيات ، وخاصة إذا هَجَا وقدح .

والوزير الكاتب أبو الأصبغ[4] عبد العزيز بن محمد بن أرقم النُّميري الوادي آشي ، وقد صار إلى المعتصم وكان من وجوه رجاله ، كثير الوفاء له .

وذو الوزارتين الأديب أبو الوليد آبن الحضرمي البَطَلْيَوْسي ، المشهور بالنحلي ، وكان باقعة دهره ونادرة عصره[5] . وقد أورد له المقري شعراً قاله في المعتصم مع حكاية طريفة[6] .

---

١ ـ الدَّسْت هنا بمعنى المجلس ، وهي في الأصل فارسية أخذتها العرب وتصرَّفت بها ، والجمع دُسُوْت .

٢ ـ ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور غازي ، ص ١٥٥ . كذلك وردت الأبيات في ديوان ابن خفاجة طبعة دار بيروت ص ١٤٨ ، باختلاف يسير عما هنا ، ودون أن تشير هذه الطبعة إلى المناسبة التي قيلت فيها الأبيات ، ولا فيمن قيلت .

٣ ـ انظر ترجمته في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٨٨٢) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٠٠) ، والمطرب ص ٩٣ ، وأخبار وتراجم أندلسية ص ٢٨ ، ٨٣ ، والخريدة (ج ٢ ص ١٦٧) طبعة الدار التونسية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٥ ، ونفح الطيب في صفحات متفرقة ، والأعلام (ج ٢ ص ٣١١) و Poemas arabigoandaluces, P. 35 و Historia de la literatura arabigoespanola, P. 23 .

٤ ـ انظر ترجمته في الذخيرة (ق ٣ م ١ ص ٣٦٠) ، وقلائد العقيان ص ٨ ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤٩٨) ، والتكملة رقم ١٧٣٥ ، والأعلام (ج ٤ ص ٢٥) .

٥ ـ انظر الذخيرة (ق ٢ م ٢ ص ٨٠٩) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٣٤ ، ٣٣١) .

٦ ـ انظر هذا الشعر وتلك الحكاية في نفح الطيب (ج ٤ ص ٩) .

كذلك كانت **الحركة اللغويّة والنَّحْوية** في عهد المعتصم تواكب النشاط الأدبي ، فلزم هذا الملكَ جماعةٌ من النَّحْويين واللغويين ، وعلى رأسهم أبو عبيد[1] عبد الله بن أبي مُصْعب عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البَكْري ، نسبةً إلى بَكْر بن وائل . وقد آصطفاه المعتصم لصحبته ، وآثر مجالسته والأنس به ، ورفع مرتبته ، وهذا ما حمل بعض المؤرخين على نعته بالوزير . وكان إماماً لغويّاً ، امتاز على أهل عصره بثقافته اللغويّة العالية حتى عُدَّ من مفخرة الأندلس وآخر علمائها في عصره . من مُصَنَّفاته « معجم ما آستعجم من أسماء البلاد والمواضع » (مطبوع) ، و « اللآلي في شرح أمالي القالي » (مطبوع) ، و « التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماليه » (مطبوع) ، و « فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لابن سلام » (مطبوع) ، و« شرح أمثال أبي عبيد » و « اشتقاق الأسماء » .

وأبو الحسين سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي أو السبئي ، المعروف بآبن الطَّرَاوَة[2] ، وهو من أهل مالقة ، التحق ببلاط المعتصم وكان له أمداح في خدمته . عُدَّ نَحْوِيَّ المريّة حيث لم يكن بها في صناعة النحو مثله ، ولا

---

١ ـ انظر ترجمته في الذخيرة (ق ٢ م ١ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٨) ، والمغرب (ج ١ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨) ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ١٨٠ ـ ١٨٧) ، وقلائد العقيان ص ١٨٩ ـ ١٩١ ، وبغية الوعاة ص ٢٨٥ ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٠) ، وبغية الملتمس ص ٣٤٦ ، والأعلام (ج ٤ ص ٩٨) ، والحركة اللغوية في الأندلس ص ٢٦٢ ، ٣٢٦ ـ ٣٣٧ ، ومقدمة معجم ما آستعجم ففيها دراسة قيّمة عنه .

٢ ـ انظر ترجمته في الذيل والتكملة (السفر الرابع ص ٧٩ ـ ٨١) ، وبغية الملتمس ص ٣٠٤ ، وبغية الوعاة ص ٢٦٣ ، والمقتضب من كتاب تحفة القادم ص ٦٤ ، وأخبار وتراجم أندلسية ص ١٧ ، والمغرب (ج ٢ ص ٢٠٨) وفيه ينفرد آبن سعيد بجعل كنية آبن الطراوة أبا الحسن ، ونفح الطيب (ج ٢ ص ١٤٢) و (ج ٣ ص ٣٨٤) و (ج ٤ ص ٣٣٢) والأعلام (ج ٣ ص ١٣٢) .

أحفظ منه لكتاب سيبويه . من مُصَنَّفاته كتاب « الترشيح » في النحو ، و« مقالة في آلاسم والمسمَّى » .

وأبو بكر محمد بن[1] أغلب بن أبي الدَّوْس ، وهو من أهل مرسية ، وكان عالماً بالعربية والآداب . أقام مدة في خدمة المعتصم ، ومن شعره فيه قوله (الطويل) :

إليكَ أبا يَحْيَى ، مَدَدْتُ يَدَ المُنَى ... وقِدْماً غَدَتْ عن جُوْدِ غَيْرِكَ تُقْبَضُ

وكانتْ كَنُوْرِ العَيْنِ يَلْمَعُ بالـدُّجَى ... فلمَّـا دَعاهُ الصُّبْحُ لَبَّاهُ يَنْهَضُ[2]

وأبو الطاهر[3] يوسف بن محمد الأُشْكُرْكِيّ ، نسبة إلى قرية أُشْكُرْكَه ، وكان إماماً في علم اللغة ، وأكثر أمداحه في المعتصم ، ومن شعره في آبنه رفيع الدولة بن المعتصم قوله (الطويل) :

إليكَ ، رفيعَ المُلْكِ ، تُهْدَى المَحَامِدُ ... وبآسمِكَ تَبْهَى في الزَّمَانِ المَشَاهِدُ

سَلَكْتَ سبيـلاً في المَكَـارِمِ أَوَّلاً ... لكَ آلفَضْلُ هادٍ تَقْتَفِيْهِ وراشِـدُ[4]

وأبو عبد الله محمد بن معمر ، المعروف بآبن أخت[5] غانم ، نسبةً إلى خاله الإمام العالم غانم المخزومي ؛ لشهرة ذِكْرِهِ وعُلُوِّ قَدْرِه . كان من أعيان مالقة ومن علمائها المشهورين ، والغالب عليه علم اللغة الذي فيه أكثر تآليفه . رحل من مالقة إلى المريّة فحلَّ عند مليكها المعتصم بالمكانة العَلِيَّة .

---

١ ـ انظر ترجمته في مطمح الأنفس ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ ، والتكملة (ج ١ ص ٤١٢ ـ ٤١٣) ، والمغرب (ج ٢ ص ٧٢) ، وبغية الوعاة ص ٤١ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣٠ ـ ٣١) .

٢ ـ مطمح الأنفس ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ ، ونفح الطيب ((ج ٤ ص ٣٠) .

٣ ـ انظر ترجمته في المغرب (ج ٢ ص ٤٤٧) . وفي الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٩٠٩ ـ ٩١٢) ورد آسمه : محمد بن يوسف الأشكوري .

٤ ـ الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٩١٠) والمغرب (ج ٢ ص ٤٤٨) .

٥ ـ انظر ترجمته في المغرب (ج ١ ص ٤٣٣)، وبغية الوعاة ص ١٠٦ ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٧) ، والأعلام (ج ٧ ص ١٠٦) والحركة اللغوية في الأندلس ص ٢٦٢ .

وفي ميدان العلوم بلغ علماء المريّة غايتهم ؛ ففي **علم الفقه** ظهر أبو عبد الله محمد بن خلف بن سعيد بن وهب ، المعروف بآبن المرابط ، وهو من المرية ، وكان قاضيها ومفتيها وعالمها . ألَّف كتاباً كبيراً في شرح البخاري ، وتوفي بالمرية سنة خمس وثمانين وأربعمائة[1] . وأبو عمر أحمد بن محمد بن أسود الغسّاني ، وهو من أهل المريّة ، وكان معتنياً بالعلم ، وكانت وفاته في سنة تسع وستين وأربعمائة[2] . وأبو عبد الله محمد بن يَبْقَى اللخمّي ، وهو من أهل المريّة ، وكان عالماً واقفاً على علم الأثر ، وكانت وفاته في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة[3] . وأبو الفضل جعفر آبن شرف ، وكان فقيهاً مشهوراً[4] .

وفي **علم الحديث** برز القاضي الشهير أبو علي حسين بن محمد بن فِيْرُّه بن حَيُّون الصدفي ، المعروف بآبن سُكَّرَه . وهو من أهل سرقسطة ، إلاَّ أنّه آستوطن المريّة وسمع بها من أبي عبد الله بن سعدون القروي ، وأبي عبد الله آبن المرابط ، وغيرهما . وكان عالماً بالحديث وطرقه ، عارفاً بعلله وأسماء رجاله ونَقَلَته ، حافظاً لمصُنَفَّات الحديث وذاكراً لمُتُوْنها وأسانيدها ورواتها[5] . وأبو عبد الله محمد بن حسين بن أحمد بن محمد الأنصاري ، وهو من المريّة ، وله في هذا العلم تأليف حسن جَمَعَ فيه بين صحيحي البخاري ومسلم ، وأخذه الناس عنه[6] . وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن وضاح القيسي المرسي ، وكان فقيهاً فاضلاً ذا فرائد جَمَّة[7] . وأبو عبد الله بن سعدون القروي[8] .

---

١ ـ انظر معجم البلدان (ج ٥ ص ١١٩ ـ ١٢٠ ، مادة المرية) ، ونفح الطيب (ج ٢ ص ٩٠) والأعلام (ج ٦ ص ١١٥) .

٢ ـ الصلة (ج ١ ص ٦٧) .

٣ ـ الصلة (ج ٢ ص ٥٢٥) .

٤ ـ بغية الملتمس ص ٢٥٦ . وقد تقدّم ذكره ص ٨١، فآنظره .

٥ ـ انظر نفح الطيب (ج ٢ ص ٩٠ ـ ٩٢) ومعجم البلدان (ج ٤ ص ٣١٠ ، مادة قُتُنْدة) .

٦ ـ انظر معجم البلدان (ج ٥ ص ١٢٠ ، مادة المرية) .

٧ ـ انظر أخبار وتراجم اندلسية ص ١١٥ ـ ١١٦ ، ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢١٩) .

٨ ـ نفح الطيب (ج ٢ ص ٩٠) .

وفي عِلْمَي **التفسير والقراءات** نبغ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الجذامي ، وهو من أهل المريّة ، ويعرف بالبَرْجي نسبةً إلى بَرْجَة من عمل المريّة ، وقد أقرأ القرآن ، وأسمع الحديث وشُوْوِرَ في الأحكام[1] .

وفي علم **الجغرافيا** نبغ أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دِلْهاث الزُّغْبي العذري ، وهو من المريّة ، ويعرف بآبن الدَّلائي نسبةً إلى دَلاَيَة من أعمال المريّة . من مُصَنَّفاته في الجغرافيا كتاب « نظام المرجان في المسالك والممالك » ، وقد طبع منه جزء بعنوان « نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك » ، بتحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني . وفي هذا الكتاب يُقْدِمُ العذري على تفسير أسماء العديد من المدن الأندلسيّة باللغة اللاتينية[2] . وبرز أيضاً أبو عبيد البكري ، وهو أكبر جغرافيي الأندلس وأعظمهم على الإطلاق . وقد سار على سَنَن أستاذه العذري في تفسير أسماء المدن الأندلسيّة باللغة اللاتينيّة . وكان مفخرة أهل الأندلس على حدِّ قول المقري : « وأمّا علم الجغرافيا فيكفي في ذلك كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري الأونبي[3] ، وكتاب معجم ما استعجم من البقاع والأماكن[4] » . وقد طبع من الكتاب الأول جزء بآسم « المُغْرب في ذكر إفريقية والمغرب » . وطبع الكتاب الثاني بعنوان « معجم ما آستعجم من أسماء البلاد والمواضع » .

وفي علوم **الطب** لَمَعَ نَجْمُ أبي عبيد البكري ، فكان فاضلاً في معرفة الأدوية المفردة ، وقواها ، ومنافعها ، وأسمائها ، ونعوتها ، وما يتعلق بها . وله

---

١ ـ انظر المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، ومعجم البلدان (ج ١ ص ٣٧٤ ، مادة برجة) .

٢ ـ انظر جذوة المقتبس ص ١٣٦ ، وبغية الملتمس ص ١٩٥ ، ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٤٦٠ ، مادة دَلاَية) و (ج ٥ ص ١١٩ ، مادة المرية) ، والأعلام (ج ١ ص ١٨٥) .

٣ ـ نسبة إلى أونبة Huelva .

٤ ـ نفح الطيب (ج ٣ ص ١٨٤ ـ ١٨٥) ، وقد تقدم الحديث عن البكري ص ٨٧ .

من الكتب كتاب « أعيان النبات والشجريات الأندلسيّة[1] » .

وفي علم **العروض** سَطَعَ نَجْمُ ٱبن الحداد ، فصنَّفَ فيه كتباً لا نظير لها نبلاً وإفادة[2] .

وفي علم **الفلسفة** نَجَمَ ٱبن الحداد السابق الذكر ، وكان فيه متقدّماً[3] ، وأبو الفضل ٱبن شرف الذي عرف بالحكيم الفيلسوف[4] .

وفي علوم **العدد والهندسة والكلام** لم يُقْسم لأهل المريّة ولغيرهم من مدن الأندلس نفاذٌ ، فقلَّ فيها تصرّفهم[5] .

وعرفت المريّة في عهد المعتصم نهضة عمرانيّة تمثَّلتْ بمنشآت حربية ومدنيّة ودينية . ففي **الجانب الحربي** أجرى تعديلات وزيادات في القلعة القديمة المسمّاة القصبة ، ممّا زاد في تحصينها ومنعتها[6] .

وفي **الجانب المدني** شيَّد في القصبة المذكورة قصره الكبير المعروف بالصمادحية وكان يضمُّ قصوراً ومجالسَ داخليّةً على غرار القصر الخلافي بقرطبة ، وأقام في الجهة الجنوبيّة منه بستاناً عظيماً زرعه بمختلف أنواع

---

١ ـ انظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٥٠٠ .

٢ ـ تقدَّم الحديث عن هذه الكتب في مقدمة الديوان ص ٢٥ بعنوان « آثاره » .

٣ ـ الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠) . وآنظر مافاتنا في مقدمة الديوان ص ٢٣ .

٤ ـ نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٥) . وقد تقدم ذكره ص ٨١.

٥ ـ المصدر نفسه ص ١٧٦ .

٦ ـ انظر نصوص عن الأندلس ص ٨٤ . وعن هذه القصبة انظر أيضاً وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦ ، والروض المعطار ص ٥٣٨ ، وتقويم البلدان ص ١٧٧ ، ومشاهدات لسان الدين ص ٨٣ ، واللمحة البدرية ص ١٩ ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٢) ، والفن الإسلامي في إسبانيا ص ٣١٧ وما بعدها ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٥ ، ١٣٧ ـ ١٣٩ ، والآثار الأندلسية ص ١٩٢ ـ ١٩٤ .

الثمار[١] . وقدّم لنا ابن الحداد وصفاً رائعاً لهذا القصر ومَجْلِسَيْهِ[٢] فيقول من قصيدة مديح في المعتصم : « أنتِ الهَوَى . . تحصين[٣] » .

وفي **الجانب الديني** جَلَبَ المعتصمُ الساقية وبلغها إلى جامع[٤] المريّة بحيث كان الماء يصبُّ في حوض أُقيم غربيَّ الجامع . كما أجرى من هذه الساقية قناة تصل إلى ما وراء القصبة بحيث كان الماء يجري تحت الأرض حتى يبلغ إلى بئر أقيمت في جوفي القصبة . وصنع على هذه البئر سواني[٥] يصل ماؤها إلى الرياض التي تحفُّ قصره الكبير . وهكذا أقام المعتصم ناعورة ترفع الماء إلى أعلى القصبة ، ثم يجري الماءُ من هناك في ساقية إلى القصر ويتفرّع في جداول تخترق مستراحات القصر ومجالسه[٦] .

---

١ ـ انظر نصوص عن الأندلس ص ٨٤ ـ ٨٥ . وعن هذا القصر انظر أيضاً المغرب (ج ٢ ص ١٩٤) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ٦٦٦) و (ج ٣ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧) ، وقلائد العقيان ص ٤٩ ، والفن الإسلامي في إسبانيا ص ٣١٨ ـ ٣١٩ ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ، و Los palacios del taifa almeriense al - Mutasim, en Cuadernos de Alhambra, , vol. III, P. 15 - 20.

٢ ـ أغلب الظن أنهما مجلسا الحافة والبهو اللذان كان المعتصم يعمر فيهما أندية اللهو . راجع قلائد العقيان ص ٤٧ .

٣ ـ هي الأبيات ٢١ ـ ٥٢ من القصيدة النونية الواردة في الديوان رقم ٥٨ ، فانظرها .

٤ ـ عن هذا الجامع راجع نصوص عن الأندلس ص ٨٣ ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٦) ، والإحاطة (ج ١ ص ٥١٨) بتحقيق عنان ، والفن الإسلامي في إسبانيا ص ٣١٩ ، والآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ص ١٩٤ ـ ١٩٥ ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٤٦ ـ ١٥٠ ، ١٩٦ ، و La mezquita mayor de Almeria, en Al - Andalus, Vol. XVIII, P. 412 – 430 · Ampliacion Y tamano de varias mezquitas, en Al - Andalus, Vol. XXI, P. 345. El mihrab de la mezquita mayor de Almeria, en Al - Andalus, Vol. XXXVI, P. 391 - 460. Viaje por Espâma y Portugal, P. 30 - 31 .

٥ ـ السواني : ما يُسْقَى عليه الزرع والحيوان وغيرهما ، مفردها سانية . لسان العرب (سنا) .

٦ ـ انظر نصوص عن الأندلس ص ٨٥ ، والروض المعطار ص ٥٣٨ ، وتاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٤١ ، و La mezquita mayor de Almeria, P. 427

رابعاً ـ سيرة المعتصم بن صمادح ملك المريّة :

هو محمد بن أبي الأحوص مَعْن بن أبي يَحْيَى محمد بن صُمادح بن أحمد بن محمد آبن عبد الرحمن بن صمادح آبن يعرب بن قحطان[1] . ونَسَبَهُ الأصفهاني إلى بني الفِهْري[2] . وذكر آبن حزم أنَّ بني صمادح عُرفوا بتُجيب فنُسبوا إليها ، وهي تُجيب بنت ثَوْبان بن سُلَيْم بن رُهاء ، من مَذْحِج وهي أمُّ عَدِيٍّ وسَعْدٍ آبني أَشْرَسَ بن شبيب بن السَّكُوْن بن أَشْرَش بن كِنْدَة[3] .

ويُكْنَى محمد بن معن أبا يحيى[4] . وكانت ولادته في سنة تسع وعشرين وأربعمائة[5] . وأمُّه من بيت عِزٍّ وجاه ، وهي بُرَيْهة بنت الناصر عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر المعافري ، أخت أبي الحسن المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر المعافري ، صاحب بلنسية[6] . وهكذا يكون محمد بن معن من أصل عربي من جهة الأم والأب معا . وقد تزوّج إحدى بنات آبن مجاهد العامري ، وورد ذلك في فصل من رقعة كتبها الوزير الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبي عامر بن عبد البر النَّمَرِيّ عن

---

١ ـ نصوص عن الأندلس ص ٨٤ ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٧٨) . وفي أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٩) : « كان جَدُّهُم محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح . . » . وفي التكملة (ج ١ ص ٤٠١) : « محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صمادح التجيبي » . وفي وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٥) : صُمادح ، بضم الصاد المهملة وفتح الميم ودال مكسورة ، وتعني في اللغة : الشديد .

٢ ـ الخريدة (ج ٢ ص ٢٧١) طبعة الدار التونسية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٧٧ .

٣ ـ جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٩ . وعن تجيب انظر أيضاً المطرب ص ٣٤ ، ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٣١) .

٤ ـ انظر نصوص عن الأندلس ص ٨٤ ، والتكملة (ج ١ ص ٤٠١) ، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٣٩) ، والمطرب ص ١٢١ ، ١٢٦ .

٥ ـ البيان المغرب (ج ٣ ص ١٩٢) .

٦ ـ الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١) .

آبن مجاهد وقد زفَّ آبنته إلى محمد بن معن آبن صمادح[1] .

وكان جَدُّه أبو يحيى محمد بن صمادح والياً على مدينة وِشْقة Huesca وأعمالها في أيام الخليفة المؤيّد هشام بن الحكم الأموي[2] . ثم كان له اتصال بالخليفة سليمان المستعين فثنّى له الوزارة وأمضاه على عمله[3] . وكان أول أمره مجاملاً لابن عمه منذر بن يحيى التجيبي ، الذي كان أول مَنِ آستقلَّ بسرقسطة والثغر الأعلى بعد آنحلال عِقْد الجماعة بالأندلس ، ثم حاربه منذرٌ طمعاً في ملك وشْقة ، فعجز أبو يحيى عن منذر لكثرة رجاله ، وترك له المدينة ، وفرَّ بنفسه ، فلم يَبْقَ له بالثغر متعلّق ، وكان أول ساقط من الثوار[4] . وآنتقل عندئذ إلى بلنسية ، وكان صاحبَها آنذاك هو أبو الحسن المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر المعافري ، فأكرمه وأوطنه بلده ، وصاهَرَ آبنَيْهِ مَعْناً أبا الأحوص وصُمادِحاً أبا عُتْبة ،أي زَوَّجهما أختيه[5] ، ثم رأى اللحاق بالمشرق فهلك غرقاً في البحر[6] . وقد أجمل آبن بسام خِصال أبي يحيى بقوله : « وكان أبو يحيى هذا رجلَ الثغر رأياً ومعرفة ،

---

١ - الذخيرة (ق ٣ م ١ ص ١٢٧) والمغرب (ج ٢ ص ٤٠٢) .

٢ - الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٩ - ٧٣٠) ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١) ، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٣٩) ، والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٩) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٣) وفيه أسماه آبن عذاري : يحيى بن أحمد بن صمادح . والتكملة (ج ١ ص ٣٨٢) وفيه أسماه آبن الأبار : محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح التجيبي .

٣ - الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٠) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٩) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٣) .

٤ - الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٠) ، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٣) ، والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٨٩) .

٥ - أي إنَّ وَلَدَي أبي يحيى تزوَّجا أختي المنصور .

٦ - الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١) .

ودَهْياً ولساناً وعارضة، ولم يكن في أصحاب السيوف مَنْ يَعْدِلُهُ في خِلالِهِ هذه ؛ مِنْ رجلٍ محرومٍ يقارنه الشؤم ، ويقعد به النَّكَد واللؤم[١] . . » وقال فيه الصفدي : « وكان داهيةً لم يَعْدِلْهُ أحدٌ من أصحاب السيوف في الدهاء[٢] » .

أما والده أبو الأحوص معن ، فقد بقي في كنف عبد العزيز ببلنسية وزيراً له . وعندما وثب عبد العزيز على المريّة ومَلَكَها سنة تسع[٣] وعشرين وأربعمائة ، ملبيّاً دعوة أهلها إثْرَ موت صاحبها زهير العامري ، حَسَدَه أبو الجيش مجاهد العامري صاحب دانية Denia وخرج غازياً بلاده ، فتأهَّب عندئذ عبد العزيز وخرج إليه من المريّة ، وآستخلف فيها مَعْناً ، فغدر به معن وخان أمانته ، ودعا لنفسه ملكاً على المريّة ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، فدانت له لورقة وبياسة وجيان وغيرها[٤] .

وكان معن من كبراء العرب ، حارب من جاوره من سائر ملوك الطوائف إلى أن هلك في شهر رمضان من سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة[٥] . وبموته ينتقل الحكم إلى ولده أبي يحيى محمد بن معن في السنة المذكورة[٦] .

وكان أبوه قد أخذ له البيعة في حياته بعد أن عرضها على أخيه[٧] أبي عتبة

---

١ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣٠) . وورد هذا النص في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٣) بآختلاف يسير عمّا هنا .

٢ ـ الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥) .

٣ ـ في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٦٣) : منسلخ ذي القعدة سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

٤ ـ راجع الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٦٣ ، ٧٣٠ ـ ٧٣١) ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٩١ ـ ١٩٢ ، ٢٩٣) ، ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٠) ، والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥) ، والمغرب (ج ٢ ص ١٩٥) ، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠ ، ٢١٧) والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩١) .

٥ ـ البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧) والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩١) .

٦ ـ في نصوص عن الأندلس ص ٨٤ : ولي المعتصم بالله سنة ست وأربعين وأربعمائة .

٧ ـ أي أخو محمد بن معن .

صمادح بن أبي يحيى محمد بن صمادح فأبى قَبُوْلَها[1] . وأجلسه بنو عمِّه مكان أبيه وهو آبن أربع[2] عشرة سنة ، فتمَّتْ له الإمارة ، وسمَّى نفسه معزّ الدولة[3] . ولمَّا تلقَّبتْ ملوك الطوائف بالألقاب السلطانيّة تلقَّب هو بآسمين من ألقابها ، فسمَّى نفسه « المعتصم بالله » ، و « الواثق بفضل الله » ـ وهما لقبان من ألقاب خلفاء بني العباس ـ مناغاةً لصاحب إشبيلية عباد بن محمد لما تلقّب بالمعتضد بالله[4] . وقيل : لُقِّب بالرشيد[5] . وقيل : لقِّب ، وهو في الصِّبا ، بسراج الدولة . وقد أشار آبن الحداد إلى هذا اللقب في قوله : « واصِلْ أخَاكَ . . يُدَخِّنُ[6] » .

وذهب المؤرخون إلى أنَّ المعتصم أقام بمدينة المريّة وأعمالها مدة طويلة قطعها في حروبه ولذّاته ، وأنَّ المعتمد بن عباد ، ملك إشبيلية ، كان أكثر ملوك الطوائف عَدَاءً للمعتصم ، حيث آشتدَّت العداوة بينهما إثْرَ إقدام المعتمد على غزو المريّة[7] . وبالمناسبة نذكر الأبيات التي قالها وزير المعتصم وشاعره أبو حفص عمر بن الشَّهيد التجيبي ، وهي تشير إلى أنَّ المعتصم كان يدمن على الشراب ثم أعرض عنه زمناً ، وهي قوله (المتقارب) :

عَسَى دَهْرُنا أنْ يَكُفَّ الخُطُوْبَا ... ويَجْعَلَ منكَ لِكَأْسٍ نَصِيْبَا
وَشَتْ حَادِثَاتُ اللَيَالي بهَا ... فَأَعْرَضْتَ عنها وكانتْ حبيبا[8]

وقوله (الكامل) :

---

١ ـ الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧) .
٢ ـ في الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١) : أجلسه بنو عمه وهو لم يستكمل ثماني عشرة سنة .
٣ ـ المغرب (ج ٢ ص ١٩٦) ، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢) ، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٧ ـ ١٦٨) .
٤ ـ الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨١) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨) .
٥ ـ أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩٠) ، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٣١) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٤) .
٦ ـ هما بيتان وردا في الديوان رقم ٥٤ ، فآنظرهما وآنظر تعليق المقّري عليهما .
٧ ـ تقدم الحديث عن ذلك بالتفصيل ص ٥٨ .
٨ ـ الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٨٧) .

هَجَرَ المُدَامَ وكـان يَأْلَفُ وَصْلَهـا   مَلِكٌ جليـلٌ في الملوكِ عـظيمُ
فَٱصْفَرَّتِ الأقداحُ مِنْ جَزَعٍ ولـو   يَسْـطَعْنَ لَمَ يَـأْرَجْ لهنَّ نسيمُ[1]

وكان المعتصم حسن السيرة في رعيّته وجنْده وقرابته ، يُعْنَى بالدِّيْن وإقامة الشَّرْع ، فيعقد المجالس في قصره للمذاكرة ، ويجلس يوماً في كل جمعة للفقهاء والخواصّ ، فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث[2] . أمّا تورُّعه وعدله ، « فله فيهما حكايات[3] » على حدِّ قول آبن سعيد ، وقد أورد المقّري إحداها[4] . كما روى حكاية أخرى تدلّ على تسامح المعتصم وعفوه[5] .

كذلك كان المعتصم أديباً ذا شاعرية فذّة تحدَّثْنا عنها بإسهاب من قبل[6] . وكان يَتَزَيَّا بحمل العِمَامَةِ ولبس البُرْنُس ؛ ذكر آبن الأبار أنَّ المعتمد بن عبّاد كتب إلى ذي الوزارتين أبي الحسن بن اليسع شعراً عرَّض فيه بالمعتصم فقال (الكامل) :

ولقـد ذَكَـرْتُ فَـزَادَ عَيْنِي قُـرَّةً   هُوْنُ السِّبَالِ وخِزْيُ رَبِّ البُرْنُسِ[7]

وعن وفاته ، فقد آنقسم المؤرّخون فريقين ،فريق يرى أنَّ المعتصم توفّي على فراشه إثْرَ رحيل عساكر المرابطين عنه ، وفريق يرى أنَّه توفّي على فراشه والمرابطون يحاصرونه . ولقد آنسحب هذا التباين في الرأي على تحديد اليوم أو الشهر الذي توفي فيه الرجل ، فذهب بعضهم إلى أنّه توفّي عند طلوع الشمس يوم الخميس لثمانٍ بَقِيْنَ من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين

---

١ - المصدر نفسه والصفحة نفسها .
٢ ـ انظر الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٢) ، والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨) والمغرب (ج ٢ ص ١٩٦) .
٣ ـ المغرب (ج ٢ ص ١٩٦) .
٤ ـ انظر الحكاية في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧) .
٥ ـ نفح الطيب (ج ٤ ص ٩) .
٦ ـ ورد ذلك عند حديثنا عن النشاط الأدبي في المرية ص ٧٩ ـ ٨٠ .
٧ ـ الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٦ ـ ٨٧) .

وأربعمائة ، ودفن في تربةٍ له عند باب الخوخة[1] . وذهب البعضِ الآخر إلى أنَّه هلك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وأربعمائة[2] . وعلَّق المعتمد بن عباد على موته بقوله : « رجلٌ آستصحبَ حالَ سَعْدِه ، من قصره إلى قبره ! كان الموت كأساً بيده ، فحين آستطابها تجرَّعَها[3] » .

وآستناداً إلى الحجاري وآبن عذاري فإنَّ مدّة إمارة المعتصم بالمرية إحدى وأربعون سنة[4] . وخالفهما آبن الأبار الرأي فذهب إلى أنَّ مدة إمارته بالمرية أربعون سنة[5] . وخالف آبنُ خلدون الجميعَ فذهب إلى أنَّ المعتصم وَلِيَ المريَّةَ وآستبدَّ بها أربعاً وأربعين سنة ، ولم يزل بها أميراً إلى أن هلك سنة ثمانين وأربعمائة ، وولي آبنُهُ ، وخلعه يوسفُ بن تاشفين سنة أربع وثمانين وأربعمائة[6] . ونحن بدورنا لا نوافق آبنَ خلدون رأيه ؛ لأنه مغايرٌ للتاريخ ومخالف لما جاء به جميع الذين ترجموا للمعتصم ، ونُقِرُّ بما ذهب إليه الحجاري وآبن عذاري .

وأخيراً أقدِّم جزيل شكري ووافر تقديري للأستاذ محمد علي بيضون مدير دار الكتب العلميّة لاستجابته لي والقبول بطبع الديوان على نفقته الخاصّة .

والله نسأل الهداية إلى سبيل الرشاد .

بيروت في ١٠ كانون الأول ١٩٨٨ .

الدكتور يوسف علي طويل
رئيس قسم اللغة العربية
وأستاذ الأدب الأندلسي
في الجامعة اللبنانية

---

١ ـ انظر وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٤) ، والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٩٢) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٩٢) .

٢ ـ انظر الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٤) ، والتكملة (ج ١ ص ٤٠١) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩١) .

٣ ـ انظر أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٩١) .

٤ ـ المغرب (ج ٢ ص ١٩٦) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨) .

٥ ـ الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٤) .

٦ ـ تاريخ ابن خلدون (م ٤ ص ٣٥٠) .

ديوان ابن الحداد



صور من المخطوطات التي ورد فيها بعض شعر آبن الحداد



ابن الحداد الاندلسي

محمد بن احمد بن عثمان ابو عبد الله القيسي الاندلسي ابن الحداد الشاعر من اهل المرية مشهور
وصنف في العروض احسن بالمعتصم بن صمادح وتوفي بالمرية ... ومن شعره

هم نصبوا كيف شئتوا ام فوقوا ومنى حبونك اقبلوا ام اعرضوا
وهم رضاك من الزمان واهله فتحكموا كما زعمت وشئتم ام ارضوا
اهواهم وان استمر قلاهم ومن العجايب ان يحب المبغض

وله

وقد هوت بهوى نفسي بها سبا فهل دريت مصر من تيمت سبا
كان قلبي سليمان وهدهده طرفي وبلقيس ليلى والهوى النبأ

وله في نفيلة

معتكا ذات النير يا نتي اراح نسيم الروح من عقداتها
فقد عبقت ريح النعامى كانما سلام سليمى راح من نفحاتها
ونبها للعقل المتيم سره فعوجا فسلم على سلماتها
مشاعر هيام وكعبة متيم نوادي من حجاجها دعاتها
فكم صامحني من شاها بكا المتيم ثم هتف بعدما الهوى عن بابها
عهدت بها اصنام حسن عهدتني هوى عبد عزاها وعبد مناتها
فهل لي سلوان لها وانثني سرايتها في الحب يحق لبعاتها

ابن الصابوني الاشبيلي

محمد بن احمد بن الصابوني الصدفي من اهل اشبيلية كان من اكابر شعراء عصره
المجيدين المبدعين في محاسن القريض المجيد الذي ذهب الدامل مذاهبه
وختمت الاندلس شعراء ابه ... من شعره قوله

اقسم من فرق الليل عن سنة الضحى واصبح خده الغام من كحلا الدعص
لالان ان يوجهكا اذ اشمت برقه وانت جبين البدر مكتمل القرص

ذكره ابو حيان ... في ... ابن الكويت ...

وله البدرات وحل منزلها طلعت وخيتها اري
فذكشا الحب من سطرها ونوبح التبليز في اهداب

وله يبني الوصل المختوم وقد خيا ... عذاره ... يشتكي
ايسيل دمي لصدغه وقد احتمى لقرة الصناعة سالك

وله اما وعذار فوق خد يكاد ان ... فعلي ما ... لعاعل
ما خيلت نفسي الى بانه ستنفصل افعال السيوف الخمايل

وله لقد جئت ... الحواجب سلوني ... المنا وحلف ... بالحواجب
واداة لصداغ الحاود ... لنوانها تدعي بوصف عقارب

ابو نصر الداني

محمد بن احمد بن الحسين ... ابو نصر الحلبي ... الداني شكبة
الاديب ... على اعمال السواد وكان فاضلا ادبيا مصنفا ... ديوانه
... له الديح ... و... شعره

... على الليل ذنب ... اللحم ... الليل
والعزم ... القلوب فاين ... جيش الغرام ... العلا
احياة ... المعشوق ما طلب ... الهوى ... الحب
كادعوى ... للبيد ... ثم ... شعب
ايموت العاشق ... العزم في الحب سنة ...
وعلاج الهوى ... عذاب عذب

وله يا من عقوكا ... في معشر ... بهم ... ملا ذا
هذا ... ذا وذا ... ذا ... هذا ... واوذا

وله ... قد علمت ... كيف ... العتاب ... الوصل ...
ما ان ... احباب ... وانا ... هيكل ... اوفى ...
... شوق ... على نصب ...

سبقت بروق ضرمها الزناد
كانه ضامر الأغماد

وهذا مما جعل الفرع فيه اصلا لان المعتاد أن
تشبه السيوف بالبروق ويكون البروق اصلا
لانها مشبهة بها ويكون السيوف فرعا لانها
مشبهة فقلب مبالغة وقال ابو الطيب
وانزلك العيث في عملي وانجع
فاما الاعشى النحوي فجعله جدولا فقال
ملك اذا ادرع الدلاص حسبته لبس الغدير
وسل منه جدولا

حاشية
اظنه ابن السراج
ولقد احسن ابن آخر
في قوله
بيت اذا ما سار صفقا
لسيفه فلو جاء غرض
انا رض لم نتردد

ولنس من هذا الباب
ما زان صفة المعلة
تدرجه للضارب به

ومثله قول محمد بن البين
وحملوا ظلام الليل بالصبح الذي قسموه من جيادهم اوضاحا
وأتوا بغدران المياه جوامدا قد فصلوها ملبسا وسلاحا
وقول محمد بن عثمان ابن الحداد
أنى يهاب ضرابهم وطعانهم صب بالحاظ العيون طعين
فكانما بيض الصفاح جداول وكانما سمر الرماح غصون
وقد سماه قوم سلب الصناعة وسماه
اخرون طرد النفاق وما احسن قول الكموني
لما التقى اسد العرين وساد من حلت الازار وصارم بتار
قالت ارى ملكا وملك بالنار ولقد عهدتك بالرحيل الغار

فهل كنت في الملك من عبد شمس فأخفى عليك ظهور السواد

ومن مليح ما في هذا المعنى قول الآخر

عابوه لما التحى فقلنا عبتم وغبتم عن الجمال

هذا غزال وهل عجيب تولد المسك في الغزال

النحويات

ابن الجداد من قصيدة أولها

عج بالحمى حيث الغياض الغين نعشى نغن لنا مهاة العين

يقول

لا تنكر الأحكام حيفا عنده فكأنها الأفعال والتنوين

ومن ظريف في رجل تزوج فظهر انه عنين

كم ذكر في الورى وأنثى أولى من اثنين باثنين

أي الليالي انت بالحر اذ جمعت بين ساكنين

الطبيات

من ذلك قول الزاهي

ذو طبيب لسقامي ومن اسقمني هجرانه مرتينا

قال هذا مرض معضل وربما اشفقت ان يلبثا

هذه الصفراء قتالة فليته ذكر ما أنثا

وحدثني من كان معه عند عمله هذه الابيات

وان السبب فيه انشاد بعض الحاضرين لابن المعتز

ومنهم [illegible] منعو [illegible] ابو عبد الله [illegible] وح طريف الادب [illegible]
[illegible] يقع [illegible] واحد [illegible] لا [illegible] او [illegible]
[illegible] لا [illegible] نفس [illegible] فوا [illegible]
[illegible] لسانه [illegible] اعجاه [illegible]
[illegible] فضائل ما [illegible] وذيرت راحه واعما [illegible]
[illegible] ولم [illegible] ولد [illegible]

• واراد الجهول [illegible] ولكن [illegible] سبني ونساي •
• يعلوني بالسيد [illegible] حتى [illegible] دماي •
• واعر [illegible] لم [illegible] كشف الغطا •
• [illegible] كما دخلنا بلا شي ولكن [illegible] صفع [illegible] •

ومنهم [illegible] ابو عبد الله محمد بن حداد لا [illegible] في [illegible]
[illegible] المويد بالقيصر بصبر لا يصعب عليه [illegible]
[illegible] العديد [illegible] شواط ناره شهبا ذوات ذوايب [illegible]
عليها [illegible] طبع [illegible] مهند او طلع نجمه فرندا واري [illegible]
[illegible] ويسل نصاله الا باني عليها البرد واضحت
سلاحه بالغلا وصناعته لا تخادث بالجلا وامست سيوف
[illegible] الامن فيه اومن سيوف اجفان هند كما ندعيه [illegible]
[illegible] العا [illegible] وانا من محل علما للما ثر ناخر من [illegible]
[illegible] المحاسن بطارف الفخر وتلاده وكان مدره اقرانه [illegible]
اسى البرامكة الاول وانشا ما [illegible] لتلك الدول بصنا
[illegible] وما كان بها بظفر ولو حي [illegible] لا قر بان صنيعه
لا [illegible] وانناه لكان الفضل نصله ولمو [illegible] لدى البحر جعفر نحل
معه يوما بدار ناها ضربت على العيون قبابها وبجت النجو [illegible]

كلابها

قافية الهمزة

- ١ -

قال آبن الحداد في المعتصم بن صمادح (البسيط) :

تخريج الأبيات :

في الخريدة قسم شعراء المغرب والأندلس (ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤) طبعة الدار التونسية : الأبيات ١ - ٥ ، ١١ ، ٣٤ ، ٦٦ . وفي المصدر نفسه ص ٢٨٣ - ٢٨٧ : الأبيات ٦ - ٣٣ ، ٣٥ - ٨٩ . وفي طبعة دار نهضة مصر ص ١٨١ : الأبيات ١ - ٢ ، ٤ - ٥ ، ١١ ، ٣٤ ، ٦٦ . وفي الصفحة ١٩٥ - ٢٠٥ : الأبيات ٦ - ٣٣ ، ٣٥ - ٨٩ . قال العماد الأصفهاني : « وقال من أخرى في المدح مهموزة ، وقد سبق غزلها ، وآلتزم فيها ما لم يلزمه* ، وذكر أنها قصيدة تنيِّفُ على أربعمائة بيت » .

وفي أخبار وتراجم أندلسية ص ١٧ : البيتان الأول والرابع . ولقد ذكر السلفي البيتين عرضاً من خلال ترجمته لأبي العباس أحمد بن يوسف بن نام اليعمري البيّاسي ، وجعلهما آبتداء قصيدة .

وفي عقود الجمان (ج ٣ الورقة ٢٦٢) ، والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٧) ، وفوات الوفيات (ج ٣ ص ٢٨٤) : البيتان الثالث والرابع .

وفي مسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠٤) : البيت الرابع .

---

* يلاحظ أنَّ الشاعر آلتزم حركة الفتحة قبل الهمزة التي هي رويٌّ وذلك في كل القصيدة ، والمعروف أنَّ لزوم ما لا يلزم، عند أهل البديع، هو أن يَعْنَتَ (يجهد ويتكلّف) الشاعرُ نَفْسَهُ في آلتزام رِدْفٍ أو دخيل أو حرف مخصوص أو حركة مخصوصة قبل الرويّ .

١ ـ أَرَبْرَبٌ بالكثيبِ ٱلْفَردِ أم نَشَأٌ ؟ ومُعْصِرٌ في ٱللِّثام ٱلوَرْدِ أم رَشَأٌ ؟
٢ ـ وباعِثُ ٱلوَجْدِ سِحْرٌ منكِ أم حَوَرٌ ؟ وقاتِلُ ٱلصَّبِّ عَمْدٌ منكِ أم خَطَأٌ ؟

---

١ ـ في الخريدة : « بالكثيبِ الوَرْدِ » ، وذكر محقِّق طبعة الدار التونسية ، حاشية رقم ٥ أنه ورد في الوافي بالوفيات : « الفرد » ، علماً أن هذا البيت لم يرد في الوافي البتّة . والرَّبْرَبُ : القطيع من بقر الوحش أو الظِّباء ، ولا واحد له ، وقد شبَّهوا المرأة بالبقرة الوحشية في جمالها وحسن عينيها . والكثيب : التَّلُّ من الرمل ، أو الرمل المستطيل المحدودب ، سمِّي به لأنه ٱنكثب أي ٱنصبَّ في مكان فٱجتمع فيه ، والجمع أَكْثِبَة وكُثُب وكُثْبان . والفَرْدُ : الكثيب المنفرد عن الكثبان ، غلب عليه ذلك حتى جعل ٱسماً له ، وقد يكون ذكر الكثيب ليصف رِدْف محبوبته المترجرج، كما ذكر الرَّبْرَبَ ليصف جمال عينيها . والنَّشأ : صغار الإبل ، واحدتها ناشىء . والمُعْصِرُ : الفتاة التي بلغتْ عَصْرَ شبابها وأدركتْ ، وقيل : أول ما أدركتْ وحاضتْ ، أو التي راهقتِ العشرين وجمعها معاصر ومعاصير ؛ يقال : عَصَّرتِ المرأةُ وأعصرتْ إذا بلغت عُصْرَة شبابها وإدراكها ، والإعصار في الجارية كالمراهقة في الغلام . واللِّثام الوَرْد : الورديّ اللون ، أو الذي لونه أحمرُ يضرب إلى صفرة حسنة ، واللِّثام : هو ما كان على الفم من النِّقاب ، أو ما يُغطَّى به الشَّفَة من ثوب ؛ يقال : لَثِمَتِ المرأةُ ولَثَّمَتْ وٱلتثمتْ إذا شدَّت اللثام على فمها . والرَّشَأُ : الظَّبْيُ إذا قوي وتحرَّك ومشى مع أمه ، والجمع أرشاء . وفي هذا المطلع يتساءل الشاعر ، جَرْياً على عادة الشعراء الجاهليين ، فيقول : أصحيحٌ أنني ألمح حسناواتٍ يتجمَّعْن في ذلك الكثيب وبينهنَّ فتاتي التي هفا لها قلبي ؟ مشبهاً فتيات الحيّ بالرَّبْرَب بجامعِ ٱتّساع العيون وحسنها ، ومشبهاً محبوبته ، وهي تشدُّ اللِّثام على فمها خَفِرَةً وتتأدُّ بخصرها النحيف ، بظبيٍ أخذه النشاط واللَّعِب .

٢ ـ الوَجْدُ : ما يصادف القلبَ ويَرِدُ عليه بلا تكلُّف وتصنُّع ؛ يقال : وَجَد بفلانة يَجِدُ وَجْداً شديداً إذا كان يَهْواها ويُحِبُّها حبّاً شديدا . وسِحْرٌ منكِ : أي سِحْرُ حديثك ؛ يقال : سَحَرَه بكلامه وألحاظه إذا ٱستماله وسَلَبَ لُبَّه . قال الشاعر (الكامل) :

السِّحْرُ في ألفاظِهِ ولحاظِهِ والخمرُ في وَجَناتِهِ ورُضابِهِ

انظر محيط المحيط (سحر) .

والحَوَرُ : هو أن يشتدَّ بياض العين وسَواد سوادها وتستدير حدقتها وترقُّ جفونُها ويبيضُّ ما حواليها ؛ يقال : احورَّت عينُه ٱحوِراراً ، فهي حوراء والجمع حُوْر . والصَّبُّ : ذو =

٣ ـ وقد هَوَتْ بهوَى نَفْسِي مَهَا سَبَإٍ		فهل دَرَتْ مُضَرٌ مَنْ تَيَّمَتْ سبأُ ؟
٤ ـ كأنَّ قلبِي سليمانُ ، وهُدْهُدُه		لَحْظِي ، وبِلْقِيْسُ لُبْنَى ، والهَوَى النَّبأُ

= الصَّبابة ، والعاشق المشتاق ، والأنثى صَبَّة ؛ يقال : صَبِبْتُ إليه صَبابةً فأنا صَبٌّ ، وصَبَّ الرجلُ يَصَبُّ إذا عَشِق . وهنا يصوّر الشاعر حالته فيقول : سَحَرَتْني بكلامها ولحاظها فسلبَتْني عقلي وكادت أن تقتلني .

٣ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « وهل دَرَتْ » ، وقد أضاف المحقق هذا البيت من الوافي بالوفيات وفوات الوفيات . وهَوَى النفسِ : إرادتها . وهَوَتْ نَفْسي : أضعفت إرادتي وذهبت بنفسي إلى الهلاك . والمَهَا : ج مَهَاة وهي بقرة الوحش ، وقد شُبِّهت بها محبوبة الشاعر في حُسْن عينيها . وتيَّمَتْ فلانةُ فلاناً : استعبدَتْه بهواها وذلَّلَتْه فذهب عقله من الهوى ، فهو مُتَيَّمٌ بها ومَتِيْم . وسَبَأ : اسم رجل وَلَدَ عامّةَ قبائل اليمن ، وهو سَبَأ بنُ يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان ، وقيل : كان آسمُهُ عبد شمس وإنما جرى هذا اللقب عليه حتى صار آسماً له ؛ لأنه غزا الديار المصرية وحمل منها السبايا إلى اليمن وآقتاد الأسرى وكانوا ينيفون على عشرة آلاف بين سبيَّة وأسير ، ويقصد بسبأ هنا قبيلة محبوبته نويرة. ومُضَر: أبو قبيلة، وهو آبن نزار بن مَعَدّ بن عدنان ، سمِّي به لأنه كان مولعاً بشرب اللبن الماضِر أي الحامض الذي يَحْذي اللِّسان قبل أن يُدْرِك ، ومُضَر هنا هي قبيلة آبن الحداد لأنه قيسي النسب نسبة إلى قيس عَيْلان بن مُضَر . انظر لسان العرب ، ومحيط المحيط ، مادة (سبأ) وجمهرة أنساب العرب ص ١٠ و ٤٦٣ . يريد أن يقول : فكما كان سَبَأ يَسْبي العدو فيأسره ، كانت محبوبتي تسبي قلبي وتأسره بحبِّها ، وهل تدري قبيلتي أنَّ نويرة آستعبدتْني بهواها حتى أضعفت نفسي وذلَّلَتْني ؟ .

٤ ـ في عقود الجمان ، والوافي بالوفيات ، وفوات الوفيات : « وهدهده طَرْفي وبلقيس ليلى . . . » وسليمانُ : هو آبن داود آبن يهوذا بن يعقوب ، ولي أبوه الحُكْمَ وله ثلاث وثلاثون سنة ، وفي وُلْد داود كان مُلْك بني إسرائيل ، وعلى رأسهم ابنه سليمانُ المذكور . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٥٠٦ ، ٥٠٨ ـ ٥٠٩ . والهُدْهُد : طائر معروف وهو مما يُقَرْقِرُ ، والجمع هَداهِد وهَداهِيْد ؛ يُرْوى أنَّ سليمانَ بن داود ، عليهما السلام ، كان تعلَّم منطق الطير ولا سيما الهدهد ، وفهم أصواته ، وذات يوم فقد الهدهَد فتفقَّد الطيرَ ليراه لاحتياجه إليه للصلاة فلم يَرَه فقال : أَعَرَضَ لي ما منعني من رؤيته أم =

٥ - فأعجَبْ لهمْ وَتَرُوا نَفْسِيْ وما شَعَرُوا ولا دَرَوْا مَنْ بِعَيْنَيْ رِيْمِهِمْ وَجَأُوْا

٦ - إذا تجلَّى إلى أبصارِهِمْ صَعِقُوْا وإنْ تَغَلْغَلَ في أفكارِهِمْ هَمَأُوْا

= أنه كان من الغائبين ؟ وبِلْقِيس : هي بنت إيلي أشرح بن ذي جَدَن آبن قيس بن صَيْفِي ، وزوجة شَدَد بن زُرْعة بن سَبَأ الأصغر آبن حِمْيَر ، وذهب آبن منظور أنها بَلْقَهُ أو بِلْقيس بنت بَلْبَشْرَح ، وأنَّ سليمانَ بن داود زوَّجها هُدَدَ بن همّال ، أحد ملوك حِمْيَر . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٥٠٦ ، ولسان العرب مادة (هدهد) . وفي هذا البيت يتأثر الشاعر بقول الله تعالى : ﴿ **وتفقَّد الطيرَ فقال ما ليَ لا أرى الهُدْهُدَ أم كان من الغائبين ؟** ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ **فمكثَ غير بعيد فقال أَحَطْتُ بما لم تُحِطْ به وجئتُكَ من سَبَإٍ بنبإٍ يقين** ﴾ . أي مكث الهدهد يسيراً من الزمن ثم حضر لسليمانَ متواضعاً برفع رأسه وإرخاء جناحيه وذنبه فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته فقال : اطَّلَعْتُ على ما لم تطّلع عليه وجئتك بخبر يقين . انظر قرآن كريم ، سورة النمل ٢٧ الآيتان ٢٠ و٢٢ ، وتفسير الجلالين . يقول الشاعر : كما فَقَد سليمانُ هُدْهُدَهُ ، فَقَدَ قلبي نويرةَ ولم يَعُدْ لحظي يراها ، وكما أنَّ سليمانَ زوَّج بلقيسَ هُدَدَ بن همّال ، أحد ملوك حِمْير ، فإنَّ أحد القساوسة سوف يزوِّج لُبْنى (نويرة) أحدَ المُسْتَعْرَبِيْن ، وبذلك أكون قد حُرِمْتُ منها ويصبح حُبِّي أخباراً تُروى على شفاه أهل الأندلس . يقول أبو الشِّيْص المتوفّى سنة ١٩٦ هـ في الهدهد (البسيط) :

قد كان هَمَّ سليمانُ ليذْبَحَهُ لولا سعايَتُهُ يوماً ببلْقِيْسِ

انظر عيون الأخبار (ج ١ ص ١٠١) . وقد ورد هذا البيت في سرور النفس ص ١٠٤ بآختلاف يسير عما هنا .

٥ - لهم : أي لأهل نويرة . ووتروا نفسي : أدركوها بمكروه . والرِّيم : الظَّبي الخالص البياض ، وبه يشبِّه الشاعرُ محبوبته . وَوَجَأوا : يقال : وَجَأَهُ باليد والسِّكِّين وَجْأً إذا ضربه ، فهو مَوْجُوْءٌ ، والوَجْءُ مصدر، والوِجاء الاسم . يريد أن يقول : فوا عَجَبا ! كيف أوقعوني بمكروهٍ دون أن يعلموا ؟ وكيف أصابوني بسِهامِ عَيْنَيْ نويرةَ دون أن يَدْرُوا ؟

٦ - في الخريدة ، طبعة مصر : « أنصارهم » بدل « أبصارهم » .

وإذا تجلَّى إلى أبصارهم : أي إذا ظهر المعتصمُ أمام أعدائه ، وقد يقصد بهم ملوك الطوائف المناهضين له . وصَعِقوا : خَرُّوا ميِّتين ، أو غُشي عليهم وذهب عقلهم من صوت المعتصم ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ **ونُفِخَ في الصُّور فَصَعِقَ من في السموات** =

٧ ـ لو أَغْلَظَ المَلْكُ أمراً فيهِمُ آئتَمروا لو آقتضى الجيشُ رَدّاً منهُمُ رَدَأُوْا
٨ ـ وكلُّ ما شَاءَ مِنْ حُكْمٍ ومُحْتَكَمٍ يمضي على ما أحبُّوا منه أو نَدَأُوْا
٩ ـ أغَرُّ في مجده الأعلى وغُرَّتِهِ للُّبِّ مُنْحَسِنٌ واللَّحْظُ مُنْخَسَأُ

= ومن في الأرض﴾ . أي خَرُّوا ميِّتين أو مغشياً عليهم . سورة الزُّمَر ٣٩ الآية ٦٨ .
وهَمَأُوا : أي همأوا أثوابَهم ؛ لأن « هَمَأ » فعلٌ متعدٍّ ، والمفعول به محذوف ؛ يقال : هَمَأَ الثوبَ هَمْأً إذا خرقه وأبلاه . وفي هذا البيت يدخل الشاعر في باب المديح الممزوج بالحماسة ، وفيه مبالغة في وصف هيبة الممدوح ووصف خوف أعدائه الذين يتلعثمون أمامه فلا يدرون كيف يتحرّكون في ساحة الوغى . ولعلَّ هنا أبياتاً ساقطة من القصيدة ؛ لأن الشاعر ينتقل إلى المديح آنتقالاً فجائياً .

٧ ـ رواية العجز في الخريدة ، طبعة مصر هي : أو آقتضى رِدْءاً منهم رَدَؤُا .
وأغلظ أمراً : أصدر أمراً غليظاً ، أي شديداً صعْباً. والمَلْك ، بفتح أوله وسكون ثانية : تخفيف مَلِك بفتح الميم وكسر اللام . وفيهم : أي في أعدائه . وآئتمروا : امتثلوا الأمر . وردأوا : يقال : رَدَأْتُه إذا صرْتُ له رِدْءاً أي مُعينا . ويريد أن يقول : إنَّ أوامر المعتصم مسموعة من قبل أعدائه ، يمتثلون لها وإن كانت لغير صالحهم ، وحتى إذا ما دعاهم إلى المنازلة ـ ظنّاً منهم أنهم سيعيدون ما فقدوه ـ لتجنَّبوا ذلك ؛ لأنهم يعلمون سلفاً أن الخسارة ستلحق بهم ، وأن آلامتثال إلى أحكام المعتصم سوف تعينهم على حقن دمائهم وتنجيهم من عذاب أليم .

٨ ـ في الخريدة طبعة مصر : « مضى » بدل « يمضي » .
والحُكْم : القضاء والأمر . وَنَدَأه نَدْءاً : كَرِهَه . ويريد الشاعر أن يقول : إنّهم ينفذّون أوامر الملك سواءً أحبُّوا ذلك أم كرهوا .

٩ ـ في الخريدة طبعة دار نهضة مصر : « للُّبِّ مُحْتَبَسٌ . . » ، وقال المحقق : « في الأصل : للُّبِّ منحسن ولعلَّ الصواب ما أثبتناه » .
والأَغَرُّ : الأبيض ؛ يقال : أبيض الوجه والسيرة أي نقيّ العِرْض كريمٌ مِعْطاء . وللُّبِّ مُنْحَسِنٌ : أي إنه ينير عقول الناس ويهديهم بهَدْيه. وفي قوله: « منحسن » خروج على قواعد الصرف ؛ لأنه اشتقَّ هذه الكلمة من فعل « انحسن » وهو فعل لم يرد في معاجم اللغة . وكذلك الأمر في كلمة « منخسأ » ، فلا يقال : « انخسأ » ، بل يقال : خَسأَ =

١٠ - وفي سَناهُ ومَسْناهُ ونـائِلِهِ للشُّهْبِ والسُّحْبِ مُسْتَحْيـاً ومُنْضَنَأ
١١ - جَـلالـةٌ لسليمـانَ ومُلْتَمَحٌ ليـوسفٍ يـومَ لـلنِّسْـوانِ مُـتَّكـأ

= بَصَرُهُ يَخْسَأً خَسْأً إذا كلَّ وأعيا. يقول: بسبب قوة إشعاع وجه المعتصم، الذي يفيض نوراً وبهاء، انثنت عنه عيون الناظرين ومالت بحيث لم تعد قادرة على النظر إليه. وهنا يقترب الشاعر من قول آبن مُقانا الأشبوني في مدح إدريس بن حمود (الرمل) :

وكـأنَّ الـشَّـمْسَ لـمَّـا أشـرقـتْ فـآنثنتْ عنهـا عيـونُ الـنـاظـريـنْ
وجـهُ إدريسَ بـنِ يَحْيَـى بـن علـيٍّ إبـنِ حمـودٍ أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـنْ

انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٢١٤ ، ٤٣٤) والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٩٢) والمغرب (ج١ ص ٤١٤) .

١٠ - السَّنَا : النور والضَّوْء . والمَسْنَى : الرفعة ، من سَنِيَ يَسْنَى سناءً أي ارتفع . والنائل : العطيّة . والشُّهْب ، بضم أوله وسكون ثانية : أصلها الشُّهُب بالضم وقد سكِّنت الهاء للضرورة الشعرية ، جمع شِهاب وهو الكوكب لما فيه من البريق ، أو شعلةٌ من نار ساطعة . والسُّحْب ، بضم أوله وسكون ثانية : أصلها السُّحُب بالضم ، وقد سكِّنت الحاء للضرورة الشعرية ، جمع سحابة وهي الغيم الممطر ، سمِّيت بذلك لجرِّ الريح لها . ومُسْتَحْيَا : يقال : اسْتَحْيا منه وآستحى : انقبض عنه وآمتنع ، أو خجل وآحتشم . وفي قوله : « منضنأ » خروج على قواعد الصرف ؛ لأنه اشتقَّ هذه الكلمة من فعل « انضنأ » وهو لم نقع عليه في كتب اللغة ، ويقال : ضَنَأَ في الأرض إذا ذهب وآختبأ . ولو قال الشاعر : « ومُضْطَنَأ » لما حاد عن المعنى ؛ لأننا نقول : اضطنأ له ومنه إذا آستحيا وآنقبض . وهكذا جعل الشهب تستحي من نور الممدوح ورفعته وتختبىء مخافة أن تُفْتَضَحَ ، كما أخجل السَّحاب من كثرة عطائه للمحتاجين فآختبأ في نقاب غيمه وآنقطع عن السقوط . وبمعنى آخر، فالممدوح أكثر إشراقاً ورفعة من الشهب ، وأكثر إغداقاً من هطول المطر . وفي الخريدة ، طبعة مصر : « ومُنْتَضَأ » بدل « ومُنْضَنَأ » . قال المحقّق : « منتضأ : منتضى ، يقال : نضا السيفَ وآنتضاه إذا أخرجه من الغمد وشهره ، والشاعر هنا يهمز ما لا يهمز كعادته » .

١١ - في الخريدة طبعة الدار التونسية ص ٢٨٣ : « سُلالةٌ » بدل « جَلالةٌ » . وقوله : « جلالةٌ لسليمانَ » يريد أنَّ سليمان عليه السلام يُجَلُّ من خلال المعتصم . وقوله : « ومُلْتَمَحٌ ليوسف » يريد أن وجه المعتصم كـان أكثـر إشـراقاً من وجـه يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، الذي آشتهر بالجمال . والنِّسْوان : جمع المرأة من غيـر لفظهـا ، وهنّ آمـرأةُ سـاقي عـزيـز مصـر ، وآمـرأة خبّـازه ، =

١٢ ـ وللملوكِ آختفاءُ أنْ تُشابِهَـهُ وليس تَشْتَبِـهُ العِيْـدانُ والـحَفَـأُ

= وآمرأة صاحب دوابه ، وآمرأة صاحب سجنه ، وآمرأة حاجبه . والمُتَّكأ : الطعام لأنَّ القوم إذا قعدوا على الطعام آتّكأوا ، وهو كذلك ما يُتَّكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث . وفي البيت يتكىء الشاعر على قصة يوسف عليه السلام ، وقد وردت في القرآن الكريم ، وملخّصها أنَّ إخوة يوسف كانوا قد آحتالوا في هلاكه حسداً فوضعوه في بئر ، وكان مرَّ بقربه مسافرون فأرسلوا واردهم ليستقي الماء من البئر،فأرسل دِلْوه فيها فتعلّق بها يوسف وخرج ، فعلم به إخوته فأخفوا أمره وباعوه إلى المسافرين الذين باعوه بدورهم إلى قطفير العزيز بمصر ، فآتّخذه هذا وزوجته زليخا ولداً لهما . ولما جاوز يوسف الثلاثين من عمره طلبت زليخا منه أن يواقعها فغلَّقت الأبواب ولكنه رفض وبادر فأمسكت بقميصه وشقَّتْه من خلف ، وفي تلك اللحظة دخل زوجها فنزَّهَت نفسها أمامه ، ولما رأى قميصَ يوسفَ قُدَّ من خلف طلب منه أن يعرض عن الأمر ، ولكن الخبر آشتهر وشاع على ألسنة نُسْوة مصر اللواتي ذُكِرْنَ آنفاً ، فلما سمعتْ زليخا بمكرهنَّ أرسلت إليهنّ وأعدَّت لهنّ مُتّكأ (طعاماً) يقطع بالسكين ، وهو الأُتْرُجّ (ثمر شجر بستاني من جنس الليمون) وأعطت كل واحدة منهنّ سكيناً وقالت ليوسف : اخرجْ عليهنَّ ، فلما رأيْنَه أَعْظَمْنَه وقطَّعْن أيديهنّ بالسكاكين ولم يشعرْنَ بالألم لشغل قلوبهنّ به وقلْن : حـاش لله ما هـذا إلَّا مَلكاً كريماً لما حواه من الحسن والجمـال ، وطَلبْن منه أن يـطيع مـولاته زليخا.

قال الله تعالى :﴿ **فلما سَمِعَتْ بمكرِهِنَّ أرسلتْ إليهنَّ وأَعْتَدَتْ لهنَّ مُتَّكأً وأتت كلَّ واحدةٍ منهنَّ سكيناً وقالتِ آخْرجْ عليهنَّ فلما رأينَهُ أكبرْنَه وقطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وقُلْنَ حاشَ لله ما هذا بشراً إنْ هذا إلَّا مَلَكٌ كريم** ﴾ . سورة يوسف ١٢ الآية ٣١ . والشاعر حين يجعل المعتصم يفوق سليمان في الجلالة ويوسف في الحسن ، إنما يبالغ أيّما مبالغة ، مقترباً بذلك من كفر آبن هانىء الأندلسي ، حين جعل الخليفةَ المعزَّ لدين الله ربَّ العالمين حيناً ، والرسولَ محمداً حيناً آخر (الكامل) :

مـا شِئْـتَ لا مـا شـاءتِ الأقـدارُ فـاْحـكـمْ فـأنـتَ الـواحـدُ الـقـهّـارُ
وكـأنّـمـا أنـتَ الـنـبـيُّ مـحّـمـدٌ وكـأنـمـا أنـصـارُكَ الأنـصـارُ

انظر ديوان ابن هانىء الأندلسي ص ١٤٦ .

ولقد ورد حُسْن يوسف في الشعر الأندلسي ، هاك آبنَ عبد ربه يمتدح عبد الرحمن الناصر بمناسبة تولِّيه الإمارة سنة ٣٠٠ هـ فيقول (البسيط) :

وبـادَرَتْ نـحـوكَ الأبصـارُ وآكتحلتْ بحسن يـوسـفَ في مِحْـراب داودِ

انظر تاريخ عبد الرحمن الناصر ص ٤٠ .

١٢ ـ العِيْدانُ : ج عُوْد وهو الخشب أو الغصن بعد أن يقطع . والحَفَأُ : ج الحَفَأَة وهي =

١٣ - والكلُّ مُعْتَرِفٌ بالسابقاتِ له ... ومَنْ زَكَا فله بالحقِّ مُنْزَكَأُ
١٤ - مُمَلَّكٌ هو من سَمْتِ الهُدَى مَلْكٌ ... وواحدٌ هو في شَيْدِ العُلى مَلأُ
١٥ - يَقِلُّ أنْ يَطأَ العَيُّوقَ أَخْمَصَهُ ... وكلُّ مَلْكٍ على أعقابِه يَطَأُ

= البَرْدِيُّ ، والبَرْدِيُّ نباتٌ يطول فوق ذراع ، ومنه ما يُفْتل حبالاً وتُنْسَجُ منه الحُصُر ، وكان أهل مصر في القديم يعملون منه القراطيس . يقول : بعيدٌ على ملوك الطوائف مجتمعةً أن تماثل المعتصم ؛ فكما لا يشتبه العود والبَرْدِيّ كذلك لا يشتبه المعتصم وملوك الأندلس . ورواية البيت في الخريدة ، طبعة مصر هي :

وللملوك آحتفاءٌ أن تُشابهه ... وليس يشتبه العِيْدان والحَفَأُ

وقال المحقق : « في الأصل : . . . آختفاء أن يشابهه ، ولعلّ الصواب ما أثبتناه » .

١٣ - زَكَا الرجلُ : صَلُحَ وأصبح تقيّاً زكيّاً . وفي قوله : « منزكأ » خروج على قواعد الصرف ؛ لأنه اشتق هذه الكلمة من فعل « انزكأ » وهو فعل لم يرد في معاجم اللغة ، وجاء فيها فعل « زكأ » ، فيقال : زَكَأَ إليه إذا لجأ وآستند . يقول الشاعر : كلُّ ملوك الأندلس يُقِرُّون بما جَنَتْ يدا المعتصم من خير تجاه رعيَّته . وهم ، لو آتّقوا ربّهم كما آتّقاه هو ، لكان لهم ، كما كان له ، مكانٌ في الجنة يلجأون إليه . وفي الخريدة ، طبعة مصر : « مُرْتَكَأ » بدل « منزكأ » ، وقال المحقق : « المرتكى : المعتمد ، يقال ما له مرتكى إلّا عليك أي لا يعتمد على غيرك . وقد همز الشاعر كدأبه ما لا يهمز » .

١٤ - المُمَلَّكُ : المَلِكُ ؛ يقال : مَلَّكَ القومُ فلاناً عليهم : صيَّروه مَلِكاً ، فهو مُمَلَّك . وسَمْتُ الهُدَى : طريق الهدى ، والجمع سُمُوْت . ومَلْكُ الطريقِ ، بفتح الميم وضمِّها وكسرها وسكون اللام : وسطه ومعظمه ، أي إنّ المعتصم مركز دائرة الهدى ووسطه وقلبه ، كما يقال : هو وسط العِقْد . وواحدٌ : أي فريد عصره . يقول : إنَّ المعتصم قِوام طريق الهدى ونظامه وما يعتمد عليه فيه ، إذ وحده آستطاع أن يبني ما عجز غيره عنه ، فشادَ بنيانَ المجد والشرف ورفع دين الإسلام على عُمُد . وفي الخريدة ، طبعة مصر : « شهد » بدل « شيد » ، وقال المحقق : « شهد : جمع شاهد ، وفي الأصل : في سيد العلا وهو تحريف » .

١٥ - يَطَأُهُ : يدوسه ، يقال : وطئوا عَقِبَ فلان إذا مَشَوْا في أثره . والعَيُّوق : كوكب أحمر مضيء بحيال الثُّرَيَّا في ناحية الشمال ويطلع قبل الجوزاء ، سمي بذلك لأنه يَعُوْق الدَّبَران عن لقاء الثريّا . والأخمص : باطن القَدَم وما رقَّ من أسفلها وتجافى عن =

١٦ ـ حَوَى المحاسنَ في قولٍ وفي عَمَلٍ	فَمِثْلَ مَهْنَئِهِ آلأمـلاكُ مـا هَنَـأوا
١٧ ـ ولِلثُّغُوْرِ بذكـرى عَدْلِـهِ وَلَعٌ	ولـلقلوبِ لِـمَثْـوَى حُبِّـه لَـطَأُ
١٨ ـ والمالكون سِواهُ مِثْلُ عَصْرِهِمُ	فـكلّمـا دَنَـأَتْ أحـداثُـهُ دَنَـأوا
١٩ ـ والعَدْلُ أَلْزَمُ ما تُعْنَى الملوكُ به	فَلْيُزْجَرُوا عن سبيلِ الحَيْفِ وَلْيَزَأوا

= الأرض ، وربما كُني به عن القدم كلها ، والجمع أخامص . وقد أعاد الشاعر في آخر البيت كلمة « يطأ » التي كان ذكرها في حشو الصدر ، وهو محسِّن لفظي يُسَمَّى عند أهل البديع الترديد ، أو ردُّ العَجزُ على الصدر ، أو التصدير أو التطبيق . يقول : رغم علوّ العيوّق فإنَّ المعتصم أكثر علوّاً منه ، إذ نادراً ما يطأ العيوّقُ أخمصَ المعتصم . كذلك فإنّ بقيّة الملوك أدنى منه منزلة ، فهم يسيرون على هداه ويأتمرون بأوامره . ومنه المثل : « دونه النجم » أو « دونه العيوّق » . انظر مجمع الأمثال (ج ١ ص ٢٦٤ رقم ١٣٨٥ و ١٣٨٦) .

١٦ ـ الأملاك : جمع مَلِك . وهنأوا : صاروا هنيئين بغير تعب ولا مشقّة . ومعنى عجز البيت : إنَّ ملوك الطوائف لم يَهْنِئوا كما هَنَأَ المعتصم .

١٧ ـ الثغور : جمع ثَغْر وهو الفم ، والمقصود هنا الألسنة ، إذ ذكر الكُلَّ وأراد الجُزْءَ ، فهو مجاز مرسل علاقته كُلِّيَّة . والمثوى : المنزل ، والجمع مَثاوٍ . ولَطَأُ : الأصل : « لَطْءُ » بسكون الطاء إذ حرَّك الشاعر الطاء لكي لا ينكسر الوزن ، واللَّطْءُ : لزوق الشيء بالشيء ؛ يقال : لَطَأَ بالأرض يَلْطَأُ إذا لَزِقَ بها. يقول: جميع الناس مولعون بالحديث عن عدل المعتصم ؛ لأنهم متعلّقون به أيّما تعلّق ، وهذا نابع من مدى حبهم له .

١٨ ـ المالكون سواه : أي جميع ملوك الأندلس عدا المعتصم بن صمادح . والعصر : الدهر . وأحداثه : الهاء تعود على العصر ، وأحداث الدهر : نوائبه . ودَنَأوا : خَبُثُوا وسَفَلُوا في فعلهم . يقول : إن جميع ملوك الأندلس ، عدا المعتصم ، سريعو التأثّر بمجريات الأحداث ، تتبدّل أوضاعهم بتبدّل الدهر ، فكلما ساءت أحداثه ساءت معاملاتهم للناس ونهجوا طريق الجَوْر .

١٩ ـ زُجِرَ الرجلُ يُزْجَرُ : نُهِرَ ؛ يقال : زَجَرَهَ عن الشيء يَزْجُرُه زَجْراً إذا نهاه عنه . والحَيْف : الجَوْر والظلم ونقيض العدل . وَلْيَزَأوا : أي فَلْيَبْتَعِدُوا عن طريق الحيف ؛ يقال : وَزَأَ القومُ إذا دفع بَعْضُهُم عن بعض ، ووزأ القومَ إذا دفع بَعْضَهُم عن بعض . وهنا يطابق =

٢٠ ـ وكيف يَلْقَى قناةَ الدَّهْرِ قائمةً   وفَـوْقَنَـا لِقِسِيِّ الشُّهْبِ مُنْحَنَـأُ ؟
٢١ ـ وما الزَّمانُ على حالٍ بُمْعْتَدِلٍ   كـأنَّما أَهْلُهُ في شَخْصِـهِ دَنَـأُوا
٢٢ ـ فالدهرُ ظَلْماءُ والمعصومُ نورُ هُدىً   يُضِيءُ والشمسُ في أنوارها تَضَـأُ

= الشاعر بين كلمتي « العدل » و « الحيف » . يقول : فَلْيَبْتَعِدْ ملوكُ الطوائف عن ظلمهم وجَوْرهم وَلْيَتَّصفوا بالعدل ؛ لأن العدل فضيلةٌ على الحاكم أن يتحلّى بها . وفي الخريدة ، طبعة مصر : « ما يعنى » بدل « ما تُغْنى » .

٢٠ ـ القناة : الرُّمْح ، وكل عصا مستوية ؛ وقناة الدهر : كناية عن أحداث الدهر . والقِسِيُّ ، بكسر القاف والسين: جمع قوس وهو الذي يُرْمَى عنه، وكل ما كان منحنياً منعطفا. والشهب : ج شهاب وهو شعلة من نار ساطعة ؛ وقِسِيُّ الشُّهب هنا كناية عن أقواس النصر . ومُنْحَنَأُ : أصلها مُنْحَنىً ؛ يقال : انحنى الشيءُ آنحناءً إذا انعطف . وهكذا يكون الشاعر قد همز ما لا يُهْمَز ، وهذا عيب لا يدخل في الضرورات الشعرية . وقد تعني كلمة « منحنأ » الشيء الأخضر الملتفّ ؛ يقال : حَنَأَتِ الأرضُ تَحْنَأُ إذا آخْضَرَّتْ وآلتفَّ نَبْتُها . يقول : إن المعتصم لن يُبْقي قناةَ الدهر منتصبة أمامه ، فبقوة شكيمته سوف يكسرها قبل أن تصيبه بأذاها . وبمعنى آخر : كيف يرضى أن تقوم بوجهه أحداثُ الدهر وأقواسُ النصر تجلّل فوق رأسه ؟ وهكذا لم يتأثر المعتصم بمجريات الأحداث لأنه دائماً مكلَّلٌ بتاج النصر. والبيت، بمفهوم علماء المعاني ، بصيغة آلاستفهام إلاَّ أنه يفيد النفي .

٢١ ـ دَنَأوا في شخصه : رأوا أنَّ شخصه دنيءُ خبيثٌ خسيس . ويريد أن يقول : لكثرة جَوْر الدهر حَكَمَ عليه الناسُ بالخبث والدناءة والحقارة ، وهي صفات تتعلّق بالإنسان . وفي القافية إيطاء حيث كرّر نفس اللفظة في ذات المعنى في مسافة لا تتعدّى السبعة أبيات وهي « دنأوا » التي ذكرها في البيت رقم ١٨ . وفي الخريدة ، طبعة مصر : « رنئوا » بدل « دنأوا » .

٢٢ ـ الظَّلْماء : الليلُ الشديد الظلمة . والمعصوم هنا هو المعتصم بن صمادح ، الذي آجتنب المعاصي فَعَصَمه اللهُ من المكروه ووقاه . وتضأ : تضيء ؛ يقال : وَضَأَهُ يَضَؤُهُ إذا فاخره بالوضاءة ، أي بالحسن ، فغلبه . لسان العرب والقاموس المحيط ، مادة (وضأ) . يقول : إن المـعتصـم يشعُّ نُوْرُهُ هُدىً على العالمين ، فيسابق الشمسَ وهي في كامل شروقها . وهنا يطابق بين « ظلماء » و « نور » .

٢٣ ـ فَخَلِّ ما قيل عن كَعْبٍ وعن هَرِمٍ   فَلِلْأَقَاوِيلِ مُنْهارٌ ومُنْهَرَأُ
٢٤ ـ وتلك أنباءُ غَيْبٍ لا يقينَ لها   وقلَّما في التَّنائي يَصْدُق ٱلنَّبَأُ

---

٢٣ ـ خَلِّ : أُتْرُكْ ؛ يقال : خلّى الأمرَ وعن الأمر تخليةً إذا تركه . وكَعْب : هو كَعْبُ بن مامَة بن عمرو بن ثعلبة بن إياد بن مَعَدّ ، الذي عرف بالجواد لكثرة جُوْده وعطائه ، ويضرب به المثل فيقال : « أجود من كَعْب بن مامَة » . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٤ ، ٣٢٧ ، ومجمع الأمثال (ج ١ ص ١٨٣ ـ ١٨٤) . وكان الشعراء يسبغون على ممدوحيهم صفات الجود والسماح كأن يقولوا : أنت تجاوزْتَ جود حاتم الطائي وفخار كعب الإيادي . وهكذا ورد آسم كعب كثيراً على ألسنة الشعراء ؛ من ذلك قول الوزير أبي الخطاب عمر بن عطيون التجيبي الطليطلي في أبي عبد الله بن أبي حمامة (الوافر) :

إلى طَوْدِ المفاخرِ والمعالي   وبَحْبُوحِ السيادة والزعامَهْ
إلى ضَخْم الدَّسِيْعة لا يُبالي   مَنِ الطائيُّ أو كعبُ بنُ مامَهْ

والدَّسيعة هي العطيّة الجزيلة . انظر الذخيرة (ق ٣ م ٢ ص ٧٨٠) . وقول أبي بكر يحيى بن بقي (الكامل) :

مَنْ جَدُّهُ كَعْبُ بن مامَةَ قد   حَازَ النَّدَى بالطيِّ والنَّشْرِ

انظر الذخيرة (ق ٢ م ٢ ص ٦١٧) . وهَرِم : هو هَرِم بن سِنان بن أبي حارثة المُرِّيّ ، ممدوح الشاعر زهير بن أبي سلمى ، وقد سار بذكر جوده المثل فقيل : « أجود من هَرِم » . انظر لسان العرب (هرم) ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٥٢ ، ومجمع الأمثال (ج ١ ص ١٨٨ ـ ١٨٩) . ولقد ذكر آبن عبد ربه كلّاً من هَرِمٍ وكَعْب وحاتم الطائي ، ضمن أجواد أهل الجاهلية ، فقال : انتهى إليهم الجود في الجاهلية ، ولكن المضروب به المثل هو حاتم وحده . العقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٧) . وفي قوله : « منهرأ » خروج على قواعد الصَّرْف بحيث اشتق هذه الكلمة من فعل « انهرأ » وهو فعل لا يوجد في كتب اللغة ، بل يوجد فعل « هَرَأ » فيقال : هَرَأَ في منطقه إذا أَكْثَرَ الخطأ ، وأَهْرَأَ الكلامَ إذا أكثره ولم يُصِبِ المعنى ، والهُرَاء هو المنطق الفاسد الذي لا نظام له . راجع لسان العرب والقاموس المحيط ، مادة (هرأ) . وفي البيت جناس بين « منهار » و « منهرأ » ، وهو جناس ناقص . يقول : دَعْ ما قيل عن جُود كَعبٍ وهَرِمٍ من مدائحَ وأخبارٍ ؛ لأنَّ جود المعتصم تجاوز حدود العقل وأنّ أخبار هذين الرجلين تُفْسَدُ أمام صدق ما يقال عن المعتصم .

٢٤ ـ أنباءُ غَيْب : أخبارٌ مشكوكٌ بها . ولا يقين لها : لا صحة لها.يقول : إن أخبار كعب =

٢٥ - وما آختبارٌ كأخبارٍ وما مَلِكٌ   إلّا آبنُ مَعْنٍ وَذَرْ قوماً وما ذَرأُوا
٢٦ - تُغْني أياديه ما تُغْني صوارِمُهُ   ولِلْغَنَاءِ هو الإقلالُ والفَنَأُ
٢٧ - سِيّانِ منه فُتُوحٌ في العِدَى طرأتْ   ومُعْتَفُوْن على إنعامه طرأوا

= وهرم غير دقيقة لبعدها عنّا وعدم حضورها في وقتنا ، إذ قلّما يصدق خبرٌ تناقله الرُّواةُ واحداً عن الآخر بحيث يصل إلينا مبتوراً ، وما تشهده العين غير ما تسمعه الأذن . وفي الخريدة ، طبعة الدار التونسية : « التناهي » بدل « التنائي » . وتناهى الخبر : بلغ نهايته .

٢٥ - ذَرْ : دَعْ ، أمرٌ من فعل وَذَرَ ؛ يقال : وَذَرَهُ يَذَرُهُ أي يَدَعُه ، ولقد أماتتِ العربُ ماضيه ومصدره وآسم الفاعل منه . وذرأوا : بذروا وأنتجوا ؛ يقال : ذَرَأْنا الأرضَ إذا بذرناها ، وذرأ اللهُ الخلقَ : خلقهم. يقول : إذا نحن آطّلَعْنا على سيرة ملوك الأرض من خلال كتب السِّيَر والأخبار ، فإننا نطّلع على سيرة المعتصم من خلال آحتكاكنا اليومي به بحيث نعرفه على حقيقته مليكاً فاقَ ما أنجبتْه الأقوام من ملوك مجتمعين ، وشتّان ما بين رؤية العين للشيء والتأكد منه (آلاختبار) وبين السَّماع عنه أو آلاطّلاع عليه من خلال الكتب (الأخبار) ، وبمعنى آخر ليس الخبر كالعيان .
وهنا تبرز عند الشاعر أهمية المعرفة الناتجة عن التجربة كما يبرز عنصر التّلاعب بالألفاظ بين « أخبار » و « آختبار » وبين « ذَرْ » و « ذرأوا » .

٢٦ - الصَّوَارم : ج صارم وهو السَّيْف القاطع . والغَنَاء ، بفتح الغين : آلاكتفاء . والإقلال : القِلَّة . والفَنَأ : الكثرة . وهكذا يطابق الشاعر بين كلمتي « الإقلال » و « الفنأ » . يقول : كما تكثر أيادي الممدوح عطاءً لنا فإنَّ سيوفه تكثر في قتل العدو ؛ فبيدٍ يُعْطي الرعيَّةَ وبأخرى يقطع بصارمه أعناقَ العدو . وإذا أراد أغنى الناسَ أو أفقرهم ، فإليه يعود الأمر ؛ فهو الذي يُغْني وهو الذي يُفْقر . وفي الخريدة ، طبعة مصر : « تفني أياديه » بدل « تغني أياديه » .

٢٧ - الفُتُوْح : ج فَتْح وهو النصر . والمُعْتَفُوْن : ج مُعْتَفٍ وهو كل طالب فضل أو رزق ؛ يقال : اعتفى فلاناً إذا أتاه يطلب معروفه . والإنعام : ما يُنْعَمُ به ، والجمع إنعامات . يقول : استوى عند المعتصم شيئان : تحقيق النصر على العدو ، وعطاء المحتاجين ؛ فكما يُسَرُّ بالنصر على أعدائه ، فإنه يُسَرُّ عندما يقدِّم الأعطيات لرعيّته . وبهذا يكون هذا البيت في معناه مكمِّلاً لمعنى البيت السابق .

٢٨ - فكم أناسٍ أَقاصٍ عنده نَبِهُوا   كـأنهمْ قُـرْبَـةٌ فـي حِجْـره نَشَـأوا
٢٩ - وكيف تُحْصَى عَوَافي مَرْتَعٍ مَرِعٍ   لـلـهـائـمـيـنَ بـه مَرْوىً ومُحْتَصأُ ؟
٣٠ - ومَنْ نَبَا وَطَنٌ مِنه كمثلِهِمُ   مَضَى بــه مُنْتَــأىً عنــه ومُنْـتَبَــأُ
٣١ - وللظُّبَى والطُّلَى لَثْمٌ ومُعْتَنَقٌ   ولـلقَنَــا والـكُلَى ضَـمٌّ ومُــرْتَشَــأُ

---

٢٨ - الأقاصي : ج الأقصى وهو البعيد في النَّسَب والقُرْبة . والقُرْبة : الدُّنُوُّ في النَّسَب. وحِجْرُ الإنسان : حِضْنُه . يقول : كم شعراءَ وعلماءَ قرَّبهم المعتصم إلى قصره فنشأوا في كنفه حتى شَرُفُوا وآشتُهِروا بعد عَوَز وفَقْر .

٢٩ - في الخريدة ، طبعة مصر : « وكيف نُحْصي .. ومُحْتَضَأُ » . والمحتضأ : الموقد . والعوافي : ج عافية وهي كل طالب رزق من إنس ودوابّ وطير . والمَرْتَعُ : موضع الرَّتْع ، والرَّتْع هو الرَّعْي في الخِصْب ،والجمع مراتع .ومَرِعٌ : خصيْب . والمَرْوَى : المَشْرَبُ. وفي قوله:«مُحْتَصَأ» خروج على قواعد الصَّرْف،لأنه اشتقَّ هذه الكلمة من فعل «احتصأ» وهو فعل لم يرد في معاجمنا،وورد فيها « حَصَأَ »،فيقال:حَصَأَ الجَدْيُ يَحْصَأ حَصْأ إذا رَضِع من اللبن حتى آمتلأت إنْفَحَتُهُ ، والإنفحة هي كَرِش الحَمَل أو الجَدْي ما لم يأكل ، فإذا أكل ، فهو كَرِشٌ ، وحَصَأَتِ الناقةُ : اشتدَّ أكلُها أو شربها أو آشتَدَّا جميعا . يقول : كما لا يمكن أنْ نُحصي رؤوسَ المواشي التي ترتع في وادٍ خصيب وترتوي من مائه بكل سَعَة ، كذلك لا يمكننا أن نَعُدَّ العُفَاة الذين يأتون المعتصم طالبين معروفه ؛ إنه يُقْري الضِّيفان فيسقيهم ويطعمهم ما يطبخه على النيران المشتعلة دائما .

٣٠ - في الخريدة ، طبعة مصر : « نابىء » بدل « منتأى » . والنابىء هو المنتقل من بلد إلى بلد . ونَبَا به وطنه ومنزله يَنْبُو نُبُوّا : لم يوافقه . والمُنْتَأَى : الموضع البعيد ؛ يقال : نأى عنه يَنْأى نَأْياً إذا بَعُد عنه ،وآنتأى عنه آنتئاءً: ابتعد. وفي قوله : « منتبأ » خروج على قواعد الصرف ؛ لأنه اشتقَّ هذه الكلمة من « انتبأ » وهو فعل لم نجده في المعاجم اللغوية ، ووجدنا فيها « نبأ » بمعنى تجافى وتباعد . يقول : إن الذين يعيثون في وطنهم فساداً يكون مصيرهم الخروج منه إلى أمكنة لا توافقهم ، أي مَنْ خَدَم المعتصم عاش في كنفه آمناً ، ومن خرج على طاعته كان مصيره الهلاك .

٣١ - الظُّبَى : ج ظُبَة وهي حَدُّ السيف . والطُّلَى : الأعناق ، واحدتها طُلْية أو طُلاة . ولَثْمٌ ومُعْتَنَقٌ : تقبيلٌ وعناق . والقَنَا : ج قناة وهي الرُّمْح . والكُلى ، بضم الكاف : ج كُلْية. وفي قوله : « مرتشأ » خروج على قواعد الصرف ، إذ اشتق هذه الكلمة من « ارتشأ » =

٣٢ ـ وحيثُ ما أَزْمَعَتْ عُلْياكَ وآعتزمَتْ ... حَـذَا جَحـافِلَكَ التـأييـدُ والحَـذَأُ
٣٣ ـ فلا تَضَعْ مَرْبَأً للجيشِ تَنْهَدُهُ ... فـالنصـرُ مُرْتَبِىءٌ والسَّعْـدُ مُـرْتَبَأُ
٣٤ ـ تَحِيْدُ عن أُفْقِكَ الأملاكُ مُجْفِلَةً ... ولا تُحَـوِّمُ حيثُ اللَّقْـوَةُ الحِـدَأُ

= وهو ما لا نجده في كتب اللغة ، إذ فيها فعل « رَشَأ » ، فيقال : رَشَأَ المرأةَ إذا نَكَحَها . وهنا يوفّق الشاعر حين يجعل السيوفَ ، وهي تقطع رقاب الأعداء ، إنساناً يلثم ويعانق ، وحين يجعل الرماح ، وهي تطعن كُلى العدو ، مُحِبّاً يضم محبوبته أو زوجته ليجامعها بعد غياب طويل . وهذا قريب من قول آبن عبد ربه في وصف الأبطال في المعترك (الطويل) :

إذا مـا آلتَقَـوْا في مـأزِقٍ وتعـانقـوا ... فَلُقْيـاهُـمُ طَـعْـنٌ وتـقـبيـلهُـمْ ضَـرْبُ

العقد الفريد (ج ١ ص ١١١) .

٣٢ ـ حيث : في الأصل ظرف مكان ، ولكنها وردت هنا للزمان لاتصالها بما الكافة ، وعند ذلك تتضمن معنى الشرط . وأزمع الأمَر وأزمع عليه : أجمع وثَبَتَ عليه . وآعتزم على الأمر : أراد فعله . والعُلْيا : الكلمة العُلْيا ، والجمع العُلاَ . وحَذَا التأييدُ جحافلَكَ : تبعها ورافقها ؛ يقال : حذا الليلُ النهارَ إذا تبعه . والجحافل : ج الجَحْفَل وهو الجيش الكثير . والحَذَأُ : النصر ؛ يقال : حَذِىء عليه وإليه يَحْذَأُ حَذَأً إذا نصره ومنعه من الظلم . يقول : متى صَدَرت أوامرك العليا بالزحف إلى أرض العدو ، أسرعتْ جحافُلك في غزو أكثر العديد ، فآستصحبها نَصْرٌ من عند الله تعالى وفَتْحٌ مبين .

٣٣ ـ المَرْبَأُ ، بفتح الميم وكسرها : المرقبة ، أو موضع الرَّبيئة ، والربيئة هو الطليعة الذي يقوم فوق مَرْبإ من الأرض ينظر للقوم لئلاّ يَدْهَمَهُمْ عدوٌّ ولا يكون إلاَّ على جبل ينظر منه . وتَنْهَدُهُ : تَمْلأُهُ ؛ يقال : أَنْهَدَ الإناءَ يَنْهَدُهُ إذا ملأه . ومُرْتَبِىءٌ : مشرفٌ على سير المعركة ؛ يقال : رَبَأَ وآرتبأ إذا أشرف . والسَّعْدُ : اليُمْن . يقول : أيها الملك ، إنَّك لسْت بحاجة إلى إقامة مراقِبَ للجيش ترتفع عليها الرَّبايا ؛ لأن النصر يقوم بهذه المَهَمَّة خير قيام ، يراقب السَّعْدَ الذي سيتحقّق عما قريب . وهنا يوفِّقُ الشاعرُ حين يشخِّص النصرَ فيجعله إنساناً يقوم فوق مَرْبإ من الأرض يراقب تحرُّكات العدو عن كَثَب .

٣٤ ـ الأملاك هنا هم ملوك الطوائف . ومُجْفلة : مسرعة في الهزيمة والهرب . واللَّقْوَةُ : الفرس ، والعُقاب الخفيفة السريعة آلاختطاف ، والجمع لِقاءٌ وألقاء . والحِدَأُ : جمع حِدَأة وهو طائر معروف من الجوارح ، والجمع حَدأة . يقول : لن تجرؤ ملوك الطوائف على الوقوف في طريقك المرسوم ، ولن =

٣٥ ـ فَوَيْحَهُمْ يومَ للأعلامِ مُلْتَطَمٌ عليهِمُ وبِهِمْ لِلجُرْدِ مُلْتَطَأُ

٣٦ ـ وَوَيْلَهُمْ إنْ شآبيبُ القَنا هَمَأَتْ وحاقَ باللاَّمِ والأجسامِ مُنْهَمَأُ

= تستديم في مُعْتَرَكٍ جيادُك فيه عِقْبانٌ سريعو الحركة ، بل لن تجرؤ أن تدوِّم وتَحُوْم في سماء تكون أنت فيه عُقاباً سريع آلاختطاف . وبذلك يشبِّه الشاعر ممدوحه ، وهو في المعترك يمتطي جواده ، بُعقاب خفيف الحركة ، ويشبّه ملوك الطوائف بطيور خائفة تتحاشى آلاقتراب منه . وهو تشبيه ضمني .

٣٥ ـ ويَحْهَهُمْ : وَيْلٌ لهم . والأعلام : ج عَلَم وهو الذي يُعْقَدُ على الرُّمْح ، وهنا ذكر الأعلام وأراد الرِّماح ، وهو مجاز مرسل علاقته جزئية . ومُلْتَطَمٌ : اسم مفعول من فعل آلتطمتْ ؛ يقال : التطمتِ الأمواجُ إذا ضرب بعضها بعضا . والجُرْد : ج أجرد وهو الفرس السَّبّاق أو القصير الشعر رقيْقُه . وفي قوله : « ملتطأ » خروج على قواعد الصرف ؛ لأنه اشتقَّ هذه الكلمة من فعل « التطأ » وهو فعل لم يرد في المعاجم اللغوية ، وورد فيها : « لطأ » ، فيقال : لَطَأَ بالأرض إذا لَزِقَ بها ، ولَطَأَه بالعصا إذا ضربه . يقول : وَيْحٌ لأعداء المعتصم يوم تُلاحقهم طعناتُ رماحه المتتالية وترفسهم خيله بأرجلها . وهنا يوفِّق الشاعر حين يستعير اللَّطْم من الإنسان إلى الرِّماح .

٣٦ ـ في الخريدة ، طبعة مصر : « باللأم » بدل « باللام » ، وقال المحقق : « اللأم : جمع لأمة وهي الدرع » .
والشآبيب : ج شُؤْبُوْب وهو الدُّفْعة من المطر وغيره ، وشؤبوب كل شيء : حَدُّه . والقنا : الرماح . وهَمَأَتْ : أي همأتْ أجسادَهُمْ لأنه فعل متعدٍّ ؛ يقال : هَمَأَ الثوبَ يَهْمَأُهُ هَمْأً إذا جذبه فآنخرق ، ولو قدَّرنا أنَّ أصل الكلام : « هَمَتْ » وليس « همأت » ، عندئذ يكون الشاعر قد همز ما لا يُهْمَز لكي لا ينكسر الوزن ، وهذا عيب لا يدخل في الضرورات الشعرية ، وبذلك يقترب المعنى من سياق الكلام أكثر من المعنى الاول ؛ يقال : هَمَى القَطْرُ والدمعُ يَهْمي هَمْياً إذا سال لا يثنيه شيء . وحاق به : أحاط به . واللاّم من الإنسان : شَخْصُه . ومُنْهَمَأ : اسم مفعول من فعل آنهمأ ؛ يقال : انْهمأ ثوبُه إذا آنقطع من البِلَى ، والمراد أثر الجروح من خلال ضربات الرماح ، ولو قدَّرنا الكلام : « مُنْهَمى » من فعل هَمَتْ ، يكون الشاعر قد همز ما لا يهمز وآقترب المعنى من سياق الكلام أكثر من المعنى الأول. ومعنى البيت : وَيْلٌ لأعداء المعتصم حين تَهْمي عليهم حِراب رماحه فتمزِّق أجسادهم وتقطِّعها إرباً إربا .

٣٧ ـ والحَيْنُ يظهر في وادي سوالِفِهِمْ كما به في ثغور البِيْضِ مُنْكَمَأ
٣٨ ـ وقد بَدَا من عَرانين الظُّبَى شَمَمٌ وفي أنوفِهِمُ الإرغامُ والفَطَأ
٣٩ ـ وللقَنا مُنْهوىً فيهمْ ومُنْسَرَبٌ وللظُّبى مُنْبَرى فيهمْ ومُنْبَرأ
٤٠ ـ كأنَّ سُمْرَكَ ، والإقبال يَعْطِفُها ، بَنانُ قومٍ إليهمْ بالرَّدَى وَمَأ

٣٧ ـ الحَيْن ، بفتح الحاء : الهَلاَك . والسوالف : ج سالفة وهي الماضية أمام الغابرة . وبه : أي بوادي سوالفهم . والبِيْض ، بكسر الباء : ج الأبيض وهو السيف ، وثغور البيض : نِصال السيوف. وفي قوله : « منكمأ » خروج على قواعد الصرف ؛ لأنه اشتق هذه الكلمة من « انكمأ » وهو فعل لم يجيء في المعاجم اللغوية ، وجاء فيها فعل « كَمَأ » فيقال : كَمَأَ القومَ إذا أطعمهم الكَمْأة . ومعنى البيت : إنَّ كتب التاريخ تدوِّن العديد من هزائم أعداء المعتصم في وقائع كانت فيها نصوله تأكل من أجساد أعدائه .
٣٨ ـ العرانين : ج عِرْنِيْن وهو الأنف . والظُّبَى : ج ظُبَة وهي حَدُّ السيف ، وعرانين الظبى : مضارب السيوف . والشَّمَم : الأنفة والرفعة . والإرغام : الإذلال عن كُرْه ؛ يقال : رَغَمَ أَنْفُهُ إذا ذلّ وآنقاد عن كُرْه . والفَطَأ : الفَطَس بالفتح ، والأفطأ : الأفطس ، وفي حديث عمر : « أنه رأى مُسَيْلِمَةَ أصفر الوجه أَفْطَأَ الأنف دقيق السَّاقَيْن » . لسان العرب مادة (فَطَأ) . وهنا يوفِّق الشاعرُ أيّما توفيق حين يشخِّص سيوف المعتصم ويجعلها رجالاً يأنفون من قتال الضعفاء الذين عرفوا بالمهانة والذلّ والخضوع .
٣٩ ـ في الخريدة طبعة مصر : « ومنتدأ » بدل « ومنبرأ » ، وقال المحقق : « ليس في كتب اللغة انتدأ وإنما فيها انتدى القوم بمعنى اجتمعوا . والشاعر يهمز ما لا يهمز » . والقَنَا : الرِّماح . والمُنْهَوَى : اسم مفعول من آنهوى ؛ يقال : انهوى الشيءُ آنهواءً إذا سقط . والمُنْسَرَبُ : اسم مفعول من آنسرب ؛ يقال : سَرَب الماءُ إذا جرى ، وآنسرب : دخل . والظُّبَى : ج ظُبَة وهي حَدّ السيف . والمُنْبَرَى : اسم مفعول من آنبرى ؛ يقال : انبرى له : اعترض. وفي قوله « منبرأ » خروج على قواعد الصرف ؛ لأنه اشتق هذه الكلمة من « انبرأ » وهو فعل لم يرد في كتب اللغة ، وورد فيها « بَرَأَ » فيقال : بَرَأَ فلانٌ من مرضه إذا تخلَّص منه . ومعنى البيت : تهوي طعنات الرماح على أجساد أعداء المعتصم ، كما تقطع السيوف أعناقهم فتخلِّصها من أجسادها .
٤٠ ـ السُّمْرُ: ج أسمر وهو الرُّمح لأنَّ القناة إذا آنتهت وصلبت اسمرَّ لونها. والإقبال: أي إقبال جُنْد المعتصم إلى المُعْتَرَك . ويَعْطِفُها : يُثْنيها . والبَنَانُ : الأصابع ، والواحدة بَنانة . والرَّدَى : الموت . ووَمَأَ : أصل الكلام : وَمُ ، والوَمْ : الإشارة . وهنا يشبِّه =

٤١ ـ وقد غَدُوا قُضُباً بالهامِ مُثْمِرَةً ‏ ‏ ‏ ‏ ومُجْتَنِيْهـا من الصَّمْصامِ مُـجْتَنـأ
٤٢ ـ وصالَ مُطَّعِنٌ فيهمْ ومُمْتَصِعٌ ‏ ‏ ‏ ‏ فسـال مُنْهَـزِمٌ منهمْ ومُنْهَـزَأ

= الرِّماحَ التي تنثني في أيدي جُنْد المعتصم ، وهم يقاتلون عدوَّهم ، بأنامل أُناسٍ يشارفون على الموت ، وذلك بجامع اللِّيْن والضعف ؛ لأن الرماح توصف باللين والطول والصلابة ، وأطراف المُحْتَضَر توصف بالضعف وعدم القدرة على الحركة . والتشبيه تمثيل ، وهو من التشابيه المبتكرة في دنيا الأدب .

٤١ ـ في الخريدة ، طبعة مصر : « عَدَوْا » بالعين بدل « غدوا » بالغين المـعجمـة، و«محتنىء» بدل «ومجتنأ»، وقال المحقق : « يريد مخضبا بالحناء . ولم ترد احتنأ في اللغة » .

وغَدُوْا : صاروا . والقُضُب ، بالضم : ج قضيب وهو الغصن . والهام : ج هامة وهي رأس كل شيء ، والمقصود هنا الرماح . والصَّمْصام : السيف الصارم الذي لا ينثني ، والجمع صَماصم. وفي قوله « مُجْتَنَأ » خروج على قواعد الصَّرْف ؛ لأنه اشتقَّ هذه الكلمة من « اجتنأ » وهو فعل غير وارد في معاجم اللغة ، وورد فيها فعل « جَنَأ » بمعنى انكبّ على فرسه يَتَّقي الطعن ، ويقال : جَنَأَتِ المرأةُ على الولد إذا أَكَبَّتْ عليه ولزمته . ومعنى البيت : أصبحت أجسامُ الأعداء قُضُباً تحمل رؤوساً قد أَيْنَعَتْ وحان قطافها والمعتصم صاحبها ، ولِمَ لا وهو سيف من الحزم يرتدي سيفاً صقيلاً يقيْه من ضربات العدو ؟ ومنا يستعير الشاعرُ الإيناعَ من الثمر إلى الرؤوس ، فيشبِّه الرؤوسَ بثمرات الشجر بجامع النضج والشكل . وبمعنىً آخر ، يشبِّه الرُّمْحَ الذي آمتلأت حربته من رؤوس أعداء المعتصم ، بالغصن الذي آمتلأ ثمراً ناضجاً حان قطافه ، مقترباً بذلك من قول الحجّاج الثقفي من خطبة في أهل العراق : « إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لَصاحِبُها » ، ومن قول آبن عمّار من قصيدة مديح في المعتضد بن عبّاد (الكامل) :

أثْمَـرْتَ رُمْحَـكَ من رؤوسِ ملوكِهِمْ ‏ ‏ ‏ ‏ لـمَّـا رأيتَ الـغُصْـنَ يُعْشَـقُ مُثْمِـرَا

انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٦٥٦) و (ج ٣ ص ١٩٤) .

٤٢ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « مُنْطَعِنٌ » بالنون . والمُطَّعِنُ : هو الذي يَطْعُنُ عدوَّه بالرُّمح ؛ يقال : اطَّعنوا آطِّعاناً إذا طعن بعضهم بعضاً ، وهو على وزن آفتعلوا ، وأصل القول : اطْتَعَنَ ، بأبدلت التاء طاء ثم أدغمت . وصال عليه : وثب . وفيهم : أي في جُنْد المعتصم . والمُمْتَصِعُ : الذي يضرب العدوَّ بالسيف ؛ يقال : مَصَعَ فلاناً إذا ضربه بالسيف ، إذ ليس في اللغة فعل =

٤٣ ـ وقال حَوْضُهُمْ ، والسَّيْلُ يَغْمُرُهُ : قَطْنِيْ ، فقد هَدَمَ الأرجاءَ مُمْتَلأُ
٤٤ ـ هناك يَبْغُوْن ، لو يَلْقَوْنَهُ ، لَجَأً وما لِخَلْقٍ عن المقدورِ مُلْتَجَأُ
٤٥ ـ وكم لِبَأْسِكَ فيهمْ من مَصالِ وَغىً لِلَّيْثِ من سَمْعِهِ رَوْعٌ ومُجْتَبَأُ
٤٦ ـ وكان في ذَأْلِهِمْ وُدٌّ ومُتَّعَظٌ لَوْ صَحَّ من مِثْلِهِمْ وَعْظٌ ومُتَّدَأُ

= امتصع . وسال مُنْهَزِمٌ منهم : أي سال دمه ، ومنهم : أي من أعداء المعتصم . والمُنْهَزَأ : القتيل ؛ يقال : هَزَأَ الرجلُ إذامات ،ولم ترد انهزأ في كتب اللغة . يقول : وَثَبَ رجالُ المعتصم على أعدائهم ، فأشرعت بينهم الرِّماحُ ، وفارقتْ أغمادَها السيوفُ ، ومضى فيهم القتلُ والأسْرُ ، عدا الذين نَجُوا بأنفسهم وفرُّوا .

٤٣ ـ قَطْنِيْ : حَسْبي ، وقد أضيفت « قَطْ » إلى ياء المتكلم مع نون الوقاية ، و « قَطْ » هي بمعنى حَسْب ؛ يقال : قَطْكَ الشيءُ أي حَسْبُك . وهنا يشخِّص الشاعرُ حوضَ الأعداء ويجعله إنساناً يستغيث قائلاً : أيها السيل ، دَعْني وشأني ، فقد غَمَرْتَني حتى خَرَّبْتَ كلَّ شيء حولي . وعليه قول الراجز :

امْتَلأَ الحوضُ وقال : قَطْني ، سَلا رُوَيْداً ، قد مَلأْتَ بَطْني

وتروى : « مهلاً رويداً » . انظر لسان العرب مادة (قطط) .

٤٤ ـ اللَّجَأ ، بالفتح : المعقل والملاذ ؛ يقال : لَجَأَ إلى الحِصْن يَلْجَأُ لَجَأً إذا لاذَ إليه وآعتصم به . والمُلْتَجَأُ : المكان يُلْتَجَأُ إليه ، أي الملاذ والمهرب . والمقدور : الأمر المحتوم . يقول : يودُّ أعداء المعتصم إيجاد ملاذٍ لهم ، ولكن هيهات أن يَنْجُوْا مما كتب الله عليهم !

٤٥ ـ المَصَالُ، بفتح الميم والصاد : مكان صولات المعتصم ، وهو آسمُ مكانٍ على وزن مَفْعَل بفتح الميم والعين وسكون الفاء ، مثل مَطاف ومَقَام من طاف يطوف وقام يقوم ؛ يقال : صال عليه يصول مَصالةً إذا وثب عليه . والمُجْتَبَأ : الشيء الذي نهابُهُ ونخافه ؛ يقال : جَبَأَ عنه يَجْبَأ إذا آرتدع ، وجَبَأْتُ عن الأمر : هِبْتُه وآرتدعْتُ عنه ، ولم نقع على اجتبأ في كتب اللغة . يقول :كم لك من صولات وجولات قَهَرْتَ فيها أعداءك ! حتى الأسود ، إذا ما سَمِعَتْ بها ، فزعتْ فآجتمعت في عُرُنها خائفة من بأسك مذعورة .

٤٦ ـ الذَّأْلُ : السرعة ؛ يقال : ذَأَلَ يَذْأَلُ ذَأْلاً وذَأَ لاناً إذا أسرع أو مشى في خِفَّةٍ ومَيَس . وفي قوله «مُتَّدأ» خروج على قواعد الصَّرف ؛ لأنه يشتقُّ هذهِ الكلمة من فعل « اتَّدأ » وهو فعل لم نعثر عليه في معاجم اللغة ، بل عثرنا على فعل « وَدَأ » ، فيقال : وَدَّأَ الشيءَ إذا سَوَّاه . والشاعر يريد أن يقول : كان أعداءُ المعتصم ، وقد فرُّوا من أرض المعركة وَنَجُوا من الموت ، راضين عمّا حدث ومُتَّعظين =

٤٧ ـ هاجُوْا ظُباكَ التي بالسِّلْمِ قد هَجِئَتْ   فَسَوْفَ يَسْكُنُ منها الظِّمْءُ والهَجَأُ
٤٨ ـ راعَيْتَ تَقْواكَ حتى في جَزائِهِمُ   وما رَعَوْا ما تُراعيه ولا كَلأُوا
٤٩ ـ والآن قد آنَ من شُهْبِ الصِّفاح لهمْ   دَرْءٌ ومن صافناتِ الخيلِ مُنْدَرَأُ
٥٠ ـ تَهْوي لقلبِ أعاديه مَكائِدُهُ   كأنها قُتَرٌ للأُسْدِ أو بُرَأُ

= ممّا جرى ، ولو آتّعظ غيرهم وسَوَّوْا وضعهم مع المعتصم لكان خيراً لهم . وجواب الشرط هنا محذوف يفهم من السياق . ورواية البيت في الخريدة ، طبعة مصر هي :

وكان في دألهم رَدٌّ ومُتَّعَظُ   لو صَحَّ من مِثْلِهِمْ وَعْظٌ ومُنْتَزَأُ

وقال المحقق : « في الأصل : وكان في دألهم ودٌّ . . ومنتدأ ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، نزأه عن الفحشاء : رَدَّه عنها ولم نعثر على آنتزأ في معاجم اللغة ، الدأل : المشي السريع » .

٤٧ ـ الظُّبَى : ج ظُبَة وهي حَدُّ السيف . وهَجِئَتْ : التهبت وتهيّأت للقتال ؛ يقال : هَجِيء الرجلُ هَجَأً إذا آلتهب جوعه . والهَجَأ ، بالفتح : الجوع . والظِّمْءُ ، بكسر الظاء وسكون الميم : اسم من ظمِيء يظمأ إذا آشتدَّ عطشه . يقول : أثاروا ظُباك للقتال كأنهم لم يَدْرُوا أنها متعطِّشة لذلك حتى في أيام السِّلْم ،وأنه لن يهدأ لها بالٌ حتى تشبع من لحومهم وترتوي من دمائهم . وهنا يقترب الشاعر من قول آبن عبد ربه (الطويل) :

سيوفٌ يَقِيْلُ الموتُ تحت ظُبَاتِها   لها في الكُلى طُعْمٌ وبين الكُلى شُرْبُ

العقد الفريد (ج ١ ص ١١٠) .

٤٨ ـ الجزاء : العِقاب . ورعى الأمرَ وراعاه : حفظه وترقَّبه . وكَلأَهُ : حفظه . يقول : كونك رجلًا تقيّاً ، فقد آبتعدْت عن القسوة حتى في معاقبتهم جزاء ما فعلوا ، ورغم ذلك فإنَّ عهدك لم يحفظوا .

٤٩ ـ في الخريدة ، طبعة الدار التونسية : « درٌّ » بدل « دَرْءٌ » .
والصِّفاح : ج صَفْح وهو عَرْض السَّيْف . والشُّهْب : صفة للصِّفاح ، واللون الأشهب بياضٌ يغلب على السواد . والدَرْءُ : الدَفْعُ ؛ يقال : درأه دَرْءاً إذا دفعه . والصافنات : ج صافن ، والصافن من الخيل هو الذي يقوم على ثلاث قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر . ومُنْدَرَأ : أي آندفاع ؛ يقال : انْدرأ السيلُ آندراءً إذا آندفع من مكان لا يُعْلَم به . يقول: الآن تهوي على أعدائه نصال جنده فتقطع الأعناق عن أجسادها ، كما ترفسهم جياده المندفعة نحو المعترك آندفاع السيل الجارف .

٥٠ ـ رواية صدر البيت في الخريدة طبعة الدار التونسية هي : =

٥١ ـ مُذَهَّبُ الشمسِ ما في نُوْرِها كَلَفٌ   ورايةُ الشُّهْبِ ما في سَيْرِها خَطَأُ
٥٢ ـ وهِمَّةٌ فَوْقَ ما ظَنَّ الغُواةُ بِهِ   والقَـوْمُ آمِنَـةٌ إنْ أَمْكَنَ الـغَـوَأُ

= يهوي لقلب أعاديه مُكايَدةً
وقَلْبُ أعاديه : وسط جيش أعاديه ، والأعادي جمع أعداء . والمكائد : ج مَكِيْدة وهي آسم من كاده أي خدعه ومَكَرَ به . والقُتَرُ : ج قُتْرة وهي ناموس الصائد وهو ما يبنيه كالبيت ليستتر فيه عن الصَّيْد ؛ يقال : قَتَّر الصيّادُ للأسد إذا وضع له لحماً في زُبْية يَجِدُ قُتارَهُ ، والزُّبْية حُفْرة تحتفر للأسد أو الذئب في موضع عالٍ ويُجْعل فيها جَدْيٌ أو لحمٌ إذا نظر الأسد أو الذئب إليه سقط عليه يريده فَيُصادُ ، والقُتار ريح اللحم المَشْوي . والبُرَأ : ج بُرْأة وهي قُتْرَةُ الصائد التي يكمن فيها . يقول : يكمن المعتصم لأعدائه كما يكمن الصائدُ الماهرُ لفريسته الأَسَد ، فإذا ما وقعوا في الشَّرَك آنقضَّ عليهم وأصاب هدفه .

٥١ ـ في الخريدة ، طبعة الدار التونسية : « فدهية الشمس » ، ولم نَهْتَدِ على معنى لهذه الكلمة في كتب اللغة . وفي الخريدة ، طبعة مصر : « ورأيه الشُّهْبُ» ، وقال المحقق : « في الأصل : مُذَهَّبة الشمس . . وراية الشُّهْب . . . وهو تحريف » . ومذهَّب : اسم مفعول لفعل ذهَّب ؛ يقال : ذهَّب الشيءَ إذا طلاه بالذهب . والشُّهُبُ : ج شهاب وهو الكوكب . والراية : العَلَم وهو شيء منصوب في الطريق يُهْتَدَى به . يقول : إنَّ المعتصم يفيض نوراً وبهاءً كالشمس الصافية التي لم تَكْلَفْ حمرتها ، وهو أكثر إشراقاً من الشُّهب ، فهي التي تهتدي به وتجعله مناراً لها تستنير بنوره .

٥٢ ـ في الخريدة طبعة مصر : « العداة » بدل « الغواة » ، و « والقِرأ » بدل « الغوأ » ، وقال المحقق : « وفي الأصل : والقوم آمنة إن أمكن القوأ » .
والغُواة : ج غاوٍ وهو الضالُّ ؛ يقال : غَوَى الرجلُ يَغْوي غَيّاً إذا ضَلَّ وخاب وآنهمك في الجهل وهَلِك . والقوم : الجماعة ، يذكّر ويؤنّث ، والمقصود هنا رعيّة المعتصم . وآمنةٌ : غير خائفة أي واثقة ومطمئنّة . والغَوَأ : أصل الكلام : الغَوَى ، أي الفساد ، وهنا يهمز الشاعرُ ما لا يُهْمَزُ . يقول : عندما زَحَفَ المعتصمُ على أولئك الغُواة وهدَّدهم في عُقْر دارهم علموا بهمَّته وبأسه في القتال فَخَابَ ظَنُّهم فيه . وإذا ما انتشر الفساد في البلاد فإن الرعيَّة ستبقى مطمئنَّة للمعتصم واثقة من أنه سيقضي عليه وسيقتلعه من جذوره في وقت قصير جدا .

٥٣ ـ وبالمعاقل لِلأمْلاكِ مُقْتَنَعٌ ... وما له بِسِوَى الأفلاكِ مُجْتَرَأُ
٥٤ ـ ولو يَرُوْمُ نِزالَ الطَّوْدِ يَبْلُغُهُ ... أو يَنْزِلوا من صَياصيْه كما زَنَأُوا
٥٥ ـ وبَرْدُ أيامِهِمْ مَرْفُوُّ سِلْمِهِمُ ... والحرْبُ تَخْرِقُ منهُمْ كلمَّا رَفَأُوا

---

٥٣ ـ الأملاك : جمع مَلِك . ومُجْتَرَأُ : أصل الكلام : مُجْتَرىً ، من جرى يجري ، فهمز الشاعر ما لا يهمز من جهة ، وخرج على قواعد الصرف من جهة ثانية ؛ لأنه آشتقَّ هذه الكلمة من فعل « اجترى » ، وهو فعل غير وارد في معاجم اللغة العربية ، والوارد فيها « جرى » ، فيقال : جَرَتِ الشمسُ وسائر النجوم إذا سارت من المشرق إلى المغرب . ونحن لو قلنا : « مجترأ » من « اجترأ » بمعنى تشجَّع ، لابتعد المعنى المطلوب عن السياق . ويريد الشاعر أن يقول : ستبقى ملوك الطوائف مختبئة في معاقلها خوفاً من بأس المعتصم ، وهم لو دَرَوْا أنَّ مقامه بين الأفلاك لخرجوا من معاقلهم آمنين صاغرين ؛ لأنْ ليس بآستطاعتهم مقاتلته هناك . وشتّان ما بينه وبينهم ؛ فَمَدَارُه بين الأفلاك ، ومدارهم في المعاقل على الأرض . وفي البيت جناس ناقص بين « الأملاك » و « الأفلاك » .

٥٤ ـ الطَّوْد : الجبل أو عظيمه . والصَياصي : ج صِيْصة وهي الحِصْن . وزنأوا : صعدوا ؛ يقال : زَنَأَ إلى المكان إذا لجأ إليه ودنا ، وزنأ في الجبل إذا صعد إليه . يقول : لو أراد المعتصمُ مقاتلة المُنْتَزِيْنَ في ذلك الطَوْد لبلغ مراده دون صعاب ، وما على هؤلاء الأعداء إلَّا أن يعتبروا ويتّعظوا فيخرجوا من حصون الجبل مستسلمين . وهنا يطابق الشاعر بين « ينزلوا » و « زنأوا » .

٥٥ ـ مَرْفُوٌّ : اسم مفعول رَفَا ؛ يقال : رَفَوْتُ الثوبَ أرفوه رَفْواً : لغة في رَفَأْتُه ، يُهْمَزُ ولا يُهْمَزُ والهمز أعلى ، أي أَلْأَمْتُ خَرْقَه وضَمَمْتُ بعضه إلى بعض ، ورافاه : وافقه ، والرِفاء : الموافقة . لسان العرب مادة (رفا) . وخرق الثوبَ : مزَّقه وشقَّه . ورَفَأوا : أي رَفأوا إلى الحرب ؛ يقال : رَفَأَ إليه إذا دَنَا ولجأ . يقول : إنَّ الأيام الباردة لا توافق أعداء المعتصم لأنْ يتحرّكوا ضدّه ، بل هي أفضل الأوقات لعقد صلح معه . وهم ، كلَّما لجأوا إلى الحرب ، كلما توالت عليهم سيوفُ المعتصم ورماحه ضرباً وتقتيلا . وفي الخريدة ، طبعة مصر : « كلَّ ما رفأوا » أي إنَّ الحرب تخرق منهم كلَّ ما أصلحوا .

٥٦ ـ مَلْكٌ له العِزُّ من ذاتٍ ومن سَلَفٍ   فَحَسْبُ كلِّ الملوكِ آلْهُوْنُ والجَزَأ
٥٧ ـ نَمَتْهُ بَدْراً نجومُ السَّرْوِ من يَمَنٍ   وما كَمِثْلِ النُّجُوْمِ آلنَّقْعُ والحَيأُ
٥٨ ـ تَكَسَّبَا عَصْرُهُ فَخْراً وعُنْصُرُهُ   فقد عَلاَ الفَلَكَ الأعلى بـه سَبَأُ

---

٥٦ ـ الهُوْنُ : الهَوَانُ ونقيضُ العزّ . والجَزَأ ، بالفتح : أصل الكلام « الجَزْءُ » أو « الجزاء » ؛ لأن كلمة « الجَزَأ » غير واردة في معاجم اللغة ، والجَزْءُ : اسم من جَزَأَ بالشيء أي قَنِعَ به ، والجَزاءُ يكون ثواباً ويكون عِقاباً ، والمقصود هنا العِقاب ، وقيل : المجازاة بالشرّ ، والمكافأة بالخير هو الغالب في الاستعمال . يقول : حَسْبُ المعتصم أنه آكتَسَب العزَّ من أجداده ، وأنَّ بقية الملوك آكتسبوا الهوان وآقتنعوا بالذلّ . وفي الخريدة ، طبعة مصر : « والحزأ » بالحاء غير المعجمة ، وهي الدفع الشديد .

٥٧ ـ رواية عجز البيت في الخريدة ، طبعة مصر هي : وما كمثل النجوم الفَقْع والجِبأ . والفقع : الرخو من الكمأة . والجِبأ : ج جبء وهو هنة بيضاء تشبه الكمأة ولا ينتفع بها .
والسَّرْوُ : الفضل والسخاء في المروّة ، وهو في الأصل شجر حسن الهيئة قويم الساق . والنَّقْعُ : الأرض الحُرَّة الطين ليس فيها آرتفاع ولا آنهباط ، يستنقع فيها الماء ، والجمع نِقاع وأَنْقُع . والحَيأُ : أصل القول : « الحَيَا » وهو المطر ، والمقصود هنا المطر المتجمِّع في النَّقْع ، وهنا يهمز الشاعر ما لا يُهْمَز . يقول: إنَّ المعتصم من أَرُوْمَةٍ عربيّة يمنيَّة وسلالةِ فضلٍ وسخاء في المروّة ، نشأ في سماء العزّ والمجد ، ونشأ غيره من الملوك في مستنقعات الذلّ والهَوَان ، إذ لا تتساوى النجوم مع الأرض الحرّة الطين التي يستنقع فيها الماء .

٥٨ ـ في الخريدة طبعة دار نهضة مصر : « تَكَافآ » بدل « تَكَسَّبا » . وفي طبعة الدار التونسية : « سَنَأُ » بدل « سَبَأُ » . والعصر هنا بمعنى النَسَب ؛ يقال : رجلٌ كريمُ العصر، أي كريم النَسَب، وقد يكون بمعنى العهد، أي عهد المعتصم. وكان على الشاعر أن يقول: « تكَسَّب » بلغة المفرد، وذلك حسبما تقتضي قواعد اللغة والنحْو. والعنصر: الحَسَب، وقد يكون بمعنى العنصر البشري، أي رعية المعتصم. وسَبَأ: هو سَبَأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قحطان، وكان يجمع عامة قبائل اليمن. انظر لسان العرب، مادة (سبأ) وجمهرة أنساب العرب ص ٤٦٣ . يقول: كما يفتخر المعتصمُ بنَسَبه وحَسَبه يفتخر بعلوّ منزلته بين الملوك، ولِمَ لا تتيه به الدنيا وتفتخر به الرعيَّة ويَزْهَى به القصر وهو الذي علا به سَبَأُ الفلكَ الأعلى ؟ .

٥٩ ـ إذا صُمَادِحُهُ أَبْدَى وعامِرُهُ   فَلِلْمُبِيرِيْنَ مُسْتَخْفىً ومُنْضَنَأُ
٦٠ ـ مِنَ الأُلَى مَلَكُوا الدنيا وما بَرِحُوا   يَبْنُوْنَ أَسْمِيَةَ العُلْيَا وما فَتَأُوا
٦١ ـ فالحُسْنُ في سِيَرٍ منهمْ وفي صُوَرٍ   إنْ مُوْجِدوا مَجَدُوا أو رُوْضِئوا رَضَأوا

---

٥٩ ـ في الخريدة، طبعة مصر: « ومضطنأ » بدل« ومنضنأ »، وقال المحقق: « في الأصل: منضنأ، ولعلّ الصواب ما أثبتناه ». وفي قوله: « ومنضنأ » خروج على قواعد الصرف لأنه اشتق هذه الكلمة من فعل « انضنأ » وهو فعل لم نلحظه في كتب اللغة، بل لحظنا فعل ضنأ »، فيقال: ضَنَأَ في الأرض إذا ذهب وآختبأ. ورواية عجز البيت في الخريدة ،طبعة الدار التونسية هي: وللمُنيرين مُسْتخفىً ومنطفأ.

وصُمادح: هو الجَدُّ الأعلى للمعتصم. انظر مقدمة الديوان ص ٩٣ . وعامر: هو والد المعتصم أبو الأحوص معن بن صُمـادح، وكان مصاهراً لعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية ووزيراً له. انظر الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٥). والمبيرون: ج مُبير وهو المُهْلك؛ يقال: بارَ الرجلُ إذا هلك، وأباره اللهُ تعالى: أهلكه. يقول: إذا ذَكَرَ المعتصمُ آسَمَ كُلٍ من صمادح وعامر أمام هؤلاء المبيرين آختفوا خوفاً وآنقبضوا خجلاً وحياء. وقد سبق ورود هذا المعنى مع قافية البيت في البيت العاشر من هذه القصيدة، فآنظره .

٦٠ ـ قال في الخريدة : « ومنها في مدح أَوَّلِيّة الممدوح » ، وذكر الأبيات من رقم ٦٠ حتى رقم ٨٠ ضمنا . ومن الأُلَى : أي منذ القدم ؛ والعرب الأُلَى : القدماء . والأَسْمِيَةُ : ج سماء وهو الفلك الكلّي . والعُلْيا : خلاف السُفْلى ، وجمعها عُلَى مثل كُبْرَى وكُبَر . وما فَتَأُوا : ما برحوا ؛ يقال : ما فَتَأَ وما فَتِيء يذكره ، لغتان بفتح التاء وكسرها . يقول : إنَّ آل المعتصم ملكوا الدنيا منذ زمن بعيد وما برحوا يَبْنُوْن أَسْمية المجد حتى اليوم .

٦١ ـ السِّيَرُ : ج سِيْرة . والصُوَرُ : ج صورة وهي هنا بمعنى المنظر . ويريد أن يقول : يروقك خَلْقُهُم وخُلْقُهُم ، منظرُهُم ومَخْبَرُهُم . وهذا قريب من قول آبن عمار من قصيدة مديح في المعتضد بن عبّاد ، ملك إشبيلية (الكامل) :

مَـلِكٌ يَـرُوْقُـكَ خَـلْقُـهُ أو خُـلْقُـهُ   كـالـروضِ يَحْسُنُ مَنْظَراً أو مَخْبَرَا

انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٦٥٦) .

ومُوْجِدوا : أي إذا عارضهم الناس في المجد ، يقال : ماجده مما جدة إذا عارضه في المجد فمجده أي غلبه . ومَجَدُوا : يريد : سبقوا غيرهم في المجد ؛ يقال : مَجَدَ الرجلُ إذا كان ذا مجد . ورَضَأوا : لم أَهْتد على معنىً لهذه الكلمة في كتب =

٦٢ ـ وأبدعوا في صنيع الجُوْد وآبتدعوا   فكلَّمـا سُئِلوا من مُعْوِزٍ سَـلأُوا
٦٣ ـ لولاهُمُ ما يَصُوْبُ المُزْنُ مُسْتَهِماً   متى رَوَى سُيَّبـاً من وَبْلِهِ مَتَـأُوا
٦٤ ـ وبَيْتُ وَفْرِهِمُ إيمانُ وَفْدِهِمُ   فَهُمْ مياسيرُ من حَمْدِ الوَرَى تُكَأُ

= اللغة ، وأغلب الظن أنَّ الشاعر أراد أن يقول : رَضُوا ؛ يقال : راضاني فَرَضَوْتُه أي غالبني في الرِّضا فغلبْتُه وكنت أشدَّ رِضاً منه . وعلى هذا الأساس يكون الشاعر قد همز ما لا يُهْمَز . ورواية عجز البيت في الخريدة ، طبعة مصر هي : إن موجدوا مجدوا أو رُوطئوا رطأوا .

قال المحقق: « في الأصل روضؤا رضؤا ، ولعل الصواب ما أثبتناه » .

٦٢ ـ المُعْوِزُ ، بضم الميم وسكون العين وكسر الراء : الذي أَعْوَزَهُ الدهرُ أي أَفْقَرَهُ ، والجمع مَعاوز . وسَلأوا : أَعْطَوْا وعجّلوا في العطاء ؛ يقال : سَلَأه مائة درهم أي نَقَدَه . يقول : إنهم أهل نَوال وكَرَم ، يجودون على الوَرَى بالمال ويُعْطُوْن الفقراء حاجاتهم . وهنا يوجد جناس ناقص بين « سئلوا » و « سلأوا » . وإذا كانت كلمة « سلأوا » بمعنى سَلَأَ السَّمْنَ أي طبخه فأذاب زُبْدَه ، لَمَا آبتعد المعنى عن المعنى الأول ولكان الشاعر أراد أن يقول : إنَّ أهل المعتصم أهل كرم يُطْعِمُوْن العُفاة والفقراء كلما حلّوا بهم .

٦٣ ـ رواية صدر البيت في الخريدة ، طبعة الدار التونسية هي : فالولاهم يصوب المُزْن مسّهم. ورواية عجز البيت في الخريدة ، طبعة مصر هي : متى روى سبباً من وبله هنئوا .

والمُزْن : السَّحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، مفردها مُزْنة . وصاب المطرُ يَصُوْبُ : انصبَّ ونَزَل. وفي قوله: « مُسْتَهِماً » خروج على قواعد الصرف ؛ لأنه اشتقّ هذه الكلمة من فعل « استهم » ، وهو فعل لم يرد في كتب اللغة العربية ، وورد فيها فعل « هَمَى » ، فيقال : هَمَى الماءُ يَهْمي إذا سال لا يثنيه شيء . والسُيَّب : ج سائبة وهي الأرض المهملة التي تُسَيَّبُ وتُتْرَكُ . والوَبْلُ : المطر الشديد . ومَتَأوا : مَدُّوا حبل العطاء للناس ؛ يقال : مَتَأَ الحبلَ إذا مَدَّه . يقول : لولاهم لما تساقط المطر ثَجّاجاً ، فهم في إغداقهم على المحتاجين الفقراء يفوقون المطرَ وهو يروي الأرض المجدبة . وهنا يبالغ الشاعر في المدح وذلك للوصول إلى أكبر قَدْر ممكن من الصِّلات .

٦٤ ـ في الخريدة ، طبعة الدار التونسيّة : « فكأ» بدل « تُكَأُ » ولم نقع على « فكأ » في كتب اللغة . والوَفْرُ: الغنى والمال الكثير ، والجمع وُفُوْر . وتُكَأُ : ج تُكَأَة ، والرجل التُكَأَةُ : الكثير الاتّكاء . يقول : إنَّ بيت مال بني صُمادح مصدر ثقة الناس ، وكلّما=

٦٥ ـ أقمارُ مُلْتَئِمٍ ، آسادُ مُلْتَحَمٍ يَـرُوْعُنـا مُجْتَلىً منهمْ ومُخْتَـلأَ
٦٦ ـ وما صوارِمُهُمْ إبلاً وقد سَرَحُوا وليس إفْرِنْدُها عُرَى وقـد هَنَـأُوا
٦٧ ـ ولا عوامِلُهُمْ غِيْداً وقد وَمَقُوا ولا أَسِنَّتُها شَيْبـاً وقـد حَنَـأوا

= كثرت الوفودُ عليهم كلّما آتّسعت أرزاقهم وتوافر مالهم . وهذا قريب من قول الحسن بن حسّان السِّناط في وصف جود عبد الرحمن الناصر (الكامل) :

أخـذ الـوَرَى من جُـوْده فَغَنُـوا بِـه كُـلٌّ بِـأجمعِهـمْ ولـم يُـخْـلَلْ بِـهِ
كـالشَّمْسِ تـأخـذُ كـلُّ عَيْنٍ مِـلأهـا منهـا وتَـبْـقَى والـشُّعَـاعُ بِـحَسْبِـهِ

انظر المقتبس (ج ٥ ص ٤٤) . وفي البيت جناس ناقص بين « وفـرهـم » و« وفدهم » .

٦٥ ـ في الخريدة ، طبعة مصر : « مُلْتَثَمٍ » بدل « ملتئم » و« مجتلأ » بدل « ومختلأ » . والملتئم : مكان آلالتئام وآلاجتماع ؛ يقال : التأم القومُ إذا آجتمعوا . والآساد : ج أسد . والملتحم : مكان آلالتحام ، وهو المُعْتَرَك ؛ يقال : التحمت الحربُ إذا آشتدّت وآشتبكت وآختلطت . ومُجْتلىً : من آجتلى أي ظهر وتكشّف .
وفي قوله : « مختلأ » خروج على قواعد الصَّرْف لأنه اشتق هذه الكلمة من فعل « اختلأ » ، ولم نعثر على هذا الفعل في المعاجم ، وعَثَرْنا على « خَلأَ » ، فيقال : خَلأَ الرجلُ إذا لم يَبْرَحْ مكانه . وهنا يتحدث عن آل المعتصم فيقول : إنهم في السِّلْم أقمارٌ يَبُذُّوْن أمراء الطوائف قَدْراً ومنزلةً ، وفي الحرب فرسان يُخيفون الأعداء ، سواء كانوا ظاهرين أو مُتَسَتِّرين.

٦٦ ـ في الخريدة ، طبعة مصر : « عَدّاً » بدل « عُرَى » . والصوارم : ج صارم وهو السيف القاطع . وسرحوا : أي سرحوا الإبلَ فأرسلوها ترعى . والإِفْرِنْد : جوهر السيف ووَشْيُه . والعُرَى : ج عُرْوَة ، وعروة القميص : مدخل زِرِّه ، والمراد هنا أن إفرند السَّيْف ليس مثقوباً ليجب إصلاحه . وهنأوا : أي هنأوا العُرى فطلوها بالهِناء أي القَطِران . يقول : سَرَحُوا سيوفهم وليست إبلاً ، وطلوها بدماء الأعداء وليس بها جَرَب .

٦٧ ـ العوامل : ج عاملة ، وعاملة الرُمْح وعامله : صدره دون السِّنان . والغِيْد : ج غَيْداء وهي الحسناء الطويلة العنق . ووَمَقُوا : أحبّوا . وحنأوا : مخففة من حنّأوا بتشديد النون ؛ يقال : حَنّأ لِحيْته إذا خضبها بالحِنّاء ، وحنّأ رأسه إذا خضبه بالحِنّاء . وغرض الشاعر أنهم أرادوا قتال العدوّ فعشقوا رماحهم وليست حسناواتٍ ، وخضّبوا أسنّتها الشديدة اللَّمَعَان بدماء الأعادي كما يخضّبون لِحاهم بالحِنّاء .

٦٨ - ومِنْ مُناهُمْ مناياهُمْ إذا حَمَلُوا ... وليس بالجالِهِ الهَيّابةِ ٱلخُبَأ

٦٩ - إنْ قَوَّضوا خِلْتَ أنَّ الهُوْجَ ما رَكِبُوا ... أو خَيَّموا خِلْتَ أنَّ الشُّهْبَ ما خَبَأُوا

٧٠ - لا يَعْبَأُوْنَ بمَكْرٍ في مُقَاوِمِهِمْ ... وليس للأُسْدِ بالسِّيْدانِ مُعْتَبَأُ

٧١ - إذا خَطُوْا وَتَرُوا في الأرض شانِئَهُمْ ... وللخطوبِ بها مَسْرىً ومُنْسَرَأ

---

٦٨ - رواية عجز البيت في الخريدة ، طبعة الدار التونسية هي :

وليس بالخالد الهيّابة الحَيَأ

والمنايا : ج منيَّة وهي الموت . وحملوا : كرّوا ؛ يقال : حمل عليه في الحرب حملةً إذا كَرّ. والجاله : اسم فاعل لِفعل جَلَهَ ؛ يقال : جَلَهَ فلاناً إذا ردّه عن أمر شديد . والخُبَأ : مَنِ ٱلتزم بيته وٱستتر ، والعرب تقول : خُبَأَةٌ خيرٌ من يَفَعَة سَوْءٍ ، أي بنتٌ تلزم البيت خير من غلام سَوْءٍ لا خير فيه . والمعنى : إنهم يتمنَّوْن لو يموتون في قلب المعركة ؛ لأن من ٱبتعد عن المُعْتَرك وٱختبأ في بيته ما خلَّد التاريخُ ٱسمه على صفحات الكتب .

٦٩ - قَوَّضوا : نزعوا أطناب الخيام وأسرعوا نحو المُعْتَرَك . والهُوْج : ج هَوْجاء وهي الناقة المسرعة حتى كأنَّ بها هَوَجاً ، أي تسرُّعٌ وطَيْش . والشُّهْب : أصل الكلام الشُّهُب بالضم . وخَبَأوا : ستروا . ومعنى البيت : إذا حَمِيَ وطيسُ المعركة هَبُّوا نحوها ممتطين إبلاً أسرع من العاصفة ، وإذا خَفَّ أُوَارُها وٱنتصروا عادوا ليخيّموا ، وفي حماهم فتياتٌ حسناواتٌ يَسْطَعْنَ كالشهب بياضاً وجمالا .

٧٠ - في الخريدة ، طبعة مصر : « معتنأ » بدل « معتبأ » . والسِّيْدان :ج سِيْد وهو الذئب. وفي قوله : « معتبأ » خروج على قواعد الصرف لأنه اشتقّ هذه الكلمة من فعل « اعتبأ » وهو فعل لم يرد في كتب اللغة ، وورد فيها فعل « عَبَأ » فيقال : ما عَبَأْتُ به إذا لم يكن له عندي وزن ولا قَدْر . يقول : لا يبالون بمكر أعدائهم ، إذ هم الأُسْد ، وأعداؤهم ذئاب ترتعد فرائصها خوفاً منهم .

٧١ - في الخريدة ، طبعة مصر : « أوتروا » بدل « وتروا » . ووتروا شانئهم : أصابوه بذَحْلٍ أي بثأر ، والشانىء هو المُبْغِض ؛ قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ شانئك هو الأبْتَر** ﴾ أي إنَّ مُبْغِضك هو المنقطع عن كل خيرأو المنقطع العَقِب أي منقطع الولد وولد الولد . سورة الكوثر ١٠٨ ، الآية ٣ . والمَسْرى : يصلح أن يكون مصدراً وٱسم مكان أو زمان للسُّرَى ، والجمع مسارٍ ، والسُّرَى : السَّيْرُ ليلاً ، ومن أمثالهم : « عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى » ، يُضْرَبُ لمن يحتمل المشقّة رجاءَ الراحة ، ويضرب أيضاً في الحثِّ=

٧٢ ـ فإنْ رَمَيْتَ بهمْ أقصى النَّدَى بلغوا　　وإن مَنَيْتَ بهمْ شُوْسَ العِدَى نَكَأُوا
٧٣ ـ والخَلْقُ من مَلَكَاتِ الظُّلْمِ في ظُلَمٍ　　وقد مَضتْ هِنأٌ مِنْ بَعْدِها هِنَأُ
٧٤ ـ ومُخْلِبٍ منه للأهواءِ مُخْتَلِبُ　　ومُرْتَمٍ فيه لِلعَلْيَاءِ مُرْتَمَأُ

= على مزاولة الأمر والصَّبْر أو يضرب لما يُنال بالمشقّة ويوصل إليه بالتعب . ومنسرأ : أصل الكلام : ومنسرى ، مأخوذ من آنسرى ؛ يقال : انسرى عنه الهمُّ إذا انكشف وتجّلى ، وهنا يهمز الشاعر ما لا يهمز . يقول : إذا خَطُوا ثأروا بمبغضيهم ، فأزالوا الهمَّ عنهم ؛ ذلك أنَّ بلوغ الأمر العظيم لا يتأتّى إلاَّ بعد مكابدة وطول مشقّة . وعجز البيت يدخل في باب الحكمة .

٧٢ ـ رواية عجز البيت في الخريدة ، طبعة مصر هي : وإنْ مَنَوْتَ بهمْ شُوْسَ العدا زَكَئوا. ومَنَيْتَهُمْ ومَنَوْتهم : اختبرتهم . وشوس : ج أشوس وهو الجريء على القتال الشديد . ونكأوا : لغة في نَكَيْتُهُم ؛ يقال : نَكَيْتُ في العدو نِكاية أي غَلَبْتُه . يقول : إنهم رأس الأجواد والأسخياء ورأس الأبطال الشجعان ، يجمعون السَّخاء والكرم والبأس والشجاعة .

٧٣ ـ في الخريدة ، طبعة مصر : « مَكَمات » بدل « مَلَكات » . وفي الخريدة ، طبعة الدار التونسية : « من بعدها هنأوا » . والظُّلَمُ : ج ظُلْمَة وهي ذهاب النور ، ولعلَّ الشاعر كنى بها عن الضلالة . وهِنَأٌ : أصل الكلام هِنْءٌ بكسر الهاء وسكون النون ، وهي الطائفة من الليل ، وقد يقصد بها الضلالة . يقول : قبل أن ينتصر بنو صمادح على أعدائهم كان الجَوْر والظلم يموجان في الأرض ، والآن ترك بنو صمادح الأرضَ ساكنةً لا رَفَثٌ فيها ولا فُسُوْق ، فآختفى بذلك كلُّ مظاهر الظلم والفساد .

٧٤ ـ رواية صدر البيت في الخريدة ، طبعة الدار التونسية هي : ومحلب منه للأهواء محتلب .
والمُخْلِب : اسم فاعل لفعل خَلَبَ ؛ يقال : خلبه إذا خدعه ، وخلب المرأةَ عَقْلَها : سلبها إيّاه ، وخلبتْ هي قلبه وآختلبته : أخذته وذهبت به . والأهواء هنا بمعنى العقول ، أي عقول أعدائه . وهنا يعود الشاعر إلى مدح المعتصم ، ومراده أن يقول : إنه صاحب مكائد يكمن لأعدائه ، وكَوْنُ الحرب خُدْعة فإنَّ الظفر بها يكون بحسن التدبير والحزم لا بمجرد الشجاعة والإقدام ، فنفاذ الرأي في الحرب أنفذ من الطعن والضرب . وفي المثل « إذا لم تَغْلُبْ فآخلُبْ » أي إذا لم تنلْ حاجتك بالغلبة فتسبَّبْ لنوالها بالخديعة . وقد تقدم مثل هذا المعنى في البيت رقم ٥٠ من هذه القصيدة . =

٧٥ ـ إذا جَلَا النَّصْرَ مِنْ خِرْصانِهِ وَضَحٌ عَـلَا الغزالـةَ من قَسْـطالـه صَـدَأُ
٧٦ ـ مِنْ كلِّ أَحْوَسَ نَثْرُ النَثْرِ دَيْدَنُهُ إذا يَـرَى لُـدْنَـهُ مُسْتَلْئِمـاً يَـرَأُ

= ومُرْتَمٍ : اسم فاعل لمطاوعة رَمَى ، ويستعمل بمعنى الرامي ؛ يقال : فلان مُرْتَمٍ ومُرْتَمىً لهم : أي طليعة . والعلياء : السماء. وفي قوله: « مرتمأ » خروج على قواعد الصرف لأنه اشتقَّ هذه الكلمة من فعل « ارتمأ » وهو لم يرد في كتب اللغة ، وورد فعل « رمأ » فيقال: رَمَأَ الرجلُ بالمكان إذا أقام فيه. وقد يكون أصل القول: «مُرْتَمىً »، وهو مكان الرمي وموضعه، وبذلك يكون الشاعر قد همز ما لا يهمز . وغرض الشاعر أن يقول : إنَّ منزلة المعتصم فوق منزلة البشر ، لا ينزل من عليائه ، حتى السماءُ تدور في فلكه وتسير في مَسْراه .

٧٥ ـ الخِرْصان : ج خِرْص وهو الرُمْح . والوَضَحُ : البياض والضوء . والغزالة : الشمس . والقَسْطال ، بفتح القاف : الغبار الساطع في الحرب . يقول : عندما توقَّف القتالُ وأصبح النصرُ حليفَ المعتصم، كان العَجاج يُغطِّي أذيال الشمس بحيث أَحْجَبَها عن إرسال أشعّتها إلى الأرض وأحجبنا بالتالي عن رؤيتها. وهذا المعنى قريب من قول ابن عبد ربه (البسيط):

في قَسْطَلٍ من عَجاج الحربِ مُدَّ لهُ بين السمـاء وبيـن الأرض أستـارُ

العقد الفريد (ج ١ ص ١١٤) .

٧٦ ـ رواية عجز البيت في الخريدة ، طبعة مصر هي : إذا لديه يرى مُسْتَلْئِماً يَرَأُ . وقال المحقق : « وفي الأصل : إذا يرى لديه . . . ولعلّ الصواب ما أثبتناه » . وفي الخريدة ، طبعة الدار التونسية : « أحوش » بدل « أحوس » . والأحوس : الجريء الذي لا يردُّه شيء . والنَثْر : ج نَثْرَة وهي فُرْجَةٌ ما بين الشاربين ، وكذلك هي من الأسد ، والمقصود أنهم شجعان يخيفون أعداءهم . والدَّيْدَن: الدأب والعادة . ولُدْنٌ : ظرف زماني ومكاني ، معناه عنده . والمستلئم : اللابس الدرع . ويَرَأ : أي يرأ المستلئمَ فيدفعه ؛ يقال : وَرَأَ الرجلَ يَرَأُه إذا دفعه . ويريد الشاعر أن يقول : إنَّ جنود المعتصم شجعان لا يهابون الموت ولا يَهُوْلهم شيء ؛ إنهم كالأسود في انقضاضهم على أعدائهم المستلئمين دروعهم .

٧٧ـ يجيءُ كالهَصِرِ الفَضْفاضِ مقتتلاً أَصَمُّ كـالأرقم النَضْناض إذْ يَجَأُ
٧٨ـ وللمَنُـوْنِ بِيُمْنَـاهُ عُيُـونُ دِمَـا في جـدولٍ يتحامَى وِرْدَه الـظَّمَأ
٧٩ـ فراح نحو دَمِ الأبطال تَحْسِبُهُ راحـاً لها بـالقَنَـا العَسَّـالِ مُسْتَبَـأ
٨٠ـ في مَوْقِفٍ للمَنَايَا فيه مُرْتَكَضٌ على الجِيَـادِ، ولـلأجنـادِ مُنْهَـدَأ

٧٧ـ في الخريدة، طبعة مصر: «مُقْتَبَلًا» بدل «مقتتلا»، «وكالهيصر» بدل «كالهَصِرِ»، وقال المحقّق: «وفي الأصل الهَصِر وبه يختل الوزن.» والأصح عكس ما ذهب إليه المحقق. والهصِر، بفتح الهاء وكسر الصاد: الأسد. والفضفاض: الواسع، والمراد الأسد الواسع الصدر الضخم. والأصمّ من الحيّات: ما لا يَقْبَلُ الرُقْيَةَ كأنه قد صَمَّ عن سماعها. والأرقم: أخبث الحيّات، أو ذَكَرُ الحيّات، والأنثى يقال لها رَقْشاء ولا يقال رقماء. والأرقم النَضْناض: ذو الحركة الدائمـة، أو الذي إذا نهش قتل من ساعته. قال الحريري من مقامته المعريّة: تلدغ بلسانٍ نَضْناض وترفل في ذَيلٍ فضفاض، أي واسع الخيط لطوله، والمراد بها الإبرة. ويجأ: يضرب؛ يقال: وَجَأه باليد والسكين إذا ضربه في أي موضع كان. يقول: إنه يقدم إلى المعركة كالأسد الذي يهجم على فريسته، وإذا ضرب عدوَّه بسيفه أماته في حينه، فهو كالأرقم الذي إذا نَهَشَ إنساناً قتله من ساعته.

٧٨ـ بيمناه: أي بسيفه الذي بيده اليمنى. والوِرْدُ: النصيب من الماء؛ يقال: وَرَدَ الماءَ خلاف صدر عنه. والظَّمَأ: العطش، وهنا ذكر الظَّمَأ وأراد الظَّمْآن أي العطشان. يقول: إذا ضرب أعداءه بسيفه خَرُّوا مُضَرَّجين بدمائهم التي تسيل من عروقهم جداول أو عيوناً يتحامى العَطْشى عن الورود إليها؛ لأنها عيون دماء وليست عيون ماء.

٧٩ـ الراح: الخمر. والقَنَا العَسّال: الرُّمْح العاسل المضطرب اللَدْن الذي يهتزُّ لينا. ومُسْتَبَأ: من آستبأ الخمرَ إذا سَبَأها أي شراها ليشربها. يقول: جعل دمَ أعدائه، وهو ينصبُّ من كُلَاهُمْ ومفاصلهم بسمر رماحه الذوابل، خمراً آبتاعها وأدارها كؤوساً عليه وعلى نَدْمانه.

٨٠ـ في الخريدة، طبعة مصر: «وللأحقاد» بدل «وللأجناد». والمُرْتَكَضُ: من آرتكض؛ يقال: ارتكض فلانٌ في أمره إذا آضطرب، وقول الحريري: الارتكاض بابُها والنشاط جِلْبابها، أراد بالارتكاض السياحة وجوب البلاد، ومرتكض الماء: موضع مَجَمِّه. وفي قوله: «منهدأ» خروج على قواعد الصرف لأنه اشتق هذه الكلمة من «انهدأ»، وهو فعل لم يرد في معاجم اللغة، بل ورد فعل «هَدَأ». يقول: إنَّ جِيادَ الممدوح نشيطة تجوب المُعْتَرَكَ، وإذا ما عَقَدَ جنودُه رايةَ النصر هدأوا وسكنوا إلى ما وصلوا إليه.

٨١ - وتلك عَنْقَاؤنا وافْتَكَ مُغْرِبَةً بِحُسْنِها فآستوى العِقْبانُ والحِدَأُ

٨٢ - بِدْعٌ من النَظْمِ مَوْشِيُّ الحُلَى عَجَبٌ تُنْسي الفحولَ وما حاكوا وما حَكَأوا

٨٣ - وكلُّ مُخْتَرَعٍ للنَّفْس مُبْتَدَعٍ فمنه للرُّوحِ رَوْحٌ والحِجَى حَجَأُ

٨٤ - أَنْشَأْتُهَا للعقول الزُهْر مُصْبِيَةً كأنّها للنُّفُوسِ الخُرَّدُ النَشَأُ

---

٨١ - قال في الخريدة : « في وصف الشعر » ، وذكر الأبيات من رقم ٨١ حتى رقم ٨٩ . والعنقاء : طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم ، والمراد بها الشِّعْر . ومُغْرِبَة : من أَغْرَب ، أي صار غريباً ، وُصِفَ هذا الطائر بالمُغْرِب أو المُغْرِبة لبعده عن الناس ، نقول « مُغْرِب » ؛ لأن العنقاء آسمٌ يقع على الذكر والأنثى ، ومنه المثل : « حَلَّقَتْ به عَنْقاءُ مُغْرِبٌ » ، يضرب لما يئس منه . انظر مجمع الأمثال للميداني (ج ١ ص ٢٠١ رقم ١٠٦٠) . والعِقْبان : جمع عُقَاب وهي طائر من العِتاق أي الجوارح ، مؤنثة ، وقيل : العقاب يقع على الذكر والأنثى . والحِدَأ ، بكسر الحاء : ج حِدأة وهي طائر من أصيد الجوارح كان يصيد على عهد سليمان عليه السلام . يقول : جاءك شعري عجيباً غريباً لا مثيل له ، فهو في إبداعه وحسنه يتميّز عن غيره من المنظوم ، كالعُقاب أو الحِدأة التي تتميّز عن غيرها من الطيور .

٨٢ - بِدْعٌ: خبر « العنقاء » في البيت السابق، والبِدْعُ: المُبْتَدَع. وحاكوا: نَسَجُوا، أي ما نَظَمُوا من شعر. وحكأوا هنا بمعنى أحكموا العُقَدَ، يقال: حَكَأَ العُقْدَةَ إذا أحكمها. يقول: إن شعري بديع مُحْكم السَّدَى واللُّحْمَة، أَنْسى فحولَ الشعراء وما نظموه من شعر .

٨٣ - كلُّ : خبر « العنقاء». والرَوْح ، بفتح الراء وسكون الواو : الراحة . والحِجَى : العقل . والحَجَأ : الفرح ، يقال : حَجَأ بالأمر وحَجِيء به أي فرح به . يقول : إنَّ ما نظمْتُهُ من شعرٍ بديعٍ جميلٍ يريح النَّفْسَ والعقل معا .

٨٤ - مُصْبِية : مشتاقة ؛ يقال : أَصْبَتِ المرأةُ فلاناً إذا شاقَتْه ودَعَتْه إلى الصِّبا فحنَّ إليها . والزُهْر : النَّيِّرة . والخُرَّد : ج خريدة وخَرُوْد وهي البِكْر لم تُمْسَسْ أو الخَفِرة الطويلة السكوت . ونَشَأ : ج ناشيء ؛ يقال : غلامٌ ناشيء وجارية ناشيء . يقول أنشأْتُ قصائدي لذويّ العقول النَّيِّرة ؛ فكأنما هي كواعبُ آشتقْنَ إلى لقاء من عَشِقْنَ وأَحْبَبْنَ .

٨٥ ـ لم يأتِ قبليْ ولن يأتيْ بها بَشَرٌ   وحُقَّ أَنْ يَخْبَأُوا عنها كما خَبَأُوا
٨٦ ـ قَبَضْتُ منها لُيُوثَ النَّظْمِ مُجْتَرِئاً   وغيرُ بِدْعٍ من الضِّرْغام مُجْتَرَأُ
٨٧ ـ وفي القريض كما في الغِيل مَأْسَدَةٌ   والقومُ حَوْزٌ بمرعى البَهْمِ قد جَزَأُوا
٨٨ ـ وجَمْعُ بعضٍ قوافيها يَؤُوْدُهُمُ   ولـو مُنُـوا بمبـانيهـا إذاً وَدَأُوا

---

٨٥ ـ خبأوا : أي خبأوا قصائدهم ، والمفعول به محذوف ؛ يقال : خَبَأَ الشيءَ يَخْبَأُه إذا ستره وأخفاه . ويريد الشاعر أن يقول : ما عَرَفَتِ الأندلسُ ولن تعرف شعراً كشعري ، ومن الإنصاف أن يُخْفي شعراءُ الأندلس قصائدهم كما أَخْفَوْها من قبلُ آحتقاراً لها وآستصغاراً لشأنها أمام عظمة قصائدي . ورواية عجز البيت في الخريدة ، طبعة مصر هي :

وحُقَّ أنْ يوجئوا عنها كما وجئوا

وقال المحقّق : « في الأصل أن يجئوا عنها كما جئوا ، ولعلَّ الصواب ما أثبتناه». وفي المصدر نفسه : « قبل » بدل « قبلي » .

٨٦ ـ في الخريدة ، طبعة الدار التونسية : « قضيْتُ » بدل « قبضْتُ » . ومجترئاً : أي جريء مِقْدام ؛ يقال : اجترأ عليه إذا تشجَّع . وبِدْعٌ : أول ؛ يقال : فلان بِدْعٌ في هذا الأمر أي أول لم يَسْبِقْه أحد . والضِرْغام : الأسد . يقول : إنه نسيجُ وَحْدِهِ وفارسُ الشعراء ، الذي لا يُجارى ، إنه أسد الأسود ، الذي لا يَجْرُؤ أحدهم أن يصمد أمام صولاته .

٨٧ ـ في الخريدة ، طبعة مصر : « حُزِئوا » بدل « جَزَأُوا » . والقريض : الشِّعْر . والغِيْل : الشجر الكثير الملتفّ ، والجمع أغيال . والمأسَدَة : المكان الذي تكثر أو تُرَبَّى فيه الأسود ، والجمع مآسد . وحَوْزٌ : من حازَ الإبلَ إذا ساقها سوقاً رويدا . والبَهْم : ج بَهْمة وهي أولاد الضان والمَعَز والبقر . وجزأوا : قنعوا وآكتفوا ؛ يقال : جزأتِ الإبلُ إذا آكتفتْ بالرُطْب عن الماء . ويريد القول : إنه إمام الشعراء بالأندلس ، بل أسد في ميدان الشعر ، وبقيّةُ الشعراء بَهْمٌ تُساق إلى المرعى لتحصل على ما يكفيها من العشب.

٨٨ ـ يؤودهم : يُجْهِدُهُمْ ويُثْقِلُهُمْ ؛ يقال : آدني يؤودني أي أثقلني . ومُنُوا بمبانيها : أي آبتلُوْا بها أو آمتحنوا . وفي قوله : « ودأوا » يريد « هلكوا » ؛ لأنَّ « الوَدَأ » هو الهلاك . وبذلك يكون معنى البيت هكذا : إذا أرادوا أن ينظموا شعرا أخفقوا ، وإذا آمتُحِنوا به =

٨٩ ـ أَشْجَى مسامِعَهُمْ تِيْهاً بما سَمِعُوا ولا تَقَــرُّ لهـمْ عَيْـنٌ إذا قــرأوا

= هلكوا . وإذا أراد : « ودأوا مبانيها » بمعنى « سوّوها » ؛ لأننا نقول : وَدَأَ الشيءَ وودَّأَهُ إذا سوّاه ، يكون معنى عجز البيت : إذا آختُبِروا في نظم الشعر قد ينجحون ولكن بعد جهد ومشقة كبيرين .

٨٩ ـ في الخريدة ، طبعة الدار التونسية : « تَشْحَى مسامعهم منها » ، وقال المحقّق : « في الأصل : أشجى مسامعهم . . » . وأشجى مسامعهم : أي إنَّ الشِّعْر طرَّبهم عندما سمعوه . وقَرَّتِ العَيْنُ : بردت سروراً وآنقطع بكاؤها وخفَّ دمعها ؛ لأن دمع الفرح باردٌ ودمع الحزن سخن . وقرأوا : أي قرأوا الشِّعْر . يقول : حين سمعوا شعري طربوا وما ملكوا أنفسهم من شدة الفرح ، ولكنهم عندما جمعوه وقرأوه طغى عليهم الحسد وما قَرَّت عيونهم مما رأوه .

وقال يمدح المعتصمَ بن صمادح سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، وأُخِذَ عليه أنه هَمَزَ فيها ما لا يُهْمَزُ (الطويل) :

تخريج الأبيات :

في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٩ ـ ٧١١) : الأبيات ١ ـ ٦ ، ٨ ـ ٩ ، ١١ ، ١٦ ، ١٨ ـ ٢٨ . قال آبن بسام : « ما أخرجته من المدائح في أميره آبن صمادح ، من ذلك قصيدةٌ (القصيدة الهمزية المذكورة) أولها » .

وفي الخريدة (ج ٢ ص ٢٧١ ـ ٢٧٣) طبعة الدار التونسية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٧٧ ـ ١٨٠ : الأبيات : ١ ، ٣ ـ ٩ ، ١١ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٢٤ ـ ٢٦ ، ٢٩ ـ ٣٥ . قال الأصفهاني : « وله القصيدتان المهموزتان (الهمزية المذكورة والتي سبقتها) وكل واحدة أكثر من مائة بيت ، وليس في الغرب أشعر منه . ووجدْتُ له في مجموعٍ من قصيدةٍ في آبن صمادح الفِهْري » . وفي مسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠٢) : الأبيات ١ ، ٣ ، ٦ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٤ ـ ٢٨ . قال العمري : « وقوله في مذهب المديح » . وذكر الأبيات .

وفي مطمح الأنفس ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ : الأبيات ١ ـ ٤ ، ٧ ، ٩ ـ ١٠ ، ١٤ ـ ١٧ .

وفي وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤١ ـ ٤٢) : الأبيات ١ ـ ١٧ . قال آبن خلّكان : « في مديحه قصائد بديعة ، فمن ذلك قصيدته التي أولها » . وذكر الأبيات .

وفي نفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٣) : الأبيات ١ ـ ٦ ، ٨ .

وفي المغرب في حلى المغرب (ج ٢ ص ١٤٤) : البيتان الأول والثالث . قال آبن سعيد : « وفي آبن صمادح قصيدته التي أولها » . وذكر البيتين .

وفي رايات المبرزين ص ٧٤ : البيت الأول ، وفي صحيفة ٢٣٤ البيت نفسه مترجماً باللغة الإسبانية . قال آبن سعيد : « وهو صاحب القصيدة المشهورة في ملك المريّة المعتصم بن صمادح » . وذكر البيت .

وفي الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٤٦) : البيت الأول . قال الصفدي : « وآمتدحه آبن الحداد (أي آمتدح المعتصمَ) بقصيدة أولها » وذكر البيت .

وفي الإحاطة التي لا تحمل اسم المحقق (ج ٢ ص ٢٥٢) البيتان الأول والثاني .

وفي الإحاطة تحقيق عنان (ج ٢ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٧) الأبيات : ١ ـ ٦ ، ٨ ـ ٩ ، ١١ ، ١٦ ، ١٨ ـ ٢٨ . قال آبن الخطيب :«ومن شعره في الأمداح الصُّمادحيّة » . وذكر البيتين في الطبعة الأولى ، والأبيات وعددها ٢١ بيتاً في الطبعة الثانية .

- ٢ -

١ ـ لعلَّكَ بالوادي المُقَدَّسِ شاطِىءٌ فكالعَنْبَرِ الهِنْدِيِّ ما أنا واطِىءُ

٢ ـ وإنِّيَ في رَيّاكَ واجِدُ رِيْحِهِمْ فَرَوْحُ الهوى بين الجوانحِ ناشىء

---

١ ـ في الخريدة : « للوادي » . وفي الإحاطة : « وكالعنبر الهنديِّ ما أنت واطىءُ ».وشَطَأَ الرجلُ : مشى على الشاطىء . ووطئه برجله يطأه وَطْأً : علاه بها وداسه . وكاف الخطاب في « لعلَّك » قد تعود على رسول الشاعر الذي بعث به إلى منزل محبوبته . والوادي المقدَّس : أي المطهَّر المبارك ، وأغلب الظن أنَّ الشاعر أراد وادي المرية المشهور الذي وصفه آبن فضل الله العمري في قوله : « ووادي المرية يقال فيه إنه أبدع الأودية ، على أنَّ الماء فيه يقلّ في الصيف فيكون بالقِسْط للبساتين ، ويبلغ متصلاً بِمَرْشانة وقراها أربعين ميلا » . وصف إفريقية والمغرب والأندلس ص ٤٦ . وذكره المقري بقوله : طوله أربعون ميلاً ، كله بساتين بهجة ، وجنّات نضرة ، وأنهار مطردة ، وطيور مغرّدة . نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣) . وذكر الزبيدي أنّ أهل الأندلس كانوا يخصّون الوادي للنهر ؛ لأنهم كانوا يجعلون للفظ العام معنىً خاصا . انظر لحن العامة ص ١١٠ . يقول : لعلَّك مَرَرْتَ على شاطىء وادي المريّة المقدَّس فوطئَتْ رِجْلاكَ ـ كما وطئتْ رجلاي من قبلُ أو كما تطأ الآن ـ أرضاً تضوع منها رائحة العنبر الهنديّ . ولقد آقتبس آبن الحداد معنى صدر البيت من قوله تعالى ﴿ **إني أنا ربُّك فآخلعْ نَعْلَيْكَ إنَّكَ بالوادِ المقدَّس طُوى** ﴾ أي طُوي مرتين أي قُدِّس . وآخلعْ **نعليك** : أي تأدَّبْ وتواضعْ في المكان المطهَّر المبارك . سورة طه ٢٠ الآية ١٢ ، وآنظر التفسير المبين لمحمد جواد مغنّية ، وتفسير الجلالين .

٢ ـ في وفيات الأعيان : « من ريّاك » . وفي نفح الطيب : « فَجَمْرُ الأسى » بدل « فَرَوْحُ الهوى » . ورواية البيت في الإحاطة التي لا تحمل اسم المحقق هي :

وإنِّي أراني واجداً عَرْفَ ريحهمْ ورَوْحُ الجَوَى بين الجوانح شاطىءُ

وفي الإحاطة تحقيق عنان:

وإنِّي في ريّاك واجدٌ عُرْفَ ريحهمْ فَرَوْحُ الجَوَى بين الجوانح ناشىءُ

وفي الرواية الثانية ينكسر وزن صدر البيت . والريَّا : الريح الطيبة ، مؤنث ريّان . وريحهم : أي ريح أهل المحبوبة . والرَّوْح : الريح والنسيم . والجوانح : الأضلاع ، واحدتها جانحة .

٣ - ولِي في السُّرَى من نارِهِمْ ومَنارِهِمْ   هُــداةٌ حُـداةٌ والنُّجُــوْمُ طـوافىءُ
٤ - لذلك ما حَنَّتْ رِكابِي وحَمْحَمَتْ   عِـرابِي وأَوْحَى سَيْرُهـا المتباطىءُ
٥ - فهل هاجَها ما هاجَنِي ؟ أو لعلَّها   إلى الوَخْدِ من نيران وَجْدِي لواجىءُ
٦ - رُوَيْداً فذا وادي لُبَيْنَى وإنَّه   لَــوِرْدُ لُبَــانــاتي وإنِّـي لَــظَامِىء

---

٣ - في مسالك الأبصار ووفيات الأعيان : « حُداةٌ هُداةٌ والنجومُ طوافىءُ » . وفي المغرب : « حَوادٍ هَوادٍ والنجومُ طوافىءُ » . والسُّرَى : السَّيْرُ ليلاً نحو ديار المحبوبة . والهُداة : ج هادٍ وهو المرشد . والحُداة : ج حادٍ وهو الذي يحدو الإبلَ أي يسوقها بالغناء ؛ قال آبن رشيق : إن أول من حَدَا هو مُضَر بن نزار ؛ وذلك أنه سقط عن جمل فآنكسرت يده فحملوه وهو يقول : وايداه ، وايداه ! وكان أحسن خلق الله صوتاً ، فأصغت الإبل إليه وجَدَّتْ السَّيْر ، فجعلت العرب مثالاً لقوله هايدا ، هايدا ، يحدون به للإبل . ومنذ ذلك الوقت والناس يستفتحون الحُداء . الـعـمـدة (ج ٢ ص ٣١٤) . والنجوم طوافىء : أي إنَّ السماء خالية تماماً من النجوم . وهكذا لم يكن الشاعر ، في ذلك الليل الداجي ، بحاجة إلى أن يغنِّي لراحلته كي تجدَّ في سيرها وتقلّه إلى بيت محبوبته ؛ لأن نار أهلها المضطرمة طوال الليل تقوم بهذه الوظيفة خير قيام . وجَعْلُ النارِ دليلَ السائرين ليلاً كثيرٌ في شعر العرب .

٤ - الرِّكاب : الإبل ، واحدتها راحلة . وحَمْحَمَ الفرسُ : ردَّد صوته في صدره إذا رأى من يأنس به ، ومنه قول عنترة بن شداد العبسي في جواده (الكامل) :

فـآزورَّ مِــن وَقْــعِ الـقَـنـا بِلَبـانِهِ   فَـشَـكَـا إلـيَّ بِـعَـبْـرَةٍ وتَحَمْحُمِ

ديوان عنترة ص ٩٥ .

والعِراب : الأعْرُب من الخيل ، جمع عربي ؛ والخيل العِراب : السالمة عن الهُجْنَة . يقول : إنَّ إبلي ما حنَّتْ للسفر ، ولا خيلي حَمْحَمَتْ وتهيَّأتْ للرحيل ، ولا سَيْرها البطيء أوحى إليَّ بشيء من ذلك .

٥ - في النفح : « ولعلَّها إلى الوخد من نيران قلبي » . وفي وفيات الأعيان : « ولعلها إلى الوجد من نيران قلبي » . والهاء في « هاجها » تعود على الرِّكاب والعراب . والوخد : السرعة ، يقال : وَخَدَ البعيرُ يَخِدُ وَخْداً إذا أسرع . يقول : إن إبلي وعرابي قد هاجها الذي هاجني ، أو إنَّها لجأت مسرعة إلى مكان الحبيب خوفاً عليَّ من نيران وَجْدي .

٦ - رويداً : مهلا . ووادي لُبَيْنَى : أغلب الظن أنه من متنزَّهات المرية التي كان يقصدها أهل المرية في أيام الصيف ، وقد أشار إليه الدكتور عبد العزيز سالم بقوله : لعله جدول متفـرع من وادي بَجَّانـة. تاريـخ مدينـة المريـة الإسـلاميـة ص ١٣٤ . =

٧ - ويا حَبَّذا من آلِ لُبْنى مَواطِنٌ ويا حَبَّذَا من أرض لُبْنى مَوَاطِىءُ
٨ - ميادينُ تَهْيامِي ومَسْرَحُ ناظِري فَلِلشَّوْقِ غاياتٌ به ومبادىء
٩ - ولا تَحْسِبُوا غِيْداً حَمَتْها مقاصِرٌ فتلك قلوبٌ ضُمِّنَتْها جآجىء

= والوِرْد : اسم من وَرَدَ الماء يَرِدُهُ ، وهو خلاف صَدَرَ عنه ، وهو النصيب من الماء . واللُّبانَات : ج لُبَانة وهي الْحاجة ، ولعل المقصود إبله العَطْشَى . والظامىء : العطشان. وكونه آقترب من ذلك المتنزّه العزيز على قلبه فقد طلب من راحلته التي يمتطيها أن تبرك فيه لعله يستعيد ذكريات ماضيه .

٧ - في وفيات الأعيان : « في أرضِ » . ولبنى : لعله يرمز بها إلى محبوبته ؛ ذكر آبن رشيق أن « لبنى » من الأسماء التي كانت تَخُفُّ على ألسنة الشعراء وتَحْلُوْ في أفواههم بحيث كانوا يأتون بها زُوْراً ، وهذه الأسماء هي ليلى ، وهند ، وسلمى ، ودَعْد ، وعَفْراء ، وأروى ، وريّا ، وفاطمة ، وميّة ، وعُلْوة ، وعائشة ، والرَّباب ، وجُمْل ، وزينب ، ونُعْم ، وأشباههنّ بما فيهنّ آسم لبنى . أما عزّة وبثينة ، يضيف آبن رشيق ، فقد حماهما كُثيِّر وجميل ، حتى كأنما حُرِّما على الشعراء. العمدة (ج ٢ ص ١٢٢) .
ومواطن : جمع مَوْطن وهو الوطن ، وكل مكان قام به الإنسان لأمر . ومواطىء : ج مَوْطِىء وهو موضع القَدَم . يقول : نِعْمَ مواطنُ آل لبنى ونِعْمَ مواطئها .

٨ - في نفح الطيب : « موارد تَهْيامِي » . وفي الخريدة ووفيات الأعيان : « ومسرح خاطري » . وفي المصادر نفسها : « غاياتٌ بها » . وفي الإحاطة : « غايات لها » . وميادين تهيامي : أي إنَّ مواطن آل لبنى هي ميادين تَهْيامي ، والتَّهْيَام هو العشق والهُيام . وبه : الهاء تعود على المسرح . يريد القول : إنَّ شوقي الحار يبغي اللقاء بالمحبوبة في تلك الربوع الخضراء من ذلك الوادي الجميل .

٩ - في الخريدة : « فلا تحسبوا » . وفي المصدر نفسه ، ووفيات الأعيان ، والمطمح : « حوتها مقاصِرُ » . والغِيْد : ج غَيْدَاء وهي المرأة المتثنِّية ليناً والتي بَشَرَتُها لطيفة وحسنها على الكمال ، والطويلة العنق . ومقاصر : ج مقصورة وهي الدار الواسعة . وضُمِّنَتْها : كفلتها ، أي إنَّ الله ، سبحانه وتعالى ، جعل الصدور تكفل القلوب وتحميها . والجآجىء : ج جُؤْجؤ ، والجؤجؤ من الطائر والسفينة : الصدر . ولقد ألَمَّ آبن الحداد بقول ليلى الأَخْيَلية المتوفاة سنة ٨٠ هـ (الكامل) :

إنَّ الخليع ورهطه في عامرٍ كالقلب أُلْبس جُؤجؤاً وخزيما=

١٠ ـ وفي الكِلَّة الزَّرْقَاءِ مَكْلُوْءُ عَزَّةَ تَحِفُّ به زُرْقُ العوالي الكَـوَالِىءُ
١١ ـ مَحَا مِلَّة السُّلْوانِ مَبْعَثُ حُسْنِهِ فكـلٌّ إلى دِيْنِ الصَّبـابَـةِ صـابِىءُ

= انظر محيط المحيط (جأجأ) . يقول آبن الحداد : فكما أن الفتيات اللواتي تأويهنَّ القصور ليست كلهنَّ غيداً ، فإنَّ قلوباً كثيرة ـ وإن بدت في صدور تزيِّنها ثيابٌ مزركشة ـ تمتلىء حقداً وضغينة ، مشيراً بذلك إلى ما يعانِيْه من قسوة قلب محبوبته .

١٠ ـ رواية البيت في مطمح الأنفس هي :

وفي الكِلَل اللاتي لِعَزَّةَ ظبيةٌ تَحُفُّ بها زُرْقُ العوالي الكوالىءُ

والكِلَّة : سِتْرٌ رقيق أو غِشاء رقيق يُخاط كالبيت يُتَوقَّى به من البعوض ويعرف، عند العامة بالناموسيّة ، وجمعها كِلل . والزرقاء : أي إن قماشها أزرق اللون شديد الصفاء . ومكلوء عزّة : ولدها المحروس ، والمقصود محبوبة الشاعر ، والعَزَّة هي بنت الظبية ، وبها سمِّيت عَزَّة معشوقة كُثَيِّر . والعوالي : ج عالية وهي أعلى القناة أو النصف الذي يلي السِّنان ، والمقصود بالعوالي الرماح . وزُرْق : ج أزرق وزرقاء : ذو الزُّرْقة ؛ يقال : نَصْلٌ أزرق : أي شديد الصفاء ، وزرق العوالي : أسنَّتُها . وتحفُّ به : تحرسه ، والهاء تعود على ولد الظبية . والكوالىء : ج كالىء وهو الحارس ، يقال : كلأه الله يكلأه إذا حفظه وحرسه . يريد القول: في أحد البيوت التي تملِكها عزّة يوجد ظبية (محبوبته) لا تستطيع الخروج ؛ لأنَّ أمَّها « عزّة » أحاطتها بجنود مدجَّجين بزرق الرماح يتولَّوْن حراستها . وهذا المعنى قريب من قول ليلى الأخيلية (الكامل):

قومٌ رباطُ الخيلِ وَسْطَ بيوتهمْ وأسنَّةٌ زُرْقٌ تُخَالُ نجوما

انظر محيط المحيط (زرق) .

١١ ـ في الخريدة : « مبعث حسنها » . ومحا : أزال . والمِلَّة : الدِّيْن . وحسنه : الهاء تعود على المكلوء . والصَّبابة : الشوق أو رقّة الهوى . والصابىء : الخارج على الدين ، وجمعه صابئون ، يقال : صَبأ الرجلُ يَصْبأُ إذا خرج من دين إلى دين آخر ، والصابئون فرقة من النصارى يعظّمون الكواكب أو النجوم ، وقيل : هم قوم يزعمون أنهم على دين نوح . يقول : لولا جمال تلك الفتاة النصرانية (نويرة) لما خرجْتُ من ديني وآتّبعت ديناً آخر هو دين الهوى والهيام . وبمعنى آخر ، كنت أدين بالسُّلوان ، ولكن مبعث حسنها أتى بدين جديد مَحَا دِيْنَ السُّلْوَان فأصبحتُ أميل إلى دِيْنِ الصَّبَابة والهوى.

١٢ ـ تَمَنَّى مَدَى قُرْطَيْهِ عُفْرٌ توالِعٌ وتَهْـوَى ضِيا عَيْنَيْـهِ عِيْنٌ جوازِىءُ

١٣ ـ وفي مَلْعب الصُّدْغَيْن أبيضُ ناصِعٌ تـخلَّلَهُ لـلحُسْـنِ أحـمـرُ قـانـىءُ

---

١٢ ـ قال آبن خلكان في وفيات الأعيان : « في مديحه قصائد بديعة ، فمن ذلك قصيدته التي أولها » . وأورد الأبيات من رقم ١ حتى ١١ . وعندما آنتهى من البيت رقم ١١ خلص إلى القول : « ومنها أيضاً » ، وأورد ستة أبيات أخرى من رقم ١٢ حتى ١٧ ، ولكن دون أن يُضَمِّنها أي بيت في المديح . وتمنَّى : أصلها تتمنَّى . ومدى القُرْط : مسافته ، والقُرْط هو الذي يُعَلَّق في شَحْمة الأذن ، والجمع أقراط ، ومدى القُرْط كناية عن طول عنقها ؛ لأن بُعْد المسافة بين شَحْمة الأذن والكتف يستلزم طول الجيد . وعُفْرٌ توالع : ظباءٌ أعناقها طويلة ، وعُفْرٌ ؛ يقال : ظَبْي أعفرُ وظباء عُفْرٌ ، والعُفْرة بياضٌ تعلوه حمرة ، وتوالع جمع تلعاء ؛ يقال : امرأة تلعاء أي طويلة العنق ، وتَلِعَتْ عُنُقه تَتْلَعُ تَلَعاً وتلاعة : طالت . انظر أساس البلاغة في مادتي (عفر) و (تلع) . وضيا : أصلها ضياء فحذفت الهمزة للضرورة الشعرية ، وهذا من باب قصر الممدود . والعِيْنُ : ج عَيْناء وهي الواسعة العين . والجوازىء : ج جازئة وهي التي تكتفي بالرُّطْب عن الماء ، والمراد هنا بقر الوحش لتجزُّئها بالرُّطْب عن الماء أي المكتفية بالخضرة عن الماء، والبقرة الوحشية (المَهاة) تُشَبَّه بها المرأة في جمالها وحسن عينيها ، كما تطلق الجوازىء على الوَحْش بأسره لاستغنائه بالعشب عن كثرة الماء . لسان العرب (جزأ) . يريد القول : حتى إنَّ الظبية تتمنى جِيْد محبوبته ، والبقرة الوحشية تهوى عينيها الواسعتين المكحّلتين بالسواد . ولقد سبقه عمر بن أبي ربيعة إلى الحديث عن بُعْد مسافة القرط حين قال في صاحبته هند (الطويل) :

بعيـدةُ مَهْـوَى القُـرْط ، إمّـا لَنَـوْفَـلٌ أبـوهـا ، وإمَّـا عبدُ شمسٍ وهـاشِمُ

ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٤٨ والعمدة (ج ١ ص ٣١٤) .

١٣ ـ الصُّدْغان : مثنَّى صُدْغ وهو ما آنحدر من الرأس إلى مَرْكب اللَّحْيَيْن (مثنى لَحْي وهو عظم الحنك أو منبت اللِّحيْة) ، وقيل : هو ما بين العين والأذن ، ويسمى أيضاً الشعر المتدلّي على هذا الموضع ، والجمع أصداغ وأَصْدُغ. وملعب الصدغين : هو الموضع الذي فيه يلعب شعرها المتدلّي . وأبيضُ ناصعٌ : أي وجه شديد البياض تتخلّله وَجْنتان شديدتا آلاحمرار . وأحمر قانىء : شديد آلاحمرار ، يقال : قَنَأَ الشيء إذا آشتدت حمرته .

١٤ ـ أفاتكةَ الألحاظ ، ناسكةَ الهوى، وَرِعْتِ ، ولكنْ لَحْظُ عَيْنِكِ خاطىءُ
١٥ ـ وآلُ الهوى جَرْحَى ولكنْ دماؤهُمْ دُمُـوْعٌ هَـوامٍ والجُـرُوْحُ مـآقِيء
١٦ ـ فكيف أُرَفِّي كَلْمَ طَرْفِكِ في الحَشَا وليس لتمـزيق المُهَنَّـد رافىءُ ؟

---

١٤ ـ في المطمح : « لحظ عينيك » . وفاتكة الألحاظ : أي إنَّ عينيكِ قاتلتان تفعلان فعل السيف . وناسكة الهوى : أي إنك تزهدين في الحب وتبتعدين عمن يحبك . ووَرِعْتِ : ابتعدْتِ عن المعاصي وأصبحت وَرِعَةً تقيّة . ولحظ عينك خاطىء : أي إنَّك عندما آخترْتِ طريق الورع وزَهَدْتِ في الحُبِّ أخطأ بصرك آلاختيار. يقول: بدل أن تستحوذ « نويرة » على قلوب أحسن شباب محيطها ، كونها بيضاء البشرة مورّدة الخدَّيْن جَيْداء عيناء ، زهدتْ في الحب وآبتعدت عمن يريدها ، مرتكبة بذلك خطأ اختيار السبيل . وهنا يقع الشاعر في تناقض رهيب ؛ لأنَّ من يتّبع طريق التّقى والورع يكون قد آبتعد عن الأخطاء لا آرتكبها .

١٥ ـ في المطمح : « ولكنَّ دماءهم » . وهذا خطأ لأن تشديد النون يُخلُّ بالوزن . وآل الهوى : أهل الهوى أي العشّاق . ودموعٌ هوامٍ : غزيرة ، وهَوامٍ : ج هامية ، من هَمَى الدمعُ يهمي إذا سال لا يثنيه شيء ، وهَمَتِ العينُ : صبَّت دمعها . ومآقىء : أصلها « مآقٍ » لأنها آسمٌ منقوص منوّن في حالة الرفع على أنه خبر المبتدأ « الجروح » ، والمنقوص المنوّن إذا لم يعرَّف بأل التعريف حذفت ياؤه في الرفع والجر وبقيت في حالة النصب ، مفردها مَأْقٌ ، ومأْق العين مجرى الدمع منها . ولقد أخذوا على الشاعر أنه هَمَز تنوين القاف ، وليس أصلها الهمزة . قال آبن بسام : « أنشده (أنشد المعتصمَ) هذه القصيدة سنة خمس وخمسين ، وأُخِذَ عليه أنه هَمَزَ فيها ما لا يُهْمَز » . الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧١١) . ونحن نقول : لو قال الشاعر : « المآقىء » ، مبدّلاً الياء همزة ، لجاز له ، وهذا ما ذهب إليه آبن رشيق بقوله : « ومنهم من يبدِّل من الياء همزَة ، وهو القليل ، فيقول : القاضىء ، والغازىء . . » العمدة (ج ٢ ص ٢٧٥) . وفي هذا البيت يصف الشاعر حاله فيقول : إنه جريح ، وإنَّ دماءه التي تسيل من جروح سبَّبَتْها سهام عَيْنَيْ محبوبته دموعٌ غزيرة تسكبها مآقيها .

١٦ ـ في المسالك والمطمح ووفيات الأعيان : « وكيف » . وفي المطمح ووفيات الأعيان « أعاني » بدل « أُرَفِّي » . وفي وفيات الأعيان : « راقىء » بالقاف بدل الفاء . وأُرَفِّي : أصلها « أُرَفِّىء » فحذفت الهمزة للضرورة الشعرية ، وهذا في باب تليين الهمزة ؛ يقال : رَفَّأه ترفيئاً أي قال له : بالرِّفاء والبنين ، أي بآلتئام الشمل وآستيلاد البنين . =

١٧ ـ ومن أين أرجو بُرْءَ نَفْسِي من الجَوَى		وما كلُّ ذي سُقْمٍ من السُّقْم بارِئُ ؟
١٨ ـ وما ليَ لا أسمو مُراداً وهِمَّةً		وقد كَرُمَتْ نَفْسٌ وطابتْ ضآضِىء ؟
١٩ ـ وما أَخَّرَتْني عن تَنَاهٍ مبادئُ		ولا قَصَّرَتْ بِي عن تَباهٍ مَناشِىءِ
٢٠ ـ ولكنَّه الدهرُ المُناقِضُ فِعْلُهُ		فذو الفضل مُنْحَطٌّ وذو النَّقْص نامِئُ

= والكَلْمُ : الجُرْح . والحَشَا : ما آنضمَّت عليه الضلوع كالقلب والكبد والرئة ، والمقصود هنا القلب . والمُهَنَّدُ : السيف ، أي إنَّ عينيك تفعلان فعل السيف المطبوع من حديد الهند . ورافىء : مُصْلِح . يقول : كيف أُلْأِمُ الجُرْحَ الذي ولَّده طرفك في قلبي ؟ وهو آستفهام يفيد النفي ، أي إنني لست قادراً على إيلام ما فعلته عيناك في قلبي .

١٧ ـ في المطمح : « الهوى » بدل « الجوى » . والجوى : حرقة الهوى وشدة الوَجْد . والسُّقْمُ : المرض . وهنا يستعمل الشاعر آلاستفهام بمعنى النفي ، فيقول : لا رجاء لي بشِفاء نفسي وذلك لكثرة ما عانت من الوَجْد ، فالمرض العضال قد يقتل صاحبه في أحايين كثيرة . وبعدما ينتهي آبن خلّكان من ذكر هذا البيت يقول : « ويخرج من هذا إلى المدح ، وهذه القصيدة طنانة طويلة » . ويبدو أن آبن خلّكان وقع في الخطإ ؛ لأنَّ آبن الحداد ، بعد أن خلص من آلاستهلالية الغزلية آنتقل إلى الفخر بنفسه والشكوى من الزمن ، ومن ثم دخل في المديح ، وهذا ما سنراه في الأبيات التالية .

١٨ ـ ضآضىء : ج ضُؤْضُؤ وضُؤْضُوْء وضِئْضىء وهو الأصل والمعدن . يقول : لِمَ لا أتبوَّأ مركزاً مرموقاً في الدولة الصمادحية وقد كَرُمَت نفسي وطاب أصلي ومعدني ؟

١٩ ـ التناهي : ج تَنْهاء وتَنْهية وهي الشيء الذي يُنْتَهَى إليه ، والمراد الغاية . والتباهي : المفاخرة . والمناشىء : ج مَنْشأ وهو موضع النشأة . يقول : إنني لست بخاطىء إذا ما تفاخرْتُ بمبادئي وتباهيْتُ بمولدي ومنشئي في بني قيس .

٢٠ ـ نامىء : أصلها : « نامٍ » لأنها آسمٌ منقوصٌ منوَّنٌ مرفوع ، وهو آسم فاعل ، بمعنى مرتفع ، مشتق من فعل نمى ينمي ؛ يقال : نمى السِّعْرُ إذا آرتفع وغلا . وهكذا يؤخذ على الشاعر أنه هَمَز تنوين الميم ؛ لأنه لو قال « النامىء » مبدِّلاً الياء همزة ـ كما ذكر آبن رشيق ـ لجاز له . وهذا ما شاهدناه في كلمة « مآقىء » في البيت رقم ١٥ ، فلينظر . وهنا يدخل آبن الحداد في باب الشكوى من الدهر الخؤون حيث آنحّط أصحاب الكفاءات ، وآرتفع إلى =

٢١ ـ كأنَّ زمانِي إذ رآني جُذَيْلَهُ قلاني فَلِي منه عَدُوٌّ مُمالِىء
٢٢ ـ فداريْتُ إعتاباً ودارأتُ عاتباً ولم يُغْنِنِي أنّي مُدارٍ مُدارِىء
٢٣ ـ فألقيْتُ أعباءَ الزمانِ وأهلَهُ فما أنا إلّا بالحقائقِ عابِىءُ

= مناصب دولة المعتصم أهلُ السَّفَه والجهل . ولعلّه ذهب مذهب آبن عبد ربه في قوله (الطويل) :

أَرَى كلَّ فَدْمٍ قد تَبَحْبَحَ في الغِنَى وذو الظَّرْف لا تَلْقَاهُ غيرَ عَدِيْمِ

العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥) .

وهذا الموضوع قديمٌ لم يطرقه آبن عبد ربه وآبن الحداد وحسب ، بل طرقه ، من قبلُ ، شعراءُ مشارقةٌ وأندلسيون كُثُر .

٢١ ـ رواية عجز البيت في الإحاطة هي : يُلابِسُني منه عَدُوٌّ ممالىءُ .

والجُذَيْل : تصغير الجِذْل وهو أصل الشجرة ، أو عُوْدٌ يُنْصَبُ في مَبارك الإبل تتمرَّس به الإبلُ الجَرْبى فتحتكُّ به ، ومنه المثل : « أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك » و « أخشن من الجُذَيْل » . والمُحَكَّك : الذي تتحكّك به الإبل الجَرْبَى . انظر مجمع الأمثال (ج ١ ص ٣١ الرقم ١٢٥ وص ٢٦٢ الرقم ١٣٧٩) . وقلاني : كرهني . ومماليء : أي مساعدٌ على إهلاكي ؛ يقال : مالأه عليه ممالأة أي ساعده . يقول : لمّا رآني الدَّهْرُ أنني أصبحْتُ رأس العلماء وأصل الشعراء ، يرجعون جميعاً لمشورتي ، أبغضني ، إذ لم يَسُغْ له أن يراني هكذا ؛ لأنه عدوٌّ دائم لي وعاملٌ على إهلاكي وكسر شوكتي .

٢٢ ـ في الخريدة : « وداريْتُ . . . فلم يُغْنني » . ويقال: داريْتُه ودارأتُه إذا آتَّقيته ولاينْتُه ولاطفته ، أي إنّ هذا الفعل يهْمَزُ ولا يهمز ، والمفعول به لفعل « داريْت » محذوف هنا وهو الزمان ، والمعنى : اتَّقيت الدهرَ فجريْتُ على حسب مقتضى الحال . وإعتاباً : راضياً ، من أَعْتَبَهُ إذا أرضاه وأعطاه العُتْبَى (الرِّضى) . وعاتباً : لائماً ، من عَتَبَ عليه أي لامه وأنكر منه شيئاً من فعله . ومُدارٍ ومدارىءُ : ملاطف . يقول : إن مسايرتي الدَّهْرَ راضياً أو مُكْرهاً لا يغنيني ولا ينفعني بشيء ؛ لأن الدهر ليس له مَعْتَب .

وهذا من قول الغَطَمَّش الضَّبّي (الطويل) :

أَخِلَّايَ ، لو غيرُ الحِمامِ أصابكُمْ عَتَبْتُ ، ولكن ليس للدّهرِ مَعْتَبُ

انظر لسان العرب (عتب) .

٢٣ ـ ألقيْتُ : تركْت . وعابىءُ : مهتمّ . يقول : تركت مراكز الدولة جانباً وحصرْتُ آهتمامي بمعارفي من شعر وأدب وعلوم .

٢٤ ـ ولازمْتُ سَمْتَ الصَّمْتِ لا عن فَدامةٍ فَلِي منطقٌ للسَّمْع والقلب مالىءُ
٢٥ ـ ولولا عُلَى المَلْكِ آبنِ مَعْنٍ محمَّدٍ لَمَا بَرِحَتْ أصدافَهُنَّ اللآلىءُ
٢٦ ـ لآلىءُ إلَّا أنَّ فِكْرِيَ غائصٌ وعِلْمِيَ دأماءٌ ونُطْقِيَ شاطىءُ
٢٧ ـ تجاوزَ حَدَّ الوَهْمِ واللَّحْظِ والمُنَى وأَعْشَى الحِجَى لألاؤه المتلالىءُ

---

٢٤ ـ في المسالك : « فلازمْتُ » . وفي المسالك والخريدة : « ولي منطقٌ » . وفي الإحاطة : « لا عن مَذامةٍ » بالميم والذال بدل الفاء والدال . والسَّمْت : الطريق . والفَدامة ، بفتح الفاء : قلّة الفهم والفطنة . يقول : إذا آتَّبَعْتُ طريق الصَّمْت فذلك عن فهم وفطنة ؛ لأن شعري فصيح ينفذ إلى أسماع البشر وقلوبهم . وهذا قريب من قول المتنبي (البسيط) :

أنا الذي نَظَرَ الأعمى إلى أدبي وأَسْمَعَتْ كلماتي من به صَمَمُ

العرف الطَّيِّب في شرح ديوان أبي الطَّيِّب ص ٣٤٣ .

٢٥ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « ولولا حُلى الدين » . وهذا البيت لم يأتِ بعد البيت الذي سبقه مباشرة ؛ لأن صاحب الخريدة ، بعد أن ينتهي من البيت رقم ٢٤ ، يقول : « ومنها » ، فيورد البيت رقم ٢٥ وما بعده . وهنا يدخل الشاعر في باب المديح . والعُلى : المجد والعظمة . وآبن معن : هو المعتصم ملك المرية . والأصداف : ج صَدَفَة وهي غشاء الدرّ أو غلاف اللؤلؤ . واللآلىء : ج لؤلؤ ، واللؤلؤ جمع لؤلؤة وهي الدرّة . يقول : لم تتركِ اللآلىءُ أصدافَها إلَّا لِتُقَدَّمَ إليك ، أيها الملك ، آحتراماً لعُلاك وتقديساً لمجدك . وبمعنى آخر ، إنَّ لآلىء شعري (قصائدي المدحية) لم تقدَّم لغيرك من ملوك العصر .

٢٦ ـ في الخريدة : « ذهني غائصٌ » . وفي الإحاطة : « وعلمي ذو ماءٍ » . والدأماء : البحر . يقول : إنَّ فكري لا يغوص في بحر العلوم إلَّا لِيُخرج منه لآلىءَ منثورة يُقْذَفُ بها إلى الشاطىء لِتُهْدَى فيما بعد إلى المعتصم ؛ فكما يغوص صائد اللؤلؤ في عمق البحار ليستخرج منه اللآلىء ، يغوص خيالي على معاني الشعر وصوره ليأتيك ، أيها الملك ، بأثمن القصائد وأجودها على الإطلاق .

٢٧ ـ في المسالك : « وأغشى الحِجا » بالغين المعجمة . وأعشى : أي جعله أَعْشَى وهو الذي لم يبصر في الليل . والحِجَى : العقل ، جمعها أحجاء . ولألاؤه : الهاء تعود على « نطقي » في البيت السابق . يقول : خرج شعري عن الطريق المألوف فتجاوز =

٢٨ ـ فَتَتْبَعُهُ الأنصارُ وهي خواسِرٌ   وتنقلبُ الأبصارُ وهي خواسىءُ
٢٩ ـ ولولاه كانت كالنسيء ، وخاطري   لها كفُقَيْمٍ للمُحَرَّمِ ناسىءُ

= حدَّ البصر والعقل معاً ، بحيث تعذَّر على العيون الرؤية ؛ لأنه يبهرها بنوره ، كما تعذَّر على العقول الإدراك والتفكير ؛ لأنها غير قادرة على آستيعابه .

٢٨ ـ رواية البيت في الذخيرة والإحاطة هي :

فتنعكسُ الأبصارُ وهي حواسِرٌ   وتنقلبُ الأفكارُ وهي خواسىءُ

والأنصار : جمع نصير وهو نصير الشعر . وخواسر : جمع خاسر . وخواسىء : جمع خاسىء وهو البعيد عن إصابة المطلوب ؛ يقال : خسأ البصرُ إذا كلَّ وأعيا . يقول : إن الشعراء الذين لم يستطيعوا أن يصمدوا أمامي ، لقوة خيالي ودقة أفكاري ، اتخذوا من شعري مثالاً يقتدون به . كذلك فإن الذين ضعف بصرهم ، لتقدّم العمر ، عادوا يستنيرون بلألاء شعري . ولقد فَسَّرَ هذا البيت ما غَمُض في البيت السابق .

٢٩ ـ ولولاه : الهاء تعود على المعتصم . وكانت : أي كانت قصائدي . وفُقَيْم : بطن في كِنانة ، والنسبة إليهم فُقَمِيّ ، وهم نَسَأة الشهور ؛ إذ كان القَلَمَّسُ ، وهو حُذَيْفة بن عَبْد بن فُقَيْم ابن كِنانة ، أول من نَسَأ الشهور ، ثم ورث ذلك عنه بنوه . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٤ . والخاطر : ما يتحرك في القلب من رأي ومعنى . والناسىء : اسم فاعل ، من نَسَأ ، والجمع نَسَأة ، والتقدير : « كفقيمٍ للمحرّم هو ناسىءُ » ؛ يقال : نَسَأَ الشيءَ وأَنْسَأَهُ إذا أَخَّره ، والنسيء شهر كانت العرب تؤخِّره في الجاهلية ؛ فإذا جاء شهرٌ حرامٌ وهم محاربون ، أحلّوه وحرّموا مكانه شهراً آخر أُطلق عليه آسم النسيء . يقول عُمَيْر بن قيس بن جِذْل الطِّعان يصف خروج قومه إلى غزو أبي العرب مَعَدّ بن عدنان (الوافر) :

أَلَسْنَا الناسئين على مَعَدٍّ   شهورَ الحِلِّ نجعلُها حَرَامَا ؟

انظر لسان العرب مادة (نسأ) . ثم نهى الله ، عزَّ وجلَّ ، عن النسيء فقال : ﴿ **إنما النَّسِيءُ زيادةٌ في الكُفْرِيُضَلُّ به الذين كَفَروا يُحِلُّوْنَه عاماً ويُحَرِّمُوْنَه عاماً ليواطِئوا عِدَّةَ ما حَرَّم اللهُ فيُحِلُّوا ما حرَّم اللهُ زُيِّن لهمْ سُوْءُ أعمالهم واللهُ لا يَهْدِي القومَ الكافرين** ﴾ .

سورة التوبة ٩ الآية ٣٧ . يقول الشاعر : لولا المعتصم لتأخَّر خيالي عن صوغ المدائح كما أخَّرت فقيمٌ شهرَ محرَّم فأحلَّتْهُ وحرَّمَتْ مكانه شهر صفر . وإنْ هَدفَ الشاعرُ في بيته المذكور إلى إبراز ثقافته الواسعة ليبذَّ بها أقرانه، من خلال ذكر « النسيء » و « فقيم »، فإني لا أحيد عن الظنّ بأنّه آقتدى بقول المهنّد في مدحه الحكم المستنصر بمناسبة عيد الفطر عام ٣٦٠ هـ (الكامل): =

٣٠ ـ هو الحُبُّ لم أُخْرِجْهُ إلَّا لمجدِهِ ومثْلِي لأعْـلاقِ النَّفَاسَـةِ خابىءُ
٣١ ـ كـأنَّ عُـلاَهُ دولـةٌ أُمـويَّـةٌ وما نابَ من خَطْبٍ عُمَيْرٌ وضابىءُ
٣٢ ـ وإنْ يَمْسَسِ العاصِيْنَ قَرْحُكَ آنفاً فأيدي الـوَغَى عمّا قليـلٍ تَوَالِىءُ

= لـولا الإمـامُ آلـمُـرْتَـضَـى وسـلـيْـلُهُ مـا سـاغَ تلفيقُ القـريضِ لِمِقْـوَلِ
انظر المقتبس ، تحقيق الحجي ص ٣١ .

٣٠ ـ أعلاق : جمع عِلْق وهو النفيس من كل شيء . وخابىء : اسم فاعل ، من خَبَأ الشيءَ إذا ستره . يقول : لا أقدِّم شعريَ النفيسَ المُخْتَزَنَ في مخيّلتي إلَّا لمن يستحقُّه أمثالك ، أيها الملك المجيد .

٣١ ـ نابَ الخُطُوْبَ يَنُوْبُها : نالها . وعُمَيْرٌ : هو آبن ضابىء بن الحارث بن أرطاة آبن قيس بن حَنْظلة آبن مالك بن زيد بن مَناة بن تميم ، من البراجم . وكان ضابىء رجلاً بَذيّاً كثير الشرّ ، سجنه عثمان بن عفّان في جناية جناها ، ولم يزل في السجن حتى مات نحو ٣٠ هـ ، وكان أراد أن يفتك بعثمان ، فقال في السجن (الطويل) :

هَـمَمْـتُ ولم أفعـلْ وكِـدْتُ ولَيْتَنـي تَـرَكْتُ على عـثمـانَ تبكي حـلائِلُهْ

وعدّه آبن سلام في الطبقة التاسعة من شعراء الإسلام . ولما قتل عثمان ، جاء عمير بن ضابىء فرفسه برجله ، ويقال : كسَّر صُلْبَه أو ضلعاً له . ولمّا كان زمن الحجّاج قال عنبسة بن سعيد للحجاج : هذا عميرٌ الذي رفس عثمان وهو مقتول ، فما كان من الحجاج أن قتله سنة ٧٥ هـ وذلك بضرب رقبته . انظر طبقات الشعراء ص ٧١ ـ ٧٢ ، والشعر والشعراء (ج ١ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩) ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٢٣ ، والأعلام (ج ٣ ص ٢١٢) و (ج ٥ ص ٨٩) . وهنا يشبّه الشاعر عظمة المعتصم بعظمة بني أمية من جهة وكثرة ما نال ضابىء وآبنه عُمَيْر من خطوب من جهة أخرى ، فيقول : تجاوز المعتصمُ ، في مجده وعظمته ، ما بلغته بنو أمية من عزّ ومجد في فترة آزدهارها بالأندلس والمشرق معاً ، وما أصاب كلًّا من ضابىء وآبنه عمير من شدائد ومكاره الدهر . وقد يشير الشاعر هنا إلى ثورة آبن شبيب ، عامل أبيه على لورقة من أعمال المرية ، على المعتصم بن صمادح ، ومناصرةِ المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر ، صاحب بلنسية ، لابن شبيب . ولقد تقدم الحديث عن ثورة ابن شبيب في مقدمة الديوان ص ٥٦ .

٣٢ ـ رواية صدر البيت في الخريدة ، طبعة دار نهضة مصر هي :
وإن نَهَسَ العـاصـون فَـرْجَـكَ آنفـاً
وقال المحقق: « في الأصل: وإن يمسِ العاصين فرجك . . ولعلّ الصواب ما أثبتناه ». =

٣٣ ـ عَسُوا فَعَصَوْا مُسْتَنْصِرِيْن بخاذلٍ وأخذلَ أَخْذُ الحَيْنِ ما منه لاجىءُ

٣٤ ـ وشُهْبُ القَنَا كالنُّقب والنَّقْعُ ساطِعٌ هِنـاءً ، وأيدي المُقْـرَباتِ هـوانِىءُ

= ومَسَّه يَمَسُّه ويَمْسَسْه : أصابه وآختبره . والعاصون هم ، على الأرجح ، صاحبا لورقة وبلنسية ، اللذين عَصَيَا المعتصمَ وكانا معه على خصام شديد . والقَرْح : هو كل ما جَرَحَ الجِلْدَ من عَضِّ سلاحٍ أو غيره ؛ ومَسَّهم قَرْحُ المعتصم : أي نالهم من القتل والهزيمة . والوغى : الحرب لما فيها من الصوت والجَلَبَة ، والمقصود بأيدي الوغى ضربات فرسان ومشاة المعتصم . وتوالىء : أصلها : « توالٍ » بمعنى متتابعة ؛ لأنها اسم منقوص منوَّن مرفوع في محل خبر « أيدي الوغى » ، والمنقوص المنوّن، إذا لم يعرَّف بأل التعريف ، حذفت ياؤه في الرفع والجرّ فقط وبقيت في حالة النصب . ومأخذنا على الشاعر أنه يهمز تنوين اللام ، وليس أصلها الهمزة ، وهو لو قال : « التوالىء » مبدِّلاً الياء همزة لجاز له . وهكذا يطلق العنان لقلمه متجاوزاً قواعد اللغة العربية ، متصرِّفاً بها كيفما يشاء . يقول : إذا لم يذعن الأعداء لرأيك ولم يتلقّنوا درساً مما نالهم من قتل وهزيمة في غزواتك السابقة ، فإنهم ، عما قريب ، سيشهدون حرباً أشدّ وأقسى ، تتوالى فيها ضرباتك لهم ، وستكون الغَلَبَة فيها لك ، والهزيمة الشنعاء من نصيبهم . ويبدو أن الشاعر يقتبس لفظ البيت من قوله تعالى : ﴿ **إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرْحٌ مِثْلهُ** ﴾ . والقوم هنا الكُفّار . انظر سورة آل عمران ٣ ، الآية ١٤٠ ، وتفسير الجلالين .

٣٣ ـ عَسُوا : اشتدوا وصَلُبُوا ؛ يـقـال: عَـسَا الشـيءُ يعسو عُسُوّا إذا غَلُظ وآشتدَّ ، وعَسَا الليلُ : اشتدّت ظلمته . لسان العرب مادة (عَسَا) . وعَصَوْا : خالفوا الأمر ولم يطيعوه ، أي عَصَوا ما تمَّ آلاتفاق عليه مع المعتصم . ومستنصرين بخاذل وأخذل : أي مستغيثين بالضعفاء، والجمع خُذّال . والحَيْن ، بفتح الحاء : الهلاك ووقت الأجل . ولاجىء : هارب ، مِنْ لَجَأ إلى الحِصْن وغيره إذا لاذَ إليه وآعتصم به . يقول : ظنَّ أعداؤك أنَّ النصر سيكون حليفهم هذه المرة ، فآستغاثوا بحلفائهم ؛ يا ويلهم ! أَمَا دَرَوْا أنَّ المستغاث به ضعيف وأنَّ الضعيف مصيره الموت المحتّم ؟ وفي الخريدة ، طبعة دار نهضة مصر : « وأخذك » بالكاف بدل و « أخذل » باللام . والأصح ما قرّرناه ؛ لأنَّ الشاعر يشير هنا بالتخاذل إلى صاحبَيْ لورقة وبلنسية .

٣٤ ـ الشُهْبُ : أصل الكلام شُهُب بضم الهاء ، واحدها شِهاب وهو شعلة نار ساطعة ، ويريد بشهب القنا بريقها ، والقنا : جمع قناة وهي الرُّمْح ، والمراد هنا أسنّة الرِّماح . والنُّقْب =

٣٥ ـ يُعَوِّدُ تخضيبَ النُّصُوْلِ وإنْ رَأى   نُصُوْلَ خِضابٍ فالدِّماءُ برابىءُ

= بسكون القاف وضمِّها : القِطَعُ المتفرّقة من الجَرَب ، الواحدة نُقْبة ، وقيل : هي أول ما يبدو من الجرب . قال دُرَيْد بن الصِّمَّة (الكامل) :

مُتَبَذِّلاً تبدو محاسِنُهُ   يَضَعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ

انظر الأغاني (ج ١٣ ص ٧٦) . وعجز بيت ابن الصِّمَّة مَثَلٌ يُضْرَب لمن يضع الشيءَ في موضعه فيكون ماهراً مصيباً ، أو للذي لا يتكلم إلاَّ فيما يجب فيه الكلام مثل الطالي الرفيق الذي يضع الهِناء مواضع النُّقْب . انظر المثل في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢) . والنَّقْعُ : الغبار الساطع ، والجمع نِقاع ؛ يقال : سَطَعَ الغبارُ يَسْطَعُ إذا ارتفع وانتشر ، وقد أتى الشاعر بلفظة « ساطع » زيادة للوزن فقط ؛ لأنها صفة دائمة للنَّقْع ، وبدونها يستقيم المعنى . والهِناء ، بكسر الهاء : ضَرْبٌ من القَطِران ، والمقصود هنا شدة الظلمة . والمُقْرَبات : الإبل التي حُزِمَتْ للركوب ، واحدتها مُقْرَبَة . والهوانىء : المطليَّة بالهِناء ، مفردها هانيء وهانئة . وهنا يشبّه الشاعرُ بريق أسنَّة جيش المعتصم ، وهو في مُعْتَرَكٍ بَنَى قَتَامُهُ ستاراً بين السماء والأرض ، بِقِطِعٍ متفرِّقة من الجرب الذي خَرَق جِلْدَ الإبل فطُليتْ بالقطران ، وذلك بجامع الاحمرار (بريق الأسنّة ولون الجرب) والسَّواد (سواد الحديد والقطران) . والشاعر هنا ، كغيره من شعراء العصر ، يتلاعب بالألفاظ مستعملاً الكلمات ذوات الحروف المتقاربة المخارج مثل « القَنَا » و«النُّقْب» و « النَّقْع » من جهة ، و « هِناء » و « هوانىء » من جهة أخرى .

٣٥ ـ يُعَوِّدُ : يعتاد ؛ يقال : عوَّده الشيءَ إذا جعله يعتاده . والتخضيب : التلوين ؛ يقال : خَضَبَ الرجلُ شَيْبَه بالحِنّاء وغيره يَخْضِبُهُ إذا لَوَّنَهُ ، والخِضاب هو ما يُخْضَب به كالحِنّاء وغيره . والنُّصُوْل : جمع نَصْل وهو حديدة الرُّمْح والسَّهْم والسَّيْف. ونصول خِضاب : أي زوال الخضاب ، يقال : نَصَلَ الخضابُ إذا زال . وبرابيء : ج بريئة ، على غير القياس ؛ لأن الجمع بريئات وبريّات وبرايا ؛ والدماء برابيء : أي إنَّ المعتصم بَرَّأَ سَفْكَ دم أعدائه . يقول : اعتاد المعتصم أن يُخَضِّبَ نصوله بدماء أعدائه ، وإذا نَصَلَ الخِضابُ وزال أعادَ من جديد خِضابَ نصوله من دماء أعدائه ؛ لأنَّ سفكها في شريعته غير محرَّم . ورواية البيت في الخريدة ، طبعة مصر هي :

تعوّد تخضيبَ النُصُوْل فإنْ رأى   نُصُوْلَ خِضابٍ فالدِّماءُ تراقِىءُ

وقال المحقق : « في الأصل : تعود بخصب الفصول .. فصول خضاب فالدماء ترابىء ، ولعلّ الصواب ما أثبتناه » .

وقال في باب الحكمة (المجتث):

-٣-

١ ـ النـاسُ مِثْـلُ حَبَـابٍ والـدَّهْـرُ لُـجَّـةُ مـاءِ
٢ ـ فَـعَـالَـمٌ فـي طُـفُـوٍّ وعـالَـمٌ فـي آنـطفـاءِ

التخريج: الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١١) ومختارات من الشعر الأندلسي ص ١٣٥. وفي نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٩٣) ينسبهما المقري إلى السُّمَيْسر.

١ ـ الحَبَاب، بالفتح، أي حَبَاب الماء، وهو فقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير، وقيل: حَبَاب الماء موجه الذي يتبع بَعْضُه بعضا. ولُجَّة الماء: معظمه، وقد يقصد الشاعر لُجَّة البحر. وهنا يشبِّه الدَّهْرَ بلجّة الماء، والناسَ بفقاقيعه.
٢ ـ الطُفُوُّ: من طَفَا الشيءُ فوق الماء إذا علا ولم يرسب. وآلانطفاء: ذهاب اللَّهَب، يقال: انطفأت النارُ إذا ذهب لهبها. ويريد أن يقول في هذين البيتين: إنَّ الناس فريقان؛ فريق له حظٌّ من الدنيا فوصل إلى مناصبَ هامةٍ في الدولة، وفريق ـ وهو منه ـ لم يغنم بشيء فآكتنفته سعايات وأبعد عن هذه المناصب. ولقد علّق آبن عبد الملك المرّاكشي على كلمة « آنطفأ» فقال: لم تستعمل العرب « آنفعل» مطاوع « أفعل إلاّ شاذّاً، فقوله: « انطفأ » لا يستقيم على مشهور كلام العرب، وقد قالوا: أطلقته فآنطلق ».

قافية الباء

- ٤ -

وقال يفخر (الطويل):

١ - إلى الموتِ رُجْعَى بعد حِينٍ فإنْ أَمُتْ ... فقـد خُلِّدَتْ خُلْدَ الزمـانِ مناقِبِي
٢ - وذِكْرِيَ في الآفاقِ طارَ كأنَّـه ... بكـلِّ لسانٍ طِيْبُ عـذراءَ كـاعِبِ
٣ - ففي أيِّ عِلْمٍ لم تُبرِّزْ سَوَابِقِي؟ ... وفي أيِّ فَنٍّ لم تُبَـرِّزْ كتـائبي؟

التخريج: مطمح الأنفس ص ٣٣٧. قال ابن خاقان: « وقد أثبتُّ له (لابن الحداد) بعض ما قذفه من دُرَرِهِ، وفاهَ به من محاسن غُرَرِهِ، فمن ذلك قوله . . » وذكر الأبيات الثلاثة. ونفح الطيب (ج٤ ص ٤٩) ومختارات من الشعر الأندلسي ص ١٣٧ .

١ - الرُجْعَى: الرُجُوع والمَرْجِعُ، مصدر على فُعْلى، قال الله تعالى: ﴿ **إنَّ إلى ربِّك الرُجْعَى** ﴾ سورة العَلَق ٩٦، الآية ٨. والمناقب: ج مَنْقَبَة وهي الفعل الكريم. يقول: حَسْبي أن يُخَلَّد أدبي وشعري وفنِّي وعلمي على صفحات التاريخ.
٢ - الكاعِب: الناهد، والجمع كواعب. يقول: طار ذكري في الآفاق كما حُكي عن جمال الكواعب الحسناوات.
٣ - بَرَّزَ الرجُلُ في العلم وغيره: فاق نظراءه فيه. والسوابق: ج سابقة؛ يقال: له سابقةٌ في هذا الأمر إذا سبق الناسَ إليه. والكتائب: ج كتيبة وهي الجيش أو القطعة منه مجتمعة، والمقصود سَعَة فنِّه. يقول: إنه فاق أقرانَهُ علماً وفنّاً ومعرفة.

قافية التاء

- ٥ -

وقال في قوس (الوافر):

١ - حَقِيْقٌ أَنْ تَصُولَ بِيَ الرُّمَاةُ　　وأنْ تَعْنُوْ لِصَولَتِي ٱلكُمَاةُ
٢ - إذا فَوَّقْتُ في الأبطال سَهْماً　　فما تُغْنِي ٱلدُّرُوْعُ السَّابِغَاتُ
٣ - وإنِّي كالمَجَرَّة في آعتلاءٍ　　وَنَبْلِي ٱلشُّهْبُ والجِنُّ العُداةُ

التخريج: الخريدة (ج ٢ ص ٢٨٩) طبعة الدار التونسية، وطبعة نهضة مصر ص ٢٠٩.

١ - في الخريدة، طبعة الدار التونسية: «بصولتي» بدل «لصولتي». والرُّماة: ج رامٍ وهو الذي يرمي السَّهْمَ عن القوس. وتَعْنُو: تخضع؛ يقال: عنا له يعنو عُنُوّاً إذا خضع وذلَّ فهو عانٍ وعَنِيّ. والكُماة: ج كَمِيّ وهو الشجاع أو لابس السلاح، سمِّي به لأنه كمَّى نفسه أي سترها بالدِّرْع والبيضة. وهنا يتحدث القوس عن نفسه فيقول: إنَّ الرّماة تصول بي وإنَّ الكماة تخضع وتذلُّ لصولتي.
٢ - فَوَّقْتُ السَّهْمَ: جعلْتُ له فُوْقاً لأرمي به، والفُوْقُ هو موضع الوَتَرُ من السَّهم أي مَشَقُّ رأس السَّهم حيث يقع الوتر. والدروع السابغات: التامة الطويلة أو الواسعة. والمعنى: إنَّ الدروع تقصِّر عمّا أقوم به تجاه الأعداء.
٣ - في الخريدة: طبعة دار نهضة مصر: «والحَسَنُ العُداة». والمَجَرَّةُ: باب السماء، سمِّيت بذلك لأنها كأَثَرِ المَجَرِّ، وهي في الحقيقة نجوم كثيرة لا تُدْرَك بمجرَّد البصر وإنما ينتشر ضوؤها فيُرَى كأنه بقعة بيضاء. والنَبْلُ: السِّهام العربية، مؤنثة لا واحد لها من لفظها، بل الواحد سَهْمٌ، وقيل: مفردها نَبْلَة. والشُّهْبُ: أصل القول: الشُّهُبُ بضم الشين والهاء، فسكِّنت الهاء للضرورة الشعرية، وهي الدراريُّ من الكواكب لشدّة لمعانها. يقول: إني أرقب سير المعركة من علٍ، تنطلق نَبْلِي كالجِنّ في عَدْوِها الشديد فتصيب هدفها وتبلغُ مُرادها.

وقال في مذهب الغزل (السريع):

- ٦ -

١ - قَلْبِيَ فِي ذاتِ الأُثَيْلاتِ رَهِيْنُ لَوْعَاتٍ وَرَوْعَاتِ
٢ - فَوَجِّهَا نَحْوَهُمُ إنَّهُمْ - وإنْ بَغَوْا - قِبْلَةُ بُغْيَاتي

تخريج الأبيات: في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٥ - ٧٠٦): الأبيات كلها. وفي المحمدون من الشعراء وأشعارهم ص ٩٩ - ١٠٠ : الأبيات كلها، والأبيات ١٦، ٢٠ - ٢١ أضافها المحقق من الذخيرة. وفي الخريدة (ج ٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٨) طبعة الدار التونسية : الأبيات ١ ، ٣ - ١٥ (البيت الرابع أضافه المحقق من الذخيرة لأنه ساقط بالأصل)، ١٧ - ٢١ . وفي طبعة دار نهضة مصر ص ١٧٢ - ١٧٤ : الأبيات ١ ، ٣، ٥ - ١٥، ١٧ - ٢١. وقد نسبها الأصفهاني إلى الأسعد بن بِلِّيْطَة المتوفَّى في حدود أربعين وأربعمائة .

١ - رواية العجز في المحمدون هي : رَهِيْنُ روعاتٍ ولوعاتِ. والأُثَيْلات: ج أُثَيْلة وهي تصغير أَثْلَة، والأَثْلَةُ شجر عظيم يُعْرَف حَبُّه عند العطّارين بالعَذْبَة. وفي ذات الأُثَيْلات: أي في ذلك المكان الذي يكثر فيه هذا الشجر، وهو المكان المفضّل عند الشاعر، حيث يقضيّ مع محبوبته « نويرة » أحلى الأوقات وأحبَّها إلى قلبه. واللوعات: ج لَوْعة، والمقصود لوعة الحب، وهي حرقة في القلب. والروعات: ج رَوْعة وهي الخوف، والمراد الخوف من مراقبة الناس لهما. والشاعر يريد أن يقول: إنَّ قلبه في ذلك المكان رهين اللوعة والخوف معا. وهنا يضفي على البيت مسحة من الجمال اللفظي تتمثل في ذلك الجناس الناقص بين « لوعات »و « روعات ».

٢ - في المحمدون: « فَزِّجها » بدل « فَوَجِّها ». وفوجِّها نحوهم: اِذهَبَا نحو أهل « نويرة »، وهنا يخاطب فَتَيَيْن من آل عامر، كما سيّرد في البيت الرابع. وإنْ بَغَوْا: أي بَغَوْا عليَّ ؛ يقال: بَغَا على فلانٍ إذا جَنَى عليه وظلمه. وبُغْياتي : ج بُغْية وهي الحاجة. والمعنى: اذهبا نحو أهل محبوبتي وبَلِّغاهم سلامي، فإنهم - رغم ظلمهم لي - مَرْتَعُ عواطفي وملاذي الوحيد .

٣ ـ وعَرِّسَا مِنْ عَقَداتِ اللِّوَى بالهَضَبَاتِ الزَهَرِيَّاتِ
٤ ـ وعَرِّجَا يا فَتَيَيْ عامرٍ بالفَتَيَاتِ العِيْسَوِيّاتِ
٥ ـ فإنَّ بِي للرُّوْمِ رُوْمِيَّةً تَكْنِسُ ما بين الكنيساتِ
٦ ـ أَهِيْمُ فيها، والهوى ضَلّةٌ بَيْنَ صَوَامِيْعَ وبِيْعاتِ
٧ ـ وفي ظِباء البَدْو مَنْ يَزْدرِي بالظَّبَيَاتِ الحَضَرِيَّات

---

٣ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية: «فعرِّسَا». وفي طبعة نهضة مصر: «مُعَرِّساً». وعَرِّسَا بالهضبات: انْزِلاَ بها. والعَقَدَات بالفتح: ج عَقَد وهو ما تعقَّد من الرمل وتراكم. واللِّوى: ما آلتوى من الرمل، والجمع ألواء وألويه. والهَضَبَات الزَهَرِيَّات: أي المشرقة بأزهارها. يقول: انزلاَ بذلك المكان الذي يَزْدَانُ بأزهاره وبَلِّغَا نويرةَ مني السلام.

٤ ـ رواية البيت في المحمدون هي:

وَعَرِّجَا يا فَتَيَيْ عامرٍ بالفَتَيَات العشريّاتِ

وعرِّجا بالفتيات: اِنْعَطِفَا نحوهنّ. والعِيْسَوِيّات: المسيحيات نسبة إلى عيسى أي يسوع المسيح وإشارةً إلى محبوبته النصرانية «نويرة». يقول: اِنْعَطِفَا نحْو تلك الفتيات النصرانيات؛ لأن بينهنَّ مَنْ أُحِبّ.

٥ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية: «رئمية» بدل «رومية». وفي طبعة نهضة مصر: «لي بالروم ريْميّة». والمقصود بالروم النصارى الإسبان. والرومية هي نويرة المُسْتَعْرَبَة. وتَكْنس: تقيم؛ يقال: كَنَس الظَبْيُ إذا دخل كِناسه أي منزله. والكنيسات: الكنائس، وقد وقع الشاعر في خطإٍ لغويّ؛ لأن الكنيسة تجمع على كنائس وليس على كنيسات. لسان العرب (كنس). ومعنى البيت متمِّمٌ لمعنى البيت السابق.

٦ ـ ترتيب هذا البيت في المحمدون ثاني أبيات القصيدة. والضَلَّة، بفتح الضاد: الحيرة. والصواميع: أصلها صوامع وهي جمع صومعة، والصومعة بيت لعبّاد النصارى، وقد زيدت الياء وهي أحد حروف الإشباع. وإذا قلنا «صوامع» لا ينكسر الوزن. والبِيْعات، بكسر الباء وسكون الياء: ج بِيْعة، وهي الكنيسة، ومُتَعَبَّد النصارى.

٧ ـ الظِّباء: ج ظَبْي وهو الغزال للذكر والأنثى، وقيل: لا يقال للأنثى إلا ظبية، وظِباء البدو هنا قوم الشاعر لأنهم عرب أقحاح. ويزدري: يحتقر. والظَّبَيَاتُ: ج ظبية وهي أنثى الظبي، وتستعار للفتاة الشابة، والمراد بالظَّبيات الحضريّات الفتيات النصرانيات. يقول: في قبيلتي أناسٌ يزدرون بالفتيات المسيحيات؛ فقبيلتي أهل بَدْوٍ، وقبيلةُ نويرة أهل حَضَر.

٨ ـ أُفْصِحُ وَحْدِي يومَ فِصْحٍ لَهُمْ بـيـن الأُرَيْـطَى والـدُّوَيْـحـاتِ

٩ ـ وقـد أَتَـوْا منـه إلى مَـوْعِـدٍ وآجـتـمـعـوا فـيـه لِـمِـيْـقـاتِ

١٠ ـ بِمَـوْقِفٍ بين يَـدَيْ أُسْقُفٍ مُـمْـسِـكٍ مِـصْـبـاحٍ ومِـنْـسـاةِ

١١ ـ وكـلِّ قَسٍّ مُـظْهِـرٍ للتُّقَى بـآي إنْـصَـاتٍ وإخْـبـاتِ

١٢ ـ وعينُـهُ تَسْـرَحُ في عِيْنِـهِمْ كـالـذِّئب يَبْغي فَـرْسَ نَعْجَـاتِ

---

٨ ـ هكذا في الخريدة طبعة الدار التونسية، وفي طبعة نهضة مصر والمحمدون: « أَفْصَحَ وَحْدِي». وأُفْصح : أُعَيِّد عيد الفِصْح ، والفِصْح : فِطْرُ النصارى، وهو عيد تذكار قيامة المسيح من الموت ويعرف بالعيد الكبير. لسان العرب ومحيط المحيط (فصح) ولهم: أي لأهل نويرة. والأريطى والدُّوَيْحات: أغلب الظن أنهما من متنزهات المرية، والأريطى: تصغير أرْطَى وهو شجر نَوْرُه كَنَوْر الصفصاف وثمره كالعنّاب. والدُوَيْحات : ج دويحة وهي تصغير دوحة وهي الشجرة العظيمة من أي الشجر. وهنا يشارك الشاعرُ بأحاسيسه فرحة نويرة في عيدها، وذلك في ذينك المكانين الجميلين تحت أفياء الشجر بعيداً عن رؤية أهله له لأنهم يزدرون بالمسيحيات من جهة، وبعيداً عن رؤية نويرة له لأنها كانت دوماً تصدُّه من جهة أخرى. وهكذا كان آبن الحداد يرقب تحركات نويرة وأهلها في ذلك اليوم المجيد، وهذا ما نراه في الأبيات اللاحقة .

٩ ـ منه : أي من عيد الفِصْح . والمِيْقات : الموعد .

١٠ ـ الأُسْقُف عند النصارى فوق القِسِّيْس ودون المطران . والمِنساة والمِنْسأة ، بكسر الميم وفتحها : العصا .

١١ ـ وكلِّ قَسٍّ : أي وبين يَدَيْ كلِّ قَسٍّ . والـقَسُّ والقِسِّيْس : رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم ، وهو دون الأسقف ، سريانية معناها الشيخ ، والجمع قُسُوْس وقِسِّيْسُوْن وقساقسة وقساوسة . لسان العرب ومحيط المحيط (قسس). وبآي إنصات وإخبات : بآي سكوت وخشوع ؛ يقال : أَخْبَتَ الرجلُ لله تعالى إذا خشع له . يقول : إنَّ الأسقف أو القسّ يصلِّي فيهم صلاة العيد بخشوع وإنصات .

١٢ ـ وعينه : أي عين الأسقف أو القَسّ . والعِيْنُ ، بكسر العين : ج عَيْناء وهي ذات العَيَن أي التي عظم سواد عينها في سَعَة . والفَرْس : القَتْل . ونَعْجات : أصل القول : نَعَجَات بالفتح ، فسكِّنت العين للضرورة الشعرية . يقول : نظراً لجمال تلك الفتيات نسي القَسُّ أنه يقوم بواجباته الدينية فَسَرَحَتْ عَيْنُهُ فيهنَّ ، وكان كذئب يبغي فَرْس نِعاج القطيع .

١٣ ـ وأيُّ مَرْءٍ سالمٌ مِنْ هَوىً وقد رأى تلك الظُّبَيَّاتِ ؟
١٤ ـ فمن خُدُوْدٍ قَمَرِيّاتٍ على قُدُوْدٍ غُصُنِيَّاتِ
١٥ ـ وقد تَلَوْا صُحْفَ أناجيلِهِمْ بحُسْنِ ألحانٍ وأصواتِ
١٦ ـ يَزِيْدُ في نَفْرِ يعافيرهِمْ عنّي وفي ضَغْط صَباباتي

---

١٣ ـ الظُّبَيَّات: ج ظُبَيَّة وهي تصغير ظَبْية ، وهي أنثى الظَبْي ، وتستعار للفتاة الشابة ، والمقصود تلك الفتيات اللواتي بجمال الظبية في سَعَة عيونهنّ وطول أجيادهنّ ورشاقتهنّ ونحافة قدودهنّ . وهنا يَعْذِرُ الشاعرُ القسَّ على فِعْلته ؛ لأن هؤلاء بمحاسنهنّ يَسْتَدْرِجْنَ قلبَ الخَلِيِّ إلى الهوى ويُهَيِّجْنَه .

١٤ ـ خدود قمريّات : أي إنَّ خدودها مضيئة كالقمر . وقُدُوْدٌ غُصُنِيَّات : أي إنَّ قدودها ، لنحافتها ، تنثني كما تنثني الغصون إذا لامسها النسيم . وهنا يدخل الشاعر في وصف جمال المرأة الجسدي ، وهو إنْ ذكرَ آلنساء النصرانيات فإنه يريد الحديث عن « نويرة » ، وإنْ تحدَّث عن جمالهنّ فلأنهنّ يُمَثِّلْنَ جمالها ؛ فنحافة قدودهنَّ نحافة قَدِّها ، وضياء وجوههنّ ضياء وجهها . ولعله يريد أن يقول : إن حبَّه لنويرة جعله يعشق رؤية كلِّ آمرأة مُسْتَعْرَبَة .

١٥ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « وقد جلوا صُحْفَ » . والضمير في « تَلَوْا » يعود على النصارى . والصُحْفُ : أصل القول : والصُحُف ، وقد سكِّنت الحاء للضرورة الشعريّة .

١٦ ـ الفاعل في « يَزِيْدُ » هو « حُسْنُ الألحان » ، الذي ورد في البيت السابق . واليعافير : ج يَعْفُوْر وهو ظَبْيٌ بلون التراب أو ولد البقرة الوحشية ، والمقصود الفَتَيَات المسيحيّات . يقول : إنَّ حُسْنَ الألحان ، والنصارى يَتْلُوْن صحف أناجيلهم ، يزيد في إبعاد النصرانيّات عني من جهة ، ويزيد من حرقتي وشوقي إليهنّ من جهة أخرى.

١٧ ـ والشمسُ شمسُ الحُسْن من بينهمْ تـحـت غـمـامـاتِ الـلِّـثـامـاتِ
١٨ ـ ونـاظـري مُخْتَلِسٌ لَمْحَهـا ولَـمْـحُـهـا يُـضْـرِمُ لَـوْعـاتـي
١٩ ـ وفي الحَشَا نـارُ نُـوَيْـرِيَّـةٌ عُـلِّقْـتُـهـا مـنـذ سُـنَـيَّـاتِ
٢٩ ـ لا تنطفي وقتاً وكم رُمْتُها بـل تلتـظي في كـلِّ أوقـاتـي
٢١ ـ فَحَيِّ عنِّي رَشَـأَ آلمُنْحَنَى وإنْ أَبَـى رَجْـعَ تـحـيَّـاتـي

---

١٧ ـ في الخريدة : « لثاماتِ » . وشمسُ الحُسْن هنا هي نويرة . وبينهم : أي بين النصارى . والغَمامَات : أي الغمَام ، وهو الغَيْم الأبيض ، سمِّي غماماً لأنه يَغُمُّ السماءَ أي يسترها ، واحدته غَمامة ، وقد وقع الشاعر في خطإٍ لغويّ ؛ لأنَّ الغَمامة تجمع على غَمام وليس على غَمامات ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللِّثامات ، والمقصود « اللُّثُم » بالضم ، جمع لِثام ، وهو ما كان على الفم من النِّقاب أو ما يُغَطَّى به الشفة من ثوب . يقول : نويرةُ شمسُ الحسن بين النصرانيّات اللواتي يَضَعْنَ اللُّثُم البيض على أفواههنّ . وهنا يشبِّه نويرةَ ، وهي تضعُ اللِّثامَ الأبيض على فمها ، بالشمس وقد آحتجبتْ في نقاب غيمها .

١٨ ـ يقول : إذا ما آختلسْتُ النظرَ إليها أَضْرَمَ لَمْحُها حُرْقَةً في قلبي .

١٩ ـ في الخريدة : « ففي الحَشَا » . وفي المحمدون : « نُوْرُ نُوَيْرِيَّةٍ » . وسُنَيَّات : ج سُنَيَّة وهي تصغير سَنَة . يقول : إنني كَلِفْتُ في صِباي بنويرة التي ذَهَبَتْ بلُبِّي وهَوايَ وأشعلتْ في ضلوعي نار الشوق والوَجْد .

٢٠ ـ في الخريدة : « فكم رُمْتُها » . ولا تنطفي : أي النار النويرية . ومعنى البيت واضح كل الوضوح وهو متمِّمٌ لمعنى البيت السابق .

٢١ ـ الرَشَأُ : الظَبْيُ إذا قوي ومشى مع أُمِّه ، والجمع أرشاء ، وهنا يشبِّه نويرة بالرَّشإ . والمُنْحَنَى : منعطف الوادي حيث تسكن نويرة . يقول : بلِّغ نويرةَ تحياتي حتى ولو أَبَتْ أنْ تعاملني بالمِثْل .

وقال(*) في المعتصم بن صمادح (الطويل) :

- ٧ -

١ - خليليَّ مِنْ قَيْسِ بنِ عَيْلاَنَ،خَلِّيَا   رِكَابي تُعَرِّجْ نَحْوَ مُنْعَرَجَاتِها

تخريج الأبيات :

في الذخيرة (ق ١ م ص ٧١٣ - ٧١٥) : الأبيات ١ - ٢ ، ٥ - ١٥ ، ٢٠ - ٢٦ .

وفي الخريدة (ج ٢ ص ٢٧٥ - ٢٧٦) طبعة الدار التونسية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٣ - ١٨٤ : الأبيات ٣ - ٦ ، ١١ - ١٤ ، ١٦ - ١٩ .

وفي عقود الجمان (ج ٣ الورقة ٢٦٢) وفوات الوفيات (ج ٣ ص ٢٨٣ - ٢٨٤) : الأبيات ٢ ، ٥ - ٦ ، ١١ - ١٤ .

وفي الوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٦ - ٨٧) : الأبيات ٢ ، ٥ - ٦ ، ١١ - ١٤ ، ١٧ - ١٩ .

* - في حاشية الخريدة طبعة الدار التونسية علّق المحقق على هذه القصيدة فقال : « هي ٢١ بيتاً في الذخيرة ورد ستة أبيات منها في الخريدة ، وهي : من ٣ إلى ٨ . وفي المغرب من ٣ - ٨ ومن ١٠ إلى آخرها . وفي الوافي من ٣ إلى آخرها . وفي الفوات من ٣ إلى ٨ » . والصواب أنَّ في الذخيرة عشرين بيتاً فقط ، وفي الخريدة آثنا عشر بيتاً ، كما لم يرد أيّ بيت من هذه القصيدة في المغرب في حلى المغرب . كذلك لم يُشِر المحققُ إلى كتاب عقود الجمان .

١ - قَيْسُ عَيْلاَنَ بنُ مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان ، جَدٌّ جاهليّ . قال آبن حزم : وقد قال قوم : قيس بن عيلان بن مضر ، والصحيح قَيْس عيلان : وآستشهد بقول نَصْر بن سَيار (البسيط) :

أنا آبنُ خِنْدِفَ تَنْمِيْنِي قبائلُها   للصالحاتِ وعَمِّي قَيْسُ عَيْلاَنَا

وأضاف آبن حزم قائلاً : كان عيلان عَبْداً وحَضَنَ قيساً فَنُسِبَ قيس إليه . جمهرة أنساب العرب ص ١٠ ، ٢٤٣ . والرِّكاب : ج راحلة وهي الإبل . وتعرِّج : تتَّجه . والمُنْعَرَجَات : ج مُنْعَرَج ، أي منعرج الوادي ، وهو منعطفه يَمْنَةً ويَسْرَة . والهاء في « منعرجاتها » تعود على محبوبة الشاعر . وهنا يستفتح قصيدته على طريقة الشعراء الجاهليين ، فيخاطب خليلين من آل قيس عيلان ، كأنما يريد أنْ يذكِّرنا بأنه ينتمي إلى قبيلة عربية عريقة في القِدَم .

٢ - بِعَيْشِكُمَا ذاتِ اليمينِ فإنَّني أُرَاحُ لِشَمٍّ الرَّوْحِ مِنْ عَقَدَاتِهَا
٣ - أَمَا إنَّها الأَعْلامُ مِنْ هَضَبَاتِها فكيف تَكُفُّ العَيْنُ عَنْ عَبَرَاتِها ؟
٤ - ذَرَانِي ، وإذْرَاءُ الدُّمُوعِ لَعَلَّهُ يُسَكِّنُ ما قد هاجَ مِنْ ذُكُرَاتِها
٥ - فَقَدْ عَبِقَتْ رِيحُ النُّعَامَى كأنَّما سَلَامُ سُلَيْمَى رَاحَ في نَفَحَاتِها
٦ - وتَيْمَاءُ للقَلْبِ المُتَيَّمِ مَنْزِلٌ فَعُوجَا بتسليمٍ على سَلَمَاتِها

---

٢ - في فوات الوفيات : « بِشَمٍّ » بدل « لِشَمٍّ » . وذات اليمين : ذات المنزلة الحسنة . وأَرَاحُ : أستريح وتأخذني خِفَّةٌ وأريحيّة ؛ يقال : راحَ لذلك الأمرِ يَرَاحُ إذا فرح به وأخذته له خفّة وأريحيّة . والرَّوْح : نسيم الريح . والعَقَدَات : جمع عَقَد وهو ما تعقّد من الرمل وتراكم . يقول : إنني ، بشمٍّ نسيم عَقَدَاتها (حيث منزل المحبوبة) أُسَرُّ وتأخذني خفّة وأريحيّة .

٣ - الأعلام : ج عَلَم وهو شيء منصوب في الطريق يُهْتَدَى به ، وهنا يتحدّث عن الطريق التي سلكها للوصول إلى منزل محبوبته . والعَبَرَات : ج عَبْرَة وهي الدَّمْعة . ومعنى العجز : متى تَكُفُّ العين عن ذَرْف الدُّمُوع ؟ وكأني به يريد أن يقول : إنَّ عَيْنَيَّ سَتَكُفَّان عن ذَرْف الدموع عندما يتمّ اللقاء بيننا .

٤ - في الخريدة طبعة الدار التونسية : « دراني » بالدال غير المعجمة . وذَرَاني : أمر وَذَرَ ، للتثنية . وإذراء الدموع : صَبُّها ؛ يقال : أَذْرَتِ العينُ دَمْعَها إذا صبَّتْه وأسقطته . وذُكُرَاتُها : ج ذُكْرَة وهي نقيض النسيان . يقول : أُتْرُكَاني أذرف دموعي ؛ لأن البكاء خير علاج لي لتخفيف لواعجي ونَشْرِ ما طَوَتْه الضُّلُوْع .

٥ - في الخريدة : « كأنها سلام سليمى . . » . وفي عقود الجمان والوافي بالوفيات : « راحَ من نفحاتها » .
والنُّعَامَى : ريح الجنوب ، وهي أبلُّ الرياح وأرطبها . وسليمى : تصغير سَلْمَى وهي آسم آمرأة يرمز بها الشاعر إلى محبوبته . ذكر آبن رشيق في العمدة (ج ٢ ص ١٢٢) أنَّ سلمى من الأسماء التي كانت تَخِفُّ على ألسنة الشعراء وتَحْلُو في أفواههم بحيث كانوا يأتون بها زُوْرا . والهاء في « نفحاتها » تعود على الريح .

٦ - التَّيْمَاءُ : الفَلَاةُ ، وأرض تَيْمَاءُ : أرض قَفْرَةٌ مهلكةٌ مُضِلَّة . وعُوْجا : إِعْطِفَا ؛ يقال : عاج على المكان يَعُوْجُ إذا عَطَفَ عليه . والسَّلَمَاتُ : ج السَّلَم وهو شجر من العِضَاه ، واحدته سَلَمَة . والهاء في « سلماتها » تعود على التيماء أو على محبوبة الشاعر . يقول : =

٧ ـ وإنْ تُسْعِدَا مَنْ أَسْلَمَ الصَّبْرُ قَلْبَهُ يُعَرِّسْ بَدوحِ البَانِ مِنْ عَرَصَاتِها
٨ ـ فَبانَتُها الغَيْنَاءُ مَأْلَفُ بَانَةٍ جَنَيْتُ الغَرَامَ البَرْحَ مِنْ ثَمَراتِها
٩ ـ ورَوْضَتُها الغَنَّاءُ مَسْرَحُ رَوْضَةٍ تَبَخْتَرُ في المَوْشِيِّ مِنْ حَبَرَاتِها
١٠ ـ هنالك خُوْطٌ في مَنَابِتِ عَزَّةٍ تَخَالُ آلقَنَا الخَطِّيَّ بَعْضَ نَبَاتِها
١١ ـ مَشَاعِرُ تَهْيَامٍ وكعبةُ فِتْنَةٍ فؤاديَ مِنْ حُجَّاجِهَا ودُعَاتِهَا

= إنَّ منزل محبوبتي هو في تلك الفلاة ، لذا عُوْجَا بتسليمٍ على سلماتها لعلَّ سلامي يصل إليها .

٧ ـ يُعَرِّسُ : يَنْزِل. ودوح البان : أغلب الظن أنه من متنزهات المرية ، والدَّوْحُ : ج دَوْحَة وهي الشجرة العظيمة ، والبان : شجر من العِضاه شديد الخُضْرة يسمو ويطول في آستواء ، واحدته بانة ، شبَّه الشعراءُ الجارية الناعمة بها فقيل : كأنَّها بانةٌ ، وكأنها غصن بان . والعَرَصَات : ج عَرْصَة وهي ساحة الدار . يقول : إنْ أَرَدْتُما أن تريحا قلبي ساعداني للوصول إلى منزل محبوبتي .

٨ ـ الهاء في « بانتها » تعود على التَّيْمَاء أو على العَرَصَات . والغَيْنَاء :الخضراءُ الوَرَقِ الملتفَّةُ الأغصان . ومألف بانة : أي مألف المعشوقة التي شبَّهها الشاعرُ بالبانة لنحافة قدِّها . والبَرْحُ : المُتَوهِّج . وهنا يدخل الشاعر في وصف جمال محبوبته الجسدي .

٩ ـ الغَنَّاء : الكثيرة العشب . ومسرح روضة : أي مسرح المعشوقة التي شبَّهها الشاعرُ بالروضة . والمَوْشِيّ : الثوب المنقوش المنمنم . والحَبَرَات : ج حَبْرَة وهي ضرب من برود اليمن ، مأخوذ من التحبير أي التزيين . والمعنى : إنَّها حسناءُ تتمايل في إحدى رياض الأندلس بثوبها الأخضر المزركش .

١٠ ـ الخُوْطُ : الغصن الناعم أو كلُّ قضيب ، والمقصود قَدُّ المعشوقة . ومنابت عَزَّة : أي أعضاء جسدها ، والعَزَّةُ : بنت الظَّبْية ، وبها سمِّيت عَزَّة معشوقة كُثَيِّر ، وهنا يكني الشاعر بها عن محبوبته. والقَنَا: ج قناة وهي الرُّمْح. والخَطِّيُّ: نسبة إلى الخَطِّ وهو أرض تنسب إليها الرماح الخطِّيَّة أو تحمل إليها من الهند فَتُقَوَّم فيها وتباع على العرب. انظر معجم البلدان (ج ٢ ص ٣٧٨). يقول: إنَّ قدَّها الذي آستوى في ذلك الجسد الجميل نحيفٌ نحافة القضبان والرِّماح الخطِّيَّة .

١١ ـ في الذخيرة : « حُجَّابها » بدل « حجّاجها » . يقول : إنها مشاعر تَهْيَامٍ ، تَفْتِنُ القلوبَ فتجعلها تخبُّ نحوها حاجَّةً ، وقلبي أحدُ حُجّاجِها .

١٢ ـ فكم صافَحَتْني في مِناهَا يَدُ المُنَى   وكم هَبَّ عَرْفُ اللَّهْوِ مِنْ عَرَفَاتِها
١٣ ـ عَهِدْتُ بها أصنامَ حُسْنٍ عَهِدْنَنِي   هَوىً عَبْدَ عُزَّاهَا وعَبْدَ مَنَاتِهَا
١٤ ـ أُهِلُّ بأشواقِي إليها وأَتَّقي   شَرَائِعَهـا في الحُبِّ حَقَّ تُقَاتِهـا

---

١٢ ـ في الخريدة والوافي بالوفيات : « اللهو في عرفاتها » . ومِنى ، بكسر الميم : في دَرج الوادي الذي ينزله الحاجّ ويرمي فيه الجمارَ من الحرم ، سمِّي بذلك لما يُمْنَى به من الدِّماء أي يُراق . معجم البلدان (ج ٥ ص ١٩٨) . والعَرْفُ : الرِّيح الطيِّبة . وعَرَفَات : اسمٌ لموضع واحد ولو كان جمعاً ، سمِّيت بذلك لأنَّ الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف ، وقيل : لأنَّ آدام وحوّاء تعارفا بها بعد نزولهما من الجنّة . معجم البلدان (ج ٤ ص ١٠٤) .

١٣ ـ عَهِدْتُ بها : لقيْتُ بها ؛ يقال : عَهْدِي بموضع كذا : أي لقائي به ، وعَهِدْتُهُ : عَرَفْتُه . وعَهِدْنَني : أي إنَّ الأصنام عرفتني . والعُزَّى : شجرة كانت بنخلة عندها وَثَنٌ تعبده غطفان، وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وإنَّ الذي اتَّخذها صنماً هو ظالم بن أسعد ، ولقد بعث النبي ﷺ ، خالدَ ابن الوليد فقطع الشجرة وكسر الوثن . معجم البلدان (ج ٤ ص ١١٦) وجمهرة أنساب العرب ص ٤٩١ . ومَنَاة : اسم صنم نصبه عمرو بن لُحَيّ الخزاعي على ساحل البحر بين المدينة ومكة ، على سبعة أميال من المدينة ، وكانت قبيلتا الأزد وغسّان يهلّلان له ويَحُجُّان إليه ، ومن ثم دانت العرب للأصنام وعَبَدَتْها فكان مناة أقدمها كلها . معجم البلدان (ج ٥ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥) وجمهرة أنساب العرب ص ٤٩٢ . يقول : كما عبدوا العُزَّى والمَنَاة فإني أعبد حسنَ محبوبتي .

١٤ ـ في الوافي بالوفيات : « أحلُّ » بدل « أهلُّ » . وفي الخريدة : « وقال » ، وأورد الأصفهاني الأبيات ١٤ ، ١٦ ـ ١٩ . وكان الأَوْلَى به أن يقول : « ومنها » . ويقال : أَهَلَّ المُحْرِمُ بالحَجِّ يُهِلُّ إهلالاً إذا لَبَّى ورفع صوته بالدعاء والحمد لله . قال النابغة الذبياني يذكر دُرَّةً أَخْرَجَها غَوَّاصُها من البحر (الكامل) :

أو دُرَّةٍ صَدَفِيَّة غَوَّاصُها   بَهِجٌ ، متى يَرَهَا يُهِلَّ ويَسْجُدِ

أي إذا رآها ، وقد أعجبته ، رفع صوته بالدعاء والحمد لله تعالى . ديوان النابغة الذبياني ص ١٤٦ ولسان العرب (هلل) . والتُّقاة : التَّقْوَى ، أي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته . يقول: كما أوجد الله تعالى شرائعَ لعباده فقد سنَّت لي محبوبتي شريعة =

١٥ ـ غَرَامٌ كإقدام آبنِ مَعْنٍ، ومَغْرَمٌ كإنْعَامِهِ والأرضُ في أَزَمَاتِها
١٦ ـ فَتى البَأْسِ والجُوْدِ اللَّذَيْنِ تَبارَيَا إلى غايةٍ حَازا له قَصَبَاتِها
١٧ ـ تَدِيْنُ يَدَاهُ دِيْنَ كَعْبٍ وحَاتِمٍ فَحَتْمٌ عليها الدَّهْرَ وَصْلُ صِلاَتِها
١٨ ـ يُجَاهِدُ في ذاتِ النَّدَى بَيْتُ مالِها ولا جَيْشَ إلاَّ مِنْ أكُفِّ عُفَاتِها

= خاصة جعلتني ألتزم بها. وهكذا فإنَّ الشاعر بدل أن يرفع صوته بالدعاء والحمد لله تعالى رفعه بالدعاء لمحبوبته وذلك لشدة إعجابه بها.

١٥ ـ الإقدام: الشجاعة. وآبن معن: هو المعتصم بن صمادح، ممدوح الشاعر. والمَغْرَمُ: الغُرْم والغَرَامة، أي ما يلزم أداؤه، والجمع مغارم. يقول: إنَّ وَلُوْعي بها كولوع المعتصم بمقاتلة أعدائه، وكما أنا مَدِيْنٌ لها بالكثير أُعْطيها كلَّ ما عندي فإنَّ المعتصم مَدِيْنٌ لرعيَّته، شديد التعلّق بها، يُنْعِمُ عليها حتى في أيام الجَدْب والمَحْل ويوم لا تُغِلُّ الأرض. وهنا يخلص الشاعر من الغزل إلى المدح.

١٦ ـ يقال: حَازَ قَصَبَ السَّبْق أي آستولى على الأَمَد، ويقال للمُراهن إذا سَبَق: أَحْرَزَ قَصَبَة السَّبْق، وأصله أنهم كانوا ينصبون في حَلْبة السِّباق قَصَبَةً فَمَنْ سَبَقَ آقتلعها وأخذها لِيُعْلَمَ أنَّه السابق من غير نزاع. لسان العرب ومحيط المحيط (قصب). يقول: إن المعتصم بَذَّ أقرانه من ملوك الطوائف في البَأْسِ والجُوْدِ معا.

١٧ ـ رواية البيت في الوافي بالوفيات هي:

يَدِيْنُ نَدَاهُ دِيْنَ كَعْبٍ وحَاتِمٍ فَحَتْمٌ عليه الدَّهْرَ وَصْلُ صِلاَتِها

وقال الصفدي: «ومنه قوله في المديح»، وأورد الأبيات ١٧ ـ ١٩، غير منتظمة في القصيدة، وكأنَّه على يقين أنها لا تَمُتُّ للقصيدة بصلة. وكَعْبٌ وحاتِمٌ من أجواد أهل الجاهلية، يضرب بهما المثل لكثرة جُوْدهما وعطائهما. انظر حاشية البيت رقم ٢٣ من القصيدة الهمزية رقم ١. يقول: إنَّ المعتصم، في جوده ونواله، على دِيْن كعب وحاتم، وإنَّ صِلاَتِهِ للعُفاة متواصلة طوال حكمه.

١٨ ـ في الوافي بالوفيات: «بيت ماله». والعُفَاة: ج عافٍ وهو طالب المعروف. يقول: إنَّ بيت مال المعتصم في حرب دائمة، وهدفه من هذه الحرب هو إغداق المال على طالبي المعروف الذين أصبحوا لكثرتهم يشكلون جيشاً عَديْد الحَصَى. والشاعر حين يجعل بيت المال إنساناً مكافحاً إنّما يُوَفَّق أيَّما توفيق.

١٩ ـ إذا البِدَرُ آنثالتْ عليهمْ تَخالُها بِأَيْدِي مَوَالِيْهَا رؤوسَ عُدَاتِها

٢٠ ـ وكَمْ قَدْ رَأَتْ رَأْيَ الخوارِجِ فِرْقَةٌ فَكُنْتَ عَلِيّاً في حُرُوبِ شُرَاتِها

---

١٩ ـ في الوافي: « حَسِبْتَهَا » بدل « تَخالُها ». والبِدَرُ: ج بَدْرَة وهي كيس فيه ألفٌ أو عَشَرَة آلاف دِرْهم أو سبعة آلاف دينار. انظر لسان العرب ومختار الصحاح والقاموس المحيط، مادة (بدر). وآنثالت: انصبَّتْ. والموالي: ج مَوْلىً وهو الناصر والحليف. والعُدَاة: ج عادٍ وهو العدوّ. يقول: إذا إنهالت البِدَرُ على أنصار المعتصم، حَسِبْتَها، لتدويرها، رؤوسَ العُداة وهي مجتمعة في أرض المعركة.

٢٠ ـ قال آبن بسام في الذخيرة: « ومنها»، وأورد الأبيات ٢٠ ـ ٢٢. والخوارج: جمع الخارجي وهو كل من خرج على الإمام الحقّ الذي آتّفقت الجماعةُ عليه. وأول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، جماعةٌ ممنّ كانوا معه في حرب صفين التي وقعت سنة ٣٧هـ بينه وبين معاوية، وأشدُّهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين الأشعثُ بن قيس الكندي، ومِسْعرُ بن فَدَكِي التميمي وزيدُ بن حصين. وكان الخوارج قد حملوا علياً على التحكيم، وكان يريد أن يبعث عبدالله بن عباس، رضي الله عنه، فما رضي الخوارج بذلك، وقالوا: هو منك، وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله تعالى. فجرى الأمر على خلاف ما رضي به، فلما لم يَرْضَ بذلك خرجت الخوارج عليه. وكبار الفرق منهم: المُحَكِّمة الذين قاتلهم علي، رضي الله عنه، مقاتلة شديدة، والأزارقة، والنَّجدات، والبَيْهَسِيَّة، والعَجارِدَة، والثعالبة، والإباضية، والصُّفْرِيّة، والباقون فروعهم. ويجمعهم القول بالتَّبَرِّي من عثمان وعلي، ويَرَوْنَ الخروج على الإمام، إذا خالف السّنة، حقاً واجبا. انظر الملل والنحل (ج ١ ص ١١٤ ـ ١٣٨)، والعقد الفريد (ج ٢ ص ٣٨٨ وما بعدها)، والكامل في التاريخ (ج ٣ ص ٢٨٩ ـ ٣٤١)، والبداية والنهاية (ج ٧ ص ٢٥٣ ـ ٢٨٨) ومعجم البلدان (ج ٣ ص ٤١٤) ودراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية ص ١٩.

والشُّرَاة: الخوارج، سُمُّوا بذلك لأنهم خرجوا عن طاعة الإمام وغَضِبُوا ولَجُّوا، وأمّا هم فقالوا: نحن الشُّراة لقوله عزَّ وجلّ: ﴿ **ومِنَ الناسِ مـنْ يَشْرِي نَفْسَهُ آبتغاءَ مَرْضاتِ الله** ﴾ أي يبيعها ويَبْذُلُها في الجهاد وثَمَنُها الجنّة. انظر سورة البقرة ٢، الآية ٢٠٧، ولسان العرب (شري). وهنا يشبّه المعتصمَ بن صمادح بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويشبّه ملوكَ الطوائف المناهضين له بالشُّراة.

٢١ - بِعَزْمِ أَبِيٍّ لا يُرَدُّ مَضَاؤه، وهل تُمْلَكُ الأَفْلَاكُ عَنْ حَرَكَاتِها؟
٢٢ - هو الجاعِلُ ٱلهَيْجَا حَشاً وسِنَانَهُ هَوىً، فَهْوَ لا يَعْدُو قُلُوبَ كُمَاتِها
٢٣ - وكم خَطَبَتْنِي مِصْرُ في نَيْلِ نِيْلِها ورامَتْ بنا بَغْدادُ وِرْدَ فُراتِها

---

٢١ - الأبيُّ: الممتنع، والشديد الأنفة، والترفع عن الدَّنَايا. وتُمْلَكُ: تُحْبَسُ. والأفلاك: ج فَلَك وهو واحد أفلاك النجوم. يقول: كما إنّ أفلاك النجوم في حركة دائمة فإنّ المعتصم كذلك يصول ويجول في قلب المعترك دون كلل. والاْستفهام هنا يستفاد منه معنى النفي، أي إنَّ الأفلاك لا تُمْلَكُ عن حركاتها.

٢٢ - الهَيْجَا: الحرب، تُمَدُّ وتُقْصَرُ. والحَشَا: ما آنضمَّت عليه الضُّلوع كالقلب والكبد والرئة، والجمع أحشاء، والمراد هنا القلب. والسِّنان: أي سِنان الرُّمْح، وهو نَصْلُه، والجمع أسِنَّة. والكُماة: ج كَمِيّ وهو الشجاع أو لابس السلاح، سمِّي به لأنه كَمَّى نفسه أي سترها بالدروع. وقوله: «لا يعدو قلوبَ كماتها»: أي لا يهدف إلاّ إلى إصابتها بسنان رمحه؛ يقال: عَدَا الأمرَ يعدوه إذا جاوزه وتركه. والشاعر يوفّق حين يجعل «الهيجاء» قلب محبوب، وسِنَان، الرمح هوىً. ويريد أن يقول: إنَّ المعتصم يهوى الحرب كما يهوى الرجلُ محبوبته، فيغزو أرض أعدائه ويصيب بسنانه قلوبهم كما يغزو المحبوبُ قلبَ محبوبته فيجعلها تنقاد إليه وتستسلم. والمعنى قريب من قول أبي الطيب (الوافر):

كأنَّ الهَامَ في الهَيْجَا عُيُونٌ وقد طُبِعَتْ سيوفُكَ من رُقَادِ
وقد صُغْتَ الأَسِنَّةَ من هُمُومٍ فما يَخْطُرْنَ إلاَّ في الفؤادِ

أي إنَّ سيوف ممدوح المتنبي قد أَلِفَتِ الرؤوسَ أُلْفَةَ الرُّقَادِ للعين، فهي لا تحلُّ إلاَّ فيها ولا تقع إلاَّ عليها. وبينما الأسنَّة عند المتنبي همومٌ فإنها هوىً وحُبٌّ عند آبن الحداد. والفؤاد عند الشاعرين حرب تُشَنُّ عليها سِنَانُ المحبوب. العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ص ٨١.

٢٣ - في الذخيرة: «ومنها». وأورد آبن بسام الأبيات ٢٣ - ٢٦.
وهنا يفتخر آبن الحداد بأرضه ووطنه مفضّلاً الأندلس على مصر التي آشتهرت بنهر النيل، وبغداد التي آشتهرت بنهر الفرات.

٢٤ ـ ولم أَرْضَ أَرْضاً غيرَ مبدإ نَشْأتي ولو لُحْتُ شَمْساً في سماءِ وُلاَتِهَا
٢٥ ـ ولِي أَمَلٌ، إنْ يُسْعِدِ السَّعْدُ نِلْتُهُ، ويُفْهَمُ سِرُّ النَّفْسِ في رَمَزَاتِهَا
٢٦ ـ وأَسْنَى المُنَى ما نِيْلَ في مَيْعَةِ الصِّبَا وهل تَحْسُنُ الأشياءُ بعد فَوَاتِها؟

---

٢٤ ـ في هذا البيت يتابع الشاعر آفتخاره بأرضه، ولعلّه يقصد بها «المرية» حيث نشأ وترعرع، وقد يقصد بها الأندلس عامة؛ فإذا أراد المريّة يكون قد فضّلها على بقية ممالك الأندلس، وفضّل البقاء فيها في ظلّ ملكها المعتصم، وإذا أراد الأندلس وهو الوجه الأرجح، يكون قد ذهب مذهب آبن حزم في قوله (المتقارب):

ويـا جَـوْهَـرَ الصِّيْـنِ، سُحْـقـاً فَقَـدْ غَـنِـيْـتُ بـيـاقـوتـةِ الأنـدلسْ

رسائل ابن حزم (ج ١ ص ١٨٢)

٢٥ ـ السَّعْدُ: اليُمْنُ ونقيض النَّحس، والجمع سُعُوْد. والرَّمَزَات: جمع الرَّمز وهو الإشارة أو الإيماء. وهنا يشير إلى سوء حالته من جراء ما فعلت به محبوبته من صَدٍّ دائم له. وهذا ما يفسره البيت اللاحق. وقد يشير إلى وضعه المتردِّي، وهي إشارة خفيَّة إلى المعتصم، لكي يَتَنَبَّهَ إليه فيرفع من مكانته، والتفسير الأول أرجح.

٢٦ ـ مَيْعَةُ الصِّبَا: أول الصِّبَا وأَنْشَطُهُ، أي في جَهْلَة الفُتُوَّة. يقول: إنَّ ما يتمناه المرء يكون في مَيْعَة الشباب وليس في سنِّ الشيخوخة التي لا تلبِّي رغباته ومطالبه. والاْستفهام يستفاد منه النفي، أي إنَّ الأشياء لا تحسن بعد فواتها.

قافية الثاء

- ٨ -

وله في مذهب الغزل (الطويل):

١ - حَدِيثُكِ ما أَحْلَى! فَزِيْدِي وَحَدِّثِي ... عَنِ الرَّشَإِ ٱلفَرْدِ ٱلجَمَالِ ٱلمُثَلِّثِ

تخريج الأبيات: في الذخيرة (ق ١ م٢ ص ٧٠٦): الأبيات كلها.

وفي الإحاطة (ج ٢ ص ٣٣٥) تحقيق عنان: الأبيات كلها. قال ٱبن الخطيب: «وكان مُنِيَ * في صباه بصبيَّةٍ من الروم، نصرانيّةٍ، ذهبت بلبِّه وهواه، تسمَّى نُوَيْرة، افتضح بها، وكثر نسيبه. ومن شعره في الغرض المذكور»، وأورد الأبيات. وفي الإحاطة التي لا تحمل ٱسم المحقق (ج ٢ ص ٢٥١ - ٢٥٢): الأبيات ١ - ٢، ٥ - ١٠.

وفي نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٧): صدر البيت الأول. قال المقري: «وأورد له في الإحاطة قصيدة ثانية أولها: حَدِيْثُكِ ما أحلى! فزيدي وَحَدِّثي

وهي طويلة. وكتب عليها ٱبنُ المؤلف ما صورته: سمعْتُها من لفظ شيخي أبي جعفر ٱبن خاتمة بالمريّة في سنة خمس وستين وسبعمائة، قاله علي بن الخطيب؛ انتهى».

* في الإحاطة التي لا تحمل ٱسم المحقق: «وكان قد كلف في صباه.. تسمّى نويرة، فتغنَّى فيها وكثر تشبيهه بها. ومن شعره..» ونويرة هي إحدى مُسْتَعْرَبَات أهل الأندلس، اللواتي على دين النصرانية.

١ - في الإحاطة التي لا تحمل ٱسم المحقق: «الفَرْدِ المُثَنَّى المثلّثِ».

والرَّشَأ: الظَّبي إذا قوي ومشى مع أمِّه، والجمع أرشاء، شبَّه به نويرة. والفَرْدُ الجمال: أي إنَّ جماله فريد لا نظير له. والمُثَلِّث: النصرانيُّ القائل بالثالوث أو التثليث، ويقابله التوحيدي أي المسلم الموحِّد، والتثليث عند النصارى وجودُ الله في ثلاثة أقانيم؛ الأب والٱبن والروح القدس. قال الله تعالى: ﴿**لقد كَفَرَ الذين قالوا إنَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ وما مِنْ إله إلاَّ إلَهٌ واحد**﴾ سورة المائدة ٥، الآية ٧٣. وفي هذا البيت يخاطب الشاعر إحدى صديقات محبوبته نويرة طالباً منها أنْ تحدِّثه عن نويرة وأنْ تُطيْلَ في حديثها العذب عنها.

٢ ـ ولا تَسْأَمِي ذِكْرَاهُ فالذِّكْرُ مُؤْنِسِي وإنْ بَعَثَ الأشواقَ مِنْ كلِّ مَبْعَثِ
٣ ـ وبالله فَارْقِي خَبْلَ نَفْسِي بقوله وفي عَقْدِ وَجْدِي بالإعادة فَانْفُثِي
٤ ـ أَحَقّاً وقد صَرَّحْتُ ما بِيَ أنَّه تَبَسَّمَ كـالـلاَّهِي، بنـا، المُتَعَبِّثِ
٥ ـ وأَقْسَمَ بـالإنجيـلِ إنِّي لَمَـائِنٌ ونـاهِيْـكَ دَمْعِي من مُحِقٍّ مُحَنَّثِ

---

٢ ـ رواية البيت في الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقق هي:
ولا تَنْسَ مِنْ ذِكْـرَاهُ بـالقلب مُؤْنِسِي وإنْ بَعَثَ الشعـراء من كـل مَبْـعَثِ
يقول: إنْ أَطَلْتِ في حديثك عن نويرة فذلك يؤنسني حتى وإنْ هاجني وزاد في ضَغْط صَبَابَاتي وأوقد في حشايَ نارَ الشَّوْق والحنين.
٣ ـ في الإحاطة تحقيق عنان: «بالإعادة فَابعثي».
وآرقي: أمر رَقَى؛ يقال: رَقَى الراقي إذا عَوَّذَ ونَفَثَ في عُوْذته، أي إذا دعا لصاحب الآفة كالحُمَّى والصَّرَع بالحفظ والشِّفاء. والخَبْلُ: الجنون أو شبهه في القلب، يقال: خَبَلَهُ الحبُّ إذا جَنَّنَه وأفسد عقله. وبقوله: أي بالحديث عنه أو عند سماعه وهو يتحدَّث.
والوَجْد: الحبُّ وما يصادف القلبَ ويَرِدُ عليه بلا تكلّف وتصنُّع. ونَفَثَ الراقي بفمه: نفخ، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثات في العُقَدْ﴾. والنَّفَّاثات: السواحر تَنْفُثُ في العُقَدْ التي تعقدها في الخيط تنفخ فيها بشيء تقوله من غير رِيْق. سورة الفلق ١١٣، الآية ٤، وتفسير الجلالين.
ويريد الشاعر أن يقول: سحرني حديثكِ عن نويرة، لذا أستحلفك برب العباد أنْ تُطِيلي فيه وتُعَوِّذي ـ كونكِ راقية ساحرةً ـ لتشفي نفسي من جنون الحب؛ لأنَّ الرُّقْيَةَ نافعةٌ لا محالة.
٤ ـ يقول: إنّني صارحْتُ بما في نفسي مِنِ آهتياجٍ وشوقٍ للقاء نويرة، وهي، على نقيضي، تَلْهُو بي وتَعْبَث.
٥ ـ رواية البيت في الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقّق هي:
وأَقْـسَمَ بـالإنـجـيـل إنِّـي شَـائِـقٌ ونـاهِـيـكَ مِنْ صَبٍّ مُحِقٍّ مُـحَـنَّـثِ
وفي الإحاطة تحقيق عنان: «بالإنجيل إنِّي شابقٌ».
والمائن: الكاذب. وناهيك: حَسْبُك. والمُحَنَّثُ: مَنْ مالَ من باطلٍ إلى حقٍّ. يقول: تُقْسم نويرة النصرانية بإنجيلها إنّي كاذبٌ في حبِّي، ألم تدري أنَّ إذراء الدموع خير شاهد على خالص حبي لها؟

٦ ـ ولا بُدَّ مِنْ قَصِّي على القَسِّ قِصَّتِي   عَسَاهُ مُغِيثَ المُدْنَفِ المُتَغَوِّثِ
٧ ـ فلم يَأْتِهِمْ عِيْسَى بِدِيْنِ قَسَاوَةٍ   فَيَقْسُوْ على مُضْنىً وَيَلْهُو بِمُكْرَثِ
٨ ـ وَقَلْبِيَ مِنْ حَلْيِ ٱلتَّجَلُّدِ عاطِلٌ   هَوىً في غزالٍ ذي نِفارٍ مُرَعَّثِ

---

٦ ـ في الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقق: « القَسِّ قِصَّةً عَسَاهُ يغيث . . »
والقَسُّ والقِسِّيْسُ: رئيسٌ من رؤساء النصارى في الدِّين والعِلْم، وهو دون الأسقف، سريانية معناها الشيخ، والجمع قِسِّيسون وقُسُوسٌ وقساقسة وقساوسة. لسان العرب ومحيط المحيط (قسس). والمُدْنَفُ، بفتح النون وكسرها: مَنْ بَرَاهُ المرضُ حتى أَشْفَى على الموت. وفي قوله: «المُتَغَوِّث» يخرج عنِ المألوف فيشتق ما لا يسمح به الاشتقاق، إذ ليس في كتب اللغة العربية فعل « تغوَّث» ، بل « غَوَّث»، فيقال: غَوَّثَ الرجلُ وآستغاث إذا صاح وَاغَوْثَاه! لسان العرب والقاموس المحيط، مادة (غوث). وهكذا إيماناً منه بدين نويرة فقد آرتأى أن يَقُصَّ قِصَّة حبِّه على القسِّ عَسَاه يزوِّجه بها فينقذه من الموت المحتمّ .
٧ ـ في الإحاطة تحقيق عنان: « « ولم يأتهم . . فيقسو علىٰ بَثِّي . . » وفي الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقق: « ولم يأتهم . . فيقسو على شيء ويلهو لمكرث ».
والمُضْنَى: مَنْ أَضْناه المرضُ أي أثقله حتى نَحَلَ جِسْمُه. لسان العربْ (ضنا). والمُكْرَث: مَنِ آشتدَّ عليه الغمُّ وبلغ منه المَشَقَّة. القاموس المحيط ولسان العرب (كرث). وهكذا فإنَّ الشاعر واثق من أنَّ القِسِّيسَ الذي يعمل بتعاليم المسيح ، عليه الصلاة والسلام ، سيكون متسامحاً معه ؛ لأنَّ الدين المسيحي دين تسامح لا دين قساوة، وخصوصاً مع المَرْضَى المُدْنَفين .
٨ ـ في الإحاطة تحقيق عنان: « في غزال الوادِيَيْنِ المُرَعَّثِ ». ورواية البيت في الذخيرة هي :
وَقَلْبِيَ مِنْ حُسْنِ التَّجَلُّدِ عاطِلٌ   هَوىً في غَزَالِ الوادِيَيْنِ المُرَعَّثِ
والحَلْيُ: حَلْيُ المرأة، وهو ما تتزيَّن به من مَصُوغ المَعْدِنِيَّات أو الحجارة، والجمع حُلِيّ. لسان العرب (حلا). والتجلُّد: تكلُّف الجَلَادَة أي الجَلَدَ وهو الصَّبْر. ونَفَرَ الظَّبْيُ: شَرَدَ، وَظَبْيٌ نَيْفُوْرٌ: شديد النِّفَار. لسان العرب (نفر). والمُرَعَّث: المُقَرَّط ؛ يقال: تَرَعَّثَتِ ٱلمرأة إذا تَقَرَّطَتْ، والرَّعْثُ هو ما عُلِّقَ بالأذن من قُرْط ونحوه. لسان العرب (رعث). يقول: ليس في قلبي مكان للتجلّد، إذ كيف أصطبر ونويرة في نِفارٍ دائم وصدّ قائم؟ .

٩ - سَيُصْبِحُ سِرِّي كالصَّباحِ مُشَهَّراً وَيُمْسِي حَـدِيثِي عُرْضَـةَ المُتَحَدِّثِ
١٠ - وَيَغْرَى بذكرِي بين كأسٍ وروضةٍ وَيُنْشِـدُ شِعْـرِي بين مَثْنىً ومِثْلَثِ

---

٩ - في الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقق: « فيصبح سرِّي الخ . . » وفي الإحاطة تحقيق عنان: « سيصبح سرِّي كالصُّبْح مُشْهَراً »، وهكذا ينكسر الوزن. يقول: سيفتضح أمري مع نويرة، وسيصبح حبِّي لها قِصَّةً تُرْوى على شفاه الناس .

١٠ - في الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقق: « ويغدو بذكري . . ويشدو بشعري بين. . » وفي الإحاطة تحقيق عنان: « ويشدو بشعري فوق مَثْنىً ومِثْلَثِ ».
ويَغْرَى بذكري: أي إنَّ المتحدِّث سَيُوْلَعُ بذكري؛ يقال: غَرِيَ به يَغْرَى إذا أُوْلِعَ به. لسان العرب والقاموس المحيط ومختار الصحاح، مادة (غرا). والمَثْنى: ثاني أوتار العود وجمعه المَثانى. لسان العرب والقاموس المحيط (ثني). والمِثْلَثُ: ثالث أوتار العود، وجمعها المثالث. محيط المحيط والمنجد (ثلث). يقول: إنَّ حبِّي لنويرة سيكون أُحدُوثَةَ شارِبي الخمر في أحضان الطبيعة الأندلسية الناضرة، وإنَّ غزلي الذي آستَفْرَغْتُه في نويرة سَتَشْدُوْهُ القِيانُ في مجالس الأنس والشراب غناء جميلاً مصحوباً بعزف العود .

قافية الجيم

- ٩ -

وقال في المعتصم بن صمادح (الطويل) :

١ - نَوَى أَجْرَتِ الأفلاكَ وَهْيَ النَّوَاعِجُ　　وأَطْلَعَتِ الأبـراجَ وَهْـيَ آلْهَـوَادِجُ

٢ - طَوَاوِيْسُ حُسْنٍ رَوَّعَتْنِي بِبَيْنِها　　غَرَابِيْبُ حُزْنٍ بـالفِـرَاقِ شَـوَاحِـجُ

التخريج : الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٠ - ٧٢١) . قال آبن بسام : « وله من قصيدة أولها » ، وأورد الأبيات .

١ - النَّوَى : الوجه الذي ينويه المسافر من قُرْبٍ أو بُعْد ، أي يريده ويقصده ، وهي مؤنثة ، وجمعها نوى . لسان العرب (نوي) . والأفلاك : ج فَلَك وهو مَدار النجوم ، ودَوَران السماء ، وآستدارة السماء . لسان العرب (فلك) . والنَّوَاعج : ج ناعجة وهي الناقة السريعة ؛ يقال : نَعَجَتِ الناقةُ في سيرها إذا أسرعت . لسان العرب ومحيط المحيط ، مادة (نعج) . والأبراج : ج بُرْج وهو واحد من بروج الفَلَك ، وهي آثنا عشر برجا . لسان العرب (برج) . والهوادج : ج هَوْدَج وهو مَحْمَلٌ له قُبَّةٌ كانت النساء تركب فيه ، سمِّي بذلك لأنه يضطرب على ظهر البعير . أساس البلاغة والمنجد ، مادة (هدج) . وهنا يستفتح مديحه ، على طريقة شعراء الجاهلية ، فيصف لنا رحلة محبوبته وآنتقالها إلى بلد غير الذي تقيم فيه ، كما كانت الأعراب تَنْتَوي في باديتها . ولسرعة ناقتها وآرتفاع هودجها فقد جارت الأفلاكَ والأبراج . وهنا مبالغة من الشاعر واضحة.

٢ - الطواويس : ج طاووس وهو طائر هنديّ حسن اللون ، وهو في الطير كالفرس في الدواب ، وفي طبعه العِفَّة وحُبُّ الزهوّ بنفسه والإعجاب بريشه ؛ ومن المجاز : إنَّ فلاناً لَطَاووسٌ إذا كان جميلا . أساس البلاغة ومحيط المحيط ، مادة (طوس) . وهنا يشبّه محبوبته بالطاووس بجامع الجمال من جهة والإعجاب بالنَّفْس من جهة أخرى . والبَيْنُ : الفراق . والغرابيب : ج غِرْبِيْب وهو الشديد السواد ، والمراد الغراب وهو الطائر الأسود . والعرب تقول : « أَشْأَمُ من غراب البَيْن » ؛ لأنَّ الغراب من أخبث الطيور، ويتشاءمون به . انظر لسان العرب ، ومختار الصحاح ، مادة (غرب) ومجمع الأمثال =

٣ ـ مَوَائِسُ قُضْبٍ فوق كُثْبٍ كأنَّما تَـحَمَّـلَ نَـعْمَـانٌ بِـهِنَّ وعَـالِـجُ
٤ ـ وما حَزَني ألَّا تَعُوجَ حُدُوْجُهُمْ لَـوِ الهَوْدَجُ المَـزْرُوْرُ منهنَّ عائِجُ

= (ج ١ ص ٣٨٣) . وشواحج : أي إنَّ الغِرْبان تشحج أي تردّد أصواتها . لسان العرب (شحج). وهنا يتشام آبن الحداد لدى رحيل محبوبته فتبدو صورة الحاضر والمستقبل أمامه قاتمة كالحة ، ممّا يذكّره بأصوات الغِرْبان التي تنذر دائماً بالفراق . وقد يشبِّه نويرة بالغراب بجامع الخبث ؛ وذلك لابتعادها عنه وعدم آلالتفات إليه .

٣ ـ موائس قُضْب : أي إنَّ الفتيات اللواتي يتحدَّث عنهنَّ الشاعر ، ومن بينهنَّ محبوبته ، تميس وتتبختر بخصورهنّ النحيفة التي تنآد كالقضب . والموائس : ج مائسة وهي التي تتبختر في مِشْيتها . والقُضْبُ ، بضم الضاد وسكونها : ج قضيب وهو الغصن . والكُثْبُ ، بضم الثاء وسكونها : ج كثيب وهو ما آجتمع من الرمل وآحدودب ، شبَّه بها أردافهنَّ التي تترجرج عند المشي . ونَعْمان : هو نَعْمان السَّحَاب ، وهو جبل بقرب عَرَفَة يركد فوق السَّحَاب لعلوّه . لسان العرب (نعم) . وعالج : رمال معروفة بالبادية ، سمِّي بذلك تشبيهاً له بالبعير العالج وهو الذي يأكل العَلَجَان (نَبْتٌ وقيل : شجر أخضر مُظْلم الخُضْرة ليس فيه ورق ومنبته السهل ولا تأكله الإبل إلاَّ مضطرة) . لسان العرب (علج) ومعجم البلدان (ج ٤ ص ٦٩ ـ ٧٠) .

ويريد الشاعر أن يقول : إنَّ القُضْبَ مَنْبَتُها الجبال أو الأراضي الخصبة (مشيراً إلى نعومة خصورهنّ) وإنَّ الكُثْبَ مكانُها الرمال (مشيراً إلى ثقل وتموّج أردافهنّ) ، وكأني به يعجب كيف يلتقي هذان الضِّدّان في محبوبته ؛ الخصر النحيف والرِّدْف الثقيل . وآبن الحداد لم يكن وحده مولعاً بالخصر النحيف والرِّدْف الثقيل ، بل سبقه إلى ذلك شعراءُ أندلسيّون كُثُر كالحكم الربضي أمير الأندلس ، الذي يصف عزيراتٍ على قلبه فيقول (البسيط) :

قُضْبٌ مِنَ البَانِ مَاسَتْ فَـوق كُثْبَانِ وَلَّيْنَ عَنِّي وقـد أَزْمَعْنَ هِجْـرَانِي

انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٣٤٢) . وكعلي بن أبي الحسين القائل (البسيط) :

يَكَـادُ مِنْ رِقَّـةٍ فـي خَصْـرِهِ وَجَبَتْ من الكثيبِ ، بـأنْ يَحْـوِيْـهِ خـاتِمُـهُ
شَكَـا الأَسَى خَصْـرُهُ إِذْ ظَـلَّ يَحْمِلُهُ كـأنَّـمـا هـو مـظلومٌ وظـالِـمُـهُ

والمظلوم هو الخصر ، والظالم هو الرِّدْف . انظر التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص ١٤٧ .

٤ ـ الحَزَنُ : الهَمُّ وضِدُّ السرور ، والجمع أحزان . وتَعُوْجُ : تَمِيْل . والحُدُوْجُ : ج حِدْج =

٥ - مُضَرَّجُ بُرْدِ الـوَجْنَتَيْنِ كأنَّما لـه مِنْ ظُبَاتِ المُقْلَتَيْنِ ضَـوَارِجُ
٦ - وما الدَّهْـرُ إلاَّ لَيْلَةٌ مُدْلَهِمَّـةٌ وكَوْنُ آبنِ مَعْنٍ صُبْحُها المُتَبَـالِجُ
٧ - كأنَّكَ في الأَمْلاكِ نُقْطَةُ دائرٍ وأَمْـلاكُهـا منهـا خـطوطٌ خَـوَارِجُ
٨ - سَمَـاحٌ وإِقْـدامٌ وحِلْمٌ وعِفَّـةٌ مُزِجْنَ فأَبْدَى مُهْجَةَ الفَضْلِ مازِجُ

= وهو مَرْكَبٌ تركبه نساءُ الأعراب يُشْبه المِحَفَّة . لسان العرب (حدج) . والهَوْدَجُ : من مراكب النساء مُقَبَّبٌ وغير مُقَبَّب ، سمِّي بذلك لأنه يضطرب على ظهر البعير ، والجمع هوادج . لسان العرب ، وأساس البلاغة ، والمنجد ، مادة (هدج) . والمزرور : المشدود . ويريد الشاعر أن يقول : سأكون فرحاً إذا مالت مَرَاكِبُهُنَّ شرط ألاَّ يصيبَ محبوبتي أيُّ أذىً ، وذلك على أمل أنْ تعود إلى حيث آنطلقت .

٥ - مُضَرَّجُ بُرْدِ الوَجْنَتَيْنِ : أي إنَّ وَجْنَتَيْ محبوبته حَمْرَاوان كاحمرار الثوب الذي ترتديه ؛ يقال : ضَرَجَ الثوبَ وضَرَّجه إذا صَبَغَه أو لطَّخه بالحُمْرة ، وتَضَرَّجَ الخدُّ : احمارَّ . لسان العرب والقاموس المحيط (ضرج) . والبُرْدُ : ثوب فيه خطوط ، والجمع أبراد . لسان العرب (برد) . والظُّبَاتُ : ج ظُبَة وهي حَدُّ السَّيْف . لسان العرب (ظبا) . والضَّوارج : هم قَتْلَى عَيْنَيْها الملطَّخون بالدماء . يقول : إنَّ وَجْنَتَيْ محبوبتي حمراوان وإنَّ ظُبَى عينيْها فعَّالة بالقلب ما لا يفعل الصَّارِمُ ؛ وهما مَعْنَيَانِ تَدَاوَلَهُما الشعراءُ من قبل .

٦ - ليلةٌ مُدْلَهِمَّةٌ : مُظْلِمَة . وآبنُ مَعْن : هو المعتصم بن صمادح . والمُتَبَالِجُ : أصل القول : المُتَبَلِّجُ ، أي المضيء المشرق ؛ يقال : تَبَلَّجَ الصُّبْحُ وَبَلَجَ وآنبلج وأَبْلَجَ إذا أضاء وأشرق . لسان العرب والقاموس المحيط (بلج) . وقد استعمل الشاعرُ لفظة « المتبالج » لكي لا يقع في عيب سناد التأسيس ، وهو عيب قلَّما يجيء في الشعر . وبآستعماله « المُتَبَلِّج » لا ينكسر الوزن . وهنا يدخل الشاعر في موضوعه الرئيسي وهو مدح مليكه المعتصم .

٧ - الأملاك : ج مَلِك ومَلْك . ونقطة دائرٍ : أي نقطة دائرة ، وقد آختصرها الشاعر لكي لا ينكسر الوزن . يقول : إنَّكَ ملك ملوك الطوائف ؛ فأنت الأصل وهم الفرع .

٨ - السَّمَاحُ : الجُوْد . والإقدام : الشجاعة . والحِلْمُ : الأناة والعقل ؛ وإذا أراد المعنى الثاني قَصَدَ رجاحة العقل . وهذه الفضائل النفسيّة التي يتغنَّى بها آبنُ الحداد مناقبُ حميدةٌ تغنَّى بها الشعراءُ من قبل .

٩ ـ فقد صَاكَ مِنْ فَضْلِ العَوَالِمِ طِيْبُهُ وهل يَكْتُمُ المِسْكَ الذَّكِيَّ نَوَافِجُ ؟
١٠ ـ مَسَاعٍ أَحَلَّتْكَ ٱلعُلَا فكأنَّها مَراقٍ إلى حَيْثُ السُّهَا ومَعَارِجُ

---

٩ ـ صَاكَ به الطِّيْبُ يَصِيْكُ صَيْكاً : لَزِق . القاموس المحيط (صوك) . والعوالم : ج العَالَم وهو الخَلْق والجمع . مختار الصحاح (علم) . والنَّوَافج : ج نافجة وهي وعاء المِسْك ، أي الجِلْدَةُ التي يتجمَّعُ فيها ، مُعَرَّبة . لسان العرب والقاموس المحيط (نفج) . وٱلاستفهام هنا يفيد النفي . يقول : لقد ٱنتشرتْ مآثرُ المعتصم بين الناس فراحوا يلهجون بها ويذكرونها على كل لسان . وهنا يشبِّه الشاعرُ ، ضمناً ، انتشار مآثر المعتصم بين الناس بٱنتشار المسك أثناء خروجه من الوعاء .

١٠ ـ المساعي : مآثر أهل الشرف والفضل ، واحدتها مَسْعاة ، وقيل : المَسْعَاة هي المَكْرُمَة والمَعْلَاةُ في أنواع المجد والجود . لسان العرب (سعا) . والمراقي : ج مِرْقاة ، بفتح الميم وكسرها ، وهي الدرجة . لسان العرب (رقا) . والسُّهَا : كويكب صغير خَفِيُّ الضوء في بنات نَعْش الكبرى يمتحنُ الناسُ به أبصارهم . لسان العرب (سها) ، وفي القاموس المحيط : السُّها من بنات نعش الصغرى . والمعارج : ج مِعْراج (بفتح الميم وكسرها) وهو السُّلَّم . لسان العرب ومختار الصحاح (عرج) . ويريد الشاعر أن يقول : إنَّ مآثرك التي ٱنفردْتَ بها عن بقيّة ملوك الطوائف جَعَلَتْ منزلَكَ بين الكواكب والنجوم . وشتّان ما بين الثُّرَيَّا والثَّرَى ؛ فالثُّرَيَّا أو السُّهَا منزلك ، والثَّرَى منزل بقية الملوك .

قافية الحاء

- ١٠ -

وله في المقتدر* بن هود ملك سرقسطة** ، وهو في باب الحماسة*** (الطويل) :

تخريج الأبيات :

في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٧) : الأبيات ١ - ٥ . قال آبن بسام : « وكان آبن رُدْمير**** الطاغية قد بَنَى على بعض حصون سَرَقُسْطَة ، فَنَهَدَ له المقتدرُ ، وأسرى إليه ، وأناخ عليه ، وآبن ردمير في جموعه يُشْرِفُ على ذلك من بعض جباله ، ثم عطف المقتدرُ على بعض حصونه وآفتتحه . وآنصرف غانماً إلى سرقسطة سنة آثنتين***** وستين ، فقال [آبن الحداد] يصف ذلك » . وأورد آبن بسام الأبيات .

وفي الخريدة (ج ٢ ص ٢٧٧ - ٢٧٨) طبعة الدار التونسية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٧ : الأبيات ٦ - ٩ .

وفي الأفضليات (ج ١ الورقة ٥٠) : البيتان ٦ ، ٩ .

١ - تقدمت ترجمته في مقدمة الديوان ص ١٥ حاشية ١ .

٢ - تقدم الحديث عنها في مقدمة الديوان ص ١٤ حاشية ٢ .

*** يفتقر الشاعر في هذه القصيدة إلى حرارة الحماس ضدَّ العدو ؛ وذلك أنه من المريّة ، وأنَّ سرقسطة ليست مَنْشَأَهُ ، مما يدلّ على تمسّكه - كغيره من شعراء الأندلس - بمدينته وتفضيله إياها على غيرها من مدن الأندلس . والفرق ظاهر بين شعره في المعتصم وشعره في المقتدر .

**** رُدْمِيْر أو ردمير هو روميير Romero أو Ramireملك أراغون Aragon ، الذي اتَّحد مع ملك سرقسطة لمحاربة أخيه غرسية الرابع ، ولكنه انكسر أمام غرسيه ، وهلك في حرب بينه وبين عرب سرقسطة . انظر البيان المغرب (ج ٣ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٧٩) ودائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني (ج ٨ ص ٥٠٣) .

***** أي سنة آثنتين وستين وأربعمائة للهجرة .

١ - مَضَاؤكَ مَضْمُوْنٌ له النَّصرُ وآلفَتْحُ وسَعْيُكَ مَقْرُوْنٌ به اليُمْنُ والنُّجحُ
٢ - إذا كان سَعْيُ المرْءِ لله وَحْدَهُ تَدَانَتْ أقاصِي ما نَحَاهُ وما يَنْحُو
٣ - بكَ آقتَدَحَ الإِسلامُ زَنْدَ آنتصارِهِ وبِيْضُكَ نارٌ شُبِّهَا ذلك القَدْحُ
٤ - وجَلَّى ظلامَ الكُفرِ مِنْكَ بِغُرَّةٍ هي الشَّمْسُ والهِنْدِيُّ يَقْدُمُها آلصُّبْحُ
٥ - فَهُمْ ذَهَلُوا عن شَرْعِهِمْ وحدودِهِ فقد عُطِّلَ الإنْجيلُ وآطُّرِحَ الفِصْحُ

---

١ - اليُمْنُ : البَرَكة . والنُّجْحُ : الظَّفَرُ بالشي . يقول : إنَّ ذهابك لمقاتلة الطاغية آبن رُدْمير سيكون ، دون شكّ ، مكلَّلاً بالنصر والبركة والنجاح .

٢ - نَحَاهُ : قصده . يقول : إذا كان جهاد المرء لنصرة دين الإسلام - وهذا ما تفعله أنتَ - بلغ مراده . وبمعنى آخر ، فإنَّ المقتدر آفتتح بعض حصون الطاغية وعاد إلى سرقسطة غانما .

٣ - اِقْتَدَحَ الزَّنْدَ : قَدَحَهُ ، والزَّنْدُ هو العُوْدُ الأعلى الذي تُقْدَحُ به النارُ ، أي هو رأس عود الكبريت . ومعنى صدر البيت : بآنتصارك على الطاغية رَفَعْتَ رايةَ النصر في سماء الأندلس . والبِيْضُ : ج الأبيض وهو السَّيْف . ومعنى العجز : إنَّ سيفك ، وأنت تُلْحِمُهُ في جُنْد رُدْمير ملحمةً ، بَدَا وكأنه نارٌ مضطرمة بحيث آلتبستْ علينا الأمورُ فبْتنا لا نُميِّزُ بين النارَيْن . وفي قوله : « شُبِّهَا ذلك القَدْحُ » يخرج على قواعد اللغة العربية ، والصواب : « شُبِّهَا ذلك القَدْحَ » بالنصب ليس غير .

٤ - الغُرَّة هنا بمعنى الوجه ، وهنا يشبِّه غُرَّةَ الممدوح بالشمس . والهِنْدِيُّ : السَّيْفُ الذي عُمِلَ ببلاد الهند وأُحكِمَ عَمَلُه . لسان العرب (هند) . وهنا يشبِّه سيفَ المعتصم بالصُّبْح عند آنبلاجه . وهكذا فإنَّ المعتصم ، بإشراق وجهه ولمعان سيفه ، جَلَّى دياجي الحَيْف وجعل الكُفْرَ يُعْطِي ذِمَّته .

٥ - ذهلوا عن شَرْعهم : أي غَفَلُوا عن شريعتهم ؛ يقال : ذَهَلَ عن الشيء إذا تركه على عَمْدٍ أو غَفَلَ عنه أو نَسِيَهُ لِشُغْل . لسان العرب (ذهل) . والفِصْحُ : فِطْرُ النَّصارى ، وهو عيد تذكار قيامة المسيح من الموت ، ويعرف بالعيد الكبير . لسان العرب ومحيط المحيط (فصح) . يقول : إنَّ آبن رُدْميرَ وجُنْدَه آطَّرَحُوا عيدَ الفِصْح ولم يُفْصِحُوا ، وشَغَلُوا أنفسهم بآنتهاك أراضي المسلمين ، فَغَفَلُوا بذلك عن شريعتهم السَّمْحاء وعَطَّلوا ما جاء به كتابهم المقدَّس . ولو لم يكن آبنُ الحداد شغوفاً بنويرة النصرانية لما ذكر الإنجيل والفِصْح في هذا البيت الشعري ، وهما من الشعائر والطقوس الدينية المسيحيّة .

٦ ـ فلا مُهْجَةٌ إلَّا إليكَ نِزَاعُهَـا وما زَالَ يُطْوَى عن سِوَاكَ لها كَشْحُ
٧ ـ وليس يَحِيْقُ المَكْرُ إلَّا بأَهْلِهِ وكم مُوْقِدٍ يَغْشاهُ مِنْ وَقْدِهِ لَفْحُ
٨ ـ ومَنْ تَكُنِ الأَقْدَارُ مُسْعِدَةً له يَعُدْ شَبِماً عَذْباً له الآجِنُ المِلْحُ
٩ ـ إذا خِيْفَ أنْ تَشْتَدَّ شَوْكَةُ مارِقٍ فلا رَأْيَ إلَّا ما رَأى السَّيْفُ والرُّمْحُ

---

٦ ـ في الأفضليات : « فلا دَوْلَةٌ إلَّا إليكَ . . » . والمُهْجَةُ : النَّفْسُ أو خالصها . ونِزَاعُها : اشتياقها ؛ يقال : نَازَعَتِ النَّفْسُ ونَزَعَتْ إلى كذا نِزَاعاً إذا آشتقاقت . أساس البلاغة ومختار الصحاح (نزع) . والكَشْحُ ما بين الخاصرة إلى الضِّلْعِ الخَلْفِ ، وطَوَى كَشْحَهُ عنه : أعرض عنه ولم يَأْلَفْه . لسان العرب ومختار الصحاح (كشح) . يقول : إنَّ نفوسنا ما تزال تعرض عن غيرك من ملوك الطوائف ؛ لأنها لا ترتاح إلَّا في كنفك ولا تطمئنُّ إلَّا إليك .

٧ ـ يَحِيْقُ : يحيط . ولَفْحُ النار : حَرُّها ووَهْجُها . يقول : كثيرون هم الذين أَحْرَقَتْهُمُ النارُ وهم يُوْقِدُوْنَها . وقد يشير الشاعر إلى آنهزام آبن ردمير الذي أشعل نارَ الحرب فكانت عليه وبِالا . وهنا يقتبس من القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿ **ولا يَحِيْقُ ٱلمَكْرُ السَّيِّءُ إلَّا بأهله** ﴾ ، أي لا تَرْجِعُ عَاقبةٌ مكروهةٌ إلَّا عليهم . انظر سورة فاطر ٣٥ ، الآية ٤٣ ، ولسان العرب ومختار الصحاح (حيق) . وكون البيت يدخل في باب الشعر الحكمي ، فالشاعر لم يخرج فيه عن شروط آلاقتباس ، وهي ألَّا يكون في غير موضوعات الوعظ والأخلاق . والاقتباس من مُحَسِّنات البديع اللفظية .

٨ ـ الشَّبِمُ : البارد ، وخيرُ الماءِ الشَّبِم . لسان العرب (شبم) . والآجِنُ : الماء المتغيِّرُ الطَّعْمِ واللون ، وفي حديث الحسن عليه السلام ، أنه كان لا يرى بأساً بالوُضُوْء من الماء الآجن . لسان العرب ومختار الصحاح (أجن) . والمِلْحُ : خلافُ العَذْبِ من الماء ، ولا يقال : مالِحٌ إلَّا في لغة رديئة . لسان العرب ومختار الصحاح (ملح) . يقول : مَنْ أَحَظَّ تحسَّنَتْ أسبابُ الحياة لديه وعَذُبَ ماؤه . والبيت يدخل أيضاً في باب الحكمة .

٩ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « شوكة مأزق » . والمارق : هو الذي يخرج من الدين ببدعة أو ضلالة ، ويقصد به هنا آبن رذمير ، والجمع مُرّاق . ويريد الشاعر أن يقول : إذا آشتدَّتْ شوكةُ آبنِ رذمير وبات يهدِّد مصالح المسلمين فلا مناص عندئذ من قتاله بالسُّيُوْف والرِّماح . وهنا يقترب من قول أبي تمام (البسيط) :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إنباءً من الكُتُبِ في حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ

ديوان أبي تمام ص ١٤ .

وله أيضاً في المقتدر (الكامل) :

- ١١ -

١ - وَقَفُوا غَدَاةَ النَّفْرِ ثم تَصَفَّحُوا	فَرَأَوا أُسَارَى الدَّمْعِ كيف تُسَرَّحُ
٢ - كَافَأْتَ مُتَّجِهِي بِوَجْهِيَ نَحْوَكُمْ	ونـواظِـرُ الأمـلاكِ نَحْوِيَ طُمَّـحُ
٣ - أَيَّامَ رَوَّعَنِي آلـزَّمَـانُ بِـرَيْبِـهِ	وأَجَـدَّ بِي خَطْبُ الفِـرارِ الأَفْـدَحُ
٤ - وَلَئِنْ أَتَانِي صَرْفُهُ من مَأْمَنِي	فـالـدَّهْـرُ يُجْمِـلُ تـارةً ويُجلِّحُ
٥ - فَكَـأَنَّما الإِظْـلامُ أَيْمٌ أَرْقَطُ	وكـأنَّـمـا الإِصبـاحُ ذِئْبٌ أَصْبَـحُ

تخريج الأبيات :

في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٥ - ٧٢٦) : الأبيات كلها . قال آبن بسام : « وله فيه [في المقتدر بن هود] من أخرى أولها » ، وأورد البيت الأول .

وفي مسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠٣) : الأبيات ١ ، ٥ - ٦ .

١ - الغَدَاةُ : البُكْرَةُ ، وجمعها غَدَوَات . والنَّفْرُ : التفرُّق . والأَسَارَى : ج أسير وهو المحبوسِ والأخيذ . وفي هذا المطلع يسير الشاعر على طريقة الشعراء الجاهليين ، فيصف ما جرى من دمعه لِفَقْدِ أهلِ الدار وآرتحالهم عنه ، فإذا هو أسيرُ دموعٍ هَوَامٍ لا يملك سيلانَها أمام ذلك المشهد الحزين .

٢ - في الذخيرة : « وفيها يقول » ، وأورد آبن بسام الأبيات . والنواظر : ج ناظر وهو العَيْن . والأملاك : ج مَلِك . وطُمَّحٌ : مرتفعة ، يقال : طمح بَصَرُهُ إليه إذا آمتدَّ وعلا وآرتفع . ويريد الشاعر أن يقول : يوم فَرَرْتُ من المريَّة وتخلَّصْتُ من براثن مليكها المعتصم آتَّجَهْتُ إليك فقدَّرْتَ مجيىء وغمَرْتَني بعطاياك

٣ - الرَّيْبُ : صَرْفُ الدَّهْر . والخَطْبُ : الشأن أو الأمر ، والخطب الأفدح هو الأمر الثقيل ؛ يقال : فدحه الأمرُ إذا أثقله . ومعنى البيت متمم لمعنى البيت السابق .

٤ - يقال : أجمل في صنيعه إذا آعتدل فلم يُفْرِطْ . وجَلَّحَ على القوم : حمل عليهم ، والمجالحة هي المكاشفة بالعداوة . يقول : لإنْ حَمَلَ عليَّ الدَّهْرُ الخؤونُ وكاشفني بعداوته ، فقد يعتدل حيناً ولم يعدْ يُفْرِطُ في إيذائي .

٥ - في مسالك الأبصار : « وكأنما الإظلام . . ». والإظلام : مصدر أَظْلَمَ ؛ يقال : أظلمَ الليلُ إذا آسوَدَّ ، وأظلم القومُ إذا دخلوا في الظلام . والأَيْمُ : الحيَّة ، وجمعها أُيُوم . =

٦ - صَدَعَ ٱلزَّمانُ جميعَ شَمْلِيَ جائراً   إنَّ الـزَّمـانَ مُمَلَّكٌ لا يُـسْـجِحُ
٧ - فَقَضَى بِحَظِّي عن سَمَائِيَ وٱقتَضَى   رِحَـلًا تُـطِيْـحُ رَكَـائِبِي وتُـطَلِّحُ
٨ - يَمَّمْتُها سَرَقُسْطَةً وَهْيَ ٱلمَدَى   والـدَّهْـرُ يَكْبَـحُ وٱعتـزامِي يَجْمَـحُ

= والأَرْقَطُ : ذو الرُّقْطة وهي سواد يشوبه نُقَطُ بياض . والإصباح : الفجر أو أول النهار . والأصبح : ما كان لونه على لون الرَّمَاد ، وإذا قرئت بالصاد المهملة دلَّتْ على لون فيه حمرة ، والأول أدقُّ في وصف الذئب . انظر حاشية الذخيرة . وهنا يشبّه الظلامَ بالحيَّة الرَّقْطاء ، ويشبِّه الصباحَ بالذئب الأضبح ، وكأنه يريد أن يقول : إنَّ أيامي في المريّة باتت كريهة مظلمة ، لذا فَضَّلْتُ الذهاب إلى سرقسطة لعلَّ شمسَ معرفتي تَبْزُغُ هناك .

٦ - في الذخيرة : « شملي مُنْحِياً . . . » . والمُمَلَّكُ : الذي أُعْطِي المُلْك ، أي المَلِك . ويُسْجِحُ : يحسن العَفْوَ ، ومنه المثل السائر في العفو عند المقدرة : « مَلَكْتَ فأَسْجِحْ » . وهو مَرْوِيٌّ عن عائشة ، قالته لعليّ ، رضي الله عنهما ، يوم الجمل حين ظَهَرَ على الناس ، فَدَنَا من هَوْدَجِها ثم كلَّمها بكلام فأجابته : « مَلَكْتَ فأَسْجِحْ » ، أي ظَفِرْتَ فأَحْسِنِ العَفْوَ ، فجهزَّها عند ذلك بأحسن الجهاز إلى المدينة . انظر لسان العرب ومحيط المحيط (سجح) ومجمع الأمثال (ج ٢ ص ٢٨٣) . وهنا يتابع شكواه من الزمان الجائر فيشبِّهه ، وقد فَرَّقَ جميعَ شمله ، بالحاكم الذي لا يُحْسِنُ العَفْوَ عند المقدرة .

٧ - في قوله : « رِحَلًا » تجاوز قواعد اللغة لأنَّ أصل القول : « رِحَالًا » ، فحذف الألف لكي لا ينكسر الوزن ، والرِّحال : ج رَحْل وهو مَرْكَبٌ للبعير والناقة ؛ قال الأزهري : وهو من مراكب الرجال دون النساء . لسان العرب (رحل) . والركائب : ج رَكُوْب وهي التي تُرْكَبُ من الإبل . وتُطَلِّحُ : أي تُطَلِّحُ ركائبي فَتُعْيِيْهَا ؛ يقال : طَلَّحَ وطَلَحَ البعيرَ إذا أَعْيَاه . وهنا يشكو ـ وهو في المريّة ـ من الدَّهْر الذي هَوَى بنجمه من سماء الرِّفْعة ، فيؤكِّد أنه حتى عندما أَرْحَلَ بعيرَهُ قاصداً سرقسطة وقف له الدهرُ بالمرصاد فجعل رِحاله تُهْلِكُ ناقته في المسِيْر .

٨ - المَدَى هنا بمعنى الغاية . ويريد الشاعر أن يقول : رغم أنَّ الدَّهْرَ كَبَحَني عن حاجتي فقد أغذذْتُ السَّيْرَ نحو سرقسطة . وهنا يوفّق في طباقه بين « يكبح » و « يجمح » ، والطباق من المحسِّنات المعنوية .

٩ - حَيْثُ ٱلعُلَا تُجْلَى وآثارُ ٱلمُنَى تُجْنَى وساعِيَةُ ٱلمَطَالِبِ تُنْجِحُ

١٠ - والنَّفسُ تُوقِنُ أنَّ عَهْدَكَ في ٱلنَّدَى مُوفٍ بما طَمَحَتْ إليه وتَطْمَحُ

١١ - فَحَيَا المُنَى مِنْ بَحْرِ جُودِكَ يُمْتَرَى وسَنَا ٱلضُّحَى مِنْ زَنْدِ مَجْدِكَ يُقْدَحُ

١٢ - والشِّعْرُ إنْ لم أَعْتَقِدْهُ شريعةً أُمْسِي إليها بالحِفَاظِ وأُصْبِحُ

١٣ - فَبِسِحْرِهِ مَهْمَا دَعَوْتُ إجَابَةٌ ولِفِكْرِهِ مَهْمَا ٱجتَلَيْتُ تَوَضُّحُ

١٤ - فَٱذْخَرْ مِنَ الكَلِمِ ٱلعَلِيِّ لآلِئاً يَبْأَى بها جِيْدُ العلاءِ ويَبْجَحُ

١٥ - وٱرْبَأْ بِمَجْدِكَ عن سَوَاقِطِ سُقَّطٍ هي في الحقيقةِ مَقْدَحٌ لا مَمْدَحُ

١٦ - ونظامُ مُلْكِكَ رائِقٌ مُتَنَاسِبٌ فَكَمَا جَلَلْتُمْ فَلْيُجَلَّ ٱلمُدَّحُ

---

٩ - يقول : إنني سأبلغ مُنَايَ في ظل المقتدر بن هود وسأرتقي إلى سُلَّم المَجْد في كنفه الميمون .

١٠ - يتحدث الشاعر هنا عن كَرَمِ المقتدر ؛ فإذا هو وَفِيٌّ في نَوَاله يُعْطي مَنْ يستحقُّ العطاء .

١١ - الحَيَا : المطر . ويُمْتَرَى : يُسْتَخْرَجُ ويُسْتَدَرّ ؛ يقال : امترتِ الرِّيْحُ السَّحَابَ إذا ٱستَدَرَّتْه . وهنا يتابع الشاعر مدحه للمقتدر ، فإذا هو بَحْرٌ من الجُوْد ، وإذا هو مَلِكٌ حَبَاهُ الله تعالى من رُتَب المَجْد بالأفضل .

١٢ - في الذخيرة : « ومنها » ، وأورد ٱبن بسام الأبيات . والحِفاظ : المواظبة . وهنا يتخلص من المديح ليدخل في باب ٱلافتخار بشعره .

١٣ - يقول في هذا البيت والذي قبله : إذا لم يكن شعري بمثابة شريعة أُصَلِّي بموجبها صباحاً ومساءً فإنّه سِحْر يُجِيْبُ لطلباتي ، وفي حروفه تنعكس صورة أفكاري واضحة جَلِيَّة .

١٤ - يَبْأَى : يفخر . ويَبْجَحُ : يفرح . يقول : إنَّ شعري فصيح رفيع المستوى ، يَصْلُحُ أن يكون ، أيها الملك ، لآلِئَ يفخر بها جِيْدُ مجدك ويَزْهَى .

١٥ - السَّوَاقط هنا هي مدائح الشعراء ، والسُّقَّط هم شعراء سرقسطة ؛ والساقط من الرجال هو المتأخِّر عنهم ، وجمعه سُقَّاط . يقول : نَزِّهْ مَجْدَكَ وٱجلُلْهُ عن مدائح غيري من الشعراء ؛ لأنها رديئة لا يُعْتَدُّ بها ولا تليق بمقامك كملكٍ عظيم .

١٦ - المُدَّحُ : ج مادح . وهنا يطلب من ممدوحه أنْ يُجِلَّهُ ويفضله على غيره من شعراء الحاضرة سرقسطة . ومهما يفخر ٱبن الحداد بشعره فإنه لم يصل إلى المستوى الذي =

. . . .

= وصل إليه ابن عمار حين يقول من قصيدة مديح في المعتضد بن عباد ملك إشبيلية (الكامل) :

فَلَئِنْ وَجَـدْتَ نَسِيْمَ مَـدْحِيَ عـاطـراً   فلقـد وَجَـدْتُ نسيـمَ بِـرِّكَ أَعْـطَرَا

أي إذا رَاقَكَ شعري وكان له وَقْعٌ حسن في نفسك فإنَّ عطاءك لي سيكون أحسن وَقْعاً في نفسي ، مشبِّهاً وَقْعَ قصيدته في نفس الممدوح بوقع عطاء الأمير في نفس الشاعر . انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٦٥٦) .

وقال يهجو المعتصم بن صمادح (الكامل) :

- ١٢ -

١ - يا طالبَ المعروفِ دُوْنَكَ فَآتُركَنْ دارَ المَرِيَّةِ وآرفُضِ آبنَ صُمادِحِ
٢ - رَجُلٌ إذا أَعْطَاكَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَلْقَاكَ في قَيْدِ الأَسِيْرِ الطَّائِحِ
٣ - لو قد مَضَى لكَ عُمْرُ نُوحٍ عِنْدَهُ لا فَرْقَ بينكَ والبعيدِ النَّازِحِ

التخريج : نفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٥) . قال المقّري : لمّا قال في المعتصم هذا الشعرَ آغتاظ عليه ، وأبعده ، ففرَّ عن بلده .

١ - ابن صُمادح : هو المعتصم ملك المريّة . وهنا يدعو آبنُ الحداد نظراءه من الشعراء طَالِبِي المعروف إلى تَرْك دار المعتصم ؛ لأنها باتت كريهة تهدِّدُهم وتُنَغِّص عليهم عيشهم . وهذا النوع من الهجاء لم يبلغ أن يكون سِباباً مُقْذِعاً وإنما هو توبيخ للمهجوِّ وتَعْيِيْرٌ بمواقفه المخزية تجاه الشعراء .

٢ - الخَرْدَلُ : حَبُّ شجرٍ مُسَخِّنٌ مُلَطِّفٌ ، قالِعٌ للبَلْغَم ، مُلَيِّنٌ هاضِمٌ ، ودخانه يطرد الحَيَّاتِ ، وماؤه يسكِّنُ وَجَعَ الآذان تقطيراً ، ومسحوقه على الضِّرْسِ الوَجِعِ غاية . القاموس المحيط (خردل) . والأسير الطائح : الذي أشرف على الهَلاك . يقول : لا تَأْمَنَنَّ إلى المعتصم ؛ لأنَّ شَرَّهُ بَعْدَ جميله واقعٌ لا محالة .

٣ - يقول : أُرْفُضِ المعتصمَ ولا تَرْكُنْ إليه ؛ لأنه يُعامِلُك ، حتى وإنْ أَمْضَيْتَ معظمَ عمرك في خدمته ، معاملة الطارىء عليه . وهنا إشارة إلى شاعر مجهول ، لم نَهْتَدِ إلى آسمه ، قد يكون طَرَأَ على بلاط المعتصم فَنَالَ آهتمامَ هذا الأخير وقطف ثمار ما زرعه شاعر البلاط الأول ، فنغَّصَ العيشَ على آبن الحداد ، ممّا آضطرَّه إلى قول هذا الشعر . وقد يشير آبنُ الحداد إلى قلّة جُوْدِ المعتصم ، وهذا ما يؤكِّده آبنُ الأبّار بقوله : « . . رغم آتّصافه بكثرة الجُبْن وقلة الجُوْد ، وعلى ذلك قَصَدَهُ العلماءُ والأدباء » . الحلة السيراء (ج ٢ ص ٨٣) .

قافية الدال

- ١٣ -

وقال في قصيدة في مدح المعتصم، يصف غلبته على وادي* آش سنة خمس وخمسين وأربعمائة الطويل):

١ - بلادٌ غَدَتْ يَأْجُوْجُ فيها فَأَفْسَدَتْ فكنتَ كذي آلقَرْنَيْنِ والجَحْفَلُ آلسَّدُّ

٢ - وما زالَ شَرْقِيُّ المَرِيَّةِ عاطلاً إلى أنْ عَلاَهَا من رؤوسِهِمُ عِقْدُ

التخريج: الذخيرة (ق ١ م١ ص ٣١٤)

* تقدم الحديث عنها في مقدمة الديوان ص ٨ حاشية ٥.

١ - البلاد هي وادي آش. ويأجوج قبيلة من خلق الله، جاءت القراءة فيها بهمز وغير همز، وجاء في الحديث أنَّ الخلق عشرة أجزاء؛ تسعة منها يأجوج ومأجوج، وهما آسمان أعجميان لقبيلتين، وقيل: يأجوج ومأجوج من ولد ماغوغ بن يافث، وقيل: من ولد كومر آبن يافث. لسان العرب (أجج) وقلائد الجمان ص ٣٣. وذو القرنين لقب لإسكندر الرومي. قال الله تعالى: ﴿ **قالوا يا ذا القَرْنَيْنِ، إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مُفْسِدُوْن في الأرض فَهَلْ نَجْعَلُ لكَ خَرْجَاً على أن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ سَدّا** ﴾ أي إنهم كانوا يفسدون في الأرض بالنَّهب والبَغْي عند خروجهم إلينا، فهل نجعل لك جُعْلاً من المال على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزاً فلا يصلوا إلينا؟ سورة الكهف ١٨، الآية ٩٤، وتفسير الجلالين، ولسان العرب (قرن). يقول آبن الحداد: عندما عاث أهلُ وادي آش الفسادَ، جعل المعتصم جيشه في وجههم سَدّاً منيعاً، وكان له النصر والغلبة، وذلك على غرار ما فعل ذو القرنين مع يأجوج، مُشَبِّهاً أهل وادي آش بقبيلة يأجوج بجامع المشاغبة والأذى، والمعتصم بذي القرنين بجامع الشجاعة والإقدام.

٢ - شرقي المريّة هو وادي آش الواقعة أصلاً إلى الشمال الشرقي من المريّة. وعاطلاً: أي خالياً من الزينة، والمراد: عاطلاً من كل خير. والعِقْد: القلادة. والمراد قوله: ما زالت وادي آش يَعِيْثُ أهلُها فيها الفساد إلى أن قضى عليه المعتصم، وعادت المدينة إلى سابق عهدها يزيّنها الأمن والاْستقرار. وهنا يشبِّه المدينة، وقد عاد إلى ربوعها الأمن والطمأنينة، بفتاة تزيّن جِيدَها بقلادة حَبَّاتُها رؤوس القتلى العابثين. وهو تشبيه غير متداول من قبل، إلاَّ أنه غير مستحب ولا يتلاءم والذوق الأدبي.

٣ ـ قد عَوَّضُوا من بائناتِ جُسُومِهِمْ بِمُصْمَتَةٍ لا عَظْمَ فيها ولا جِلْدُ
٤ ـ كَأَنَّهُمْ فيها غرابيبُ وُقَّعٌ على باسقاتٍ لا تَرُوْحُ ولا تَغْدُو

---

٣ ـ المراد قوله: زالتْ أجسادهم وبقيت رؤوسهم على الرماح مصلوبة.

٤ ـ الغرابيب: جمع غِرْبيب وهو الشديد السواد، والمراد الغراب، وهو الطائر الأسود. لسان العرب ومختار الصحاح، مادة (غرب). وهنا يشبِّه رؤوسهم ، وهي مصلوبة على الرِّماح، بِغِرْبانٍ جاثمة على البان لا تروح ولا تغدو. ولقد أخذ آبن الحداد معنى هذا البيت والذي قبله من قول آبن شُهَيْد (البسيط):

كأنَّ هامَتَهُ ،والرُّمحُ يَحْمِلُهَا، غُرَابُ بَيْنٍ على بانِ النَّقا نَعَقَا

والنَّقا: القطعة من الرمل. انظر الذخيرة (ق ١ م ١ ص ٣١٣)، وديوان ابن شهيد ص ١٠٤ والمغرب في حلى المغرب (ج ١ ص ٨٤).

وقال يصف أسطول المعتصم (الخفيف):

-١٤-

١ - هامَ صَرْفُ آلرَّدَى بِهَامِ الأَعادِي ‏ ‏ ‏ ‏ أنْ سَمَتْ نَحْـوَهُمْ لهـا أَجْيَـادُ

تخريج الأبيات: المقتضب من كتاب تحفة القادم ص ١٧٤، وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٣٢٠) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٦).

١ - في المقتضب: « سَامَ صَرْفُ الخ . . ».
والرَّدى: الهَلاَك. والهامُ: جمع هامة وهي الرأس. وسَمَتْ نحوهم: أي سَمَتْ سفنُ المعتصم بأشرعتها نحو الأعداء. والأجياد: الأعناق، ومفردها جِيْد، والمراد أشرعة السفن. ومعنى البيت: مَخَرَتْ سفنُ المعتصم في البحر لغزو الأعداء فكانت طوائرَ عائمةً بين الماء والجو، وكان النصر حليف المعتصم، وكان الهلاك حليف أعاديه؛ لأن الهلاك لا يهيم إلَّا بهاماتهم، كونهم جبناء ضعفاء. وأعداء المعتصم هنا هم بعض ملوك الطوائف ، الذين كان معهم على عداء مستفحل. وهنا يذهب ابن الحداد مذهب أبي الحسن علي بن محمد الإيادي التونسي، شاعر أبي تميم مَعَدّ المعزّ لدين الله، في ذكر الشراع (الكامل):

ولـهـا جَـنَـاحٌ يُـسْـتَـعَـارُ يُـطِيْـرُهـا ‏ ‏ ‏ ‏ طَـوْعَ آلـرِّيـاحِ وراحـةَ الـمُـتَـطَرِّبِ

انظر المقتضب ص ١٧٥، وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٣٢١)، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٧). وإذا تأثَّر ابن الحداد بأبي الحسن الإيادي، فقد أثَّر بدوره في يزيد بن عبدالله بن أبي خالد اللخمي الإشبيلي بقوله من قصيدة يهنىء بفتح ميورقة Mallorca (الطويل):

ويـا لـلجـوارِي المُنْشَـآتِ وحُـسْنِـهـا ‏ ‏ ‏ ‏ طـوائـرَ بـين الـمـاءِ والجـوِّ عُـوَّمَـا
إذا نَشَـرَتْ في الجَـوِّ أجنحـةً لهـا ‏ ‏ ‏ ‏ رأيْـتَ بـه رَوْضـاً ونَـوْراً مُـكَـمَّـمَـا

ومطلعها:

وغِـرْبـانِ يَـمٍّ قَـابَـلَـتْـهُ بَـوارِحـاً ‏ ‏ ‏ ‏ فَـأَدْبَـرَ لا يَـرْجُـوْ لـه مُـتَـيَـمَّـمَـا

انظر المقتضب ص ١٧٣، وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٣٢٠) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٦).

٢ - وَتَـرَاءَتْ بِشَـرْعِهـا كَعُيُـونٍ   دَأْبُهَـا مِثْـلُ خـائِفِيْهـا سُهـادُ
٣ - ذاتُ هُدْبٍ من المَجَادِيْفِ حاكٍ   هُـدْبَ بـاكٍ لِـدَمْعِـهِ إسْعـادُ

---

٢ - رواية البيت في فوات الوفيات هي:

وَتَـرَاءَتْ بِـشـركـهـا لِـعُـيُـونٍ   دَأْبُـهَـا مِـلْء جـانِـبَـيْـهـا سُـهـادُ

بشرعها: أي بشرعها الماءَ؛ يقال: شَرَعَتِ الدوابُّ في الماء تَشْرَعُ شَرْعَاً إذا دَخلت، وَشَرَعَت الإبلُ الماءَ فَشَرِبَتْ. والسُّهادُ: الأَرَقُ، والمراد هنا اليقظة. ومراده القول: إنَّ جنود المعتصم، وهم على جوانب السفينة، أيقاظٌ حَذِرُوْن لأي طارىء، أو إنَّ مَلَّاح السفينة يقظانُ حَذِرٌ يلازم صَارِيْهِ لزوم قُراد. وهنا ينظر إلى قول يحيى الغزال في وصف سفينة حربية (الطويل):

يَبِيْتُ بهـا المَـلَّاحُ من حَـذَرِ الـرَّدَى   مُـلازِمَ صَـارِيْـهِ لُـزُوْمَ قُـرَادِ

والصاري: عمود يُرَكَّزُ قائماً في وسط السفينة يعلَّق به الشِّراع لِيَسُوْقَهَا، والجمع صوارٍ. والقُراد: حلمة الثَّدْي، أي إنَّه يلازم صارِيْهِ كما يلازم الرضيعُ ثَدْيَ أُمِّه. انظر التشبيهات ص ١٨١.

٣ - في فوات الوفيات ونفح الطيب: «من المجاذيف» بالذال المعجمة.

والهُدْبُ، بسكون الدال وضمِّها: شَعْرُ أَشْفار العينين، والجمع أهداب. والمجاديف: جمع مِجْداف وهو خشبة في رأسها لَوْحٌ عريض تُدْفَع بها السفينة، مشتق من جَدَفَ الطائرُ، ومِجْدافا الطائر جناحاه، ومنه سُمِّي مِجْداف السفينة، ومجذاف السفينة لغة في مجدافها، كلتاهما فصيحة. وهنا يجعل لمجاديف السفن هُدْباً كهُدْب مُحِبٍّ سال دمعه لملاقاة محبوبه؛ فكما الأهداب تحمي العيون من القَذَى، فإنَّ المجاديف تحمي السفن من الأذى. وهنا يذهب آبن الحداد مذهب يوسف بن هارون الرمادي في وصف السفن الحربية (السريع):

تَـرَى آلـمـقـاذيـفَ بـأحـنـائـهـا   كـأنَّـمـا تَـرمِـي بِـنِـيْـرانِ
كـالأعـيـن الـحُـوْرِ، مـجـاذيْـفُـهـا   مـن حـولـهـا أَشْـفـارُ أجـفـانِ

التشبيهات ص ١٧٩ - ١٨٠.

وتأثَّر بآبن الحداد يزيدُ بن عبدالله بن أبي خالد اللخمي الإشبيلي بقوله (الطويل):

مَجَـاذِفُ كـالحَيَّـاتِ مَـدَّتْ رؤوسَهـا   على وَجَلٍ في الماءِ كَيْ تَرْوِيَ آلظَّمَا
هي الهُـدْبُ في أجفانِ أَكْحَـلَ أَوْطَفٍ   فهل صُنِعَتْ من عَنْدَمٍ أو بَكَتْ دَمَا؟

انظر المقتضب ص ١٧٣، وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٣٢٠) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٦).

٤ ـ حُمَمٌ فوقها من البِيْضِ نارٌ كُلُّ مَنْ أُرْسِلَتْ عليه رَمَادُ

٥ ـ وَمِنَ الخَطِّ في يَدَيْ كلِّ ذِمْرٍ أَلِفٌ خَطُّها على البحر صادُ

---

٤ ـ الحُمَمُ: الرَّماد والفحم وكل ما آحترق من النار، الواحدة حُمَمَة. مختار الصحاح (حمم). والبِيْضُ: جمع أبيض وهو السيف. ومعنى البيت: إذا ما آهتزَّت السيوف بأكفِّ جُنْد المعتصم سَلَّتْ أرواح أعدائه، وإنَّ النفط الذي كان يُرْمَى به الأعداء حوّلهم إلى رماد. وهنا إشارة الى آلات النفط التي كان يتزوّد بها أسطول المعتصم.

٥ ـ في نفح الطيب: «كلِّ درِّ آلخ..»
والخَطُّ: مَرْفَأ السفن بالبحرين تُنْسَبُ إليه الرِّماح فيقال: رُمْحٌ خَطِّيٌّ ورِماحٌ خَطِّيَّة. مختار الصحاح، مادة (خطط) ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٣٧٨). والذِّمْرُ، بكسر الذال، وسكون الميم: الشجاع. والألف: كناية عن طول مَتْن الرُّمح الذي إذا ما آستعمله الرامي تقوَّس وصار أشبه بحرف الصاد. وهنا تنحصر عدّة جنود المعتصم، وهم يقاتلون الأعداء في البحر، بالنفط والسيوف والرماح.

وكان يَهْوَى روميّة يَكْني عنها بنويرة، وله فيها (الكامل):

ـ ١٥ ـ

١ ـ وَارَتْ جُفُوني مِنْ نُوَيْرَةَ كآسمِها ... نــاراً تُضِـلُّ وكــلُّ نــارٍ تُــرْشِـدُ

٢ ـ والماءُ أنتِ وما يَصِحُّ لِقَابِضٍ ... والنــار أَنتِ وفي آلحَشَا تَتَـوَقَّـدُ

التخريج: الذخيرة (ق ١ م٢ ص ٧٠٤)، والمغرب في حلى المغرب (ج ٢ ص ١٤٥) ومسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠١).

١ ـ في مسالك الأبصار: « وَارَتْ ضلوعي من إلخ. . » وفي الذخيرة: « وَرَأَتْ جفوني الخ. . ».
وَارَتْ: أَخْفَتْ. يقول: كلُّ نارٍ تَهْدِي الساري فترشده إلى مبتغاه، عدا نار نويرة فإنها تودي الى التهلكة. وهنا يحسن الشاعر آستعمال الطباق بين « تُضِلُّ » و « تُرْشِدُ »،والطباق من المُحَسِّنات المعنوية.

٢ ـ الحَشَا: ما آنضمَّت عليه آلضُّلُوعْ كالقلب والكبد، والجمع أحشاء. يقول: أنتِ الماءُ الذي يروي كَبِدي الحَرَّى، ولكن ،هيهاتِ أن أحصل عليه؛ فقابض الماء فاقده. وأنتِ النارُ التي تتوقَّدُ في ضلوعي، لا تنطفىء إلاَّ بلقياك. وقد يذهب إلى القول: إنَّ ثغرك موردٌ عَذْبٌ زلالٌ، ولكنني ظمآنٌ لم أصدرْ إليه ولم أَرِد. وإن وَجْنَتَيْكِ حمرا وانِ آحمرار النار، فبدل أن أنعم بهما صَدَدْتِ عني وأشعلْتِ النار في ضلوعي.

وقال يمدح المعتصم (الطويل):

- ١٦ -

١ - لقد سَامَنِي هُوْناً وَخَسْفاً هَوَاكُمُ ... ولا غَـرْوَ عِـزُّ الصَّبِّ أَنْ يَتَعَبَّـدَا

٢ - إذا شِئْتَ تنكيلاً وَتَنْكِيْدَ عِيْشَةٍ ... فَحَسْبُكَ أَنْ تَهْوَى سُلَيْمَى ومَهْدَدَا

٣ - وإنْ تَبْغِ إحساناً وإحمادَ مَقْصِدٍ ... فَحَسْبُكَ أَنْ تَلْقَى آبنَ مَعْنٍ مُحَمَّدَا

٤ - حليمٌ وقد خَفَّتْ حُلُوْمٌ، فلو سَرَى ... بِعُنْصُرِ نـارٍ حِلْمُـهُ مـا تَصَعَّـدَا

التخريج: الذخيرة (ق ١ م٢ ص ٧٢١).

١ - الهُوْنُ، بضم الهاء وسكون الواو: الذُّلُّ ونقيض العِزّ. والخَسْفُ: النقيصة. والصَّبُّ: العاشق المشتاق. يقول: أَذَلَّني هواكِ وكلَّفني المشقَّة، فلا عجب إذن أن أتنسك وأزهد في الحب؛ لأن في ذلك عِزًّا وكرامةً لي. وهنا يطابق بين « الهُوْن » و« العزّ ».

٢ - التنكيد: عُسْرُ العيش. وسليمى: تصغير سلمى وهي آسم آمرأة. ومَهْدَد: اسم آمرأة أيضاً، وقد رمز الشاعر بهما إلى محبوبته. ذكر آبن رشيق أن سلمى من الأسماء التي كانت تَخُفُّ على ألسنة الشعراء، وتَحْلُو في أفواههم بحيث كانوا يأتون بها زُورا. انظر العمدة (ج ٢ ص ١٢٢) والحاشية رقم ٦ من القصيدة الهمزية رقم ١. وهنا يخاطب الشاعر نفسه قائلًا: إذا أردْت أن يستذلَّكَ الحُبُّ عليك أن تهوى سليمى أو مَهْدَدَ، فكلتاهما ظالمة، مولعة بالصدِّ، تستلذُّ تعذُّبَك. وهذه إشارة إلى ما كان يعانيه مع محبوبته « نويرة ».

٣ - المقصد، بفتح الصاد وكسرها: مكان القصد، والجمع مقاصد. وابن معن محمد هو المعتصم. يقول: إذا أَردْتَ أن تكون عزيزاً ،عليك أن تعيش في كَنَفِ المعتصم. وهنا يخلص من الغزل إلى المدح.

٤ - الحُلُوْم، بضم أوله وثاينه: جمع حِلْم، بكسر الحاء، وهو العقل. وسَرَى : سار ليلا. وتَصَعَّدَ: كَلَّ وتعب. أي إنه ينفرد عن غيره من ملوك الطوائف بعقل راجح نيِّر يَجْلُوْعن الدِّين والدُّنْيا الدَّياجير.

٥ ـ جَوَادٌ لَوَانَّ الجُوْدَ بارَى يَمِيْنَهُ لَكَانَ قرارُ الحربِ في الناسِ سَرْمَدَا
٦ ـ ذَكِيٌّ لَوَ آنَّ آلشَّمْسَ تَحْوِي ذكاءه لَمَا وَجَدَ آلظَّمْآنُ للماءِ مَوْرِدَا
٧ ـ ولو في الحِدادِ آلبِيْضِ حِدَّةُ ذِهْنِهِ لَمَا صَاغَ داوودُ آلدِّلَاصَ آلمُسَرَّدَا

---

٥ ـ الجواد: المعْطاء. وبارَى الجودُ يَميْنَه : عارَضَهَا وفَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهَا. وسَرْمَدا: دائما. يقول: إنَّ المعتصم أكثرُ جواداً من الجُوْد الذي إذا ما حرَّكهِ المعتصمُ فاض من يُمْناه وآنهمل. وهـو معنىً جديدٌ لم يسبق إليه، ووفِّق فيه أيَّما توفيق .
٦ ـ الذكيُّ: السريع الفِطْنة. ومراده القول: لولا المعتصم لآفتقر الناسُ وماتوا من شدة العطش والجوع معا. وهنا مبالغة من الشاعر واضحـة؛ هدفه منها الحصول على أكبر صلة ممكنة من الممدوح، ولِمَ لا والمدح كان آنذاك وسيلة آرتزاق وأداة تزلّف للأمراء ليس غير؟ .
٧ ـ البِيْضُ : جمع أبيض وهو السيف. والسيوفُ الحِدادُ: الحادّة. والدِّلاص: الدِّرْع الملساء اللّينة؛ يـقـال دِرْعٌ دِلاصٌ ودروع دِلاص. والمُسَرَّد: المثقوب من طرفيه؛ يقال: سرَّدَ الشيءَ إذا ثقبه. والمعروف أن داود النبي ، عليه السلام، كان قد صنع دِرْعَيْن مَسْرُوْدَتَيْن، وَرَدَتَا في قول أبي ذؤيب الهُذَلي (الكامل):
وَعَلَيْهِمَا مَسْرُوْدَتَانِ قَضَاهُمَا داودُ، أو صَنَعُ آلسَّوابِغِ تُبَّعُ
قضاهما: فرغ من عملهما داود، أو صَنَعَهُما تُبَّعُ الحِمْيرِيّ. انظر لسان العرب ومحيط المحيط، مادة (قضي). وداود النبي من سِبْط يَهُوْذا، وهو ابن إيشاي بن عوبيذ بن بُوْعَزْ بن سلمان بن نخشون بن عميناذاب بن إرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام. انظر جمهرة أنساب العرب ص ٥٠٥ . ومراد آبن الحداد القول: إنَّ ذِهْنَ المعتصم أكثر حِدّة من السيوف، ولهذا استعان النبيُّ داود، عليه السلام، بالدِّلاص المُسَرَّد الذي يقي صاحبه من طعنات السيوف. والمعاني التي أسبغها الشاعر على ممدوحه في هذه الأبيات تنحصر في الجود، ورجاحة العقل، والذَّكاء وحدَّة الذهن، وهي معانٍ شائعةٌ ومطروقةٌ من قبل المشارقة .

وقال في الغزل (البسيط):

- ١٧ -

١ - ما بالُ رِيقَتِهِ في سَلْمِ مَبْسِمِهِ   وواجبٌ أنْ تُذِيبَ ٱلقَهْوَةُ ٱلبَرَدَا؟

٢ - أَعْدَى جَنَانِي فَحَاكَى طَرْفُهُ مَرَضاً   وغَرَّهُ أنْ يُحَاكِي خَصْرُهُ جَلَدَا

٣ - كأنَّ كَفِّيَ في صَدْرِي يُصَافِحُهُ   فما رَفَعْتُ يَداً إلَّا وَضَعْتُ يَدَا

التخريج: الوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٧)

١ - الرِّيقْة: الرُّضاب، وهي أَخَصُّ من الرِّيق. والسَّلْمُ: الانقياد والاستسلام. والمَبْسِمُ: الثَّغْر. والقهوة: الخمر، سمِّيت بذلك لأنها تُقْهي شاربَها عن الطعام أي تَذْهَبُ بشهوته. والبَرَدُ، بفتحتين: حَبُّ الغمام، وسحاب كالجَمَد، سمِّي بذلك لشدة برده، يستعيره الشعراء للأسنان الشديدة البياض، أو يشبهون به الثغر في بياضه وصفائه وبَرْدِه، واحدتها بَرَدَة. وهكذا فإن محبوبته بَرُوْد الثنايا واضحة الثغر، لها ريقة كالخمر بعد آمتزاجها، ظَمِأتْ نفسه إليها، ولكن هيهات أن تجود بها! وهكذا يتساءل الشاعر: ما بال ريقتها آستسلمت لمبسمها؟ لماذا لم تتحرر من إسارها فتبرِّد ما تحرّكت له نفسي من حرِّ الشوق؟ ألم تعلم أنَّ اللَّثم يُوْري الوَجْدَ ويُخْفِي لوعة الحب؟

٢ - الجنان، بفتحتين: القلب، والجمع أجنان. وأعْدَى جناني: استحضره، أي حمله على الحُضْر أي العَدْو، وبمعنى آخر: حمل قلبي على العَدْو في إثْره. والطَّرف: العين، ولا يجمع لأنه في الأصل مصدر فيكون واحداً وجمعا. وحاكى طَرْفُه مرَضاً: شَابَهَ آلمرَض، أي إنَّ عيونه ذابلة. والجَلَدُ، بفتحتين: الأرض الصلبة المستوية المتن، شبَّه خَصْرَهُ بها كونه مستوياً نحيفا. يقول: بهجرها وصدِّها حَمَّلَتْ قلبي فوق طاقته، ورغم ذلك سيظلُّ يتابعها؛ إنها فاترة الأجفان، ساحرة المُقَل، مستوية القدّ.

٣ - يقول: سأظلُّ حيرانَ أسيرَ الوَجْد، وسيظلُّ قلبي مَسْبِيّاً مطويّاً على جَمَرَاته؛ لا العناق سبيله، ولا حتى ملامسة الكفِّ للكفّ. وهكذا بقي الحرمان حليف آبن الحداد، عكس آبن الزقّاق البلنسي الذي قضى ليلة مع حبيبته معانقاً مرتشفا. هاكه يقول (الطويل):

على عاتِقِي من سَاعِدَيْهَا حمائلُ   وفي خَصْرِها من ساعديَّ وِشاحُ

ديوان ابن الزقاق ص ١٢٩.

وقال في أرْمَدَ (الكامل):

- ١٨ -

١ - يا شَاكِيَ ٱلرَّمَدِ الذي بِشَكَاتِهِ قـد صارَ دَهْـرِيَ فيه ليلةَ أَرْمَـدَا
٢ - اللهُ والإشـفـاقُ يَـعْـلَمُ أنَّـنـي لو أستطيعُ فِدىً لَكُنْتُ لكَ ٱلفِدَا
٣ - كَمْ مِنْ دَمٍ سَفَكَتْ جُفُونُكَ لم تَزَلْ تُخْفي وَتَكْتُمُ سَفْكَـهُ حتى بَـدَا
٤ - لم يَشْتَمِـلْ بِدَمٍ غِـرارُ مُهَنَّـدٍ إلَّا وقد أَهْدَى ٱلنُّفُوسَ إلى ٱلرَّدَى

التخريج: نهاية الأرب (ج ٢ ص ٥٤). ففي فصل بعنوان: « عوارض العين»، قال النويري: « ومما قيل في أَرْمَدَ. . وقال أبو عبدالله بن الحداد الوزير »، وأورد الأبيات الأربعة. وهنا تستوقفنا كلمة « وزير » ففيها نظر؛ لأن أيّاً من المصادر التي بين أيدينا لم تذكر أنَّ آبن الحداد وَزَرَ لأحد من ملوك الطوائف، كما أنَّ شعره شاهد على ما نقول.

١ - الرَّمَدُ بالفتح: وجع العين وآنتفاخها أو هيجانُها؛ يقال: رَمِدَ يَرْمَدُ وهو رَمِدٌ وَأَرْمَدُ ومُرْمَدُ ومُرْمَدٌّ، وقد أرمدها اللهُ فهي رَمِدَة. لسان العرب والقاموس المحيط مادة (رمد). والشَّكاة، بالفتح: المرض. وأَرْمَدَ: هَـلِـكَ. وهنا يخاطب شخصاً عزيزاً عليه، وأغلب الظن أنه محبوبته، فيودُّ أن يظهر مشاركته له، ما دام على قيد الحياة، فيما أصابه من هلاك الرَّمد في تلك الليلة.

٢ - الإشفاق: أي الإشفاق عليك. ومراده القول: لو كان الأمر بيدي لَجُعِلْتُ فِداك. ومعنى البيت مُتَمِّمٌ لمعنى البيت السابق.

٣ - الجفون: مجاز مرسل، والمراد العيون. وهنا يصف ما كابده ذلك الشخص العزيز على قلبه من عذاب وألمٍ في تلك الليلة.

٤ - الغِرار، بكسر أوله: حَدُّ السَّيْف، والجمع أَغِرَّة. لسان العرب غرر). والمُهَنَّد: السَّيْف المطبوع من حديد الهِنْد. والرَّدَى: الهَـلَاك. والمراد قوله: إن عيونك، متى شفاها الله، تفعل فعل السيف فتقتل مَنْ تصيبه وتُودي به لا محالة ، إلى الهلاك .

وقال في الزيارة (المتقارب):

- ١٩ -

١ - إذا جاءني زائراً حُسْنُهُ	أَقَامَ عليه رَقِيباً عَتِيْدَا
٢ - إذا ما بَدَا سَرْبَلَتْهُ ٱلعُيُوْنُ	وَخَرَّتْ وُجُوْهٌ إليه سُجُوْدَا
٣ - هُوَ ٱلبَدْرُ والغُصْنُ خَدًّا وَقَدًّا	كما أنّه ٱلظَّبْيُ لَحْظاً وَجِيدَا
٤ - أتى زائراً وفؤادِي خَلِيٌّ	فَمَرَّ به مُسْتَهَاماً عَمِيدَا
٥ - وغادَرَنِي بَعْدَهُ في غَرَامٍ	تَضَرَّمَ بين ضُلُوعي وَقُوْدَا

التخريج: نهاية الأرب (ج ٢ ص ٢٥١). قال النويري: « ومما قيل في الزيارة، قال الوزير أبو عبدالله بن الحداد»، وأورد الأبيات الخمسة.

١ - المراد إنها كانت فخورة بجمالها الفاتن، وإنَّ جمالها كان يستدعي دائماً مراقبة شديدة.

٢ - سَرْبَلَتْه: ألبستْه السِّربال وهو الدِّرع، أي لشدة إعجاب الناس بها ألبسوها الدِّرع خوفاً عليها من « أعدائها ». وهم ، بدل أن يَخُرُّوا لله تعالى سُجَّداً، تعظيماً لأمره، فقد سقطوا على وجوههم تعظيماً لحسنها وجمالها.

٣ - الظَّبيُ : الغزال، وفي هذا البيت يُكْثِرُ الشاعرُ من ٱلاستعارات؛ فقد شبَّه وجهها بالبدر في إشراقه وتلألئه، وعَيْنَيْهَا بِعَيْنَي الغزال الأدعج في سَعَتِهما، وقدَّها بغصن بانٍ في ٱنعطافه وتأوّده، وجِيْدَها بجيد الظبي في حُسْن طوله. وكلُّها أوصاف جسدية تداولها من سبقه من شعراء الأندلس والمشرق معا.

٤ - القلب الخَلِيُّ: الخالي من هموم الحب، وهو خلاف الشَّجِيّ. والعميد : الذي هَدَّه العُشْق. والقلب المُسْتَهام: أي الهائم. يقول: مذ زارني وقلبي مَسْبِيٌّ مُسْتَهَام، ولم يكن قلبي من قَبْلُ قد وقع في شباك الحب وعرف همومه.

٥ - تَضَرَّم: اشتعل. والوَقُودُ: ما تُوْقَدُ به النار من الحطب ونحوه. والمعنى: غادرني وترك قلبي مَطْوِيّاً على جَمَرَاته تحرقه لوعة الحُبّ. وهذا الشعر يناقض واقع الحال عند ٱبن الحداد؛ لأننا عَرَفْناه في معظم شعره شاكياً حاضره دون أن تستجيب نويرة لطلباته. وإذا صحَّ ما يقوله ٱبن الحداد تكون زيارة النساء لمنازل الرجال ظاهرة غير معروفة من قبل في الشعر العربي؛ لأن المحبوب هو الذي كان يُزار وليس المُحِبّ.

وقال في مدح المعتصم (الطويل):

- ٢٠ -

١ - سَلِ ٱلبَانَةَ ٱلغَيْنَاءَ عن مَلْعَبِ ٱلجُرْدِ وروْضَتَهـا ٱلغَنَّاءَ عن رَشَـإِ الأَسْدِ
٢ - وسَجْسَجَ ذاكَ ٱلظِّلِّ عن مُلْهِبِ ٱلحَشَا وسَلْسَلَ ذاكَ ٱلماءِ عن مُضرِمِ ٱلوَجْدِ

التخريج: الذخيرة (ق ١ م٢ ص ٧١٩ - ٧٢٠)

١ - البانة : جمعها بان وهو شجر من العِضاه يسمو ويطول في ٱستواءٍ، ولاستوائها وطولها ونَعْمَتِها شبَّه ٱلشعراءُ الجاريةَ الناعمة ذات الشِّطاط (الطول وحُسْن ٱلقَوام) بها ، فقيل : كأنها بانةٌ ، وكأنَّ قدَّها غُصْنُ بان . لسان العرب (بين) و (بون) ، والقاموس المحيط (بون) ومعجم متن اللغة (ج ١ ص ٣٧٧) . والغيناء: الخضراء . والجُرْدُ : الفتيات الرقيقات البَشَر ؛ يقال : امرأة بَضَّة الجُرْدَة أي بَضَّة البَشَرة إذا جُرِّدت من ثوبها ، وفي حديث صفة أهل الجنَّة : جُرْدٌ مُرْدٌ مُتَكَحِّلُوْن . لسان العرب (جرد) . والغَنَّاء : الكثيرة العشب. والرَّشَأُ: الظبي إذا قوي ومشى مع أمه . والأَسْدُ : أصلها الأسد بفتح السين ، وقد سكنها للضرورة الشعرية . وهنا يشبه محبوبته الموردة الخدّين بروضة يضوع منها أريج الورد ، وبالبانة لنعومتها وحسن قَوَامها ، وبالأسد بجامع الدهشة والخوف ، كأنه يريد أن يقول: إنه دَهِشَ من جمالها كما يَدْهَشُ المرء من الخوف إذا رأى الأسد، أو قد يكون شبَّهها بالأسد لأنها تفتك به كما يفتك الأسد بفريسته . وهنا يسير على طريقة الجاهليين فيستفتح المديح بالغزل ووصف الطبيعة .

٢ - السَّجْسَجُ : الهواء المعتدل الطَّيِّب بين الحَرِّ والبَرْد ، وفي الحديث : نهار الجنّة سَجْسَجٌ ، أي معتدل لا حَرٌ فيه ولا قَرٌ ، وفي رواية : ظِلُّ الجنّة سَجْسَج . لسان العرب (سجج) . والحَشَا : ما ٱنضمَّتْ عليه الضُّلُوْع كالقلب والكبد ، والجمع أحشاء ، والمراد القلب. والماء السَّلْسَلُ: السَّهْل الدخول في الحَلْق لعذوبته وصفائه . لسان العرب (سلسل) . وهنا يخاطب شخصاً مجهولاً علَّه يسأل ذاك الظِّلّ الظَّليل وذاك الماء البارد العذب ليعرف منهما مَنْ ألْهَبَ قلبه وأضرمه وَجْدا . وكأني به ينتظر منه الجواب : هذا ما جَنَتْهُ لوعةُ الحُبِّ . وقد يكون شبَّه شعرها الأسود المتدلّي على كتفيها بالظلِّ الظليل ، وأسنانها البيضاء بصفاء مياه ذلك الجدول المنساب بين جَنْبي الروض .

٣ ـ فَعَهْدِي به في ذلك ٱلدَّوْحِ كَانِساً ... ومَنْ ليَ بالرُّجْعَى إلى ذلك ٱلعَهْدِ ؟

٤ ـ وفي ٱلجنَّةِ الأَلْفَافِ أَحْوَرُ أَزْهَرُ ... تُلاعِبُ قُضْبَ الرَّنْدِ فيه قَنَا ٱلهِنْدِ

٥ ـ فأيُّ جَنَانٍ لم يُدَعْ نَهْبَ لَوْعَةٍ ... وقد لاحَ من تلك المحاسِنِ في جُنْدِ ؟

---

٣ ـ عَهْدي به في ذلك الدَّوْح :أي عَهِدْتُ حبيبي في ذلك الدَّوْح ، أي لَقِيْتُهُ وعَهْدي به قريب . والدَّوْح : جمع دَوْحة وهي الشجرة العظيمة . والكانِسُ : الظَّبْيُ يدخل في كِناسِهِ ؛ يقال : كَنَسَتِ الظِّباءُ تَكْنِسُ إذا دخلتْ في الكِناس وهو موضع في الشجر يُسْتَتَرُ فيه . لسان العرب (كنس) . والرُّجْعَى : الرجوع ، مصدر على فُعْلَى . لسان العرب (رجع) . وٱلاستفهام هنا بمعنى التمنِّي . وهكذا يتمنّى الشاعر لو عادت تلك الأيام الحلوة حيث كان يلتقي بمحبوبته تحت أفياء الشجر وعلى نغمات المياه الجارية . ولا ننسى أن الأندلس فردوس ثَرُّ الجمال ، اكتسب ظلالاً وارفة ومروجاً مخضوضرة وأنهاراً جارية تشحذ قرائحَ الشعراء وتأسر قلوبَهُمْ ، فتبعث فيهم وِصال الحبيب وٱنبساط النَّفْس .

٤ ـ الجنَّة الألفاف : المُلْتَفَّة ، وهنا ٱستعمل الجمع بصيغة المفرد ؛ يقال : جَنَّةٌ لَفَّةٌ ولَفّ ، وجَنَّات ألفاف . لسان العرب (لفف) . ومنه قوله تعالى : ﴿ **وجَنَّاتٍ ألفافاً** ﴾ . سورة النَّبَإِ ٧٨ ، الآية ١٦ . والأحور: الذي فيه حَوَرٌ وهو ٱشتداد بياض بياض عينه وسواد سوادها ؛ قيل للنساء : حُوْرُ العيون تشبيهاً لهنَّ بالظِّباء والبقر ، فهو أحور وهي حوراء . والرَّنْد : الآس ، وقيل : شجر من أشجار البادية طيِّب الرائحة يُسْتاك به ، واحدته رَنْدة . لسان العرب (رند) . والقَنَا : الرِّماح ، جمع قناة . وهنا يصف محبوبته ؛ فإذا هي حَوْراء ، بيضاءُ مشرقة الوجه ، حسنة القَوَام ، ناعمة القَدّ .

٥ ـ قال ٱبن بسام : « ومنها » ، وأورد الأبيات .

الجَنَان ، بفتحتين : القَلْب . وٱلاستفهام هنا بمعنى التقرير ، فأراد الشاعر أنْ يقرِّر أنها ، بمحاسنها الفاتنة ، أخذت بمجامع قلوب ناظريْها ، وأنَّ الحصول عليها بات بمثابة غنيمة حرب . هذا إلى جانب تشبيه محاسنها بالجنود الزاحفين إلى دار الحرب بجامع الكثرة .

٦ - وفي صُدْغِهِ اللَّيْليِّ نارُ حُبَاحِبٍ مِنَ ٱلقُرْطِ يَصْلاَهَا حَبَابٌ من العِقْدِ
٧ - وفي زَنْدِهِ ٱلرَّيَّانِ سُوْرٌ تَعَضُّهُ فَيَدْمَى كما ثَارَ ٱلشَّرارُ من ٱلزَّنْدِ
٨ - أُحاذِرُ أنْ يَنْقَدَّ لِيْناً فَأَنْثَنِي بِقَلْبٍ شَفيقٍ من تَثَنِّيْهِ مُنْقَدِّ
٩ - وقد جَرَحَتْ عَيْنَايَ صَفْحَةَ خَدِّهِ على خَطَإٍ فَآختار قَتْلِي على عَمْدِ

---

٦ - الصُّدْغ : الشَّعر المُتَدَلِّي ما بين العين والأذن . والحُباحِبُ ، بضم أوله : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسِّراج ، ومنه نار الحُباحب التي يُضْرب بها المثل في الضُّعْف ، فيقال : « أخلفُ مِنْ نار الحُباحب » . انظر مجمع الأمثال (ج ١ ص ٢٥٣) . والقُرْط : الذي يُعَلَّقُ في شَحْمة الأذن ، والجمع أقراط ، أي إنَّ القُرْط يتلألأ كما يتلألأ شُعاع الحُباحب . ويَصْلاها : يُوْقِدُها . والحَباب ، بفتحتين : الطَّلُّ الذي يصبح على النَّبات ، شبَّه به القلادَة في بياضه وصفائه وآستدارته . والعِقْدُ : القلادة ، وجمعها عقود . وهكذا يركِّز الشاعر على الأوصاف المادِّيَّة ، فإذا شعرها أكثرُ سواداً من الليل ، وإذا قُـرْطاها يَسْتمدَّان لمعانهما من لمعان قلادتها التي تَزَيَّنَ جِيْدُها بها .
٧ - الزَّنْدُ : مَوْصِلُ الذِّراع في الكَفّ . والرَّيَّان : الناعم . والسُّوْر : جمع سِوار وهو القُلْب ، والقُلْبُ حِلْيَةٌ كالطَّوْق تَضَعُها المرأة في زَنْدِها . قال آبن منظور : السِّوار والسُّوار: القُلْب ، والجمع أَسْوِرَة وأساوِر ، الأخيرة جمع الجمع ، والكثير سُوْر . انظر لسان العرب والقاموس المحيط ومحيط المحيط ، مادة (سور) . ويَدْمَى : يخرج منه دم . وقوله : « كما ثار الشَّرار من الزَّنْد » ، يريد : كما تتطاير النار من الزَّنْد وهو العود الذي تُقْدَحُ به النار . وبرأينا أنّ الشاعر لم يوفَّق كثيراً في تشبيه السِّوار ، وهو يَعَضُّ زَنْدَها ، بالنار التي تتطاير أثناء آقتداح الزَّنْد .
٨ - أحاذِرُ : أخاف . ويَنْقَدُّ : يَنْشَقُّ وينقطع . يقول: أخاف أن يَنْقَدَّ زَنْدُها تحت وَطْأة السُّوْر ، فيتشقَّقَ جِلْدُها الناعم ، وينثني قلبي رحمة بها وإشفاقاً عليها .
٩ - معنى البيت : صَادَفَ ، وهو يتأمَّلُها ، أنْ وَقَعَ نظرُها عليه ، فآحمرَّتْ وجْنَتَاها خَجَلاً ، وقررَّتْ عندئذ أن تقتله بصدِّها كَمَدا . وهي تعلم أنها، بطول بُخْلها عليه ، تزيد من إشعال لوعته وشوقه ، فكأنها تسْتَلِذُّ تعذّبَه . وآبن الحداد جَرَّب ، في الشعر والواقع معاً ، مرارة الحب الناتجة عمّا يحدثه آبتعادها عنه من شقاء وعذاب ؛ فقلبه لا يستطيع أن يكون مرتاحاً طالما المسافة شاسعة بينه وبينها ، ورؤيته لها تبعد عنه الحُرْقة وتهدي إلى جوانحه المنى وتطرد الصَّبَابة والوَجْد . وهنا يوفَّق أيّما توفيق بحيث يُعَدُّ هذا البيت من أجمل ما قيل في الغزل ؛ إذ فيه حلاوة الكلمة وجمال الصورة والإيقاع .

١٠ - وآمُلُ من دَمْعِي إلانَةَ قَلْبِهِ ولا أَثَرٌ لِلْغَيْثِ في الحَجَرِ الصَّلْدِ
١١ - وإنِّي بذاتِ الأيْكِ أُسْعِدُ وُرْقَهُ فهل عند ذاتِ الطَّوْقِ ما لِلْهَوَى عِنْدِي؟
١٢ - ويا لكَ مِنْ نَهْرٍ صَؤُوْلٍ مُجَلْجِلٍ كأنَّ آلثَّرى مُزْنٌ به دائِمُ آلـرَّعْدِ
١٣ - إذا صافَحَتْهُ آلرِّيحُ تَصْقُلُ مَتْنَهُ وتَصْنَعُ فيه صُنْعَ داودَ في آلسَّرْدِ
١٤ - كأنَّ يَدَ آلمَلْك آبنِ مَعْنٍ مُحَمَّدٍ تُفَجِّـرُهُ مِنْ مَنْبَعِ الجُـوْدِ وآلرِّفْـدِ

---

١٠ - الغيث: المطر. والحَجَرُ الصَّلْدُ: الصُّلْبُ الأملس. ومراد الشاعـر القول: لم تَتَّعِظْ من دموعي التي تسيل على خَدَّيَّ فيلِيْنَ قَلْبُها وترحم.

١١ - الأيْكُ: الشجرُ الكثيرُ المُلْتَفُّ، واحدتها أَيْكَة. والوُرْق: حَمَامُ الأيْك، واحدتها وَرْقاء. وذات الطوق: الحمامة، شبَّه بها محبوبته. وآلاستفهام هنا بمعنى النَّفْي، وكأنه يريد أن يقول: إنها لن تبادلني الحبَّ ما حَيِيْت.

١٢ - قال آبن بسام: «ومنها»، وأورد الأبيات.
النهر الصَّؤول هنا بمعنى الدَّفَّاع الذي يفيض ماؤه فيغرق ما حوله، وهنا آستعار «الصَّؤُوْل» من الجمل إلى النهر؛ لأنَّ الجمل الصَّؤول هو الذي يأكل راعِيَهُ ويُواثب الناسَ فيأكلهم. والمُجَلْجِلُ: القويُّ السريع الجَرْي الشديد الصوت. وآلثَّرَى: الأرض. والمُزْنُ: السَّحاب ذو الماء، واحدتها مُزْنَة. وهنا يخلص الشاعر من الغزل إلى وصف الطبيعة.

١٣ - تَصْقُلُ مَتْنَه: تجلوه؛ صَقَلَ السَّيْفَ والمرآة وغيرهما إذا جلاه وكشف صدأه، وهنا يشبِّه صفحة النهر بِمَتْنِ السَّيْف المصقول بجامع اللَّمَعان والبياض. وفي عجز البيت إشارة إلى الدِّرْعَيْن اللتين صنعهما النبيُّ داود عليه السلام. انظر شرح البيت رقم ٧ في القصيدة الدالية رقم ١٦. وهنا يوفِّق الشاعر عندما يجعل النسيم، وهو يُلاعب صَفْحَةَ ماءِ النهر، إنساناً يصنع دِرْعَ الكَمِيِّ الشبيه بدرع النبيّ داود عليه السلام.

١٤ - المَلْكُ، بسكون اللام تخفيفاً: المَلِك. وآبن مَعْنٍ محمد هو المعتصم. وهاء الضمير في «تفجِّره» تعود على النهر. والرِّفْدُ: العطاء والصِّلَة. وهنا يُحْسِنُ الشاعرُ تخلّصه من وصف المنظر الطبيعي إلى مدح المعتصم، فإذا الممدوح أكثرُ عطاءً من ذلك النهر الفيّاض. والمبالغة هنا واضحة كل الوضوح، وذلك من أجل التكسُّب وآلاستجداء ليس غير.

١٥ ـ ويَرْفُلُ في أزهارِهِ وٱخضرارِهِ كما رَفَلَتْ نُعْمَاهُ في حُلَلِ ٱلحَمْدِ
١٦ ـ وقد وَرَدَتْ في غَمْرِهِ نُهَّلُ ٱلقَطَا كما ٱزدَحَمَتْ في كَفِّه قُبَلُ ٱلوَفْدِ
١٧ ـ مَفِيْضُ الأيادِي فوقَ أَدْنَى وأَرْفعٍ وصَوْبُ ٱلغَوَادِي شامِلُ ٱلغَوْرِ والنَّجْدِ

---

١٥ ـ يَرْفُلُ : يَجُرُّ ذَيْلَهُ ويتبختر ، ورَفَلَ في ثيابه : جَرَّها متبختراً ، والثوبُ المُرَفَّلُ : الواسع الذي يُرْفَلُ فيه . والنُّعْمَى : اليد البيضاء الصالحة . والحُلَلُ : جمع حُلَّة وهي الثوب ، ولا يقال للثوب حُلَّة إلَّا إذا كان من جنس واحد . وهكذا يشبِّه ٱنشراح صَدْر المعتصم ، عندما يخرج إلى الرياض المخضوضرة والحدائق الغنّ التي تحيط بذلك النهر ليستريح من عناء الحكم ، بٱنشراح صدره وهو يعطف على الناس ببسط كفِّه إليهم ، بحيث يصير عندهم محمودا . والتشبيه هنا تمثيل ، وهو تشبيه لم نسمع به من قبل . وإذا كان فاعل « يرفل » هو النهر يكون معنى البيت هكذا : كما يزهو ذلك النهر عندما يفيض ماؤه على جانبيه فيسقي ما يحيط به من حدائق غنّ ورياض مخضوضرة ، فإن المعتصم يزهو عندما يبسط كفَّه إلى الناس مقدّما إليهم الأعطيات . وبذلك يكون الشاعر قد وقع في خلل فني ؛ لأنه خلص في البيت السابق من وصف النهر إلى المدح ، ولا يستحسن أن يعود ثانية إلى وصفه .

(١٦) الغمْرُ: معظم البحر. والقَطَا، بفتحتين: طائر في حجم ٱلحَمَام، صَوْتُهُ قَطَا قَطَا، سمِّي بذلك لِثِقَل مَشْيه، واحدته قَطَاة. والقَطَا النُهَّلُ: العِطاش. وهنا يُظْهِرُ مَمْدُوحَهُ بحراً من الجُوْد، فيشبِّه ٱزدحام الناس، وهم يُقَبِّلُوْن راحته تعبيراً عن شكرهم إيّاه لفضله، بٱزدحام القَطَا العِطاش وهي تَرِدُ الماءَ للٱرتواء منه. وقوله :« وَرَدَتْ في غَمْره» غير دقيق؛ لأنه يقال: وَرَدَ الماءَ وِرْداً ،ووَرَدَ عليه، أي أشرف عليه دَخَلَه أو لم يَدْخُلْه. هذا ما جاء في كتب اللغة التي بين أيدينا. وإذا كانت هاء الضمير في « غمره » تعود على النهر يكون الشاعر قد شبه ٱزدحام القَطَا العِطَاش، وهي ترد ماء النهر للٱرتواء منه، بٱزدحام الناس وهم يقبّلون راحة المعتصم تعبيراً عن شكرهم إياه لفضله .

١٧ ـ الصَّوْب: المطر. والغوادي: جمع غادِيَة وهي السَّحابة تنشأ غُدْوَةً أي بُكْرَة. والغَوْرُ: المُطْمَئِنُّ من الأرض. والنَّجْدُ: الطريق المرتفع، وهو ما خالف الغَوْر. يقول: كما يصوب المطر فيروي الأرض سهلاً وجبلاً، فإن المعتصم تفيض يداه عطاء لكلِ الناس، أدناهم وأرفعهم، فقيرهم وغنيّهم. وهنا يُحسن الشاعر الطباق بين « أدنـى » و«أرفع» وبين « الغَوْر » و « النَّجْد ».

١٨ ـ فَمِنْ جُوْدِهِ ما في ٱلغَمامةِ من حَياً ... ومِنْ نُوْرِهِ ما في ٱلغَزالَةِ مِنْ وَقْدِ

١٩ ـ تَلأْلأَ كالإِفرِنْدِ في صَارِمِ ٱلنُّهى ... وكُـرِّرَ كالإِبْرِيْزِ في جَاحِمِ ٱلوَقْـدِ

٢٠ ـ وإنْ وَلِهَتْ فيه أُذَيْهانُ مَعْشَرٍ ... فلا فَضْلَ للأنوار في مُقْلَةِ ٱلخُلْدِ

---

١٨ ـ الغَمَامَة، بالفتح: السَّحابَة، وجمعها غَمَام. والحَيَا، بفتحتين: المطر. والغزالة: الشمس. والوَقْدُ: النار. وغلوُّ الشاعر واضحٌ في وصف كرم الممدوح بحيث جعل الغَمَامَة تمتلىء مطراً من جُوْده، وجعل الشمسَ تقتبس نُوْرَها من إشراقة وجهه أو من نُوْر عَدْله.

١٩ ـ إِفْرِنْدُ السَّيْف، بكسر الهمزة والراء: وَشْيُه، والجمع إِفْرِنْدات. والصَّارِمُ: السَّيْف القاطع، والجمع صَوَارِم. والنُّهَى: العقول لأنها تَنْهَى عن القبيح، واحدتها نُهْيَة، وهي مجاز مرسل والمقصود الرؤوس. والإِبْرِيْز: الذَّهَبُ الخالص الصافي، فارسي معرَّب. والجاحم: الجمر الشديد الاشتعال؛ يقال: جَحَمَ النارَ يَجْحَمُها إذا أوقدها. والوَقْد: النار. يقول: إنَّ نور الممدوح يتلألأ كما يتلألأ سَيْفُهُ وهو يقطع رؤوس الأعداء في ساحة الوَغى، وإنَّ نوره صافٍ كصفاء الذهب الخالص الذي كَرَّرَتْه النار فخلص من الشوائب وذلك في المرحلة الأخيرة من الاشتغال به.

٢٠ ـ الأُذَيْهان: تصغير أَذْهان وهي العقول. والمَعْشَرُ: جمعها معاشر وهي جماعات الناس. والمُقْلَة: شَحْمَة العين التي تجمع البياض والسَّواد، وقيل: هي الحدقة، وقيل: هي العين. والخُلْد: بضم أوله وفتحه وسكون اللام: الفأرة العَمْياء، وجمعها مناجذ على غير لفظ الواحد، وقال الليث: الخُلْد ضرب من الجِرْذان عُمْيٌ لم يُخْلَقْ لها عيون، واحدها خِلْد بكسر الخاء، والجمع خِلْدان. انظر لسان العرب ومحيط المحيط ومختار الصحاح، مادة (خلد). ومراد الشاعر قوله: إنْ دُهِشَ الناسُ أمام لمعان الذهب فإنَّ دهشتهم ستزول؛ لأنَّ لمعان الذهب سيختفي مخافة أن يُفْتَضَحَ أمامَ نور المعتصم، وهل الجِرْذان العُمْي يفيدها النور؟ قال ٱبن بسام: قوله «أُذَيْهان مَعْشَرٍ» بالتصغير، قد يريد أن يتبع فيه أبا الطَّيِّب المتنبي في قوله(البسيط):

ظَلِلْتُ بين أُصَيْحَابِي أَكَفْكِفُهُ ... وَظَلَّ يَسْفَحُ بين العُذْرِ والعَذَلِ

وأضاف: «وهيهاتَ، ما كلُّ مَنْ جَرَى سَبَقَ ولا كلُّ مَنِ ٱرتَاحَ نَطَقَ».

يقول المتنبي: ظَلِلْتُ أكفكف الدمع خوفاً من ملام أصحابي، وظلَّ الدمعُ يسيل بين عذرهم ولومهم لا يبالي بشيء منهما. انظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ص ٣٤٩.

٢١ ـ ومِنْكَ أَخَذْنا القولَ فيكَ جَلاَلَةً وما طابَ ماءُ الوِرْدِ إلاَّ من الوِرْدِ

---

٢١ ـ الوِرْدُ الأولى: الوُرَّاد وهم الذين يَرِدُوْن الماء. والوِرْدُ الثانية: الماء الذي تَرِدُ عليه. لسان العرب (ورد). ومراده القول: نحن لا نأخذ إلاَّ بأقوالك يا ملك ملوك الأندلس؛ فكما لا يطيب الماءُ إلاَّ من مَنْبَعِهِ، فإنَّ العيش لا يطيب إلا بك .

وله يهنىء المؤتمن* بن المقتدر بن هود بمولود من جملة قصيدة (المتقارب) :

- ٢١ -

١ - فَبَشِّرْ سماءَ ٱلسَّنَا وٱلسَّناءِ   بنجم هُدىً لَاحَ في آلِ هُوْدِ
٢ - بِمُقْتَبَسٍ من شُمُوْسِ ٱلنُّفُوْسِ   ومُقْتَدَحٍ من زِنادِ ٱلسُّعُوْدِ
٣ - هِلَالٌ تَأَلَّقَ من بَدْرِ سَعْدٍ   ومُزْنٌ تَخَلَّقَ من بَحْرِ جُوْدِ

التخريج: الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٧)

(*) تقدمت ترجمته في مقدمة الديوان ص ١٥ حاشية ٢ .

١ - السَّنَا : الضوء والنور . والسَّناء : الرفعة والمجد والشرف . ونجم الهدى هو الطفل المولود ، شبَّهه به . يقول : إنَّ المولود نجمٌ هَوَى من سماء المجد ليحلَّ في بني هُوْدٍ فيهتدوا به إلى طريق المعرفة والنُّوْر والهُدَى .

٢ - المُقْتَبَسُ : شعلة نارٍ تُقْتَبَسُ من معظم النار ، وهو هنا بمعنى النُّوْر . والشُّمُوْسُ : جمع شَمْس ، تُجْمَعُ بٱعتبار طلوعها وغروبها كل يوم فكأنَّها متعدِّدة . والنفوس : جمع نَفْس وهي النَّفْس المطمئنَّة التي تمَّ تنوُّرها بنور القلب حتى ٱنخلعتْ عن صفاتها الذَّمِيْمة وتَخَلَّقَتْ بالأخلاق الحميدة . والزِّناد : جمع زَنْد وهو رأس عود الكبريت . والسُّعُوْد : جمع سَعْد وهو اليُمْن ونقيض النَّحس. والمراد قوله : إن المولود ٱستمدَّ نوره من عائلةٍ رفيعةٍ مشرقةٍ ميمونة .

٣ - الهلال : غُرَّة القمر . وتألَّق : تلألأ . والسَّعْد : اليُمْن . والمُزْن : السَّحاب ذو الماء ، واحدتها مُزْنة . يقول : إنه ٱبن بَدْرٍ في تألُّقه ، وٱبن بَحْرٍ في جُوْده . وهنا يشبِّه والدَ الطِّفْل بالبدر في إشراقة وجهه ، وبالبحر في كرمه . ولعله أراد أنْ يَتْبَعَ ٱبنَ عبدِ ربِّه في قوله بمناسبة مولد الحكم المستنصر في سنة ٣٠٢ هـ (الطويل) :

هِلَالٌ نَمَاهُ ٱلبَدْرُ وٱختاره ٱلفَجْرُ   تَلَقَّتْ بِهِ شَمْسٌ وأَنْجُمُهُ زُهْرُ

انظر المقتبس ، تحقيق شالميتا ص ١٠٢ .

٤ - شِهابٌ مِنَ آلنَّيِّرَيْنِ آستَطَارَ   لإِرْدَاءِ كُلِّ مَرِيْدٍ عَنِيْدِ
٥ - ونَصْلٌ إذا تَمَّ منه آنتِضَاءٌ   فَوَيْحَ آلعِدَا مِنْ مُبِيْرٍ مُبِيْدِ
٦ - تَبَيَّنَ فيه كُمُوْنُ آلذَّكَاءِ   ويا رُبَّ نارٍ بِمُخْضَرِّ عُوْدِ

---

٤ - الشِّهاب هنا بمعنى سِنان الرُّمْح ؛ يقال : شِهابُ حَرْبٍ أي ماضٍ فيها ، على التشبيه بالكوكب في مُضِيِّه ؛ لأنَّ الشِّهاب في الأصل هو الكوكب لما فيه من البريق . لسان العرب (شهب) . قال آبن عبد ربِّه في وصف الرماح (الطويل) :
بِكُلِّ رُدَيْنِيٍّ كأنَّ سِنَانَهُ   شِهابٌ بَدَا في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاطِعُ
انظر يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٧٥) .
والنَّيِّرَانِ : نَجْمان نيِّران أحدهما السِّماك الأعزل ، والآخر السِّماك الرامح . لسان العرب (سمك) . والمَرِيْد ، بفتح الميم وكسر الراء : الخبيث المتمرِّد الشِّرِّيْر ، والجمع مُرَدَاء ؛ يقال : مَرُدَ على الأمر يَمْرُدُ مُرُوْداً فهو مارِدٌ ومَرِيْد . لسان العرب (مرد) . ولإرداء كل مريد : أي لقتل كل متمرِّد . يقول : إنه شِهابٌ يُسْتَطَارُ شرارُهُ من ذَيْنِك النَّجْمَيْن النَّيِّرَيْن فَيُرْدِي مَنْ أصابه من هؤلاء المتمرِّدين الثائرين .
٥ - النَّصْل : نَصْل السيف ، وهو حديده . والمُبِيْرُ : المُهْلِك ؛ يقال : أباره الله تعالى إذا أهلكه ، والبَوَار : الهلاك . وآنتضى السيفَ آنتضاءً : استلَّه من غِمْده . ووَيْحَ العِدا : وَيْلٌ للأعداء . يقول : هو نَصْلٌ إذا ما استُلَّ أَهْلَكَ الأعداءَ العائثين في البلاد فساداً فأبادهم شرَّ إبادة .
٦ - كُمُوْن الذَّكاء : من كَمَنَ الرجلُ يَكْمُنُ كُمُوْناً : أي توارَي وآستخْفَى . يقول : عرفناه ذكياً وعرفنا أنَّ ذكاءه ما يزال متوارياً ، كونه طفلاً حديث السِّنّ ؛ فربَّ نارٍ تَضَرَّمَتْ في العِيْدان الخضر .
ومن خلال هذه الأبيات نكوِّن فكرة واضحة عمَّا كان عليه المديح في عصر الشاعر ، فنقول : كان وسيلة آرتزاق وأداة تزلُّف للأمراء ؛ إذ كيف عرف آبن الحداد أنَّ المولود نجم هدى لاح في بني هود ؟ أو هلالٌ متألِّق ؟ أو شهابُ حَرْبٍ على الأعداء ؟ أو نَصْلٌ يُبِيْدُ الأعداء ؟ وكيف عرف أنه سيتفجَّر ذكاءً عندما يَشِبُّ ويكبر ؟

ومن شعره في النسيب وما يتصل به من الأوصاف (الطويل) :

- ٢٢ -

١ ـ أَيَا شَجَرَاتِ ٱلحَيِّ مِنْ شاطىء ٱلوادِي ، سَقَاكِ ٱلحَيَا سُقْيَاكِ للدَّنِفِ ٱلصَّادِي

٢ ـ فَكَانَتْ لنا في ظِلِّكُنَّ عَشِيَّةٌ نَسِيتُ بها حُسْناً صَبِيحَةَ أَعْيادِي

٣ ـ بها سَاعَدَتْنِي مِنْ زمانِي سَعَادةٌ فَقَابَلَنِي أُنْسُ الحبيب بإسْعادِي

٤ ـ فَيَا شَجَرَاتٍ أَثْمَرَتْ كلَّ لَذَّةٍ، جَنَاكِ لذيذٌ لَوْ جَنَيْتِ على الغادِي

٥ ـ فهل لِي إلى ٱلظَّبْيِ الذي كان آنساً بِظِلِّك من تجديد عَهْدٍ وتَرْدَادِ ؟

التخريج : الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٨) .

١ ـ الوادي : أي وادي المريَّة المشهور ، وقد ذكره المقَّري في نفح الطيب (ج ١ ص ١٦٣) فقال : طوله أربعون ميلاً ، كله بساتين بَهِجَة وجَنَّات نضرة وأنهار مطردة وطيور مغرّدة . والحَيَا ، بفتحتين : المطر . والسُّقْيا : آلاسم من السَّقْي . والدَّنِفُ : مَنْ أثقله المرض فأشرف على الهلاك، والمراد مَنْ أثقله مرض الحب. والصادي: العطشان، والمراد المتلهِّف لرؤية المحبوب. وهنا يدعو الشاعر لتلك الشجرات بالسُّقْيا وذلك ليردَّ لها جميلها ، إذ لولا ظلالها الوارفة لما قضى أجمل لحظات العمر مع محبوبته فَشَفَتْه من غُلَّته وأَخْفَتْ وَجْدَه وأَوْرَتْ شوقه . وفي البيت جناس ناقص بين « الوادي » و« الصادي » .

٢ ـ يريد أن يقول : في صبيحة ذلك العيد تذكَّرْت تلك العشيّة التي كنت فيها بصحبة محبوبتي تحت أفياء تلك الشجرات . ونظراً لطول بِعادها عنِّي لم يَعُدْ بإمكاني أن أتذكَّر قَسَمَاتِ وجهها الذي يشعّ بهاء وإشراقا.

٣ ـ وهنا يتابع تذكُّره لتلك العشيَّة التي أنس فيها بمحبوبته ، ويقرُّ بأنها فرصة سنحت له ، وهيهات أن تعود ! .

٤ ـ الغادي هنا بمعنى الرقيب الذي يغتدي بكرة لمراقبة المُحِبَّيْن . وهنا يخاطب تلك الشجرات التي أثمرت كل لذّة يوم تَلاَقَيَا ، هو ومحبوبته ، متمنّياً عليها أنْ تعاقب ذلك الرقيب الذي لولاه لكان جَناها لذيذاً ولا أطيب منه .

٥ ـ الظَّبْي : الغزال ، والجمع أَظْبٍ وظِباء وظُبِيٌّ ، شبَّه به محبوبته . وآلاستفهام هنا بمعنى التمني ، أي إنه يتمنَّى لو عادتْ ليالي الأنس في ظل تلك الشجرات الباسقات حيث كان يلتقي بمحبوبته نويرة .

٦ ـ وقَلْبِي على أغصانِ دَوْحِكِ طائرٌ يَنُـوْحُ ويَشْدُوْ والهَـوَى نائِـحٌ شَادِ

٦ ـ الدَّوْح : جمع دَوْحة وهي الشجرة العظيمة من أيِّ شجرٍ كان . وهنايشَّبه قلبه بطائر ينوح ويشدو علّه يلتقي مَنْ يأنس به .

وقال (المتقارب) :

- ٢٣ -

١ - شَقِيْقُـكَ غُيِّـبَ في لَـحْـدِهِ وتُشْـرِقُ يـا بَـدْرُ مِنْ بَـعْـدِهِ ؟

٢ - فَهَلَّا خَسَفْتَ وكان الخُسُوْفُ حِـداداً لَـبِسْـتَ على فَـقْـدِهِ ؟[1]

التخريج : الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقق (ج ٢ ص ٢٥١) ، والإحاطة تحقيق عنان (ج ٢ ص ٣٣٤) . يقول آبن الخطيب : « حَدَّث بعضُ المؤرِّخين ، مما يدلُّ على ظَرفه (أي ظرف آبن الحداد) ، أنَّه فَقَدَ سَكَناً[2] عزيزاً عليه ، وأحوجتِ[3] الحالُ إلى تكلُّف سَلْوة ، فلمّا حَضَرَ النُّدَماءُ ، وكان قد رَصَدَ الخسوفَ[4] بالقمر ، فلمَّا حَقَّقَ أنَّه قد آبتدأ ، أخذ العود وغنَّى[5] » ، وذكر البيتين . ويضيف : « وجعل يُرَدِّدها ويخاطب البدرَ ، فلم يَتِمَّ ذلك إلَّا وآعترضه[6] الخسوف ، وعظُمَ[7] من الحاضرين التعجّب » . وفي نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٥) ينسب المقري هذين البيتين إلى آبن باجة فيقول : « وحكى غيرُ واحدٍ أنَّه (أي أنَّ آبن باجة) مات له سَكَنٌ كان يَهْواه ، فباتَ مع بعض أصحابه عند ضريحه ومَثْواه ، وكان قد عَرَفَ وقتَ كسوف البدر بصناعة التعديل ، فزوَّر في نفسه بيتين في خطاب القمر أتقنهما ولحَّنهما ، حتى إذا كان قبيل وقت الكسوف بقليل تغنَّى فيهما بذلك الصوت المُشْجِي ، واللحن يسوق الشوق ويُزْجي ، وهما » ، وأورد البيتين . ويضيف : « فَكَسَفَ القمرُ في الحال ، وعُدَّتْ هذه من نوادره التي جِيْدُ الأخبار بِفرائدها حال ، سامحه الله تعالى » . وفي المصدر نفسه ص ٢٦ يضيف المقري : ثم رأيتُ في الإحاطة نسبة ذلك إلى آبن الحداد . ثم يسوق الخبر الذي ذكره آبن الخطيب ولكن مع تغيير يسير في بعض الألفاظ ، فيقول : « حَدَّث بعض المؤرِّخين ممّا يدلُّ على ظرفه (أي ظرف آبن الحداد) . . التعجّب » .

١ - رواية صدر البيت في نفح الطيب هي : فَهَلَّا كَسَفْتَ فكان الكسوفُ .
وهَلَّا : من أدوات التحضيض ، جاءت هنا للَّوْم والتوبيخ لأنَّها دخلت على الفعل الماضي . وخسوف القمر وكسوفه : ذهاب ضوئه .

٢ - السَّكَنُ : المرأة لأنَّها يُسْكَنُ إليها ، والساكن . لسان العرب (سكن) .

٣ - في الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقق : « وآحتاج الحال إلى . . » .

٤ - في المصدر نفسه : « رَصَدَ خسوف القمر ، فلمَّا . . » .

٥ - قوله : « أخذ العود وغنَّى » دليل على أنَّ آبـن الحداد كان موسيقاراً ومُغَنِّيا .

٦ - في الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقق : « إلَّا وقد آعتراه الخسوف . . » .

٧ - في المصدر نفسه : « فَعَظُم من . . » .

قافية الراء

وقال يصف حمامة (الطويل) :

- ٢٤ -

١ ـ وسَاجِعَةِ الأَطْيَارِ تَشْدُو كـأَنَّها فَتَـاةٌ لهـا الأوراقُ حُجْبٌ وأَسْتـارُ

التخريج: مسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقة ٤٠٤).

١ ـ ساجعة الأطيار : الحمامة ؛ يقال : حَمَامَةٌ ساجعةٌ وسَجُوْع ، وسَجَعَتِ الحمامةُ : هَدَرَتْ وطَرَّبَتْ في صوتها . وفتاة : في الأصل : « فنان » . والحُجُب ، بضمتين : جمع حِجاب وهو السِّتْر وكل ما آحتُجِبَ به . والأستار : جمع سِتْر وهو ما يُسْتَرُ به كائناً ما كان . وهنا يشبِّه الحمامة ، وهي تسْجع على أغصان شجرةٍ لَفَّاء ، بفتاةٍ بِكْرٍ ترنو من خلف سِتْرٍ مخافة أن يراها أحد . وهنا يقترب من قول آبن عبد ربه وهو يصوّر آحتجاب الشمس وراء السُّحُب (الوافر) :

وعَـيْـنُ آلـشَّـمْـسِ تَـرْنُـو فـي قَـتَـامٍ رُنُـوَّ الـبِـكْـرِ مِـن بـيـن الـسُّـتُـوْرِ

العقد الفريد (ج ١ ص ٩٧) .

وقال في باب الغزل (البسيط) :

- ٢٥ -

١ - يا غائباً ، خَطَرَاتُ القَلْبِ مَحْضَرُهُ   الصَّبْرُ بَعْدَكَ شيءٌ لَسْتُ أَقْدِرُهُ

٢ - تَرَكْتَ قلبِي وأشواقِي تُفَطِّرُهُ   ودَمْعَ عَيْنِي وأحداقي تُحَدِّرُهُ

٣ - لو كُنْتَ تُبْصِرُ في تُدْمِيرَ حالَتَنا   إذنْ لأَشْفَقْتَ ممّا كُنْتَ تُبْصِرُهُ

التخريج : مطمح الأنفس ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٨ - ٤٩) ، ومعجم البلدان (ج ٢ ص ١٩) ومختارات من الشعر الأندلسي ص ١٣٧ .

١ - في معجم البلدان: « شيءٌ ليس أَقْدِرُهُ». وهنا يصف معاناته بسبب بعاده عن محبوبته؛ فهي لا تغيب لحظة عن مخيّلته، وهو لا يَقْوَى على الصَّبْر وليس به طاقةٌ على تحمّله .

٢ - رواية عجز البيت في معجم البلدان هي: ودَمْعُ عَيْنَيَّ آماقِي تُقَطِّرُهُ. وتُفطِّره: تَشُقُّه. والأحداق: جمع حَدَقَة وهي سواد العين. وتُحَدِّرُهُ: تُسِيلُه: يقول: إنَّ محبوبتي تركت قلبي تفطِّره الأشواق، وتركت دمعي تُسِيْلُه الأحداق .

٣ - تُدْمِيْر Todmir : كورة من كور الأندلس الشرقيّة ، وقاعدتها مدينة لورقة ، ولورقة باللطينية أي اللاتينية تعني الدرع الحصين . سميت بآسم صاحبها القوطي تدمير Teodmir بن غندرس ، الذي صالح واليَ الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٤ هـ ، وكان آسمها أُريولة Orihuela . وسمِّيت أيضاً « البستان » لكثرة جنّاتها المحيطة بها ، كما سمّيت « مصر » لكثرة شبهها بها ؛ لأنّ لها أرضاً يسيح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ، ثم يَنْضُبُ عنها ، فتزرع كما تـزرع أرض مـصـر. تقع شرقي قرطبة ، وتتّصل بأحواز كورة جيّان ، وفيها معادن كثيرة ولا سيما الفضة ، وفيها معاقل ورساتيق . ثم صارت مرسيةُ القصبة بعد تدمير . انظر نصوص عن الأندلس ص ١ - ١٦ ، ومعجم البلدان (ج ٢ ص ١٩) ، والروض المعطار ص ١٣١ - ١٣٢ ، وقطعة من كتاب فرحة الأنفس ص ٢٨٤ - ٤٨٥ ، والكامل في التاريخ (ج ٤ ص ٥٦٣) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٤ ، ٢٣٧ ، ٢٦٤) وفجر الأندلس ص ١١٢ - ١١٩ . وفي هذا البيت إشارة إلى فرار آبن الحداد عن المريّة وإقامته في تدمير . وقد ذهب مذهبه أبو الحسن علي بن جودي الأندلسي فقال (الطويل) :

=

٤ ـ فالعَيْنُ دُوْنَكَ لا تَحْلَى بِلَذَّتها   والدَّهْرُ بَعْدَكَ لا يَصْفُو تَكَدُّرُهُ
٥ ـ أُخْفِي آشتياقي وما أَطْوِيهِ مِنْ أسفٍ   على المريَّةِ والأنفاسُ تُظْهِرُهُ

= لقد هَيَّجَ النِّيرانَ ، يا أُمَّ مالكٍ ،   بتُدْميرَ ذِكْرى ساعَدَتْها المَدَامعُ
معجم البلدان (ج ٢ ص ١٩) .

٤ ـ في مختارات من الشعر الأندلسي : « لا تحلو » بدل « لا تحلى » . ورواية البيت في معجم البلدان هي :

فالنَّفْسُ بَعْدَكَ لا تَخْلُو لِلَذَّتِها   والعَيْشُ بَعْدَكَ لا يَصْفُو مُكَدَّرُهُ

٥ ـ في نفح الطيب : « البَرِيَّةِ » بدل « المَرِيَّة » . وفي معجم البلدان : « والأشواقُ » بدل « والأنفاسُ » .
وهنا لا يقدر الشاعر على إخفاء حنينه إلى موطنه المريّة ، وهو إنْ أخفاه فإنَّ أنفاسه سرعان ما تظهره .

وقال يصف مجلس أُنْس وشراب (المتقارب) :

- ٢٦ -

١ - كَـذَا فَـلْتَلُحْ قَـمَـراً زاهـراً   وتَجْنِ آلْهَـوَى نـاضـراً نـاضـرَا

٢ - وسَيْبُـكَ صَوْبُ نَـدىً مُغْـدِقٍ   أَقَـامَ لـنـا هـامِـلاً هَـامِـرَا

التخريج : الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٢) . قال آبن بسّام : « وآصطبح المعتصمُ يوماً مع نُدَمائه ، وأظهر صبيَّةً مهدويّةً في أنواعٍ من اللَّعب المُطْرب ، وحضر أيضاً لاعبٌ مصريٌّ هنالك ، فآرتجل آبنُ الحداد يصف ذلك » ، وأورد الأبيات كلها .

ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٦٣ - ٢٦٤) . قال المقّري : « وقال آبن بسّام : اصطبح المعتصمُ بنُ صُمادِح يوماً مع نُدمائه ، فأبْرَزَ لهم وصيفةً مهدويّةً متصرّفة في أنواع اللَّعب المُطْرب من الدكّ ، وحضر أيضاً هناك لاعبٌ مصريٌّ ساحرٌ ، فكان لعبه حسناً ، فآرتجل أبو عبد الله آبن الحداد » ، وأورد الأبيات كلها .

وبدائع البدائه ص ٣٦٥ . قال علي بن ظافر الأزدي : « قال آبن بسّام : اصطبح المعتصم بنُ صُمادِح يوماً مع نُدَمائه ، فأبرز لهم وصيفةً مهدويّةً متصرّفةً في أنواع اللَّعب ، وحضر أيضاً هناك لاعبٌ مصريٌّ ساحرٌ ، فكان لعبه حسناً ، فآرتجل أبو عبد الله آبن الحداد قائلاً » ، وأورد الأبيات كلها .

١ - رواية عجز البيت في نفح الطِّيب هي : وتَـجْـنِـي آلـهَـوَى نـاظـراً نـاضِـرَا

وفي بدائه البدائه : وتَـجْـنِـي آلـهَـوَى نـاضِـراً نـاظِـرَا

يخاطب المعتصمَ قائلاً : أيها القمر الزاهر ، سوف تَجْني الهوى الذي إليه تتوق . وهنا يستعير « الجَنَى » من الشجر إلى الهوى .

٢ - في بدائع البدائه : « صيب ندى . . هامياً هامرا » .وفي نفح الطيب : « سَيْبُ نَدىً . . هامِياً هامِرَا » .

والسَّيْبُ : العطاء . وصَوْبُ النَّدَى : نزول المطر . وهَمَلَتِ السماءُ : دام مطرها في سكون . وهَمَرَ الماءَ : صَبَّه . وهنا يمدح المعتصمَ فإذا هو أكثرُ عطاءً من المطر الصَّيِّب . ويتلاعب بالألفاظ فيستعمل الجناسَ بين « السَّيْب » و « الصَّوْب » وبين « هـامـلاً » و«هامرا» ليزيِّن به شعره .

٣ ـ وإنَّ لِيَوْمِكَ ذا رَوْنَقاً مُنيراً لِنُورِ ٱلضُّحَى بَاهِرَا
٤ ـ صَبَاحُ ٱصطباحٍ بإسْفارِهِ لَحَظْنَا مُحَيَّا العُلَا سافِرَا
٥ ـ وأَطْلَعْتَ فيه نجومَ الكُؤوْسِ وما زالَ كَوْكَبُها زاهِرا
٦ ـ وأَسْمَعْتَنَا لاحِناً فاتِناً وأَحْضَرْتَنَا لاعِباً ساحِرَا
٧ ـ يُرَفْرِفُ فوق رؤوسِ القِيانِ فَتَنْظُرُ ما يُذْهِلُ ٱلنَّاظِرَا

---

٣ ـ في نفح الطِّيْب وبدائع البدائه : كنور ٱلضُّحَى . . الخ » . يقول : إنَّ وجهك الذي يفوق شمس الضحى إضاءة هو الذي أضفى على يومك حلاوة وجمالا .
٤ ـ الاصطباح : شُرْب الصَّبُوْح وهو الشُّرْب بالغَدَاة ، ضِدُّ الغَبُوْق ؛ يقال : اصطبح الرجلُ إذا شرب الصَّبُوْح . والإسفار : الإضاءة ، يقال : أَسْفَرَ الصُّبْحُ إذا أضاء وأشرق ، وأسفر وجهه : حَسُنَ وأشرق . والمُحَيَّا : الوجه . ومراده القول : عندما أضاء وجه المعتصم إضاءة شمس الضحى أو أكثر أَدْرَكْنا ، ونحن نحتسي الصَّبُوْح ، أنّه محيّا العُلَا ليس غير . ومعنى العجز أخذه أبو الحجّاج يوسفُ بنُ عبد الله بن أَيّوب الفهري الداني المتوفَّى سنة ٥٩٢هـ ، فقال متأسّفاً على مغاني التداني (الطويل) :
أَبَى اللهُ إلّا أنْ أفارِقَ مَنْزِلاً يُطالِعُني وَجْهُ ٱلمُنَى فيه سافِرَا
انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٩٢) و (ج ٤ ص ١٥٤) . وفي المقتضب من كتاب تحفة القادم ص ١٣١ نسب آبن الأبار هذا البيت إلى أبي الربيع بن سالم .
٥ ـ في نفح الطيب وبدائع البدائه : « فما زال . . الخ » .
وهنا يشبِّه كؤوسَ الخمر بالنجوم غير الطوافيء ؛ وذلك لتلألئها الذي لا ينقطع أبدا .
٦ ـ أراد باللاحن الوصيفةَ المهدويَّة التي كانت تطرب الحاضرين ، وأراد باللاعب اللاعبَ المصريّ .
٧ ـ في بدائع البدائه ونفح الطيب : « فننظر » بدل « فتنظر » . وفي الذخيرة : « يُزَفِّن » بدل « يرفرف » . ولم يرد في كتب اللغة فعل « زفَّن » بالتشديد ، بل ورد « زَفَن » بدون تشديد ، فيقال : زَفَنَ يَزْفِنُ إذا رقص ، والزَّفْنُ هو الرقص . راجع لسان العرب والقاموس المحيط ومحيط المحيط ، مادة (زفن) . وقد يكون محقق الذخيرة الدكتور إحسان عباس هو الذي وقع في خطإ التشديد ؛ لأنه لو قال : « يَزْفِنُ » بدون تشديد لما انكسر وزن البيت .
والقيان : جمع قَيْنَة وهي الأَمَة مغنِّية كانت أو غير مغنّية ، والمراد هنا المغنِّيات . والشاعر هنا يصف ما جاء به ذلك اللاعب الذي أذهل بفنّه الحاضرين .

٨ ـ ويَخْطِفُها ذَيْلُ سِرْبَالِهِ فَتُبْصِرُ طالِعَها غائِرَا
٩ ـ فَظَاهِرُها يَنْثَنِي باطِناً وباطِنُها يَنْثَنِي ظاهِرَا
١٠ ـ وثَنَّاهُ ثانٍ لألعابِهِ دقائقُ تَثْنِي ٱلحِجَى حائِرَا

---

٨ ـ في نفح الطيب : « ويحفظها ذَيْلُ سِرْباله فننظر . . الخ » . وفي بدائع البداثه : « فننظر طالِعَها . . »

والسِّرْبال : القميص وكلُّ ما لُبِسَ ، والجمع سرابيل . وذَيْلُ السِّرْبال : يقصد به اليد .

وطالِعُها : أي طالع الخمر ، وهنا يشبِّه الخَمر بالشمس الطالعة . وأغلب الظن أنه يتحدث عن تناول كأس الخمر فيقول : ما إن أُمْسَكَ بكأس الخمر حتى كرعها فغارت شمسها في بدنه ، ذاهباً في ذلك مذهب أبي نواس القائل (الكامل) :

والشَّمْسُ تَطْلُعُ من جِدار زُجاجها وتَغِيْبُ حين تَغيْبُ في الأبدانِ

ديوان أبي نواس ص ١٩٥ .

٩ ـ كما طابق الشاعر في البيت السابق بين « الطالع » و« الغائر » ، قابل هنا بين « ظاهرها » و«باطنها» وبين « باطناً » و « ظاهرا » . ومراده القول : متى شربنا الخمر ، فَعَلَتْ فعلها في البدن وظهر أثرها في الحال . ولقد سبقه الرمادي إلى طرق هذا الباب فقال (السريع) :

بَدْرٌ بَدَا يَحْمِلُ شَمْساً بَدَتْ فَحَدُّها في الحُسْن من حَدِّهِ
تَغْرُبُ في فِيْهِ ولكنها من بَعْدِ ذا تَطْلُعُ في خَدِّهِ

والبدر هو الساقي ، والشمس هي الخمر . انظر المغرب في حلى المغرب (ج ١ ص ٣٩٣) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٧٤) . وأحسن منه قول الشريف الطليق في وصف ما تحدثه الخمرة من الحُمْرة على الوَجْنة (الرمل) :

أصْبَحَتْ شَمْساً وفُوْهُ مَغْرِباً ويَدُ الساقي المُحَيِّ مَشْرِقَا
فإذا ما غَرَبَتْ في فَمِهِ تَرَكَتْ في الخَدِّ منه شَفَقَا

انظر يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٦١) ، والمغرب في حلى المغرب (ج ١ ص ١٩٢) ونفح الطيب (ج ٣ ص ١٩٧) .

١٠ ـ وثَنّاه ثانٍ : أي إنَّ ساقي الخمر ناول اللاعبَ كأساً ثانية ، والصواب : وثَنّاه ثانياً أو ثانية ، وبذلك ينكسر الوزن . والحِجَى : العقل . أي لخفَّة ألعابه ، جعل العقول حَيْرَى .

١١ - وفي قَيِّمِ ٱلرّاحِ مِنْ سِحْرِهِ خَواطِرُ وَلَّهَتِ ٱلخاطِرا

١٢ - إذا وَرَدَ ٱللَّحْظُ أَثْناءَها فما ٱلوَهْمُ عَنْ وِرْدِها صادِرا

١٣ - ومِنْ بِدْعِ نُعْماكَ إبْداعُهُ فما ٱنفكَّ عارِضُها ماطِرا

١٤ - وسَرْوُكَ يَجْتذِبُ المُغْرِباتِ ويجعلُ غائبَها حاضِرا

---

١١ - في نفح الطيب وبدائع البداثه : « وفي سَوْرة الراح .. دَلَّهَتِ الخاطِرَا » .
والراح : الخمر . والخواطر : جمع خاطر وهو الهاجس . وولَّهت الخاطر : أوقعتْهُ في الوَلَه أي الحَيْرة ، والخاطر هنا بمعنى النَّفْس . والمعنى : إن ذلك اللاعب فعل بسحره ما تفعله الخمر ؛ فكلاهما يولِّه النَّفْسَ فيتركها في حَيْرة من أمرها .

١٢ - الوِرْدُ : ضِدُّ الصَّدَر . وهنا يصف شعاع الخمر فيقول : إنا نظرنا إلى الخمر تعلَّقَتْ بها عيونُنا ولم تَعُدْ تفارِقُها مُعْجَبَةً بتألُّقها ولمعانها .

١٣ - في نفح الطيب وبدائع البداثه : « ومِنْ حُسْن دهرك .. الخ » .
والنُّعْمَى : ما أُنْعِمَ به عليك . وإبداعه : أي إبداع اللاعب . وعارِضُها : أي عارِضُ نُعْماك ، والعارض ؛ السَّحاب يعترض في الأفق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا** ﴾ أي مُمْطِرٌ إيّانا . سورة الأحقاف ٤٦ ، الآية ٢٤ ، وتفسير الجلالين .
يقول : إنكَ دائم العطاء ، ولولا عطاؤك لَمَا أَبْدَعَ ذلك اللاعب المصري .

١٤ - في نفح الطيب وبدائع البداثه : « وسَعْدُكَ يجتلبُ المُغْرِباتِ فيجعل .. الخ » .
والسَّرْو : السَّخاءُ في مُرُوْءَة . والمُغْرِباتُ : جمع المُغْرِبَة وهي العَنْقاء (طائر عظيم يَبْعُد في طيرانه) التي أَغْرَبَتْ في البلاد فَنَأَتْ فلم تُحَسَّ ولم تُرَ . لسان العرب والقاموس المحيط (غرب) . ومراده القول : إنك بجودك ، تصنع المُعْجِزات فتفعل ما لا يستطيع ملوك الأندلس أن يفعلوه .

ومن خلال هذا النص الشعري المرتجل يمكننا أن نذهب إلى القول : إنَّ ٱبن الحداد لم يكن في ٱلارتجال في المستوى الفني المطلوب .

وقال في مدح المعتصم (الطويل) :

- ٢٧ -

١ - فَيَا عَجَباً أنْ ظَلَّ قَلْبِيَ مُؤْمِناً　　بِشَرْعِ غَرَامٍ ظَلَّ بالوَصْلِ كـافِرَا
٢ - أُرَجِّي لِسُلْوانِي نُشُوْراً ، وحُسْنُها　　يَرَى رَأْيَ ذي الإلحادِ أنْ ليس ناشِرَا
٣ - فأنتِ ضميرٌ ليس يُعْرَفُ كُنْهُهُ　　فَلِمْ صَيَّرُوا في ٱلمَعْرِفَاتِ ٱلضَّمائرَا ؟
٤ - وليس على حُكْمِ الزَّمانِ تَحَكُّمٌ　　على حَسَبِ الأفعال يُجْرِي مصادِرَا
٥ - وما زِلْتُ عن ماهِيَّةِ الحُسْنِ أَبْحَثُ　　فلم أُلْفِ مَعْنىً غيرَ حُسْنِكِ سَاحِرَا

تخريج الأبيات :

في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧١٧ - ٧١٨) : **الأبيات** ١ - ٢ ، ٤ ، ٦ - ١٢ .
وفي مسالك الأبصار (ج ١١ الورقتان ٤٠٢ - ٤٠٣) : **الأبيات** ٣ - ٦ ، ٨ ، ١٠ - ١٢ .

١ - مراده القول : إنَّ شريعة الغرام عند محبوبتي لا تُقِرُّ بالوصل ، ورغم ذلك فقد ظَلِلْتُ أؤمن بها .

٢ - النُّشُوْرُ : البعث والحياة من جديد ؛ يقال : نَشَرَ اللهُ المَيْتَ يَنْشُرُه نَشْراً ونُشُوْراً إذا أَحْياه ، ومنه يوم النُّشُوْر ، وفي حديث الدُّعاء : لك المَحْيَا والمَمَات وإليك النُّشُوْر . لسان العرب (نشر) . وقال الله تعالى : ﴿ **وإليه النُّشُوْر** ﴾ . سورة المُلْك ٦٧ ، الآية ١٥ . يقول : أتمنَّى لِسُلْواني نُشُوْراً ، ولكنَّ محبوبتي ملحدةٌ لا تؤمن بالبعث والنُّشُوْر . والظاهر هنا أنه يشير إلى محبوبته النصرانيّة « نويرة » .

٣ - الكُنْهُ : جوهر الشيء وحقيقته . لسان العرب والقاموس المحيط (كنه). يقول: طالما أنتِ ضميرٌ مُبْهَمٌ ، لماذا لم يُدْخِلِ النُّحاةُ الضمائرَ في باب النَّكِرَات ؟

٤ - يقول : لا أَحَدَ منّا يستطيع أن يَخْرُجَ على حُكْم الزَّمان ، فهو يُصْدِرُ أحكامه على البشر حسب أعمالهم. وواضح أن الشاعر في هذا البيت والذي قبله يستعمل اصطلاحات نحوية ليبرز مقدرته في علم النحو .
ورواية العجز في مسالك الأبصار هي :
وعلى حَسَبِ الأزمـانِ يُجْرِي ٱلمَصَـادِرَا

٥ - في صدر البيت نقصٌ مقدار كلمة ، فآرتأيت أن أضيف لفظة « أبحث » ليستقيم المعنى =

٦ ـ ومَعْرِفَةُ الأيّامِ تُجْدِي تَجارُباً ومَنْ فَهِمَ الأشطارَ فَكَّ الدَّوائِرَا
٧ ـ ولولا طِلابُ الدَّهْرِ غايةُ عِلْمِها لما بَسَطُوا منها بسيطاً ووافِرَا
٨ ـ ولولا أبو يَحْيَى آبنُ مَعْنٍ مُحَمَّدٌ لَمَا كانتِ الأيامُ عِنْدي ذخائِرَا
٩ ـ فلا تُنْكِرُوا منِّي بديعاً ، فَمَجْدُهُ نوادِرُ قد أَوْحَتْ إليَّ النَّوادِرَا

= والوزن معا . ومراده القول : إنَّ حُسْنَكِ الباهر هو الذي يصحُّ أن يكون قاعدة للتعريف بالحُسْن .

٦ ـ الأشطار : جمع شَطْر وهو شطر البيت الشعري . والدوائر : جمع دائرة والمراد الدائرة العَرُوْضِيَّة ، وهي خمس دوائر: دائرة المختلف وفيها الطويل والمديد والبسيط ، ودائرة المؤتلف وفيها الوافر والكامل ، ودائرة المشتبه وفيها الهَزَج والرَّجَز والرَّمَل ، ودائرة المجتلب وفيها السريع والمُنْسَرِح والخفيف والمضارِعُ والمُقْتَضَبُ والمجتَثُّ ، ودائرة المتفق وفيها المتقارِبُ والمُحْدَث (المُتَدارَك) . انظر الكافي في العروض والقوافي ص ٤٩ ، ٧١ ، ٩٢ ، ١٢٧ ، ١٣٧ . وفي لسان العرب (دور) جعل في الدائرة الخامسة بحر المتقارب فقط . والدائرة أيضاً هي النائبة من صروف الدهر ، وكأنَّ الشاعر أراد أن يجمع بين دوائر علم العروض ودوائر الدهر أي صروفه . وهنا إشارة إلى تعمّقه في علم العروض .

٧ ـ طِلابُ الدَّهْر : أي مطالبته بحقّ ؛ يقال : طَالَبَهُ مُطالبةً وطِلاباً إذا طلبه بحقٍّ ، والاسم منه : الطَّلَبُ والطِّلْبَة . لسان العرب والقاموس المحيط (طلب) . والمراد قوله : على الدهر أن يعاملنا بالحُسْنى وأن يُبْعِدَ عنَّا دوائره (نوائبه) . ولِمَ لا والعَرُوْضِيُّوْنَ آبتعدوا عن التعقيد فجعلوا لكل دائرة بحورها ؟ وهنا يشير مرة أخرى إلى توسُّعه في علم العروض .

٨ ـ أبو يحيى ابن معن محمد : هو المعتصم . ومراده القول : لولا المعتصم لما مُلِئَتْ راحتي مالاً ، ولما آرتدتْ أيامي ثيابَ الهناء والنعيم .

٩ ـ بديعاً : أي شعراً بديعا . ومجده : أي مجد المعتصم . يقول : لا تُنْكِروا منّي قول غُرَرِ المدائح في المعتصم ؛ فمجده هو الذي أوحى إلى مخيِّلتي أنْ تبدع وتُجِيْد .

١٠ ـ يَحُجُّ ذَرَاهُ آلدَّهْرَ عافٍ وخائفٌ جُمُوْعاً كما وَافى الحجيْجُ المشاعِرَا
١١ ـ فَزُرْ مَكَّةً مَهْمَا آقتَرَفْتَ مآثِماً وزُرْ أُفْقَهُ مَهْمَا شَكَوْتَ مفاقِرَا
١٢ ـ تَهِيْمُ بِمَرْآهُ العصورُ جَلالةً وتَحْسُدُ أُوْلاها عليه الأَوَاخِرَا

---

١٠ ـ ذَرَاهُ : أي ذَرَى المعتصم ، وهو كَنَفُه وظِلُّه . والعافي : طالب الرِّزْقِ ، والجمع العُفاة . والخائف : أي الخائف من العدوّ . والحجيج : الحُجَّاج ، جمع حاجّ . وهنا جعل ذَرَى المعتصم مَحَجَّةً يَقْصِدُها طالبو الرِّزْق والخائفون ويتجمعون فيها كما يتجمَّع الحجيجُ في مناسك الحجّ .
١١ ـ المفاقر : وجوه الفَقْر لا واحد لها ، وجَمْعُ فَقْرٍ على غير قياس . لسان العرب (فقر) . يقول : كما زيارةُ مكّة المكرّمة تخفِّفُ عنك المآثم أو تكاد تمحوها ، فإن زيارتك دار المعتصم تخفِّف عنك الفَقْرَ وتكاد تقضي عليه .
١٢ ـ في مسالك الأبصار : « وتحسدُ أولاه .. الخ » .

وقال في الغزل (البسيط):

- ٢٨ -

١ - والنَّفْسُ فيكَ ثِبَارَ الحُبِّ طالبةٌ ... إنْ كانتِ آلعَيْنُ تَجْني منكَ أنْوَارَا
٢ - أُخْفِي هَواكَ وَأَكْني عنه تَوْرِيَةً ... وهل يُلَامُ عَمِيْدُ القَلْبِ إنْ وَارَى؟
٣ - يا مُشْبِهَ المَلِكِ الجَعْدِيِّ تَسْمِيَةً ... وَمُخْجِلَ القمرِ البَدْرِيِّ أَنْوَارَا

التخريج: مطمح الأنفس ص ٣٣٩: البيت الثالث. ولقد أَضَفْتُ البيتين الأول والثاني من حاشية المطمح رقم ٥. قال محقق الكتاب الأستاذ محمد علي شوابكة: « ورد في م (إحدى النسخ التي آعتمد عليها في التحقيق) قبل هذا البيت بيتان هما». وأوردهما وهما الأول والثاني .

ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٠) :البيت الثالث .

١ - الثِّبار، بكسرالثاء: المواظبة. وتجني العينُ منك أنوارا: أي تنعم برؤية وجهك المشرق.

٢ - العميد: الذي هَدَّه العِشق. وَوَارَاهُ: أَخْفَاهُ، وواريْتُ الشيءَ وورَّيْته: أخْفَيْتُه. لسان العرب (وري). وهكذا لم يكن آبن الحداد يصرّح باسم محبوبته، ذاهباً في ذلك مذهب الشعراء قديما. قال آبن بسام: كان آبن الحداد قد مُنِيَ في صباه بصبّية نصرانيَّة، ذهبتْ بِلُبِّهِ كلَّ مَذْهب، وكان يسمِّيْها « نويرة »، وآسمها على الحقيقة « جميلة»، كما فعله الشعراء الظُّرفاء قديماً في الكناية عمَّن أحبّوه، وتغيير آسم مَنْ عَلِقُوه. الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٣، ٧٠٩).

٣ - الملك الجعديّ هنا بمعنى الملك البخيل، وليس بمعنى الكريم؛ يقال: رجل جَعْدٌ إذا كان بخيلاً لئيماً، أو إذا كان سخيّاً كقول كثيِّر في مدح بعض الخلفاء (الطويل):

إلى الأبيض الجَعْدِ آبن عاتكةَ الذي ... لـه فضـل مُلْكٍ في البـريّـة غـالبُ

لسان العرب (جعد).

وابن الحداد يشبه محبوبته بالملك البخيل؛ فكما هو بخيل لئيم لا يجود على رعيّته، كذلك هي باخلة لا تجود عليه بالرضى. وفي العجز يجعل وجهها أكثر إشراقاً من البدر التّم. وإذا كان هكذا ترتيب البيت في الأصل، يكون الشاعر قد وقع في عيب الإيطاء؛ لأنه قفَّى بلفظة « أنوارا» هنا وفي البيت الأول بمعنى واحد.

وقال في الزيارة (الكامل):

- ٢٩ -

١ - يا زائراً مَلأَ النَّواظِرَ نُوراً   والنَّفْسَ لَهْواً والضُّلُوعَ سُرُورَا
٢ - لو أستطيعُ فَرَشْتُ كلَّ مَسَالِكِي   حَدَقاً وَبِيْضَ سَوالفٍ وَنُحُورَا
٣ - فيك آكتَسَى جَوِّي سَنَاً وَتَلأْلُؤاً   وآرتدَّ تُرْبِي عَنْبَراً وَعَبِيرَا

التخريج: الذخيرة (ق ١ م٢ ص ٧٢٨ - ٧٢٩): الأبيات ١ - ٣.
ونهاية الأرب (ج ٢ ص ٢٥٢): البيتان ١ - ٢. قال النويري: «وقال أبو عبدالله الحداد..» ولم يقل: الوزير أبو عبدالله بن الحداد كما قال آنفاً في الأبيات الدالية رقم ١٩.

١ - في نهاية الأرب: «والفؤادَ» بدل «والضُّلُوعَ».
والنواظر: العيون، ومفردها الناظرة. وقد يريد بالزائر شخصاً عزيزاً عليه، وإذا أراد محبوبته، فتلك ظاهرة غير معروفة من قبل في الشعر العربي؛ لأنَّ المحبوب هو الذي كان يُزار في منزله وليس المُحِبّ. وبذلك يكون الشعر مناقضاً لواقع الحال عند آبن الحداد؛ لأننا عرفناه، في معظم شعره، شاكياً حاضره دون أن تستجيب «نويرة» لطلباته. انظر حاشية رقم ٥ من القصيدة الدالية رقم ١٩.
٢ - الحَدَقُ: جمع حَدَقَة وهي السواد المستدير وسط العين، والمراد العيون، أي لو آستطعْتُ لَفَرَشْتُ المسالكَ عيوناً تترقَّب قدومك. والسَّوالف: جمع سالفة وهي صفحة العنق. والنحور: جمع نَحْر وهو موضع القِلادة من الصَّدْر.
٣ - التُّرب: التُّراب والتُّرْبة، والمراد الأرض. أي بنورك تلألأ سمائي، وأُفْعِمَتْ تربتي بأريج عنبرك.

وقال بعد خروجه من المريّة من قطعة فلسفيّة (الوافر):

- ٣٠ -

١ - لَزِمْتُ قَنَاعَتِي وَقعَدْتُ عَنْهُمْ فلسْتُ أَرَى آلوزيرَ ولا الأميرَا

٢ - وكنتُ سميرَ أَشْعارِي سَفَاهاً فَعُدْتُ لِفَلْسَفِيَّاتِي سميرَا

التخريج: الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٦٩٢)، والمحمدون من الشعراء ص ٩٩، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٢).

١ - مراده أن يقول: إنه آبتعد عن بَلَاط المعتصم وبيت وزرائه، ولم يَعُدْ يثقُ بحكّام المريَّة آلبتَّة.

٢ - رواية عجز البيت في نفح الطيب هي:

فَعُدْتُ بها لفلسفتِي سميرا

وأشعاري: أي مدائحي في المعتصم. والسَّفَاهُ والسَّفَهُ: خِفّة الحِلْم، وقيل: نقيض الحِلْم، وقيل: الجهل. لسان العرب (سفه). وهكذا نفض آبن الحداد يده من ممدوحه المعتصم، فترك المديح جانباً ليغوص في الفلسفة التي كان يشغف بها، والتي كانت مصدر الزُّهد عنده.

راجع تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ص ١٣١.

وقال في الغزل (مجزوء الرمل):

- ٣١ -

١ - أيُّها الواصِلُ هَجْرِي، أنا في هِجْرَانِ صَبْرِي
٢ - لَيْتَ شِعْرِي أيُّ نَفْعٍ لَكَ في إدْمانِ ضَرِّي

التخريج: مطمح الأنفس ص ٣٣٩، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٠) ومختارات من الشعر الأندلسي ص ١٣٦ .

١ - أغلب الظن أنه يخاطب « نويرة »، تلك الفتاة التي تورَّط في حبِّها فقطف من أجلها ثمار اللوعة والشكوى، لذا يستعطفها أن تَرْفُقَ بقلبه الذي هدَّه الهِجْران المتواصل فلم يعد للصَّبْر عنده مكان .

٢ - الضَّرُّ: ضِدُّ النَّفع ؛ قال ابن منظور: « الضَّرُّ والضُّرُّ لغتان: ضد النَّفع، والضَّرُّ المصدر، والضُّرُّ الاسم، وقيل: هما لغتان كالشَّهد والشُّهد، فإذا جَمَعْتَ بين الضَّرِّ والنَّفع فَتَحْتَ الضَّاد، وإذا أَفْرَدْتَ الضُّرَّ ضَمَمْتَ الضاد إذا لم تجعله مصدراً، كقولك: ضَرَرْتُ ضَرًّا؛ هكذا تستعمله العرب. . » لسان العرب ،مادة (ضرر).

والشاعر هنا يتمنَّى أن يعرف مدى جَدْوَى « نويرة » من ضُرِّها الدائم له، مُزَيِّناً شعره بذلك الطباق بين « النَّفع» و« الضَّرّ ».

وقال أيضاً في الغزل (مجزوء الكامل):

-٣٢-

١ - إنَّ المدامعَ والزَّفِيْرْ قد أَعْلَنَا ما في الضَّمِيْرْ
٢ - فَعَلامَ أُخْفِي ظَاهِراً سَقَمِي عليَّ به ظَهِيْرْ؟
٣ - هَبْ لِي آلرِّضَى من سَاخِطٍ قَلْبِي بِساحَتِهِ الأَسِيْرْ

التخريج: مطمح الأنفس ص ٣٣٩، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٠) ومختارات من الشعر الأندلسي ص ١٣٦ .

١ ـ المدامع: المآقي وهي أطراف العين، واحدها مَدْمع وهو مسيل الدَّمع، والمراد هنا الدموع. والزفير: إدخال النَّفَس، والشهيق إخراجه. ومراده أن يقول: إن دموعي وزَفراتي تنشر ما طَوَتْه ضلوعي، وتترجم شكواي خير ترجمة .
٢ ـ السَّقَم: المرض من جرّاء الحب. والاستفهام هنا بمعنى النَّفْي، أي إنني لا أستطيع أن أُخْفي لوعتي وتحرّقي بالوَجْد لأنَّ سقمي شاهد على ذلك .
٣ ـ رغم أنَّ الشاعر يُوفَّق في عجز البيت، حين يجعل محبوبته عدوّاً يأسر قلبه، فإنَّ أبياته هذه تفتقر إلى العاطفة القويّة التي عَرَفْنَاها في بقيّة غزله .

قافية الزاي

وقال يردُّ على منافسيه (الطويل):

- ٣٣ -

١ - عَجِبْتُ لِغَمَّازِيْنَ عِلْمِي بِجَهْلِهِمْ   وَإِنَّ قَنَاتِي لا تَلِيْنُ على الغَمْزِ
٢ - تَجَلَّتْ لهمْ آياتُ فَهْمِي وَمَنْطِقِي   مُبَيِّنَةَ الإعجازِ مُلْزِمَةَ العَجْزِ
٣ - ولاحتْ لهمْ هَمْزِيَّةٌ أَوْحَدِيَّةٌ   وَوَيْلٌ بها وَيْلٌ لذي الهَمْزِ واللَّمْزِ

التخريج: الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧١١). قال آبن بسام: قال آبن الحداد هذه الأبيات ردّاً على مَنْ أَخَذَ عليه أنه، في قصيدته الهمزية رقم ١، هَمَزَ ما لا يُهْمَز.

ونفح الطيب(ج ٣ ص ٥٠٣). قال المقري: «وآعترض عليه بعضُهم بأنه هَمَزَ في هذه القصيدة (الهمزية رقم ١) ما لا يُهْمَز، فقال..»، وأورد الأبيات.

١ - القَنَاةُ: الرُّمح، والجمع قَنًا وقَنَوات. والغَمْزُ: العَصْرُ والكَبْسُ باليد؛ يقال: غمز القناةَ إذا عضَّها وعصرها، قال زياد الأعجم (الوافر):

وكنتُ إذا غَمَزْتُ قَنَاةَ قومٍ   كَسَرْتُ كُعُوْبَهَا أو تَسْتَقِيمَا

انظر لسان العرب ومحيط المحيط، مادة (غمز).

يقول آبنَ الحداد: عَجِبْتُ كيف يطعن هؤلاء الجَهَلَة بعلمي، ألم يعلموا أنَّ قناتي صلبةٌ لا تلين؟

٢ - مراده القول: إنَّ قصيدتي بليغةٌ يعجز هؤلاء الشعراء الجَهَلَة عن فهمها.

٣ - الهَمْزُ: الغضُّ والغِيْبَةُ والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم. واللَّمز: الوقوع في الناس. ومراده القول: إن هؤلاء الشعراء غير قادرين آلبتَّة على صوغ قصائدَ بنفس المستوى الذي بلغته قصيدتي الهمزية، وإنهم إذا جرَّبوا أخفقوا. وهو هنا يتوعّدهم لتصدِّيهم لمن هو أرفع مكانة منهم، مقتبساً قول الله تعالى ﴿ ويلٌ لكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَة﴾ أي ويلٌ لمن يَغْتابُ الناسَ ويَغُضُّهُمْ. سورة الهُمَزَة ١٠٤، الآية ١.

٤ ـ رَمَوْهَا بِنَقْصٍ بَيَّنَتْ فيه نَقْصَهُمْ وَمَنْ لَمَسَ الأَفْعَىٰ شَكَا أَلَمَ النَّكْزِ
٥ ـ وَإِنْ أَنْكَرَتْ أَفهامُهُمْ بعضَ هَمْزِهَا فقد عَرَفَتْ أكبادُهُمْ صِحَّةَ الهَمْـزِ

---

٤ ـ رَمَوْها: أي رَمَوْا القصيدة الهمزيّة. والنَّكْز: اللَّسْع؛ يقال: نَكَزَتِ الحيَّةُ فلاناً إذا لَسَعَتْه بأنفها. والمراد قوله: إذا ما رَمَوْا قصيدتي بنقص، بانَتْ عيوبهم، وإذا ما تعدَّوا عليَّ هلكوا، مشبّهاً نفسه بالأفعى.

٥ ـ في نفح الطيب: «فإن أنكرتْ.. إلخ..» ولعله يريد أن يقول: إنِ آعترضوا عليَّ بأني هَمَزْتُ في تلك القصيدة ما لا يُهْمَزُ فإنهم آرتاحوا لسماعها وأقرّوا بِجُودتها وفَرادَتها في عالم الأدب.

قافية السين

وقال في المعتصم (المتقارب):

- ٣٤ -

١ - إذا ما ٱلتَمَسْتَ الغِنَى بآبنِ مَعْنٍ ظَفِرْتَ وَأَحْمَدْتَ منه آلتماسَا[١]
٢ - وَمَنْ يَرْجُ شَمْسَ العُلَى من نَجِيبٍ فليس يَرَى مَنْ رَجَاهُ شِمَاسَا[٢]

التخريج: قلائد العقيان ص ٤٩ . قال آبن خاقان: أخبرني الوزير أبو خالد آبن بَشْتَغْيَر أنه حضر مجلسَ المعتصم بن صمادح بالصُّمادحيَّة في يومٍ ، وفيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء فقعد على موضع يتداخل الماء فيه ويتلوَّى في نواحيه، والمعتصم منشرحُ النَّفْس مجتمعُ الأُنْس، فقال الوزير أبو خالد(المتقارب):

وَلَمَّا نَزَلْنَا بِجِسْرِ النِّتَاجِ ولم نَعْرِفِ الحَيَّ إلَّا آلتماسَا[٣]
أَضَاءَتْ لنا النارُ وَجْهاً أَغَرَّ وَملتبساً[٤] بالفؤادِ آلتباسَا

فآستطابه المعتصم وآستحسنه وجعله أبدع ما للنابغة[٥] وأحسنه، وأمر آبنَ الحداد بمعارضته فقال على البديهة: « إذا ما التمست. . شماساً » وهما البيتان الواردان أعلاه.

---

١ - مراده القول: إن المعتصم جوادٌ كريمٌ يُعْطِي من آلتمس منه العطاء .

٢ - الشِّماسُ: المعاداة والمعاندة؛ يقال: شامسه مُشامسةً وشِماساً إذا عاداه وعانده . لسان العرب (شمس). والمراد قوله: إن المعتصم نجيبٌ كريم، مَنْ قصده بلغ مراده دون عائق يذكر.

٣ - جسر النِّتاج: اسم مكان، والنِّتاج اسم يَجْمَعُ وَضْعَ جميع البهائم. لسان العرب (نتج). ورواية البيت في الشعر والشعراء (ج ١ ص ٢١٤) هي:

فلَمَّا دَنَوْنَا لِجَرْسِ النُّبُوحِ ولا نُبْصِرُ الحيَّ إلَّا آلتماسَا

والنُّبوح والنُّباح: صوت الكلب وغيره .

٤ - في الشعر والشعراء: « ملتبساً» بدون واو العطف .

٥ - هو النابغة الجَعْدي؛ أبو ليلى قيس بن عبدالله، من جَعْدة بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن =

صَعْصَعَة، كان شاعراً مُفْلِقاً في الجاهلية والإسلام، وقد عَدَّه آبن سلّام من شعراء الطبقة الثالثة. وكان أكبر من النابغة الذبياني، وبقي بعده بقاء طويلا. مات بأصبهان نحو ٥٠ هـ وهو آبن مائة وعشرين سنة، وقيل: ابن مائتي سنة. انظر طبقات الشعراء ص ٥٣، والشعر والشعراء (ج ١ ص ٢٠٨ ـ ٢١٤) وفيه: عبدالله بن قيس، ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٣٢١ والأعلام (ج ٥ ص ٢٠٧).

وقال من قصيدة في المعتصم بن صمادح (المتقارب):

- ٣٥ -

١ - مَضَاؤكَ مَهْمَا رَمَى قَرْطَسَا ولو يَمَّمَ الأَنْجُمَ الخُنَّسَا
٢ - إِذَا رُمْتَ أَمْراً غَدَا مُمْكِناً وَإِنْ كان مُمْتَنِعاً مُؤْيَسَا

التخريج: الخريدة (ج ٢ ص ٢٧٨) طبعة الدار التونسية، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٧ - ١٨٨ .

١ - يقال: مَضَى السَّيْفُ مَضاءً إذا قَطَع. لسان العرب وأساس البلاغة، مادة (مضي). ورَمَى فَقَرْطَسَ: أي أَصابَ القِرْطَاسَ وهو الغَرَض. لسان العرب ومختار الصحاح(قرطس). والأَنْجُمُ الخُنَّسُ: هي زُحَلٌ والمُشْتَري والمِرِّيْخُ والزُّهرَةُ وعُطَارِدُ، سمِّيَتْ خُنَّسا لأنّها تَخْنِسُ في مَجْراها حتى تخفى تحت ضوء الشمس، أو لتأخّرها، ويقال: هي الكواكب السيّارة غير الثابتة. لسان العرب والقاموس المحيط (خنس). والمراد قوله : إنَّ المعتصم يُصِيْبُ هدفه أينما كان ودون عناء يذكر .

٢ - مُؤْيَساً: لا رجاء منه. ومراده القول: إنَّ المعتصم يفعل ما يعجز عنه ملوك الأندلس .

وقال مفضِّلاً الكِتَابَ على الأصدقاء (الخفيف):

- ٣٦ -

١ - ذَهَبَ الناسُ فآنفرادِي أَنِيْسِي   وكِتَابِي مُحَدِّثِي وَجَلِيْسِي
٢ - صاحِبٌ قد أَمِنْتُ مِنْهُ مَلالاً   وآختلالاً وَكلَّ خُلْقٍ بَئِيْسِ

التخريج: التكملة (ج ١ ص ٣٩٩) .قال آبن الأبّار: « وقرأتُ بخط آبن الدبّاغ، قال: أخبرني الشيخ أبو عبدالله بن محمد بن أحمد بن سليمان التُّجِيبي، قال: قرأت على أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان القيسي المعروف بآبن الحداد من أهل المريّة قصيدته التي سمّاها حديقة الحقيقة وأولها »، وأورد الأبيات.

ونفح الطيب (ج ٤ ص ١١٥) . قال المقري: « وقال آبن الحداد أول قصيدته حديقة الحقيقة » وأورد الأبيات.

١ - يقول: إنه لم يَعُدْ يَثِقُ بأحدٍ ،فآبتعد عن الناس، وصَحِبَ الكِتَابَ متَّخِذاً منه محدِّثاً ممتعاً وجليساً مأمون الجانب.

٢ - الملاَلُ: السآمة والضجر. والاختلال: الفساد؛ يقال: اختلَّ الأمرُ إذا وقع فيه الخلل أي الفساد، وأمرٌ مُخْتَلٌّ: واه. والخُلْقُ: بسكون اللام وضمِّها: السجيَّة والطَّبع. وهكذا جرَّب الكتابَ فوجده خير صديق، لا يَمَلُّ منه آلبتَّة. وهنا يذهب مذهب المتنبي حيث يقول (الطويل):

أَعَزُّ مكانٍ في الدُّنى سَرْجُ سَابحٍ   وَخَيْرُ جَلِيْسٍ في الزَّمان كِتَابُ

الدُّنى: جمع دُنْيا. والسابح: الفرس السريع الجَرْي. يقول: إنَّ سَرْجَ الفرس هو أعزُّ مكان لأنه يُمْتَطَى لطلب المعالي، أو لمحاربة الأعداء لدفع شرّهم، أو للهرب من الضَّيم وآحتمال الذلّ، وإنَّ الكتاب خير جليس لا يعرف الأذى ولا الشر، فضلاً عن أنه يُفادُ من آدابه وكل ما يحتويه. العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ص ٥١٧ . وقد سبقهما إلى هذا المعنى أحد الشعراء فقال (الكامل):

نِعْمَ الأَنِيسُ، إذا خَلَوْتَ، كِتَابٌ   تَلْهُو بِهِ إنْ خَانَكَ الأحبابُ
لا مُفْشِيَاً سِرًّا إذا آستَوْدَعْتَهُ   وتُفَادُ مِنْهُ حِكْمَةٌ وصوابُ

انظر العقد الفريد (ج ٢ ص ٢١٠).

٣ ـ ليس في نَـوْعِهِ بِحَيٍّ، ولكنْ يَلْتَقِي ٱلحَـيُّ منـه بـالـمَرْمُوْسِ

---

٣ ـ المَرْمُوْسُ: المَيِّت؛ يقال: رَمَسَه يَرْمُسُهُ إذا دَفَنَهُ وسوَّى عليه الأرض. لسان العرب (رمس). وقد علَّق الدكتور إحسان عباس على هذه الأبيات فقال: يبدو أنه عرض فيها لفلسفته الزهدية. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين ص ١٣٢ .

قافية الضاد

وله في الغزل من قصيدة أغلبُ الظنِّ أنها تدخل في باب الحماسة والمديح (الكامل):

- ٣٧ -

١ ـ هُمْ في ضميرِكَ خَيَّمُوا أم قَوَّضُــوا   ومِنَى جُفُوْنِكَ أَقْبَلُوا أم أَعْرَضُوا

٢ ـ وهُمُ رِضاكَ من الزَّمانِ وأَهْلِهِ   سَخِطُوا ، كما زَعَمَتْ وُشَاتُكَ ، أم رَضُوا

تخريج الأبيات: في الخريدة (ج ٢ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥) طبعة الدار التونسية، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٢ : الأبيات كلها.

وفي عقود الجمان (ج ٣ الورقة ٢٦٢)، وفوات الوفيات (ج ٣ ص ٢٨٤)، والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٧) ودائرة المعارف (ج ٢ ص ٤٣٩): الأبيات ١ ـ ٣ .

وفي الأفضليات (ج ١ الورقة ٤٦): البيتان ٣، ٥ .

وفي مسالك الأبصار(ج ١١ الورقة ٤٠٤): البيت السادس .

١ ـ الضمير : داخل الخاطر ، والشيء الذي تُضْمره في قلبك ، والمراد هنا القلب . وخَيَّموا : نصبوا خِياما . وقَوَّضُوا : نزعوا الأعواد والأطناب . ومِني : موضع بمكة . والجفون: مجاز مرسل، والمراد العيون. يقول: ستظَلُّ محبوبتي تسكنُ قلبي سواءٌ خيَّمتْ أو قوَّضتْ، وستبقى عيوني تلاحقها سواء آقتربتْ مني أو آبتعدتْ، جاعلًا منها محجّة يقصدها المُحِبُّون كما يقصد الحجيجُ مكةَ في مناسك الحج . ولتزيين شعره طابق بين « خَيَّموا» و « قَوَّضوا » وبين « أقبلوا » و « أعرضوا » . ورواية البيت في الخريدة هي :

هُمْ في فؤادِكَ خَيَّمُــوا أو قَــوَّضُــوا   ومُنَى جفــونــك أقْبلوا أو أَعْــرضــوا

٢ ـ الوشاة : جمع الواشي ، وقد جعله آبن حزم من آفات الحبّ . انظر طوق الحمامة ص ١٤٦ ـ ١٥٦ ، ففيه حديث مستفيض عن الوشاة . ومراد آبن الحداد القول : سأبقى راضياً عليها ، سواءٌ سَخِطَتْ أو لم تَسْخَط ، مطابقاً بين « سَخِطُوا » و « رَضُوا » .

٣ ـ أَهْـوَاهُـمْ وإنِ آستمرَّ قِـلاَهُمْ | ومِنَ العجائبِ أنْ يُحِبَّ المُبْغَضُ
٤ ـ تَنْهَى آلنُّهى عَنْهُمْ ويأْمُرُنِي آلهَوَى | والنَّفْسُ تُعْـرِضُ والمُنَى تَتَعـرَّضُ
٥ ـ وفُوَيْقَ ذاكَ الماءِ من شُهُب القَنَا | حَبَبٌ ومِنْ خُضْرِ الصَّوَارم عَرْمَضُ
٦ ـ والنـاسُ أَغْرِبَـةٌ إذا قَـايَسْتَهُمْ | وأخـو المُصَافـاةِ آلغـرابُ آلأَبْيَضُ

---

٣ ـ القِلَى : البُغْض . والمُبْغَضُ هنا هو الشاعر نفسه . يقول : حتى وإنْ ظَلَّتْ تُبْغضُني ، وهذا هو واقع الحال ، فإنني سأبقى أهواها ما حَيِيْت . ويصح أن نقول : المُبْغِضُ ، بكسر الغين المعجمة .

٤ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « ينهى النُّهَى . . الخ » . والنُّهَى : العقول ، واحدتها نُهْية . يقول : يَنْهاني عقلي ويأمرني الهوى ، وتُعْرِضُ نفسي عنها ومشاعري تشدّني إليها . وهكذا يُظْهِرُ الشاعرُ ضُعْفَه أمام سلطان الهوى ، فَتَرْجَحُ عنده كَفَّةُ ميزان العاطفة على كفَّة ميزان العقل .

٥ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية وطبعة دار نهضة مصر : « جُثَثٌ » بدل « حَبَبٌ » . وفي الخريدة طبعة الدار التونسية : « ومن حصر » بدل « ومن خضر » . والقَنَا : الرِّماح ، مفردها قَنَاة . والصَّوارم : السُّيُوف القاطعة ، مفردها صارم . والصوارم الخضر : أي التي يعلوها سواد الحديد . والعَرْمَضُ : الطُّحْلُب . وأغلب الظن أنّه يصف رماح وسيوف جُنْد المعتصم وهم يقاتلون العدوّ قرب نهر أو في مكان يكثر فيه الماء ، فيشبِّه رؤوس الأعداء ، وقد تجمعت فوق صفحة الماء ، بالحبَبَ ، ويشبّه أشلاءهم بالطُّحْلب الذي يكون كأنه نَسْجُ العنكبوت .

٦ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية « الناس » بدون واو العطف . قال الأصفهاني : « ومنها بيتٌ أنْشَدَنيْهِ القاضي الفاضل » ، وأورد البيت . وفي مسالك الأبصار : « فإنْ فَتَّشْتَهُمْ فأخوا . . الخ » ويبدو أن الناسخ كان ضعيفاً في اللغة بحيث وضع ألفاً لكلمة « أخو » . والأغربة : جمع غراب وهو طائر أسود من أخبث الطيور ، يُضْرَبُ به المثلُ في الشؤم ، فيقال : « أَشْأَمُ من غراب » ، و « أَفْسَقُ من غراب » ، و « أَشْأَمُ من غراب البَيْن » . مجمع الأمثال (ج ١ ص ٣٨٣) ولسان العرب (غرب) . والغراب الأبيض يُضرب به المثل في الندرة لأنه لا يكاد يوجد .
وهنا يُقِرُّ آبن الحداد بأنْ ليس له أصدقاء يؤتمنون .

قافية الطاء

وقال من قصيدة يمدح بها المعتصم بن صمادح (الكامل) :

- ٣٨ -

١ - أَقْبَلْنَ في الحِبَرَاتِ يَقْصِرْنَ ٱلخُطَى ... ويُرِيْنَ في حُلَلِ الوَرَاشِيْنِ ٱلقَطَا
٢ - سِرْبُ الجَوَى لا الجَوِّ ، عُوِّدَ حُسْنُهُ ... أنْ يَرْتَعِي حَبَّ القلوبِ ويَلْقُطَا
٣ - مالَتْ مَعَاطِفُهُنَّ مِنْ سُكْرِ الصِّبا ... مَيْلاً يُخِيْفُ قُدُوْدَها أنْ تَسْقُطَا

تخريج الأبيات :

في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧١١ - ٧١٢) : الأبيات كلُّها .

وفي الإحاطة تحقيق عنان (ج ٢ ص ٣٣٧) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٦ - ٢٧) : الأبيات ١ - ٨ .

ولم ترد هذه الأبيات في الإحاطة التي لا تحمل آسم المحقِّق .

وفي صور من الأدب الأندلسي ص ١١٤ : البيتان ٦ - ٧ .

١ - الحِبَرَاتُ : جمع حِبَرَة وهي ضرب من بُرُوْدِ اليمن مُنَمَّر . لسان العرب (حبر) . والوَرَاشِيْنُ : طيور تشبه الحمام ، واحدها وَرَشَان . لسان العرب (ورش) . والقَطا : طائر معروف ، سمِّي بذلك لثقل مَشْيه ، واحدته قَطاة . لسان العرب (قطا). يقول : إنَّ هذه الفتيات ، ومن بينهنَّ محبوبتي ، يَتَبَخْتَرْنَ في ثيابهنَّ المزركشة ، فَيُشْبِهْنَ في مَشْيهنَّ الثقيل القطا .

٢ - الجَوَى : الحُرْقة وشدَّة الوَجْد من عشق . وسِرْبُ الجَوَى لا الجوِّ : أي ليس مجالها الجوُّ بل الجَوَى . ويَرْتعي : يَرْعَى . يقول : اعتادت تلك الفتيات ، ومن بينهنَّ محبوبتي الحسناء ، أن تحرق سُوَيْداء القلب . وهنا يشبِّهها بالقطا التي بدل أن ترتعي الحَبَّ آرتعت حَبَّ القلوب .

٣ - المعاطف : جمع مِعْطف وهو الرِّداء ، والمراد أجسادهنّ . والصِّبا : الشوق . والقدود : جمع قَدّ وهو القامة . وهنا جعل الصِّبا خمراً سَكِرَتْ بها . والبيت من أحسن ما قيل في شعر الغزل .

٤ ـ وبِمَسْقَطِ العَلَمَيْنِ أَوْضَحُ مَعْلَمٍ	لِمُهَفْهَفٍ سَكَنَ الحَشَا والمَسْقِطَا

٥ ـ ما أَخْجَلَ البَدْرَ المُنِيْرَ إذا مَشَى	يَخْتالُ ، والخُوْطَ النَّضِيْرَ إذا خَطَا !

٦ ـ يا وافِدَيْ شَرْقِ البلادِ وغَرْبِها،	أَكْرِمْتُما خَيْلَ الوِفادَةِ فآرْبِطَا

٧ ـ وَرَأَيْتُما مَلِكَ البَرِيَّةِ فآهْنَآ	وَوَرَدْتُما أرضَ المرِيَّةِ فآحطِطا

٨ ـ يُدْمِي نُحُوْرَ الدَّارِعِيْنَ إذا آرتأى	ويُذِلُّ عِزَّ العالَمِيْنَ إذا سَطَا

---

٤ ـ مَسْقَطُ العلمين : لعله مكان كان آبن الحداد يلتقي فيه بمحبوبته . والمَعْلَمُ : الأثر يُسْتَدَلُّ به على الطريق ، وجمعه معالم . والمُهَفْهَفُ : الضامر البطن . والحَشَا : ما آنضمَّت عليه الضلوع كالقلب . يقول : إن ذلك المكان أوضح مَعْلَمٍ للقاء محبوبتي التي مسكنها قلبي ، إضافة إلى مَسْقِطِ رأسها حيث ولدت .

٥ ـ في نفح الطيب : « والغصن النضير . . الخ » . والخُوْط : الغصن الناعم . يقول : إنَّ وجهها المشرق أَخْجَلَ البدرَ المنيرَ ، وإنَّ خَصْرَها النحيفَ أَخْجَلَ الغصنَ النضير . وبمعنى آخر ، فإنها أكثرُ إشراقاً من البدر ، وأكثر نعومةً من الغصن الرطيب .

٦ ـ في الذخيرة : « ومنها » ، وأورد الأبيات . وفي الإحاطة ونفح الطيب : « ومنها في المدح » ، وأوردا الأبيات . وفي صور من الأدب الأندلسي : « أُكْرِمْتُما خَيْرَ الوِفادة فآربطا » . وآرْبِطا : أي آربطا الخيل. وهنا يخاطب المفرد بلغة آلاثنين على طريقة الجاهليين .

٧ ـ في الذخيرة : « قاطباً » بدل « فآهنآ » . وفي نفح الطيب : « فآخططا » بالخاء المعجمة . وفي صور من الأدب الأندلسي : « خير البريّة . . الخ » . وملك البريّة : هو المعتصم بن صمادح . فآحططا : أي أَحْططا الحِمْلَ وأنزلاه لأنَّ المعتصم خير ملوك الأندلس وأكرمهم وأكثرهم عطاء ، وهنا جعل همزة القطع همزة وصل لأنَّ أصل القول هو : « فأحططا » ، وبذلك ينكسر الوزن .

٨ ـ في الذخيرة : « يرمي نحور . . الخ » . والدّارعون : جمع الدارع وهو الرجل الذي عليه دِرْع . وإذا سطا : أي إذا صال على الأعداء .

٩ ـ فَـإِلَيْكَهَـا تُنْبِيْـكَ أنِّي رَبُّهـا   نَسَبُ القَـطَا مُتَبَيِّنٌ مَهْمَـا قَـطَا

---

٩ ـ إليكها : أي إليك قصيدتي هذه . ونَسَبُ القَطَا مُتَبَيِّنٌ : أي إنَّ الصِّدْق يُنْسَبُ إلى القَطَا .
وقَطَتِ القَطاةُ : ثقل مَشْيُها وصوَّتَتْ فقالت : قَطا قَطا . ومراده القول : فكما يُنْسَبُ الصِّدْقُ إلى القَطَا فإنه ينسب إلى قصيدتي التي تُنْبيك أني شيخ شعراء الأندلس وأستاذ النظم دون منازع . وهنا يذهب مذهب المعرّي حيث يقول (الكامل) :

عُـرِفَتْ جُـدُوْدُكَ ، إذ نَـطَقْتَ، وطـالمـا   لَـغَطَ الـقَـطَا فـأَبَـانَ عـن أنـسـابِـهِ

سقْط الزَّنْد ص ١٢٦ .

وقال النابغة الذبياني قبلهما (البسيط) :

تـدعـو القـطا وبهـا تُـدْعَى إذا نُسِبَتْ   يـا حُسْنَهـا حين تَـدْعُـوْهـا فَتَنْتَسِبُ

ديوان النابغة الذبياني ص ١٩٩ ، والشعر والشعراء ص ٩٧ .

قافية العين

وله في باب النسيب (الطويل) :

- ٣٩ -

١ - تُطَالِبُنِي نَفْسِي بما فيه صَوْنُها فَأَعْصِي ، ويَسْطُو شَوْقُها فأُطِيْعُها
٢ - ووالله ما يَخْفَى عليَّ ضَلالُها ولكنهـا تَهْـوَى فـلا أَسْتَـطِيْعُهـا

التخريج : مطمح الأنفس ص ٣٣٩ ، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٠) ومختارات من الشعر الأندلسي ص ١٣٦ .

١ - مراده أن يقول : ليس بمقدوري أن أحكِّم عقلي فيما أُكابده من الشوق . وهنا يوفَّق في طباقه بين « أعصي » و « أطيع » .

٢ - في نفح الطيب : « تهوِي » بدل « تَهْوَى » . وفي مختارات من الشعر الأندلسي : « تأْبَى » بدل « تَهْوَى » .

وله أيضاً في باب النسيب (السريع) :

- ٤٠ -

١ - أَسْتَوْدِعُ الرحمنَ مُسْتَوْدَعِي شَوْقاً كَمِثْلِ النَّارِ في أَضْلُعِي
٢ - أَتْرُكُ مَنْ أَهْوَى وأَمْضِي كَذَا ؟ واللهِ ما أَمْضِي وقَلْبِي مَعِي
٣ - ولا نَأَى شَخْصُكَ عن ناظِرِي حِيْناً ولا نُطْقُكَ عن مَسْمَعِي

التخريج : مطمح الأنفس ص ٣٤٠ .

قافية القاف

وقال في الباب نفسه (الطويل) :

ـ ٤١ ـ

١ ـ بِخَافِقَةِ القُرْطَيْنِ قَلْبُكَ خـافِقٌ وعن خَرَسِ القُلْبَيْنِ دَمْعُكَ ناطِقُ

٢ ـ وفي مَشْرِقِ الصُّدْغَيْنِ لِلبَدْرِ مَغْرِبٌ ولِلْفِكْـرِ حَـالاَتٌ وللعَيْنِ شـارِقُ

٣ ـ وبين حَصَى الياقوتِ ماءُ وَسَامَةٍ مُحَلَّأَةٌ عَنْهُ الـظِّبـاءُ السَّـوابِقُ

التخريج :

في مطمح الأنفس ص ٣٤١ : الأبيات كلها .

وفي نفح الطيب (ج ٤ ص ٥٠ ـ ٥١) ومختارات من الشعر الأندلسي ص ١٣٦ ـ ١٣٧ : الأبيات ١ ـ ٤ .

١ ـ القُرْط : الذي يُعَلَّقُ في شَحْمَةِ الأُذُن ، والجمع قِرَطَة وقِرَاط . والقُلْبُ : سِوار المرأة . يقول : كلَّما خَفَقَ قُرْطاها خفق قلبي وآضطرب ، وكلما عجز قُلْباها عن النُّطْق نطقتْ عينايَ فأسالتْ من مآقيها الدموع .

٢ ـ في مختارات من الشعر الأندلسي : « للصدر مغرب وللفكر إظلام . . » . والصُّدْغ : ما بين العين والأذن ، والشعر المتدلِّي عليه . وهنا يشبِّه وجهها المشرق بالبدر ، ويشبِّه شعرها الأسود بالليل ، مطابقاً في الوقت نفسه بين المشرق والمغرب .

٣ ـ في مطمح الأنفس : « مُحَلَّاة » بدون همزة ، وبذلك ينكسر الوزن . والوَسَامة : الحُسْن ؛ يقال : وَسُمَ الرجلُ وَسَامَةً فهو وسيم . لسان العرب (وسم) . والمراد هنا : الوَسْمِيّ الذي هو مطر الربيع الأول ، الذي يَسِمُ الأرضَ بالنبات . وحَلأَ الإبلَ والماشيةَ عن الماء : طردها أو حبسها عن الورود ومنعها أن تَرِدَه . والظِّباءُ السَّوابِقُ : اللواتي يُسْرِعْنَ نحو ذلك الماء . ومراده أن يقول : إنَّ ثغرها عَذْبٌ زلالٌ ، ولكن هيهات أنْ يُرْتَشَف . وهنا يشبِّه أسنانهـا بحصى الياقوت ، ويشبِّه رضابها بالماء العذب الذي يندر وجوده .

٤ ـ وحَشْوُ قِباب الرَّقْم أَحْوَى مُقَرْطَقٌ كما آسُ رَوْضٍ عِطْفُهُ والقَرَاطِقُ
٥ ـ غزالٌ رَبِيْبٌ في المَقَاصِرِ كانِسٌ وخُوْطٌ رَطِيْبٌ بالغرائرِ وارِقُ

---

٤ ـ القباب: جمع قُبَّة وهي بناء سقفه مستدير على هيئة الخيمة. والرَّقْمُ : ضربٌ من البُرُوْد . والأحْوَى : مَنْ به حُوَّةٌ وهي سواد إلى الخضرة ، وقيل : حُمْرَةٌ إلى السَّواد . قال ذو الرُّمَّة (البسيط) :

لَمْيَاءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ، وفي اللِّثاثِ وفي أَنْيابِها شَنَبُ

انظر لسان العرب(حوا). ومقرطقٌ: لابسٌ القُرْطَقَ وهو قَبَاءٌ ذو طاقٍ واحد، مُعَرَّب كُرْتَه بالفارسية . والقراطق : جمع قُرْطَق . وعِطْفُ كلِّ شيء : جانبه . والآس : شجرورقه دائم الخضرة وثماره صغيرة ولذيذة وهي بيضاء وسوداء . وهنا يشبّه تلك الحسناءَ ، وفي شفتيها حُوَّةٌ وعلى جسدها الناعم قُرْطَقٌ شفّاف ، بروض يلتفّ حوله الآس ، وذلك بجامع السواد والخضرة . وهو تشبيه تمثيل .

٥ ـ في مطمح الأنفس ونفح الطيب : « لبيبٌ » بدل « رطيب » . والمقاصر : جمع مقصورة وهي الدار الواسعة المحصَّنة أو هي أصغر من الدار لا يدخلها إلَّا صاحبها . والغزال الكانس : الذي يدخل في كِناسِه وهو موضعه في الشجر يَكْتَنُّ فيه ويستتر . والخُوْط : الغصن الناعم . والغرائر : جمع الغريرة وهي في الأصل الشابّة التي لا تجربة لها ، والمراد هنا النبتة التي عودها طريّ . يقول : إنها ما تزال في ريعان الشّباب ، فيشبِّها ، وهي مقصورة في البيت ، بالغزال القابع في كناسه ، أو بخوط رطيب شرع ورقه يزهر ، وقد يكون شبَّه قدَّها النحيف بالخوط الرطيب .

وله في مُعَمًّى[1] حَسَن (الكامل) :

- ٤٢ -

١ - مَنْ لِي بأنْ أشْكُو إليكَ مَدَامعاً ... تَهْمِي عليكَ وأَضْلُعاً بكَ تَحْتَرِقْ ؟
٢ - فَتَرِقَّ لِي يا مَنْ غَدَا قَلْبُ آسمِهِ ... مُتَصَحِّفاً ما ضِدُّهُ ماضِي يَـرِقْ[2]

التخريج : الخريدة (ج ٢ ص ٢٨٩) طبعة الدار التونسية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ٢٠٩ .

١ - المُعَمَّى من الشِّعْر هو ما عُمِّيَ معناه أي شُبِّه فَتَعَمَّى وتَعْمَهُ فيه الأبصارُ والبصائر . وبمعنى آخر ، هو تضمين آسم الحبيب أو شيءٍ آخر في بيت شعر إما بتصحيفٍ كما هو في قول آبن الحداد (والتصحيف هو أن يُقْرَأَ الشيءُ على خلاف ما أراد كاتبُهُ أو على غير ما آصطلحوا عليه) ، أو قَلْبٍ (أي قلب الأحرف) كقول الوطواط في البرق (الطويل) :
خُـذِ القُـرْبَ ثم آقلِبْ جميـعَ حـروفِـهِ ... فذاكَ آسمُ مَنْ أقْصَى مُنَى القَلْبِ قُرْبُهُ
أي إذا قَلَبْنا حروفَ كلمة « القرب » لأصبحت « البرق » . انظر محيط المحيط (عمى) .

٢ - يقول في هذا البيت والذي قبله :
لعلَّك تَرِقُّ لي إذا ما رأيتني شاكياً مدامعي وآحتراقَ أضلعي . وفي الخريدة طبعة الدار التونسية : « تَرِقّ » بدل « يَرِقّ » . ولقد علَّق الأصفهاني على هذا البيت فقال : « ماضي يَرِقُّ : رَقَّ ؛ وضِدُّ رَقَّ : خَشُنَ ، ومُصَحَّفُهُ حَسَن » .

١

وله في مَهْدٍ (السريع) :

- ٤٣ -

١ - مَهْدُ جديرٌ أنْ يُسَمَّى أُفُقْ فإنَّ فيها كَوْكَباً يأتلقْ
٢ - كأنه إنسانُ عَيْنٍ به شاخصةُ الأبصارِ لا تنطبقْ

التخريج: الخريدة (ج ٢ ص ٢٨٩) طبعة الدار التونسية، وطبعة دار نهضة مصر ص ٢٠٩ .

١ - المَهْدُ : مَهْدُ الصبيّ وهو موضعه الذي يُهَيَّأُ له ويُوطَّأُ لينامَ فيه ، والجمع مُهُوْد ، وفي التنزيل : ﴿ مَنْ كان في المَهْدِ صَبِيّا ﴾ . لسان العرب (مهد) وسورة مريم ١٩ ، الآية ٢٩ . والأُفُقُ : ما ظهر من نواحي الفلك ، ويجوز أن يكون الأفق واحداً وجمعا . لسان العرب (أفق) . وقوله : « فإنَّ فيها كوكباً يأتلق » : أي بنوره أضاءت الأفق ، فأنَّث الأفق ذهاباً إلى الناحية . وهنا يشبِّه الصبيَّ ، وهو في مهده ، بكوكب منير يأتلق في الأفق .

٢ - إنسان العين : المِثال الذي يُرَى في سواد العين . وشَخَصَ بَصَرُ فلانٍ فهو شاخصٌ : فَتَحَ عَيْنَيْه وجعل لا يَطْرِف .

قافية الكاف

وله في نويرة (مجزوء الوافر):

- ٤٤ -

١ - عَسَاكِ بِحَقِّ عِيْسَاكِ مُرِيْحَةَ قَلبيَ الشاكِي
٢ - فإنَّ الحُسْنَ قد وَلَّا كِ إحيائي وإهلاكي
٣ - وَأَوْلَعَنِي بِصُلْبَانٍ وَرُهْبَانٍ وَنُسَّاكِ
٤ - ولم آتِ الكنائِسَ عَنْ هَوَىً فيهنَّ لولاكِ
٥ - وها أنا مِنْكِ في بَلْوَى ولا فَرَجٌ لِبَلْوَاكِ
٦ - ولا أَسْطِيْعُ سُلْوَاناً فقد أَوْثَقْتِ أَشْراكي
٧ - فكم أَبْكِي عليك دَماً ولا تَرْثِيْنَ للباكي!

التخريج: الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ١٠٧ - ٧٠٨).

١ - يخاطب محبوبته نويرة فيقول: بحقِّ نبيِّك عيسى عليه السلام، أريحي قلبي مما يقاسيه من حرارة الوَجْد. وهنا يتلاعب بالألفاظ فيجانس بين «عَسَاك» و «عِيْساك».
٢ - يقول: إنَّ حُسْنكِ قد وَهَبَكِ آلولاية والسلطة؛ فأنتِ مَنْ يُحْيِيني، وأنت مَنْ يُهْلكني.
٣ - يقول: إنَّ حُسْنك هو الذي أولعني بالصليب وبِعَبَدَتِهِ من رُهْبان ونُسّاك.
٤ - أي لولاك لما دَخَلْتُ الكنائسَ لأُقيم فيها شعائرَ الدين النَّصْراني. وفي هذا البيت والأبيات السابقة يتلاعب آبن الحداد بالمعاني المستمدَّة من الجوِّ المسيحي، فيذكر عيسى المسيح، وصُلْبَانَ النَّصارى، والرُّهْبانَ، والنُّسّاك، والكنائس.
٥ - البَلْوَى: المصيبة التي ألمّت به من جَرّاء الحب، والجمع بلايا. يقول: لا أمل لي بالتخلُّص من هذه المصيبة؛ لأنك دائماً تعاملينني بالقساوة والهجر.
٦ - أسطيع: مضارع اسطاع، فحذت التاء آستثقالاً لها مع الطاء، بمعنى أستطيع. وقوله: أَوْثَقْتِ أَشْراكي: أي شَدَدْتِهَا بالوثاق وهو القيد أو الحبل، والأشراك: جمع شَرَك وهو حبائل الصيد، والمراد هنا حبائل الحب.
٧ - يستوقفنا هذا البيت الشعري فنقول: إن حُبَّه الجادَّ والصادق هو الذي دفع به للتعبير عن

٨ ـ فهل تَدْرِيْنَ ما تَقْضِي على عَيْنَيَّ عَيْنَاكِ؟
٩ ـ وما يُذْكِيْهِ من نارٍ بقلبي نُوْرُكِ الذَّاكي؟
١٠ ـ حَجَبْتِ سَنَاكِ عن بصري وفوقَ الشَّمْسِ سِيْمَاكِ
١١ ـ وفي الغُصْنِ الرَّطِيْبِ وفي النـ ـنَقَا المُرْتَجِّ عِطْفَاكِ
١٢ ـ وعند الرَّوْضِ خَدَّاكِ ومن رَيَّاهُ رَيَّاكِ
١٣ ـ نُوَيْرَةُ، إنْ قَلَيْتِ فإنـ ـنَنِي أَهْوَاكِ أهواكِ
١٤ ـ وعَيْنَاكِ المُنَبِّئَتَا كِ أنِّي بعضُ قَتْلاكِ

= عاطفته، فتميَّز هذا البيت وسائر القصيدة بحرارة الوَجْد ولوعة الحب والمكابدة الدائمة.

٨ ـ أي هل تدرين ما تفعله عَيْنَاكِ بي؟ وكأني به يريد أن يقول: إنَّ عَيْنَيْهَا سَيْفٌ مُسَلَّطٌ عليه يريد قتله.

٩ ـ أَذْكَى النارَ: أوقدها. ونورك الذَّاكي: أي السَّاطع.

١٠ ـ السَّنا: النُّورْ. والسِّيما والسِّيماء: العلامة والهيئة؛ قال الله تعالى: ﴿ سِيْمَاهُمْ في وُجُوْهِهِمْ من أَثَرِ السُّجُود ﴾ أي علامتهم في وجوههم، وهي نور وبياض يُعْرَفُونَ به بالآخرة أنهم سجدوا في الدنيا. سورة الفتح ٤٨، الآية ٢٩، وتفسير الجلالين، ولسان العرب (سوم). يقول: كيف تحجبين نورك عني ووجهك أكثر إشراقاً من نور الشمس؟

١١ ـ النِّقَا: الكثيب من الرمل، أي القطعة من الرمل تنقاد مُحْدَوْدَبَةً، والتثنية نَقَوان ونَقَيان، والجمع أَنْقَاءٌ ونُقِيّ. وعِطْفاك: جانباك. وهنا يشبِّه قدَّها بالغُصْن، وقَفَاهَا بالنِّقَا.

١٢ ـ الرَّيَّا: الرِّيْحُ الطَّيِّبة. وهنا يبالغ في وصفه لمحبوبته؛ فبدل أن يشبِّه خَدَّيْهَا المُوَرَّدَيْن بورد الرَّوْض، قلب التشبيه، وبدل أن يجعل محبوبته تستعير رَيّاها من نَوْر الروض، عكس الأمر.

١٣ ـ إنْ قَلَيْتِ: أي إنْ كَرِهْتِنِي؛ يقال: قَلَيْتُه قِلىً إذا أَبْغَضْتُه وكَرِهْتُه غايةَ الكراهة فتركْتُه. لسان العرب (قلا).

١٤ ـ يشير هنا إلى ما كانت عيناها تفعلان به. =

قافية اللام

وقال يهجو السُّمَيْسِرَ [1] (البسيط):

- ٤٥ -

١ - يا أَهْلَ غَرْنَاطَةٍ، نِيْكُوا سُمَيْسِرَكُمْ ففي رُمَيْلِيِّنَا عنه لنا شُغُلُ [2]

التخريج: الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٩٠٤). قال آبن بسام: « ومما هجي به السميسر قول آبن الحداد، ويدخل في باب آلاستطراد»، وأورد البيت خلال ترجمته للسميسر.

١ - تقدم الحديث عنه في مقدمة الديوان ص ٨٦ .

٢ - القصود بِرُمَيْلِيِّنا المريّة ذات الشاطىء الرملي. وأغلب الظن أنَّ هذا الهجاء المُقْذع ردٌّ على قول السُّمَيْسِرِ فيه بالمريّة (السريع):

قالوا آبنُ حَدّادٍ فَتىً شاعِرٌ قُلْتُ وما شِعْرُ آبنِ حَدّادِ؟
أشعارُهُ مِثْلُ فِراخِ الزِّنى فَتِّشْ تَجِدْ أَخْبَثَ أولادِ

انظر الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٨٩٤).

وله في المعتصم بن صمادح (الكامل):

- ٤٦ -

١ - والنَّفْسُ عـادِمَةُ الكَمَـالِ وإنَّما   بالبَحْثِ عن عِلْمِ الحقائِقِ تَكْمُلُ
٢ - والمَرْءُ مِثْلُ النَّصْلِ في إصْدائِهِ   والجَهْـلُ يُصْـدِي والتَّفَهُّمُ يَصْقُـلُ
٣ - مُتَـلأْلِئٌ يَثْنِي العيونَ نَـوَاكِسـاً   كالشَّمْسِ تَعْكِسُ لَحظَ مَنْ يَتَأَمَّلُ

تخريج الأبيات: في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٢ - ٧٢٣): الأبيات كلها . وفي مسالك الأبصار (ج ١١، الورقة ٤٠٣): الأبيات ٣ - ٨ .

١ - يقول: إنَّ الإنسان تَكْمُلُ نفسُه بالبحث العلمي ليس غير .
٢ - النَّصْلُ: حديدة السَّهْم والرُّمْح والسَّيف، والجمع نِصال ونُصُوْل وأَنْصُل. لسان العرب (نصل). وفي إصدائه: أي في صدإ الحديد؛ يقال: صَدِىءَ الحديدُ يَصْدَأُ وأَصْدَأَ يُصْدِىءُ إذا علاهُ الطَّبَعُ والوَسَخُ، وفي الحديث: إنَّ هذه القلوب تصْدَأُ كما يَصْدَأَ الحديدُ، وهو أن يَرْكَبَها الرَّيْن (الطَّبَعُ والدَّنَسُ) بمباشرة المعاصي والآثام، فَيَذْهَب بجلائها، كما يعلو الصَّدَأُ وجهَ المرآة والسَّيْف ونحوهما. انظر لسان العرب (صدأ). وأَصْدَى فلانٌ يُصْدِي: مات. القاموس المحيط (صدى). ويَصْقُلُ: أي يَصْقُلُ الإنسانَ من الشوائب؛ يقال: صَقَلَ الشيءَ يَصْقُلُه إذا جَلاَه. لسان العرب (صقل). ومراده القول: كما يُصِيبُ الحديدَ الصَّدَأُ، كذلك فإنَّ المَرْءَ يصيبه صَدَأُ الجهل وعدم المعرفة والاْطِّلاع .
٣ - في الذخيرة : « ومنها»، وأورد الأبيات ، وهي تدخل في باب المديح . وقوله : « متلألىءُ يَثْني العيونَ نَوَاكِساً» يريد: إنَّ وجه الممدوح متلألىء منير يجعل العيونَ تنخفض لشدَّة تألُّقه. وهنا يذهب مذهب أبي زيد عبد الرحمن بن مُقَانا الأُشْبُوني في قوله من قصيدة نونيّة مشهورة قالها في مدح أبي العلاء إدريسَ بن يَحْي بنِ علي بن حَمُّوْد بمناسبة بيعته بمالقة (الرمل):

وَكــأَنَّ الـشَّـمْسَ لـمَّـا أَشْـرَقَـتْ   فـانْثَنَـتْ عنهـا عـيــونُ الـنـاظـريـنْ
وَجْـهُ إدْرِيْسَ بـنِ يَـحْـيَ بـنِ عـليٍّ   اِبـنِ حَـمُّـوْدٍ أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـنْ

انظر الذخيرة (ق ٢ م ٢ ص ٧٩٢)، والمغرب في حلى المغرب (ج ١ ص ٤١٣) ونفح الطيب (ج ١ ص ٢١٤).

٤ ـ لاَ يَتَّقِي رَمَدَ النَّوَائِبِ نَاظِرٌ يُجْلى بِمِرْوَدِ صَفْحَتَيْهِ وَيُكْحَلُ
٥ ـ وكأنَّ راحَتَهُ الذِّراعُ إفاضَةً وكأنَّما الأَنْوَاءُ منها الأَنْمُلُ
٦ ـ تَتَصَوَّرُ الأكوانُ في حَوْبَائِهِ فكأنَّ خاطِرَهُ الصَّقِيْلَ سَجَنْجَلُ
٧ ـ وإذا رَأَتْكَ الشُّهْبُ مُزْمِعَ غَزْوَةٍ وَدَّتْ جميعاً أنها لك جَحْفَلُ

---

٤ ـ رواية العجز في الذخيرة هي:

يُجْلَى بِنَيِّرِ صَفْحَتَيْكَ ويُكْحَلُ

والرَّمَدُ: وَجَعُ العَيْنِ وانتفاخُها، وهنا استعار الرَّمَدَ من العين إلى نوائب الدَّهْر. وناظر العين: النقطة السوداء الصافية التي في وسط سواد العين وبها يَرَى الناظرُ ما يَرَى، وقيل: هي البصر نفسه. وجَلاَ البصرَ بالكُحْل: رَوَّقَه. والمِرْوَدُ: المِيْلُ يُكْتَحَلُ به، قيل له ذلك لأنه يدور في المُكْحُلَةِ مَرَّةً وفي العين أخرى. وصَفْحَتَاهُ: خَدَّاهُ. ويُكْحَلُ: يوضع له الكُحْل وهو مادة توضع في العين يُسْتَشْفَى بها. يقول: مَنْ كَحَلَ عينيه بِمِرْوَدِ المعتصم لا يأبه لرمد الدَّهْر. وبمعنى آخر، من عاش في كنف المعتصم سَلِمَ من صُرُوْف الدَّهْر ونوائبه وبات طيلة عمره في هناء وحبور.

٥ ـ في مسالك الأبصار: «أنمل» بدل «الأنمل». وراحَتُهُ: كَفُّهُ، والجمع الرَّاح. وإفاضةً: اتّساعاً؛ يقال: أفاض إناءه: أي مَلأه حتى فاض. والذِّراع: نَجْمٌ من نجوم الجوزاء على شكل الذراع. لسان العرب (ذرع). والأنواء: نجوم وعددها ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، يسقط منها كلّ ثلاث عشرة ليلةً نجمٌ في المغرب مع طلوع الفجر، وَيَطْلُعُ آخرُ يقابله في المشرق من ساعته. لسان العرب (نوأ). والأنمل: رؤوس الأصابع، مفردها أَنْمُلَةٌ، ولم يرد هذا الجمع في كتب اللغة لأن جمع أنملة أنامل وأَنْمُلاَت. وهنا يتحدث عن كرم الممدوح فيشبِّهُهُ، وهو يوزِّع الأَعطِيَاتِ على المحتاجين يأخذونها بأناملهم، بالذراع وقد اصطفَّت حولها الأنواء تستنير بنورها.

٦ ـ الأكوان: جمع الكَوْن. والحَوْبَاءُ: النَّفْس. والخاطر: النَّفْس. والصَّقِيْلُ: المصقول. والسَّجَنْجَلُ: المرآة. وهنا يشبِّه نَفْسَ الممدوح بمرآة تنعكس عليها صور الأكوان.

٧ ـ في الذخيرة: «ومنها»، وأورد البيتين. والشُّهْبُ: أصل القول: الشُّهُبُ بضم الهاء، وقد سكَّنها للضرورة الشعرية، وهي الدراريُّ من الكواكب، واحدها شهاب. والجحفل: الجيش الكثير.

٨ ـ ولوِ الأمورُ جَرَتْ على مِقْدَارِها حَمَلَ السِّلاحَ لكَ آلسِّماكُ الأَعْزَلُ

---

٨ ـ في الخريدة: « ولولا الأمور. إلخ » والسِّماك الأعزل هو أحد السِّماكَيْن، وهما نَجْمَان نَيِّران، والآخر هو السِّماك الرَّامِحُ، سمِّي أعزلَ لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب كالأعزل الذي لا رُمْحَ له، ويقال: سمِّي أعزل لأنه إذا طَلَعَ لا يكون في أيامه ريح ولا برد وهو أعزل منها. لسان العرب (سمك). وفي هذا البيت والذي قبله مبالغة من الشاعر، حيث جعل الكواكب جنوداً تقاتل في صفوف جيش المعتصم.

وقال في نويرة (الوافر):

- ٤٧ -

١ - أَتَعْلَمُ أنَّ لِي نَفْساً عَلِيْلَهْ ... وَأَشْوَاقاً مُبَرِّحَةً دَخِيْلَهْ؟

٢ - وفي طَيِّ الخَميلةِ رِيْمُ إنْسٍ ... رَمَزْتُ بها، فللَّهِ الخميلهْ!

التخريج: الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٩).

١ - يقول: هل تعلم نويرة ما أقاسيه من تباريح الصَّبابة والشوق؟

٢ - الخميلة: الشجر المُجْتَمِعُ الكثيف. وريْمُ الإنس هي نويرة. ولشدة تعلُّقه بها لم يذكرِ آسمها الحقيقي «جميلة» فصحَّفه «خميلة» مبدلاً الجيم خاء. وقوله: «رمزْتُ بها..» دليل على آنشغاله بالرموز للدلالة على آسمها الحقيقي. وقد علَّق آبن بسام على البيت الأخير فقال: وآسمها على الحقيقة «جميلة»، فصحَّف آبنُ الحدّاد آسمَها كما تراه، وجَرَى في وَصْفها طَلَقَ الجَمُوْح فلم يَفِ شَرْطُ الكتابِ بِمَدَاه.

وقال في الغزل من قصيدة مديح في المعتصم بن صمادح (الكامل):

- ٤٨ -

١ - فَذَرِ العقيقَ مُجَانِباً لِعُقُوقِهِ ... وَذَرِ العُذَيْبَ عُذَيْبَ ذاتِ الضَّالِ
٢ - أُفُقٌ مُحَلًّى بالقَوَاضِبِ والقَنَا ... لِلأَغْيَدِ المِعْطَارِ لا المِعْطَالِ

التخريج: الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧١٦) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٣).

١ - رواية العجز في نفح الطيب هي:

وَدَعِ العُذَيْبَ عُذَيْبَ ذاتِ الخالِ

وَذَرِ العقيقَ: دَعْهُ، وأصله: وَذِرَهُ يَذَرُهُ، لكن ما نَطَقُوا بماضيه ولا بمصدره ولا بآسم الفاعل. القاموس المحيط ومختار الصحاح (وذر). والعقيق: هو أحد الأَعِقَّة الموجودة في بلاد العرب، وهي أودية عادِيَّة شَقَّتْها السُّيول، ومنها عقيق عارض اليَمَامَة، وفيه عيون عذبة الماء، وعقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخيل وقصور ودُوْر ومنازل وقرى، وعقيق أكبر من هذين وهو من بلاد مزينة، وعقيق البصرة. ونحن لا نعرف أيَّ عقيق أراد آبن الحداد؛ لأنه سار على طريقة الشعراء الذين أكثروا من ذكر العقيق وذكروه مطلقاً حتى بات من الصعب تمييز كل ما قيل في العقيق. قال أبو منصور: والعرب تقول لكل مسيل ماء شقَّه السيلُ في الأرض فأنهره ووسَعه: عقيق. انظر معجم البلدان (ج ٤ ص ١٣٨ - ١٤١) ولسان العرب (عقق). والعُقُوْق: الشقّ والقطع؛ يقال: عَقَّه يَعُقُّه عَقًّا إذا شَقَّه، وآنعقَّ الوادي: عَمُق. لسان العرب (عقق). والعُذَيْبُ: ماء بين القادسية والمُغِيْثَة، بينه وبين القادسية أربعة أميال وإلى المغيثة آثنان وثلاثون ميلًا، وقيل: هو وادٍ لبني تميم على مَرْحلة من الكوفة، مسمًّى بتصغير العَذْب، وقيل: سمِّي به لأنه طَرَفُ أرض العرب من العَذَبَة وهي طَرَفُ الشيء. انظر معجم البلدان (ج ٤ ص ٩٢) ولسان العرب (عذب). والضَّالُ: شجر السِّدْر البرِّي من شجر الشوك، واحدته ضَالَة. لسان العرب (ضيل). ومراده أن يقول: دَعْ هذه الأماكن المشرقية، ففي المريّة أماكنُ لا أحلى منها ولا أجمل!.

٢ - القواضب: جمع قاضب وهو السَّيفُ القَطّاع. والقَنَا: جمع قَنَاة وهي الرُّمح. والأَغْيَدُ: أي نويرة المتثنيّة لِيْناً، وقد تغايدتْ. والمِعْطَار: الكثيرة التعطُّر. والمِعْطَال: التي لم يكن عليها حَلْي. يقول: إنَّ المكان الذي تقيم فيه نويرةُ أجمل من العقيق والعذيب؛ ففيه =

٣ ـ حَجَبُوْكَ إلَّا مِنْ تَوَهُّمِ خاطري وَحَمَوْكَ إلَّا مِنْ تَبَوُّءِ بالي
٤ ـ والقارظانِ جميلُ صَبْرِي والكَرَى فمتى أُرَجِّي منكَ طَيْفَ خيالِ ؟

= السيوف التي تفعل فعل عَيْنَيْهَا، وفيه الرِّماح التي تهتزُّ لِيْنَاً كما يتأوَّد قَوامُها .

٣ ـ في نفح الطيب: « تَصَوُّرِ» بدل « تَبَوُّءِ». يقول: أنتِ دائماً في خاطري وفي بالي.

٤ ـ القارظان: رَجُلان من عَنَزَة ذَكَرَتْهُمَا الشعراء قديماً، وهما عامرُ بنُ رُهْمٍ ، وَيَذْكُرُ بنُ عَنَزَة؛ خَرَجَا في طلب القَرَظ فلم يَرْجِعَا فَضُرِبَ بهما المثلُ « حتى يؤوبَ القارظان ». والقَرَظُ: شجر يُدْبَغُ به. انظر مجمع الأمثال (ج ١ ص ٢١١) والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧١٦ ـ ٧١٧)، ولسان العرب والقاموس المحيط « قرظ ». يقول: كما لا رجاء في عودة القارِظَيْن، كذلك لا رجاء لي في أن أحظى بك وأنال رضاك. وقد جعل المقّري هذه الأبيات الأربعة ممَّا يُتَغَنَّى به بالأندلس..

قافية الميم

- ٤٩ -

وقال في مذهب الحماسة من قصيدة في المعتصم بن صمادح (البسيط):

١ ـ تَكَادُ تَغْنَى إذا شاهَدْتَ مُعْتَرَكاً عَنْ أَنْ يُسَلَّ حُسامٌ أو يُسالَ دَمُ

٢ ـ بِلَحْظَةٍ منكَ يُثْنَى القِرْنُ مُنْعَفِراً كأنَّ لَحْظَكَ فيه صارِمٌ خَذِمُ

٣ ـ أَقْدَمْتَ حيثُ الكُماةُ الشُّوسُ مُحْجِمَةٌ وَجُدْتَ حيثُ المَنَايَا السُّودُ تَزْدَحِمُ

التخريج: في الخريدة (ج ٢ ص ٢٧٦) طبعة الدار التونسية، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٥: الأبيات ١ ـ ٤، ٧.

وفي الأفضليات (ج ١، الورقتان ٤٦ ـ ٤٧): الأبيات ١، ٤، ٧.

وفي الوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٧): الأبيات ٥ ـ ٨.

١ ـ في الأفضليات: «يُراقَ» بدل «يُسالَ». والمُعْتَرَكُ: موضع الحرب. والحُسام: السَّيفُ القاطع. وهنا يخاطب المعتصم بن صمادح فيقول: إنَّ حضورك في أرض المعركة يجعلك تُحْجِمُ عن أن تَسُلَّ سَيْفَكَ من غِمْدِهِ، لأنَّ لحظك يقوم مقام هذا السيف خير قيام. وقد علَّق آبن الصيرفي على هذا البيت فقال: «والبيت الأول من قول مِهْيارِ (الكامل):

أَلْقِ السِّلاحَ فقد غَنِيْتَ سَعادةً عن حَمْلِهِ وآضرِبْ بِجِدِّكَ وآطْعُنِ»

٢ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية: «تَثْنِي القِرْنَ مُنْعَفِراً . . إلخ». والقِرْن: الكُفْء والنظير في الشجاعة والحرب، والجمع أقران. لسان العرب (قرن). ومنعفراً: أي منعفراً في التراب، يقال: عَفَرَه في التراب يَعْفِرُه عَفْراً وعَفَّره تعفيراً فآنعفر وتعفَّر إذا مَرَّغه فيه أو دَسَّه. لسان العرب (عفر). والصَّارم الخَذِمُ: السيف القاطع. لسان العرب (خذم). وهنا يشبِّه لحظ المعتصم بالسيف القاطع، ومعنى البيت متمِّمٌ لمعنى البيت السابق وشارح له.

٣ ـ الكُماة: جمع كَمِيّ وهو الشُّجاع المُتَكَمِّي في سلاحه أي المُتَسَتِّر بالدِّرْع والبَيْضة. مختار الصحاح (كمي). والشُّوسُ: جمع أَشْوَس وهو الجريء على القتال الشديد. لسان العرب (شوس). وهنا يصف شجاعة المعتصم وحسن بلائه في القتال.

٤ ـ وما آحتَذَى الموتُ نَفْساً من نُفُوسِهِمُ ... إلاَّ وَسَيْفُكَ كَعْبُ الجُوْدِ أو هَرِمُ

٥ ـ وهَامُهُمْ في الجُذُوْعِ الشُّمِّ ضاحِيَةٌ ... كـأنَّهـا بَقَـعُ الغِـرْبـانِ والـرَّخَمُ

٦ ـ مَوَاثِلاً في سبيل الرَّكْبِ تَحْسِبُها ... تُسائلُ الرَّكْبَ عن أَجْسادِها القِمَمُ

---

٤ ـ في الخريدة طبعة دار نهضة مصر: « وما آجتدى. . إلاَّ وَبَيْتُكَ. . إلخ ». وورد صدر البيت في الأفضليات ناقصاً هكذا:

وما آحتَذَى الموتُ نفساً

وآحتَذَى الشيءَ: تبعه. وكَعْبٌ: هو كَعْبُ بن مامَة، وقد عُرِف بالجَوَاد لكثرة جُوْده وعطائه، ويضرب به المثل فيقال: « أَجْوَدُ من كَعْبِ بنِ مامة ». انظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٤، ٣٢٧، ومجمع الأمثال (ج ١ ص ١٨٣ ـ ١٨٤). وهَرِمٌ: هو هَرِمُ بنُ سِنان، ممدوح الشاعر زهير بن أبي سُلْمى، وقد سار بذكر جوده المثل فقيل: « أَجْوَدُ من هَرِم ». انظر لسان العرب (هرم)، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٥٢، ومجمع الأمثال (ج ١ ص ١٨٨ ـ ١٨٩). ولقد ذكر آبن عبد ربه هَرِماً وكَعْباً ضمن أجواد أهل الجاهلية. انظر العقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٧) وشرح البيت رقم ٢٣ من القصيدة الهمزية رقم ١. وهنا يصف شجاعة الممدوح وكرمه، فيجعله أكثر جواداً من كعب بن مامة وهرم بن سنان، فيقول: إن اليد التي تحمل السيف لمقاتلة الأعداء هي نفسها التي توزِّع الأَعْطِيات على المحتاجين. وقد علَّق آبن الصيرفي على هذا البيت والبيت الأول بقوله: « وهذا من القول المُعْجِب والنَّظْم المُطْرِب ».

٥ ـ في الوافي بالوفيات: « ومنه في ذكر المَصْلُوبِيْنَ »، وأورد الأبيات. والهَامُ: جمع هامَة وهي رأس كل شيء، وتطلق على الجُثَّة. والبَقَعُ في الطير: بمنزلة البَلَق في الدَّواب، والغراب الأبقع: الذي فيه سواد وبياض. لسان العرب (بقع). والرَّخَمُ: طائر أَبْقَعُ على شكل النَّسْر خِلْقَةً إلاَّ أنه مُبَقَّعٌ بسواد وبياض، واحدته رَخَمَة. لسان العرب (رخم). وهنا يشبِّه هامَ المصلوبين بالغِرْبان والرَّخَم بجامع السواد والبياض.

٦ ـ مواثلاً: مفعول به لـ « ضاحيةٌ » في البيت السابق، أي إنَّ هامَهَم أَضْحَتْ مواثلاً، وأصل القول: « مواثلَ » لأنها ممنوعة من الصرف، وقد صرفها للضرورة الشعرية. والرَّكْب: أصحاب الإِبْل في السَّفر دون الدَّوابِّ وهم العشرة فما فوقها. لسان العرب ومختار الصحاح (ركب). والقِمَمُ: جمع قِمَّة وهي أعلى الرأس وأعلى كل شيء. يقول: إنَّ هامهم منتصبةٌ على طريق الرَّكْب، ماثلةٌ أمام أعينهم كأنها تسائلهم عن مصير أجسادها التي آنفصلت عنها.

٧ ـ وقد تُلِمُّ بها الغِرْبانُ واقعةً كـأنَّهـا فـوق مَخْلُوقـاتها لِمَمُ
٨ ـ صَـوَامِتٌ نُطْقُ الهَيْئَاتِ قائلةٌ عُقْبَى عُصاةِ آبنِ مَعْنٍ هذه النِّقَمُ

---

٧ ـ في الأفضليات : « وقوله في وصف هام المُصَلَّبِيْنَ » ، وأورد البيت ، وفيه : « مخلوقاتها » بدل « محلوقاتها » . وفي الخريدة طبعة الدار التونسية : « منها في وصف هام المُصَلَّبين » ، وأورد البيت ، وفيه : « واقفة » بدل « واقعة » ، و« مخلوقاتها » بدل « محلوقاتها » . وفي الخريدة طبعة دار نهضة مصر : « ومنها في وصف هام المصلوبين »، وأورد البيت، وفيه: «واقفة» بدل «واقعة»، وعلق المحقق على لفظة المصلوبين فقال: « وفي الأصل : المُصَلَّبين ، ولعلّ الصواب ما أثبتناه » ، ثم علّق على البيت فقال : « كأنَّ الغِرْبان فوق رؤوسها المحلوقة خصلات من الشعر ، وفي الأصل : مخلوقاتها ، ولعلَّ الصواب ما أثبتناه » . وتشبيه الغِرْبان ، وهي مجتمعة فوق رؤوس القتلى المحلوقة ، بخُصُلاَتٍ من الشعر ، جديد مبتكر ، يدلّ على بعد في الخيال وعمق في التفكير .

٨ ـ العُقْبَى : جزاء الأمْر . والعُصاة : جمع عاص . وآبن مَعْن : هو المعتصم بن صمادح . يقول : كأنَّ هامهم تنطق بالقول : هذا جَزَاءُ عِصْيانِنا للمعتصم . وقد علَّق الصفدي على هذا البيت والذي قبله بقوله : « قلت : شِعْرٌ جَيِّدٌ في الذُّرْوَة كثير الغَوْص » .

وقال في باب الحماسة من قصيدة في المقتدر بن هود (الطويل) :

- ٥٠ -

١ - مَسَاعِيْكَ في نَحْرِ العَدُوِّ سِهَامُ   ورَأْيُـكَ في هَامِ الضَّـلالِ حُسامُ

التخريج : الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٨) . قال آبن بسام : « وله أيضاً من قصيدة في المقتدر* ، ويذكر كمال السِّلْم بينه وبين أخيه المظفر** ، ويصف غَزْوَ الحاجبِ آبنِهِ المؤتمنِ*** وبنيانَهُ في نَحْرِ العدوِّ حِصْنَ**** المدوّر » ، وأورد الأبيات .

* المقتدر لقب أحمد بن سليمان بن محمد بن هود ، ثاني ملوك بني هود ، وقد تقدمت ترجمته في مقدمة الديوان ص ١٥ حاشية ١ .

** المظفر لَقَبُ يوسفَ بن سليمان بن محمد بن هود ، كذلك لُقِّب بحسام الدولة . ولّاه أبوه سليمان مدينة لاردة Lérida . وكان أكبرَ إخوته أحمد ومحمد والمنذر ولبّ ، فلم يزل أحمد ، والي سرقسطة ، يحتال على إخوته حتى أخرج بعضهم من مواضعهم وسَجَنَهُمْ . ولما رأى أهلُ الثَّغْر ما صنعه أحمد بإخوته كرهوه وخلعوا طاعته وصيَّروا أمرهم إلى أخيه يوسف وقاموا بدعوته ، ولم يبق لأحمد إلّا سرقسطة . وكان يوسف بطلاً شهماً تلقَّب بالمظفر . ولما رأى أحمد تألّف الناس على أخيه آحتال عليه فآستنجد بآبن ردمير صاحب بلاد النصرانية المجاورة له ، فكان أن رَجَعَ أهلُ الثغر إلى أحمد فلم يبق ليوسف سوى لاردة . تجدر الإشارة هنا أنَّ مدينة بَرْبَشْتَر Barbastro كانت سقطت بيد الروم الأردمانيين أيام حكم يوسف وذلك في سنة ٤٥٦ هـ ، ثم أعادها أخوه المقتدر إلى حظيرة الإسلام سنة ٤٥٧ هـ بعد مرور سنة كاملة على سقوطها . انظر الذخيرة (ق ٣ م ١ ص ١٨١ - ١٩٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٢٢ - ٢٢٨) .

*** المؤتمن لقب يوسف بن المقتدر ، وقد تقدَّمت ترجمته في مقدمة الديوان ص ١٥ حاشية ٢ .

**** الحِصْنُ المُدَوَّر Almodovar : حِصْنٌ حصين ومعقل عظيم مشهور في الأندلس ، قريب من قرطبة ، بينه وبينها ستة عشر ميلا . وفي أهله شجاعة ، ولهم فيه عدة وقائع مشهورة . انظر معجم البلدان (ج ٥ ص ٧٧) ، والمغرب في حلى المغرب (ج ١ ص ٢٢٧) ، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٦٥ وحاشيته رقم ١) والروض المعطار ص ١٢١ ، ٤٤٠ .

١ - الهَامُ : جمع هامَة وهي رأس كل شيء ، وتطلق على الجُثَّة . والحُسام : السَّيْف =

٢ ـ ولَمْحُكَ يُرْدِي القِرْنَ وَهْوَ مُدَجَّجٌ وذِكْـرُكَ يَثْنِي الجَيْشَ وَهْـوَ لُـهـامُ
٣ ـ كأنَّكَ لا تَرْضَى البسيطةَ مَنْزِلاً إذا لـم يُـطَنِّبْـهُ عـليـكَ قَـتَـامُ
٤ ـ كأنَّكَ خِلْتَ الشَّمْسَ خَوْداً فلم يَزَلْ يُقَنِّعُهـا بـالـنَّقْـعِ منـكَ لِثـامُ
٥ ـ وقد يَحْسِبُوْنَ السِّلْمَ منك سَلاَمَةً ورُبَّ مَنَـامٍ دَبَّ فيـه حِمـامُ

= القاطع . وهنا يخاطب المقتدر فيقول : إنَّ مساعيك سهامٌ مصوَّبة نحو نحور الأعداء، وإنَّ رأيك يفعل فعل السيف في هام أهل الضَّلال .

٢ ـ القِرْنُ : الكُفْء والنظير في الشجاعة والحرب ، والجمع أقران . والمُدَجَّجُ : اللابس السِّلاح . والجيش اللُّهَامُ : العظيم كأنه يَلْتَهِمُ كلَّ شيء . ومعنى صدر البيت يشبه قول آبن الحداد نفسه في المعتصم بن صمادح (البسيط) :

بِلَحْـظَةٍ منـكَ يُثْنَى القِـرْنُ مُنْعَفِـراً كـأنَّ لَـحْـظَكَ فـيـه صَـارِمٌ خَـذِمُ

٣ ـ البسيطة : الأرض وما آنبسط وآستوى منها . ويُطَنِّبُه : أي يُطَنِّبُ المنزلَ فيمدُّه بأطنابه ويشدُّه . والقَتَامُ : غبار الحرب . يقول : إذا رضيْتَ الأرضَ مسكناً لك فإنَّ إقامتك ستكون في ساحة الوغى ليس غير .

٤ ـ قال آبن بسام : « ومنها » ، وأورد البيتين . والخَوْدُ : الفتاة الحسنة الخَلْق الشابة ، وقيل : الجارية الناعمة ، والجمع خَوْدَاتٌ وخُوْد . والنَّقْعُ : الغُبار . وهنا يجعل النَّقْعَ سِتْراً لتلك الشابّة الحسناء (الشمس) فيقول : ظننْتَ الشمسَ خَوْداً بدون حِجاب ، فلم يَرُقْ لك ذلك ، فكان أنْ جَعَلْتَ غبارَ المعترك حجاباً لها . وجَعْلُ الشَّمْسِ فتاةً تحتجبُ بقَتَام المعركة معنىً مأخوذ من قول آبن عبد ربه (الوافر) :

وعَـيْـنُ الـشَّـمْسِ تَـرْنُـو فـي قَـتَـامٍ رُنُـوَّ الـبِـكْـرِ مِـنْ بَـيْـنِ الـسُّـتُـوْرِ

انظر نهاية الأرب : (ج ٦ ص ١٩٢) ، والعقد الفريد (ج ١ ص ٩٧) ، ويتيمة الدهر (ج ٢ ص ٧٤) ، وتحفة الأنفس ص ٧٢ ، والذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٧٩) . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول آبن المعتز (الوافر) :

تَـظَلُّ الـشَّـمْسُ تَـرْمُـقُـنـا بِـطَرْفٍ خَـفِـيٍّ ، لَـحْـظُهُ مـن خَـلْفِ سِـتْـرِ

انظر شرح مقامات الحريري (ج ١ ص ٦٢) والطبيعة في الشعر الأندلسي ص ١٢ .

٥ ـ الحِمام : قَدَرُ الموت . والسَّلاَمَة : البراءة من العيوب والآفات . وهذا البيت يدخل فيما قاله آبن بسام : « ويذكر كمال السِّلْم بينه وبين أخيْه المظفّر » . وعن غزو الحاجبِ المؤتمنِ بنِ المقتدر ، لم يورد لنا آبن بسام شعراً لابن الحداد يصف ذلك ؛ فقد قال بعد البيت الخامس : « ثم عاد آبن الحداد إلى المريّة ، وحَسُنَ بَعْدُ بها مَثْواه ، وأكْرَمه المعتصمُ وأجْزَلَ قِراه » .

وله في الحِكَم (الخفيف) :

- ٥١ -

١ ـ حَيْثُما كُنْتَ ظاعِناً أو مُقِيْمَا   دُمْ رفيعاً وعِشْ منيعاً سليْمَا

التخريج : نفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٥) .

١ ـ ظاعناً : ذاهباً وسائرا . وهنا يطابق بين «ظاعناً» و«مقيما» .

قافية النون

وقال في نويرة (الطويل) :

- ٥٢ -

١ - وبين المَسِيْحِيَّاتِ لِي سَامِرِيَّةٌ بَعِيْدٌ على الصَّبِّ الحَنِيْفِيِّ أنْ تَدْنُو
٢ - مُثَلَّثَةٌ قد وحَّدَ اللهُ حُسْنَها فَثَنَّيَ في قَلْبِي بها الوَجْدُ والحُزْنُ
٣ - وطَيَّ الخِمارِ الجَوْنِ حُسْنٌ كأنَّما تَجَمَّعَ فيه البَدْرُ والليلُ والدَّجْنُ
٤ - وفي مَعْقِدِ الزُّنَّارِ عَقْدُ صَبَابَتِي فَمِنْ تَحْتِهِ دِعْصٌ ومِنْ فوقه غُصْنُ

التخريج : الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٨) ومسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقتان ٤٠١ - ٤٠٢) .

١ - في مسالك الأبصار : « بِنْتُ بِيْعَةٍ » بدل « سامريَّةٌ » . والبِيْعَةُ : كنيسة النصارى ، والجمع بِيَع . والمقصود بالسامرية هنا النصرانيّة ؛ وهي مؤنث السامريّ وهو عِلْجٌ من أهل كِرْمان كان يعبد العِجْل ، منسوب إلى موضع لهم . لسان العرب والقاموس المحيط (سمر) . والحنيفيُّ : المُسْلِم . يقول : من الصعب أنْ تدنو منيّ تلك الفتاة النصرانيّة ، وأنْ تعتنق الإسلام ديناً ، مطابقاً بين « بعيد » و« تدنو » .

٢ - في مسالك الأبصار : « لها » بدل « بها » . ومُثَلَّثَةٌ : أي النصرانية القائلة بالثالوث أو التثليث ، ويقابلها المسلمة الموحِّدة . انظر البيت الأول من القصيدة الثانية رقم ٨ ، ففيه شرح وافٍ عن التثليث عند النصارى . وهنا يتلاعب الشاعر بالألفاظ ، فيجعل وَجْدَه وحزنه آثنين من ثلاثة ؛ الحُسْن والوَجْد والحزن .

٣ - الخِمار : النَّصِيْفُ أي ما تُغَطِّي به المرأةُ رأسَها ، والجمع أَخْمِرَةٌ وخُمْرٌ وخُمُرٌ . لسان العرب (خمر). وطَيَّ : ضِمْنَ، وإذا كسرنا الياء يكون التقدير: في طَيِّ.
والجَوْنُ : الأسود المُشْرَبُ حُمْرةً ، والأبيض ، وهو من الأضداد ، والجمع جُوْن . لسان العرب (جون) . والدَّجْنُ والدُّجُنُّ : الظُّلْمة . يقول : يُغَطِّي ذلك الخِمارُ وَجْهَهَا المشرقَ كالبدر وشَعْرَها الأسودَ كالليل .

٤ - مَعْقِدُ الزُّنّار : موضع آنعقاد الزُّنّار وهو ما يَلْبَسُهُ النصرانيُّ يشدُّه على وسطه . والدِّعْصُ : =

٥ ـ وفي ذلك الوادِي رَشاً أَضْلُعي له　　كنِـاسٌ ، وقُمْرِيٌّ فؤادِي لـه وَكْنُ

= قطعةٌ من الرمل مستديرةٌ ، أو الكثيب منه ، شبَّه به رِدْفَ نويرة لتموُّجه من كثرة اللحم عليه . كما شبَّه قَدَّها بالغصن بجامع التَّثَنِّي .

٥ ـ الرَّشَا : أصل القول : الرَّشَأ بالهمزة ، وقد حذفها الشاعر للضرورة الشعرية ، والرشأ هو الظَّبْي إذا قَوِيَ وتحرَّك ومَشَى مع أُمِّه ، والجمع أرشاء . والكِناس : موضع في الشجر يَكْتَنُّ فيه الظَّبْي ويستتر . والقُمْرِيُّ : طائر يشبه الحَمامَ القُمْرَ البِيْض . والوَكْنُ : عُشُّ الطائر ، والجمع أَوْكُنٌ ووُكُنٌ ووُكْنٌ ووُكُوْن . وهنا يجعل آبن الحداد أضلعه مكاناً آمناً لمحبوبته نويرة ، كما يجعل قلبه مستراحاً دافئاً لها .

وقال في باب الحِكْمَةِ (المتقارب) :

-٥٣-

١ ـ ومـا الـنـاسُ إلَّا فِعَـالُـهُمُ[١] فَـدَعْ مـا تُـزَخْـرِفُـهُ الأَلْـسُـنُ
٢ ـ سَجِيَّـةُ أَصْـلِ الفَتَى فِعْـلُهُ بمـا عِنْـدَهُ يَقْـذِفُ المَـعْـدِنُ[٢]

التخريج : مسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقة ٤٠٣) .

١ ـ في الأصل : « نعالهم » بالنون ، وهو ما لا يناسب المعنى . والفِعال : جمع فِعْل .
٢ ـ عجز البيت قريب من قول ذي الوزارتين أبي بكر آبن عمار من قصيدة يستعطف فيها المعتمدَ بن عبّاد ، ملكَ إشبيلية ، حين قبض عليه (الطويل) :

ولا تَـلْتَـفِـتْ رأيَ الـوُشَـاةِ وقَـوْلَـهُـمْ فـكـلُّ إنـاءٍ بـالـذي فيـه يَـرْشَـحُ

انظر الذخيرة (ق ٢ م ١ ص ٤٢١) . ورواية صدر البيت في أعمال الأعلام ص ١٦١ ونفح الطيب (ج ٥ ص ١٨٢) هي :

ولا تَلْتَفِتْ قـولَ الـوُشـاةِ وزُوْرَهُـمْ =

وله أيضاً في الحكمة (الكامل) :

- ٥٤ -

١ - واصِلْ أخاكَ وإنْ أتاكَ بِمُنْكَرٍ فَخُلُوْصُ شيءٍ قَلَّما يُتَمَكَّنُ
٢ - ولكلِّ شيءٍ آفةٌ مَوْجُوْدَةٌ إنَّ السِّراجَ على سَنَاهُ يُدَخِّنُ

التخريج : الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٩) ، وسرور النفس ص ٣٩٧ ، والمغرب في حلى المغرب (ج ٢ ص ١٤٤) ، ورايات المبرزين ص ٧٤ وفي النص الإسباني ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، والتكملة لكتاب الصلة (ج ١ ص ٣٩٩). قال آبن الآبار : « وممّا أنشدت له وقرأته في ديوانه » ، وأورد البيتين . والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٠) ، ومسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقة ٤٠٤) ، والخريدة (ج ٢ ص ٢٧٥) طبعة الدار التونسية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٢ - ١٨٣ ، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٤) ؛ قال المقري : « ومن بدائعه قوله » ، وأورد البيتين .

١ - في التكملة : « بِجَفْوَةٍ » بدل « بِمُنْكَرٍ » . وفي الذيل والتكملة : « أتى بقطيعةٍ » بدل « أتاك بِمُنْكَرٍ » . ورواية صدر البيت في سرور النفس ، والمغرب في حلى المغرب ، ورايات المبرزين ، ونفح الطيب هي :
سامِحْ أخاكَ إذا أتاكَ بِزَلَّةٍ
٢ - في سرور النفس ، والمغرب في حلى المغرب ، ورايات المبرزين ، ونفح الطيب : « في كل شيءٍ . . الخ » . وفي الذيل والتكملة ، ومسالك الأبصار ، والخريدة : « ولكلِّ حُسْنٍ . . الخ » . يقول في هذا البيت والذي قبله : عامِلِ الناسَ بالمودّة حتى وإنْ عاملوك بغيرها ، لأنَّ العيوب لا يخلو منها أحد ، والكمال لا يكون إلّا لربِّ العالمين . ألا ترى أنَّ السِّراج نفسه يُفسِدُ نُوْرَهُ بدخانه ؟ . ولقد علّق المقّري على هذين البيتين بقوله : « وأنشد أحدُ الأدباء هذين البيتين متمثِّلاً ، فَأَعْجَبَا المعتصمَ ، وسأل عن قائلهما ، فأُخْبِرَ ، فتبسَّمَ وقال : أتعرف إلى مَنْ أشارَ بهذا المعنى ؟ قال : ما أعرف إلّا أنه مليحٌ ، فقال المعتصم : كنتُ في الصِّبا ، وهو (ابن الحداد) معي ، أُلَقَّبُ بسراج الدولة ، فقاتله اللهُ ما أشعره ! فَسَلُوْه ، **فلمّا باحثوه في ذلك أقرَّ بحسن حَدْسِ** المعتصم . وآكتنفته سعايات ، وكان ممّن يَغْلِبُ لسانُه على عقله ، ففرَّ من المريّة ، وحُبِس أخوه بها » .

وله في المعتصم بن صمادح (الطويل) :

- ٥٥ -

١ - دُوَيْنَ الكَثِيبِ ٱلفَرْدِ قُضْبٌ وكُثْبانُ ... عليها لِوُرْقِ الوَجْدِ سَجْعٌ وإِرْنانُ
٢ - وفي ظُلَلِ الأَفْنانِ خُوْطٌ على نَقاً ... مَنِيْعُ ٱلجَنَى لَدْنُ التَأَوُّدِ فَيْنانُ
٣ - وفي مَكْنِسِ الرَّقْمِ ٱلمُنَمْنَمِ أَحْوَرُ ... كأنَّ مصاليْتَ الظُّبَى منه أَجْفانُ

تخريج الأبيات :

في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٣ - ٧٢٤) : الأبيات كلها .

وفي مسالك الأبصار (ج ١١ ، الورقة ٤٠٣) : البيتان ٣ - ٤ .

١ - الكثيب: القطعة من الرَّمْل تَنْقادُ مُحْدَوْدَبَةً، والجمع أَكْثِبَةٌ، وكُثُبٌ وكُثْبان، شبَّه به رِدْفَ محبوبته «نويرة». والقُضْب: جمع قضيب وهو الغُصْن، شبَّه به قَدَّ محبوبته. والوُرْقُ: جمع وَرْقَاء وهي الحمامة التي لونها بين السواد والغُبْرَة. والسَّجْعُ: أي سَجْعُ الحمامة، وهو موالاة صوتها على طريق واحد؛ يقال: سَجَعَتِ الحمامةُ إذا دَعَتْ وَطَرَّبَتْ في صوتها. والإرنان: الصوت الحزين عند الغناء أو البكاء .

٢ - الظُّلَلُ: جمع ظُلَّة وهي شيء كالصُّفَّة (موضع مُظَلَّلٌ من المسجد) يُسْتَتَرُ به من الحرِّ والبرد. والأَفْنان: جمع فَنَنَ وهو الغُصْن. والخُوْط: الغصن الناعم، شبه به قَدَّ محبوبته. والنقا: القطعة من الرَّمْل تَنْقادُ مُحْدَوْدَبَةً، والتثنية نَقَوان، والجمع أَنْقَاء، شبَّه به رِدْفَ محبوبته. ولَدْنُ التأوُّد: أي لَيِّنٌ في آنحنائه وانعطافه. ومنيع الجَنَى: أي إنَّ جَنَاهُ صَعْبُ - تَنَاوُلُه، وهنا يشير إلى صدِّهَا وتَمَنُّعِهَا. وفَيْنان: طويل، وهنا يشبِّه قامتها الممشوقة بذلك الغصن الناعم الطويل، وقد يريد القول: إنَّ شعرها مُتَدَلٍّ على كتفيها كما تتدلَّى الأغصان على الشجرة .

٣ - في مسالك الأبصار: «الرَّوْق» بدل «الرَّقْمِ». ورَوْقُ البيت: مُقَدَّمُه. والمَكْنِسُ: مَوْلِجُ الظِّباء تَسْتَكِنُّ فيه من الحَرِّ؛ يقال: كَنَسَ الظَّبْيُ يَكْنِسُ إذا دخل في كِناسه وهو موضعه من الشجر يَكْتَنُّ فيه ويَسْتَتِر. والرَّقْمُ: ضَرْبٌ مُخَطَّطٌ من الوَشْي، والرَّقْمُ المُنَمْنَمُ: المَرْقُوْمُ المُوَشَّى. والأحور: من آشتدَّ بياضُ بياضِ عَيْنَيْهِ وسواد سوادهما. والظُّبَى: جمع ظُبَة وهي حَدُّ السَّيْف، أي ما يلي طَرَفَ السَّيْف. والأجفان هنا مجاز مرسل، أراد بها العيون. ومراده أن يقول: قَتَلَتْنِي تلك الفتاةُ الحوراءُ بعينيها اللتين تفعلان فعل السيوف إذا ما جُرِّدَتْ من أغمادها .

٤ ـ وبين دَرَارِيِّ القَلائِدِ نَيِّرٌ ... لَهُ الحُسْنُ تَمٌّ والتَّلَثُّمُ نُقْصانُ

٥ ـ على صُدْغِهِ الشِّعْرَى تَلُوحُ وتَلْتَظِي ... وفي نَحْرِهِ الجَوْزَاءُ تَزْهَى وَتَزْدَانُ

٦ ـ وما بَالُ طَرْفِي لا يُوَافِيكَ شاكِياً ... وطَرْفُكَ في كلِّ الأحايِيْن وَسْنانُ؟

٧ ـ وفي ثَغْرِكَ آلوَضَّاحِ رِيٌّ لُبَانَتِي ... فَظَلْمُكَ صَدْآءُ وقلبيَ صَدْيانُ

٨ ـ تَسُحُّ بأهواءِ آلوَرَى منه راحَةٌ ... شآبِيْبُها فيها لُجَيْنٌ وعِقْيانُ

---

٤ ـ الدَّرَارِيُّ: الكواكب العظام التي لا تُعْرَف أسماؤها. والقلائد: جمع قلادة وهي ما جُعِلَ في العُنُق من الحُلِيّ، . والنَّيِّر: أي الكوكب النيِّر، ويقصد به محبوبته. وقوله: «التَّلَثُّمُ نقصان» يريد: إنها نصرانيّة لا تتلثَّم كالمسلمات. ومعنى البيت: تنفرد محبوبتي عن غيرها من بنات جنسها؛ إنها آية في الحسن والجمال، لا ينقصها سوى آستعمال اللِّثام. وقد أحسن الشاعر هنا استعمال الطباق بين «تمّ» و «نقصان».

٥ ـ الصُّدْغُ: الشَّعْرُ المتدلِّي ما بين العين والأذن. والشِّعْرَى: كوكب نَيِّرٌ يَطْلُعُ بعد الجَوْزَاء، وطلوعه في شِدَّة الحرّ. وتلتظي: تلتهب. والنَّحْر: موضع القلادة. والجَوْزَاء: نَجْمٌ يقال إنه يعترض في جَوْز السماء. يقول: هناك نوع من الزينة، وَضَعَتْه نويرة على صُدْغِها فراح يلمع لمعان الشِّعْرَى، وفي عُنُقها قِلَادةٌ تلمع لمعان الجوزاء، وَتَزْهَى كما تَزْهَى الجوزاء في كبد السماء.

٦ ـ في الذخيرة: «ومنها»، وأورد الأبيات. والطَّرْفُ: العَيْن. وهنا يخاطب محبوبته قائلا: إن عينيَّ عَكْسَ عَيْنَيْكِ، لا تعرفان النوم، ورغم ذلك فإنهما لا تَشْكُوَانِ إليكِ ذلك.

٧ ـ اللُّبَانَةُ: الحاجة، والظَّلْمُ: ماء الأسنان، وصَدْآء وصَدَّاء: رَكِيَّةٌ لم يكن عندهم ماءٌ أعذب من مائها،والركيّة :البئر ذات الماء ومنه المثل: «ماءٌ ولا كَصَدَّاء». انظر لسان العرب (صدد) ومجمع الأمثال (ج ٢ ص ٢٧٧). وَصَديان: عطشان. يقول: إنَّ ثغرك موردٌ عَذْبٌ زلال يُشْبع رغباتي، ورغم ذلك فقد ظَمِىء قلبي إليه، وظَلَلْتِ كعادتك باخلة لا تجودين بثناياك.

٨ ـ الوَرَى: الخَلْق. ومنه: أي من المعتصم. والراحة: الكفّ. والشآبيب: جمع شُؤْبُوب وهو الدُّفْعَةُ من المطر. واللُّجَيْنُ: الفِضَّة. وفيها: أي في راحته. والعِقْيان: الذهب الخالص. وهنا يدخل الشاعر في باب المديح، فيقول: إنَّ المعتصم مِعْطَاءٌ يوزِّع الأَعْطِيَاتِ على الوَرَى لُجَيْناً وعِقْيانا.

٩ ـ وما كَيمِيْنَيْهِ ٱلفُرَاتُ ودِجْلَةٌ وإنْ حَكَمُوا أنَّ المَرِيَّةَ بَغْدَانُ

١٠ ـ به ٱعتَدَلَتْ أزمانُها وهواؤها فكانونُ أيلولٌ وَتَمُّوزُ نَيْسانُ

---

٩ ـ بَغْدَان وبغداد: مدينة السلام وأم الدنيا، أول من مَصَّرها وجعلها مدينة هو أبو جعفر المنصور، شرع في عمارتها أخوه أبو العباس السفّاح سنة ١٤٥ هـ، ونَزَلها سنة ١٤٩ هـ. انظر معجم البلدان (ج ١ ص ٤٥٦ ـ ٤٦٧). والمرية حاضرة المعتصم بن صمادح، وقد تقدّم الحديث عنها في مقدّمة الديوان. وهنا يبالغ ٱبن الحداد حين يجعل راحَتَي المعتصم أكثر إغداقاً من نَهْرَي الفرات ودجله.

١٠ ـ في هذا البيت يخرج الشاعر في المبالغة عن المألوف، فيجعل المريَّة تعتدلُ أزمانُها بقدرة المعتصم، بحيث يصبح كانونُ أيلولَ، وتموزُ نيسانَ. ونحن نعلم أنَّ هذا التغيير في المناخ مَرَدُّه إلى عوامل بيولوجية ليس غير.

وقال مخاطباً المعتصم بن صمادح، ويدخل في باب الشكوى (الكامل) :

- ٥٦ -

١ - حَاشَا لِعَدْلِكَ يا آبنَ مَعْنٍ أنْ يُرَى   في سِلْكِ غَيْـرِي دُرِّيَ المَكْنُـونُ
٢ - وإلَيْكَهَا تَشْكُو آستلابَ مَطِيِّها: عُجْ بالحِمَى حَيْثُ الخِماصُ العِيْنُ
٣ - فآحكُمْ لها وآقطَعْ لِسَاناً لا يَـداً   فلسـانُ مَنْ سَرَقَ القـريضَ يَمِيْنُ

التخريج: مطمح الأنفس ص ٣٣٨. قال آبن خاقان: حضر آبنُ الحدّاد مجلسَ المعتصم بن صمادح بحضور آبن* اللبّانة، فأنشد هذا في المعتصم قصيداً أبرز به من عُرَى الإِحسان ما لم يَنْفَصِمْ، وآستَمرَّ فيها يستكمل بدائعها وقوافيها، فإذا هو قد أغار على قصيد** آبن الحداد، الذي أوله (الكامل):

عُجْ بالحِمَى حيث الخِمَاصُ*** العِيْنُ

فقال آبن الحداد مرتجلا. وأورد آبن خاقان الأبيات الثلاثة .
ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٩ - ٥٠) وفيه ينقل المقّري النص نفسه عن المطمح. ومختارات من الشعر الأندلسي ص ١٣٧ .

* تقدم الحديث عنه في مقدمة الديوان ص ٨٥ .
** انظر هذا القصيد في الديوان رقم ٥٨.
*** في نفح الطيب: « الظِّباء ».

١ - في هذا البيت يحثُّ المعتصمَ على معاقبة آبن اللبّانة؛ لأنه أغار على قصائده وسرق منها دُرًّا مكنوناً لا نظير له.
٢ - في مختارات من الشعر الأندلسي: « وإليكما » بدل « وإليكها ». وفي نفح الطيب ومختارات من الشعر الأندلسي: « الظِّباء» بدل « الخِماص ». وإليكها: أي إليك أبياتي هذه. والخِماص: جمع خَمْصانة وهي الضامرة البطن. والعِيْنُ: جمع عَيْنَاء وهي الواسعة العَيْن، أو التي عَظُمَ سوادُ عَيْنها في سَعَة. وعَجْزُ البيتِ هو الذي سرقه آبن اللبّانة وأنشده ضمن قصيدٍ قاله في مجلس المعتصم.
٣ - في مختارات من الشعر الأندلسي: « فآقطَعْ» بدل « وآقطَعْ». والقريض: الشِّعْرُ. يقول: اُحْكُمْ بقطع لسان آبن اللبّانة لا بقطع يده اليمنى؛ لأن لسانه هو الذي سرق القريض، وليس يَمِيْنُه .

وقال في نويرة (الوافر):

- ٥٧ -

١ - رُوَيْدَكَ أيُّها الدَّمْعُ الهَتُوْنُ   فَدُوْنَ عِيَانِ مَنْ أَهْوَى عُيُونُ

٢ - يُظَنُّ بظاهِرِي حِلْمٌ وفَهْمٌ   ودِخْلَةُ باطِني فيه جُنُوْنُ

٣ - إلى كم ذا أُسَتِّرُ ما أُلاقي؟   وما أُخْفِيْهِ مِنْ شَوْقِي يَبِيْنُ

٤ - نويرةُ، بِي نويرةُ لا سِواها   ولا شَكٌّ فقد وَضَحَ اليَقِيْنُ

التخريج: الذخيرة (ق ١ م٢ ص ٧٠٨): الأبيات كلها .

ومسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠١): الأبيات ١، ٣ - ٤.

١ - رُوَيْدَكَ: اسم فعل أمر بمعنى أَمْهِل. والهَتُوْنُ: الهَطُوْلُ المُنْصَبّ. والعيون: الجواسيس، واحدتها عَيْن. يقول: أيها الدَّمْعُ، لا تَنْصَبَّ، لأن هنالك عيوناً تراقبني وتراقب تحرّكات نويرة وتنقّلاتها.

٢ - الحِلْمُ: الأَنَاة والعقل ونقيض السَّفَه. وقوله: جنون: أي جنون الحب .

٣ - رواية صدر البيت في الذخيرة هي:

إلى كم أَسْتَسِرُّ بما أُلاقيّ

يقول: إلى متى أُخْفي ما أُلاقيه من عذاب بسبب صدِّ نويرة وبُعْدِها عنّي؟ إنني غير قادر على ذلك؛ لأنَّ شوقي إليها سرعان ما يُظهر ما أُخْفِيْه.

٤ - في مسالك الأبصار: « وقد» بدل « فقد ».

يقول: إنَّ محبوبتي هي نويرة لا سواها، وقد حان الوقت لأنْ يُفْتَضَحَ أمري. وهنا يُحْسن الشاعر آستعمال الطباق بين « الشكّ» و« اليقين ».

وقال يمدح المعتصم بن صمادح (الكامل):

- ٥٨ -

١ - عُجْ بالحِمَى حيثُ الغِيَاضُ الغِيْنُ   فَعَسَى تَعِنُّ لنا مَهَاهُ العِيْنُ

تخريج الأبيات: في الخريدة (ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٨١) طبعة الدار التونسية، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٨ - ١٩٢: الأبيات ١ - ٤٥، ٥٠ - ٥١، ٥٤ - ٥٩.

وفي نفح الطيب (ج ٤ ص ١٠١ - ١٠٢): الأبيات ١ - ٢، ٦، ٨ - ١١، ١٧ - ١٩، ٤٦، ٥٠ - ٥٣، ٥٧، ٦٠ - ٦١. وفي المصدر نفسه ص ٤٩ صدر البيت الأول.

وفي المغرب (ج ٢ ص ١٤٤: الأبيات ١١ - ١٢، ٢١ - ٢٣، ٤٨ - ٥٠. قال ابن سعيد: «ومن قصائده الجليلة قصيدته التي منها قوله» وأورد الأبيات.

وفي الأفضليات (ج ١ الورقتان ٣٩، ٤٦): الأبيات ٩ - ١٠، ٤٦، ٥٠ - ٥٣. و(ج ٢ الورقة ١٢٠) البيتان ١، ٥٧.

وفي مسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠١): الأبيات ٤٧ - ٤٨، ٥٠ - ٥١. قال ابن فضل الله العمري: حلَّ ابن الحداد مع المعتصم يوماً بدارٍ بناها، ضُرِبَتْ على العيّوق قِبابها، وَيزرُّ عليها الجوُّ جَيْبَ غَمَامه، ويُريها البدرُ حُسْن تمامه. حلَّ منه بقصر يغازله السعود، ويقهقه في جوانبه الرعود، فقال يصف عُلُوَّ مغْناه وعلوَّ قَدْر مبناه شعراً منه. وأورد الأبيات.

وفي مطمح الأنفس ص ٣٣٨ ورد صدر المطلع فقط.

وفي مختارات من الشعر الأندلسي ص ١٣٥ - ١٣٦: الأبيات ١ - ٢، ٦، ٨ - ١١، ١٧ - ١٩.

١ - في الخريدة طبعة الدار التونسية: «حيث الأَرَاكُ العِيْنُ.. الظِّباء العِيْنُ». وفي طبعة دار نهضة مصر: «حيث الأراك الغِيْن.. إلخ». وفي نفح الطيب: «الغِياضُ العِيْنُ.. مَهَاهُ العِيْنُ». وورد صدر البيت في مطمح الأنفس هكذا: «عُجْ بالحِمَى حيث الخِمَاصُ العِيْنُ». كما ورد في نفح الطيب ص ٤٩ هكذا: «عُجْ بالحِمَى حيث الظِّباء العِيْنُ». انظر الأبيات النونية رقم ٥٦ حيث ورد صدر هذا البيت عجزاً للبيت الثاني. وفي مختارات من الشعر الأندلسي: «الغِياضُ العَيْنُ» بفتح العين. والغياض: جمع غَيْضة وهي الأَجمَة ومجتمع =

٢ ـ وآستَقْبلَنْ أَرَجَ النسيمِ فَدَارُهُمْ نَـدِّيَّـةُ الأَرْجَـاءِ لا دَارِيْـنُ
٣ ـ وآسلُكْ على آثارِ يوم رِهانِهِمْ فـهنـاك تُـغْـلَقُ لـلقلوب رُهُـوْنُ
٤ ـ حيثُ القِبابُ الحُمْرُ سَامِيَةُ آلذُّرَى والأَعْـوَجِيَّـاتُ الجِيَـادُ صُفُـوْنُ
٥ ـ والسَّمْهَـرِيَّةُ كـالنُّهُـوْدِ نَـوَاهِـدُ والمَشْـرَفِيَّـةُ في الجُفُـونِ جُفُـوْنُ

= الشجر. والغِيْن: الكثيرة الورق الملتفّة الأغصان. وتَعُنُّ لنا: أي تظهر أمامنا. والمَهَا: ج مَهَاة وهي البقرة الوحشيّة. والعِيْنُ: ج عَيْنَاء وهي الواسعة العَيْن أو التي عَظُمَ سوادُ عَيْنها في سَعَة. وهنا يستفتح الشاعر مديحه بالغزل على طريقة شعراء الجاهلية، واصفاً مَشَقَّات الرِّحلة للوصول إلى دار المحبوبة.

٢ ـ نَدِّيَّةُ الأرجاء: أي إنَّ أرجاءها معطَّرةٌ بالنَّدِّ وهو ضَرْبٌ من الطِّيب يُتَبَخَّرُ به، أو هو العنبر. ودارين ودارون: قرية في بلاد فارس على شاطىء البحر، وهي مرفأ سفن الهند بأنواع الطِّيْب فيقال: مِسْكُ دارين وطِيْب دارين، وليس بدارين طِيْبٌ، هكذا قال البكري. وقال ياقوت وآبن منظور: دارين فُرْضَة بالبحرين يُجْلَبُ إليها المِسْكُ من الهند ويُنْسَبُ إليها فيقال: مِسْك دارين. انظر معجم ما استعجم (ج ٢ ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩)، ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٤٣٢) ولسان العرب (درن). يقول: رغم شهرة دارين بمسكها فإنَّ دار نويرة فاقَتْها شهرةً بأريجها الذي يضوع هنا وهناك.

٣ ـ الرِّهان: المسابقة على الخيل وغير ذلك. والرُّهُوْن ج الرَّهن وهو ما وُضع عند الإنسان لينوبَ مَنَابَ ما أُخذ منه. وتُغْلَقُ الرُّهُوْن: أي يَسْتَحِقُّها المُرْتَهِنُ غَلَقاً، والغَلَقُ في الرَّهْن: ضِدُّ الفكِّ، فإذا فَكَّ الراهنُ الرَّهْنَ فقد أطلقه من وِثاقه عند مُرْتَهَنِه؛ يقال: أَغْلَقْتُ الرَّهْنَ إذا أَوْجَبْتُه فَغَلِقَ للمرتهن أي وَجَبَ له. لسان العرب (غلق). ومراد الشاعر قوله: إنَّ الطريق إلى دار نويرة محفوفةٌ بالمخاطر والأهوال، فمنِ اتَّبَعَهَا وراهن في الوصول إليها لطلب يَدِ نويرة أَخْفَقَ وخسر الرِّهان.

٤ ـ الأَعْوَجِيّات: الخيل المنسوبة إلى أَعْوَجَ وهو فَرَسٌ لبني هلال، ليس في العرب أشهرُ وأكثر نَسْلاً منه. والصُّفُوْن: جمع الصافِن، والصافِنُ من الخيل الذي قَلَبَ أحدَ حوافره وقام على ثلاث قوائم، وهي وقفة التحفُّز للانطلاق. وهنا يتابع الشاعر وصفه وعورة طريق من أراد الوصول إلى دار نويرة.

٥ ـ السَّمْهَرِيَّةُ: الرِّماح الصَّلْبَةُ، منسوبةٌ إلى سَمْهَر وهو رجل كان يُقَوِّمُ الرِّماحَ بالخَطِّ، وآمرأته =

٦ ـ أُفُقٌ إذا ما رُمْتَ لَحْظَ شَمُوْسِهِ صَـدَّتْـكَ للنَّقْـعِ المُثارِ دُجُـوْنُ
٧ ـ يَغْشَاكَ من دُوْنِ الغَزَالِ ضُبَارِمٌ فيـه ومِنْ قَبْـلِ الكِنَـاسِ عَـرِيْنُ
٨ ـ أَنَّى أُرَاعُ لَهُمْ وبين جَوَانِحي شَـوْقٌ يُهَـوِّنُ خَـطْبَهُمْ فَيَهُـوْنُ؟
٩ ـ أَنَّى يَهَـابُ ضِـرابَهُمْ وطِعَـانَهُمْ صَبٌّ بـألحـاظِ العُيُـوْنِ طَعِيْـنُ؟
١٠ ـ فكَأَنَّما بِيْضُ الصِّفاحِ جَداوِلٌ وكـأنَّمَـا سُمْـرُ الـرِّمـاحِ غُصُـوْنُ

= رُدَيْنَة. والمَشْرَفِيَّةُ: السيوف المنسوبة إلى المشارف وهي قرى من أرض اليمن، وقيل: منسوبة إلى مشارف الشام وهي قرى من أرض العرب تدنُو من الرِّيْف. وقوله: في الجفون: أي في جفون السيوف، وهي أغمادها، مفردها جَفْن. وقد وفِّق الشاعرُ في تشبيه الرِّماح، وهي ناهضة مُشْرَعَةٌ، بنهود الشَّابّات، وفي تشبيه السيوف، وهي في أغمادها، بجفون الحسناوات. يقول: إنَّ مَنْ أراد الوصول إلى دار نويرة، فُرِضَتْ عليه معركة لا مَنْجَاة له منها.

٦ ـ الشَّمُوْسُ: الفرس؛ يقال: شَمَسَ الفرسُ إذا مَنَعَ ظَهْرَهُ، أي لا يُمَكِّنُ أحداً من ظهره ولا من الإسراج والإلجام ولا يكاد يَسْتَقِرّ. والنَّقْعُ المُثَار: الغُبار الساطع. والدُّجُوْن: ج دَجْن وهو إلباس الغيم الأرض. وهنا يصف سرعة حركة خيل آل نويرة، وهي تَغْشَى أرض المعركة دفاعاً عنها وحماية لها.

٧ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية: «صوارم» بدل «ضُبارِم». والغزال: يريد به نويرة، شَبَّهَهَا به. والضُّبَارِمُ: الأسد. والكِنَاسُ: موضع في الشجر يَكْتَنُّ فيه الغزال ويستتر. يقول: إذا ما أَرَدْتَ الوصول إلى منزل نويرة فَاجَأَكَ على بابه أسدٌ رابض في عرينه.

٨ ـ في مختارات من الشعر الأندلسي: «إنِّي» بدل «أنَّى». يقول: كيف أخاف منهم وبين جوانحي شوق يدفعني إلى المُضِيِّ قدماً غير آهب بالأخطار؟

٩ ـ في الخريدة: «أو هل يَهَابُ.. إلخ». وفي مختارات: «إنِّي نِصابُ..». والصَّبُّ: العاشق. والطَّعين: المطعون. يقول: كيف أخاف ضِرابَ سيوفهم وطِعَان رماحهم وأنا بألحاظها طعين؟ وهنا يصف فعْلَ عَيْنَي نويرة.

١٠ ـ في الخريدة: «وكأنما» بدل «فكأنما». والصِّفاح: ج صَفْح وهو من السَّيْفُ عُرْضُه. وهنا يشبِّه لمعان السيوف التي تهتزُّ في ساحة الوغى بلمعان صفحة مياه الجداول الصافية وقد هزَّتها ريح الصَّبا، ويشبِّه الرِّماح اللَّيِّنة بالغصون وقد ظلَّلَتْ جوانب =

١١ ـ ذَرْنِي أَسِرْ بين الأَسِنَّةِ والظُّبَى | فـالقلبُ في تلك القِبـابِ رَهِيْنُ
١٢ ـ فَلَعَلَّهُ يُـرْوِي صَدَايَ بِلَمْحِـهِ | وَجْـهٌ بـه مـاءُ الجَمـالِ مَعِيْنُ
١٣ ـ وَلَعِي بذاتِ القُلْبِ أَفْقَدَ أَضْلُعِي | قَلْبـاً عليـه مـا يَـرِيْـمُ يَـرِيْنُ
١٤ ـ تَلْهُو وَأَحْزَنُ مثل ما حَكَمَ ٱلْهَوَى | لا يَسْتَـوِي المسـرورُ والمَحْـزُوْنُ
١٥ ـ وَتَذَلُّلِي لم يُجْدِ غَيْرَ تَذَلُّـلٍ | والـحُسْـنُ عِـزٌّ للحِسـانِ مَكِيْـنُ
١٦ ـ لا غَرْوَ أنْ أَصِلَ الغَرَامَ بِمُعْرِضٍ | غَيْـرُ المُحِبِّ بمـا يُـدَانُ يَـدِيْنُ
١٧ ـ يا رَبَّةَ القُرْطِ المُعِيْرِ خُفُـوْقَهُ | قَلْبِي، أَمَـا لِحِـرَاكِـهِ تَسْكِيْـنُ؟

= الأنهار. ورغم عدم خروج الشاعر في هذين التشبيهين عن نطاق الحسِّيَّة، فإنه وفِّق حين أشرك عنصر الطبيعة في صورة الحرب. كما أنه أَحْسَنَ الطباق بين « بِيْض » و « سُمْر ».

١١ ـ في المغرب: « دَعْني أَسِرْ. ». والأَسِنَّةُ: أي أسنَّة الرِّماح، مفردها سِنان. والظُّبَى: ج ظُبَة وهي حَدُّ السَّيْف. يقول: دَعْني أَسِرْ بين رماحهم وسيوفهم؛ لأنَّ قلبي رهينٌ في تلك القِباب الحُمْر حيث تقيم نويرة.

١٢ ـ في المغرب: بلحظه » بدل « بلمحه ». وفي الخريدة طبعة الدار التونسية: « وجهاً » بدل وَجْهٌ». والماءُ المَعِيْنُ: الظاهر الجاري على وجه الأرض. يقول: لعلِّني ألمح وجه نويرة فأُوْري شوقي وأُخْفي وَجْدي وأُطفىء غُلَّتي. وهنا يبدأ بوصف محاسن نويرة.

١٣ ـ القُلْبُ، بضم القاف: سِوَارُ المرأة. وَيَرِيْـمُ: يُقِيْمُ؛ يقال: رَامَ بالمكان يَرِيْمُ إذا أقام وثبت، والذي يَرِيْمُ على قلبه هنا هو الهوى والصَّبابة والشَّوْق. وَيَرِيْنُ: يغلب عليه؛ يقال: رَانَ هَوَاهُ على قنبه إذا غَلَبَ عليه. ويريد الشاعر أن يقول: إنَّ هَوَاهُ غَلَبَ على قلبه، فلم يعد قادراً على آمتلاكه.

١٤ ـ يقول: حَكَمَ عليَّ الهوى أنْ أكون محزوناً وأنْ تكون هي مسرورة.

١٥ ـ يقول: أنا في تَذَلُّلٍ وهي في تَدَلُّلٍ، وهذا بفضل جمالها الذي لا نظير له.

١٦ ـ لا غَرْوَ: لا عَجَب. والمُعْرِضُ: الذي يَعْرِضُ للناس فَيَسْتَدِيْنُ مِمَّنْ أَمْكَنَه، وفي حديث عمر: فادّانَ مُعْرِضاً، يعني استدان مُعْرِضاً، أو أخذ الدَّيْنَ ولم يُبال أنْ لا يُؤدِّيْه، ولا ما يكون من التَّبِعَة، وأغلب الظن أن المُعْرِضَ هو نويرة. ويريد الشاعر أن يقول: إنَّ نويرة لا تَفِي بِدَيْنِها، أي لا تلين ولا ترحم.

١٧ ـ في الخريدة: « فما » بدل «أما». والقُرْط: الذي يُعَلَّق في شَحْمَةِ الأُذُن، والجمع قِرَطَةٌ =

١٨ - تَوْرِيْدُ خَدِّكِ للصَّبَابَةِ مَوْرِدٌ وَفُتُوْرُ طَرْفِكِ للنُّفُوْسِ فُتُوْنُ
١٩ - فإذا رَمَقْتِ فَوَحْيُ حُبِّكِ مُنْزَلٌ وإذا نَطَقْتِ فإنَّهُ تَلْقِيْنُ
٢٠ - لولاكِ ما أَوْدَى الجَوَى بِتَجَلُّدِي وكَفَاكِ أَنَّكِ لِي مُنَىً ومَنُوْنُ
٢١ - أنتِ الهَوَى ، لكنَّ سُلْوَانَ الهَوَى قَصْرُ آبنِ مَعْنٍ والحديثُ شُجُوْنُ

= وقِراط. يقول: كلَّما تحرَّكَ قُرْطُها كلَّما خَفَقَ قلبي. والأستفهام يُفِيْدُ النَّفْي، أي رغم خفوق قُرْطها فإنَّ قلبي لن يهدأ ويرتاح .

١٨ - الصَّبَابَةُ: الشَّوْق أو رقَّته أو حرارته أو رقَّة الهوى. والطَّرْف: العَيْن. وهنا يتابع الشاعر وصف محاسن نويرة، فخدَّاها مُوَرَّدان يسحران البشر، وعَيْناها فاترتان تفتنان نفوس المحبِّين.

١٩ - في الخريدة: « وإذا رَمَقْتِ.. إلخ ».ورغم مبالغة الشاعر في هذا البيت، فإنه يُعَدُّ من أجمل ما قيل في شعر الغزل .

٢٠ - في الخريدة طبعة الدار التونسية: « ولقاكِ » بدل « وكفاكِ ». وفي الخريدة طبعة دار نهضة مصر قال المحقق في حاشية البيت: « في الأصل: ولقاكِ أنك.. ولعلَّ الصواب ما أثبتناه».والجَوَى: الحُرْقة وشدَّة الوَجْد. والمَنُون: المَنِيَّة. ويريد أن يقول: ليس لي جَلَدٌ على الصبر، وهذا ما تريدينه أنت .

٢١ - في الخريدة طبعة الدار التونسية : « ومنها في التخلّص إلى الممدوح ووصف قصره » ، وأورد الأصفاني الأبيات. وفي طبعة دار نهضة مصر : « ومنها في المخلص إلى . . » ، وأورد الأبيات ، وجاء فيها « قَصْدُ » بالدال بدل « قَصْرُ » . وآبن مَعْن : هو المعتصم بن صمادح ، وقوله : « والحديث شجون » يشير إلى المثل : « الحديث ذو شُجُون » أي ذو فنون وأغراض . قالوا : خرج لِضَبَّةَ آبنِ أُدٍّ ابنان ؛ سَعْد وسعيد ، في طلب إبل ، فَرَجَع سَعْدٌ ولم يرجع سعيد ، فبينا ضَبَّةُ يُساير الحرثَ بنَ كعب إذ قال الحرثُ له: في هذا الموضع قتلْتُ فتىً ، ووصف صفةَ آبنه ، أي آبن ضَبَّةَ ، وقال : هذا سيفه ، فقال ضَبَّةُ : أرِني أَنْظُرْ إليه ، فلما أخذه عَرَفَ أنه سيف آبنه ، فقال : « الحديث ذو شجون » ، ثم ضرب به الحرث فقتله ؛ وفيه يقول الفرزدق (الطويل) :

فلا تَأْمَنَنَّ الحربَ ، إنَّ آستِعارَها كضبَّةَ إذ قال الحديثُ شُجُوْنُ

ثم إنَّ ضَبَّةَ لامه الناسُ في قتل الحرث في الأشهر الحرم فقال : سَبَقَ السيفُ العَذَلَ . انظر لسان العرب (شجن) ومجمع الأمثال (ج ١ ص ١٩٧) . وابن الحداد يريد أن يقول : إنَّ رؤية قصر المعتصم تُنْسِيْني ما ألاقيه من هموم الحبِّ .

٢٢ ـ فالحُسْنُ أَجْمَعُ ما يُرِيْكَ عِيَانُهُ لا مـا أَرَتْـهُ سَـوَالِـفُ وعُيُـوْنُ
٢٣ ـ والرَّوْضُ ما آشتَمَلَتْ عليه شَمُوْلُهُ لا مـا حَـوَتْـهُ أبـاطِـحٌ وحُـزُوْنُ
٢٤ ـ قد عَطَّلَ الأزهارَ زاهِرُ حُسْنِهِ لا الـوَرْدُ مُلْتَفِتٌ ولا النِّسْـرِيْنُ
٢٥ ـ فآجعَلْ جُفُوْنَكَ تَجْنِ منه فُتُوْرَهُ نَـوْرَ الخُـدُوْدِ لـه الأَكُفُّ جُفُـوْنُ
٢٦ ـ فَنُجُوْمُهُ زُهْرٌ ثَوَابِتُ لم يَرِمْ تَـعْـدِيْـلَهـا زِيْـجٌ ولا قـانـونُ

---

٢٢ ـ في الخريدة : « رَأَتْهُ » بدل « أَرَتْهُ ». والسوالف : ج السالفة وهي الماضية أمام الغابرة . ويريد الشاعر أن يقول : إنَّ رُؤْيَتَكَ حُسْنَ هذا القصر بعينك المجرّدة غيرُ ما يحكي لك عنه الآخرون نقلاً عن مشاهدات غيرهم ؛ لأنَّ النَّقل شَكٌّ والعِيانَ يقين .

٢٣ ـ في المغرب : « سُهُوْلُهُ » بدل « شَمُوْلُهُ » و « أَرَتْهُ » بدل « حَوَتْهُ » . والشَّمُوْل : الخمر . والأباطح : ج البطيحة والبطحاء وهي مَسِيْلٌ واسعٌ فيه دُقاقُ الحَصَى . والحُزُوْن : ج حَزْن وهو ما غَلُظَ من الأرض في آرتفاع . ويريد الشاعر أن يقول : إنَّ قصر المعتصم روضٌ بحدِّ ذاته يُرِيحُ النَّفْسَ ويُسِرُّها .

٢٤ ـ النِّسْرِيْن : ورد أبيض قوي الرائحة ، فارسي معرَّب . يقول : إن قصر المعتصم من الداخل خالٍ من الأزهار الطبيعية ، وإنَّ حُسْنَهُ يعوِّض ذلك فيسدّ مسدَّها .

٢٥ ـ رواية صدر البيت في الخريدة طبعة الدار التونسية هي :

فـأَجِـلْ جفـونَـكَ تَجْـلِ منه فُتُـوْرَهُ

وقوله : « تَجْنِ منه فتوره » : أي ترتاح عيونُك لمرآه الحسن ، إذ إنَّ جفون المرأة الفاترة أحبُّ الجفون عند الشعراء . ويريد الشاعر أن يقول : فكما ترتاح عيناكَ لمرأى ذلك القصر فإنَّ كَفَّيْك تشاركانك هذا آلارتياح فتصفِّقانِ فرحةً بذلك الصَّحْن الذي يلمع مرمره المسنون . وهكذا يجعل الشاعر خدود الحِسان البِيْض صحناً لهذا القصر . وسيرد هذا التشبيه في البيت رقم ٤١ من هذه القصيدة .

٢٦ ـ في الخريدة : « ومنها » ، وأورد الأصفهاني الأبيات في وصف قصر المعتصم . وزُهْرٌ : منيرة ، جمع أزهر . والزِّيْج : كتاب تُعْرف به أحوال حركات الكواكب السَّيّارة ويُؤْخذ منه التقويم ، والجمع أزياج . والقانون : مقياس كل شيء ، وقاعدة رياضيّة ملخَّصة بعبارة جبريّة ، وهي كلمة سريانيّة . يقول : إذا ما نظرْتَ إلى حُجَرِ القصر وهي مضيئة ، حَسِبْتَها نجوماً تُضيء السماءَ ، ولكنها نجوم ثابتة لا يُسَيِّرها زِيْجٌ ولا قانون .

٢٧ ـ والمجلسانِ النَّيِّرانِ تـآلفَا ... هَـذَا لِهَـذَا في البَهَـاءِ قَـرِيْـنُ

٢٨ ـ كـالمُقْلَتَيْنِ أو اليَدَيْنِ تَـأَيَّدَا ... والحُسْنُ يَعْضِـدُ أَمْـرَهُ التَّحْسِيْنُ

٢٩ ـ عُطِفَتْ حَنَايَاهُ وضُمِّنَ بَعْضُها ... بَعْضـاً ؛ وسِحْـرٌ ذلـك التَّضْمِيْنُ

٣٠ ـ كتقـاطعِ الأفـلاكِ ، إلاَّ أنَّه ... مُـتَبَـايِـنَـانِ : تَـحَـرُّكٌ وسُـكُـوْنُ

٣١ ـ فَلَكِيَّـةٌ لَـوْ أنَّهـا حَـرَكِيَّـةٌ ... لاعـتـدَّ منهـا الـرأسُ والتِّنِّيْنُ

٣٢ ـ تَتَعاقَبُ الأَعْصارُ فيه وَجُوهُ ... أبـداً بـه آذارُ أو تَـشْـرِيْـنُ

٣٣ ـ وكأنَّ هِرْمِسَ بَثَّ حِكْمَتَهُ به ... وأدارَ فيـه الـفِكْـرَ أَفْـلاطُـوْنُ

---

٢٧ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « تَأَلَّقَا » بدل « تآلفا » . وهنا يصف مجلسين نَيِّرَيْن من مجالس القصر ، فإذا هما متشابهان في البهاء ، مُتَمِّمان لبعضهما البعض .

٢٨ ـ يقول : يتآلف هذان المجلسان كما تتآلف عَيْنَا الإنسان أو كما تتعاضد يَدَاه .

٢٩ ـ في الخريدة : « ومنها » ، وأورد الأصفهاني الأبيات في وصف القصر . وفي الخريدة طبعة دار نهضة مصر : « عُصِفَتْ » بدل « عُطِفَتْ » . و عُصِفَتْ : مالتْ . والحَنَايا : ج حَنِيَّة وهي من البناء ما كان منحنياً كالقوس .

٣٠ ـ الأفلاك : ج فَلَك وهو مَدَارُ النجوم . يقول : إنَّ حَنَايَاهُ متَّصلةٌ ببعضها، تتقاطع كما تتقاطع الأفلاك ، ولكن منها ما هو متحرِّكٌ ومنها ما هو ساكن .

٣١ ـ التِّنِّيْنُ : نجم من نجوم السَّماء ، وقيل : ليس بكوكب ولكنه بياضٌ خفيٌّ يكون جَسَدُهُ في ستة بروج من السماء ، وذَنَبُهُ دقيقٌ أسودُ فيه آلتواءٌ ، يكون في البرج السابع من رأسه ؛ ويتنقل التِّنِّيْنُ تَنَقُّلَ الكواكب الجواري ، ورأسُهُ يُعَدُّ مع السُّعُوْد ، وذَنَبُهُ مع النحوس . وأغلب الظن أنَّ الشاعر يصف قِباب القصر فيقول : إنها فلكيَّةُ الشَّكْلِ ، وإنَّها لو تحرَّكت كما تتحرَّكُ الكواكبُ لصار التِّنِّيْنُ برأسه وذنبه معدوداً منها .

٣٢ ـ الأعصار : ج عَصْر وهو الدَّهْر . ويريد الشاعر أن يقول : رغم تعاقبِ فصولِ السنة وتغيُّرِ الأجواء في هذا القصر ، فإنه لم يعرف قَطُّ الحرَّ اللافحَ ولا البَرْدَ القارس ؛ إذ لم يحلَّ فيه سوى شَهْرَي آذار وتشرين ، وهما شهران معتدلان من حيث المناخ ؛ الأول من شهور الربيع ، والثاني من شهور الخريف .

٣٣ ـ هِرْمِسُ : هو هِرْمِسُ العظيم الذي يُعَدُّ من الأنبياء الكبار ، وصاحب الحكم المشهورة ، ويقال : هو إدريس النبي عليه السلام . وَضَعَ أسماء البروج والكواكب السَّيَّارة ورتَّبها في بيوتها ، ولقد أسماه العبرانيون خَنُوْخ . عاش ثلاثمائة سنة ، وقيل : أكثر من ذلك . =

٣٤ ـ وكأنَّ راسِمَ خطِّهِ إقْلِيْدِسٌ فَمَوَاثِلُ الأَشْكالِ فيه فُنُوْنُ
٣٥ ـ مِنْ دَائرٍ ومُكَعَّبٍ ومُعَيَّنٍ ومُحَجَّنٍ تَقْويْسُهُ التَّحْجِيْنُ
٣٦ ـ شَمَخَتْ فلا تُحْنَى سَوَارِيْها لها كلًّا ، ولا تُرْمَى بها فَتَبِيْنُ
٣٧ ـ فهنالك التَّضْعيفُ والتثليثُ والتـ ـتَرْبِيْعُ والتَّسْديْسُ والتَّثْمِيْنُ

= انظر الملل والنحل ص ٤٥ ، ووفيات الأعيان (ج ٢ ص ٢٩٣) ، ومروج الذهب (ج ١ ص ٥٠) ، والفهرست ص ٣٠٠ ، ٣٢٧ ، ٣٤٥ ، ودائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني (ج ٢ ص ٦٧١) .

وأفلاطون هو ابن أرسطن بن أرسطوقليس ، فيلسوف يوناني طبي ، عالم بالهندسة ، معروف بالتوحيد والحكمة ، وله في الفلسفة كتب وأسفار . تتلمذ لسقراط ، وعنه أخذ أرسطاليس فخلفه بعد موته . عاش إحدى وثمانين سنة ، فتوفي في سنة ٣٤٨ ق . م ، وهي السنة التي ولد فيها الإسكندر . انظر الفهرست ص ٣٠٦ ، ومروج الذهب (ج ١ ص ٢٩٧ ، ٣١٩) و (ج ٢ ص ٤٠ ، ٢٣٨) ، وطبقات الأطباء ص ٢٣ ، وعيون الأنباء ص ٧٩ ـ ٨٦ ، والملل والنحل ص ٨٨ ، والخطابة لأرسطو ص ١٤ ودائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني (ج ٤ ص ٦٣ ـ ٧١) .

٣٤ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « فسوائلُ الأشكال . . » . وإقليدس أو قليدس هو ابن نوقراطس أو نوقطرس بن برنيقس الرياضي اليوناني المشهور بالهندسة . ولد في الإسكندرية ، وقيل : في صور ، وهو من الفلاسفة الرياضيين ، ومن حِكَمِهِ : « الخَطُّ هندسةٌ روحانية ظهرتْ بآلة جسمانيَّة » . له كتاب « أصول الهندسة » . راجع الفهرست ص ٣٢٥ ، والملل والنحل ص ١١٤ ، ودائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني (ج ٤ ص ٩١ ـ ٩٣) .

٣٥ ـ في الخريدة طبعة دار نهضة مصر : « تقديسه » بدل « تقويسه » . ومُعَيَّنٌ : مثقوب ، أو فيه ترابيعُ صغارٌ كعيون الوحش . ومُحَجَّنٌ : مُعْوَجّ .

٣٦ ـ رواية البيت في الخريدة طبعة الدار التونسية هي :

وقسيُّ محنّي سواريها لها نبل ولا يرمي بها فتبين

يقول : إنَّ البناء شامخ وطيدٌ تحمله الأعمدة الضخمة فلا تنحني تحت ثقله ولا تنهدم . انظر حاشية الخريدة طبعة دار نهضة مصر .

٣٧ ـ يعدِّد الشاعر هنا أشكال القصر الهندسية .

٣٨ ـ نِسَبٌ ، حَلَتْ نِسَبُ الغِناء لبعثها ... طَرَبَ النفوسِ ، وسَمْعُها تَعْيِينُ

٣٩ ـ وكأنَّ طَرْفِي مِسْمَعِي ، وكأنَّه ... صَوْتٌ وشَكْلُ خُطُوْطِهِ تلحِيْنُ

٤٠ ـ مُتَلأْلِيءٌ فكأنَّما سَالَ المَهَا ... فيه وذابَ اللؤلُؤُ المَكْنُوْنُ

٤١ ـ وكأنَّ مُبْيَضَّ الخُدُوْدِ وَضاءَةً ... صَحْنٌ له ، لا المَرْمَرُ المَسْنُوْنُ

٤٢ ـ تُغْشَى بِمُذْهَبِ لَمْعِهِ فكأنَّما ... أَبْدَى لَدَيْهِ كُنُوْزَهُ قارُوْنُ

٤٣ ـ هو ثالثُ القَمَرَيْنِ في ضَوْءَيْهِما ... فيه تُضِيْءُ لنا الليالي الجُوْنُ

٤٤ ـ لو أَبْصَرَتْهُ الفُرْسُ قَدَّسَ نُوْرَهُ ... كِسْرَى وأَخْبَتْ نارَها شِيْرِيْنُ

---

٣٨ ـ رواية صدر البيت في الخريدة طبعة الدار التونسية هي :
نِسَبٌ ، جَلَتْ نِسَبُ الغِناء لبعثها
يقول : نظراً لجمال هذه الأشكال الهندسية كان لا بدَّ من غناء يطرب النفوس ، ولكنَّ السَّماع هذه المرة سيكون بالعين لا بالأذن .

٣٩ ـ الطَّرْفُ العَيْن . والمِسْمَعُ : الأُذُن . ومعنى البيت متمِّمٌ لمعنى البيت السابق .

٤٠ ـ المَهَا : ج مَهَاة وهي البِلَّوْرة . ويريد الشاعر أن يقول : إنَّ هذا القصر يَبْهَرُ لشدَّة لمعان ما فيه من بِلَّورٍ أو فِضَّةٍ أو دُرّ .

٤١ ـ يشبِّه الشاعرُ صَحْنَ القصر ، وهو يلمع بمرمره المسنون ، بخدود الحِسان .

٤٢ ـ قارون : هو قُورَحُ بن يصاهر بن قاهات ، مُدَبِّرُ أمرِ بني إسرائيل ، وقيل : قارون بن يصهر بن قاهث . وهو من سِبْط لاَوِي آبن يعقوب . كان من أكبر الأثرياء في عهد موسى عليه السلام ، وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه فقال : ﴿ **إنَّ قارونَ كان من قومِ موسى فَبَغَى عليهِمْ وآتيناهُ من الكُنُوزِ ما إنَّ مفاتِحَهُ لَتَنُوْءُ بالعُصْبَةِ أُوْلِي القوة** ﴾ ، وقال : ﴿ **قال الذين يُريدون الحياةَ الدنيا : يا لَيْتَ لنا مثلَ ما أُوْتِيَ قارونُ إنه لَذُو حَظٍّ عظيم** ﴾ . سورة القصص ٢٨ ، الآيتان ٧٦ ، ٧٩ . وعن قارون انظر جمهرة أنساب العرب ص ٥٠٤ ، والبداية والنهاية (ج ١ ص ٣٠٩) . ويريد الشاعر أن يقول : أنَّى حَلَلْتَ في هذا القصر أدهشك لمعان الذهب ، مما يشير إلى أنَّ المعتصم أنفق في بنائه مالاً كثيراً قُدِّر بكنوز قارون ، وهذا أمر ، لا شكَّ ، مبالغ فيه .

٤٣ ـ القمران : الشمس والقمر . والليالي الجُوْنُ : السوداء . يقول : إنَّ القصر ، إذا ما أُسْرِجَتْ مصابيحه ليلاً ، لَجاءَ في المرتبة الثالثة بعد الشمس والقمر .

٤٤ ـ كِسْرَى : هو كِسْرَى أَبَرْوِيْز بن هُرْمُز آبن كِسْرى أنو شِرْوان بن قُباذ بن فيروز بن يَزْدَجِرْد آبن بَهْرام بن هُرْمُز بن سابور بن =

٤٥ ـ أَوْ لَوْ بَدَا لِلرُّومِ مَعْجِزُ صُنْعِهِ — أَبْدَى السُّجُوْدَ إليه قُسْطَنْطِيْنُ
٤٦ ـ رَأْسٌ بِظَهْرِ النُّونِ إلَّا أَنَّهُ — سَامٍ، فَقُبَّتُهُ بحيْثُ النُّوْنُ
٤٧ ـ في رَأسِهِ سَبَقَ النَّعامَ سماؤه — مِنْ دونه دَمْعُ الغَمَامِ هَتُوْنُ
٤٨ ـ قَصْرٌ تَبَيَّنَتِ القُصُوْرُ قُصُوْرَها — عنه، وفَضْلُ الأفضلين يَبِيْنُ

= أَرْدَشِيْر بن بَابَك . جمهرة أنساب العرب ص ٥١١ . وشِيْرين : هي حظيَّة كِسْرى أَبْرَوِيْز ، وكانت من أجمل خلق الله ، وتعني بالفارسية « الحُلْو » . والفرس يقولون : كان لكسرى أبرويز ثلاثة أشياء لم يكن لِمَلِكٍ قبله ولا بعده مثلها ؛ فرسه شبديز ، وجاريته شيرين ، ومغنِّيه وعَوَّاده بلهبذ . وقصر شيرين من عجائب الدنيا ، فيه أبنية عظيمة شاهقة ، وهي إيوانات كثيرة متصلة ، وقصور ، ومتنزهات ، وأروقة، وحُجُرات تدلُّ على طَوْلٍ وقوّة. معجم البلدان (ج٤ ص ٣٥٨). والشاعر يريد أن يقول : إنَّ قصر المعتصم أكثرُ عظمةً من قصر شيرين ، وهو لو كان على أيام كسرى وزوجته شيرين لَقَدَّسَ كِسْرَى نُوْرَهُ ولأَخْبَتْ شيرينُ نُوْرَ قصرها .

٤٥ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية: « بَدَأَ» بدل « أَبْدَى » . وقُسْطَنْطِيْنُ: هو ملك الروم، الذي بنى مدينة قُسْطَنْطِيْنَةَ فسمِّيَتْ بآسمه، ومنارتها من المنائر العجيبة، والحكايات عن عِظَمِها كثيرة. انظر معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨) ومعجم ما استعجم (ج ٣ ص ١٠٧٤). يقول: إنَّ قسطنطين الذي بنى مدينة قسطنطينة عاجز عن بناء مثل هذا القصر .

٤٦ ـ في الأفضليات: « وقال محمد بن عثمان في وصف قصرٍ وهو بصفات مباني مولانا أَلْيَقُ، وَأَرِجُهُ في أرجائها أَعْطَرُ وأعبقُ»، وأورد آبن الصيرفي الأبيات. وفي نفح الطيب: « ومنها في وصف قصر»، وأورد المقّري الأبيات. وفي الأفضليات: « بحيث » بدل « بظهر » . وهنا يصف الشاعرُ رَأْسَ القصر، فإذا هو سامٍ تعلوه قُبَّةٌ على شكل حرف النون. وبمعنى آخر: رغم أنَّ قبّته مستديرة منخفضة فإنها تعلو رأس القصر بحيث يبدو سامياً يناطح السحاب .

٤٧ ـ النَّعام: ثمانية كواكب من منازل القمر؛ أربعة في المَجَرَّة وتسمَّى الواردة، وأربعة خارجة تسمَّى الصادرة. والغَمَامُ: السَّحاب، الواحدة غَمَامَة. وهَتُوْنٌ: هَطُوْل. يقول: إنَّ رأس القصر يناطح السَّحاب ، بل هو اكثر عُلُوّاً من منازل القمر .

٤٨ ـ يقول: إنَّ قصر المعتصم أفضل قصور الدنيا، لا يوازيه أيُّ قصرٍ في العظمة والجمال .

٤٩ ـ فَمَنِ آبنُ ذي يَزَنٍ وما غُمْدَانُهُ؟   النَّقْلُ شَكٌّ والعِيَانُ يَقِيْنُ
٥٠ ـ هو جَنَّةُ الدُّنْيَا تَبَوَّأَ نُزْلَها   مَلِكٌ تَمَلَّكَهُ التُّقَى والدِّيْنُ
٥١ ـ فكأنَّما الرحمنُ عَجَّلَها له   لِيَرَى بما قد كان ما سيكونُ
٥٢ ـ وكأنَّ بانِيَهُ سِنِمَّارٌ، فما   يَعْدُوْهُ تَحْسِيْنٌ ولا تَحْصِيْنُ

---

٤٩ ـ ابن ذي يَزَنَ: هو مَعْد يَكْرِب بن سيف بن ذي يَزَنَ، ملكُ اليمن، قتله عبيدٌ من الحبشة في باب قصره المعروف بِغُمْدَانَ بمدينة صنعاء، فكان مُلْكُه أربعَ سنين، وهو آخر ملوك اليمن من قحطان، إذ إنَّ عدد ملوكهم سبعة وثلاثونَ ملكاً، ملكوا ثلاثة آلاف سنة وماثة وتسعين سنة. قال فيه زَمْعة جَدُّ أمية بن أبي الصَّلْت الثقفي يهنئه بِعَوْدِ المُلْك إليه (البسيط):

فآشرَبْ هنيئاً عليك التَّاجُ مرتفقاً   في رأس غُمْدَانَ داراً منك محلالا

أنظر مروج الذهب (ج ٢ ص ٥٨ ـ ٦٠)، والبداية والنهاية (ج ٢ ص ١٧٧ ـ ١٧٩) ولسان العرب (يزن). وغُمْدَان: قصر بمدينة صنعاء لآل ذي يَزَنَ، بناه يَعْرُب بن قحطان، وكان آرتفاعه عشرين طبقة، بُني على سبعة سقوف، بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً، وفي أعلاه مجلسٌ بُني بالرخام الملوَّن، وسَقْفُهُ رخامة واحدة، وفي كل ركن من أركانه تمثال أسد، وكانت المصابيحُ تُسْرَجُ فيه ليلاً فكان يلمع كما يلمع البرق. انظر معجم البلدان (ج ٤ ص ١٥٣، ٢١٠) ومعجم ما آستعجم (ج ٣ ص ١٠٠٢)، ومروج الذهب(ج ٢ ص ٥٨)، والبداية والنهاية (ج ٢ ص ١٧٩). ويريد ابن الحداد أن يقول: أين قصر آبن ذي يَزَنَ من قصر المعتصم؟ إنَّ ما يُنْقَلُ عن عظمة غُمْدَان غيرُ ما تراه العين في قصر المعتصم، ذلك القصر العظيم الذي ما يزال ماثلاً للعِيان يُحَدِّث مَنْ يُحْسِنُ السَّمَاع.

٥٠ ـ في الخريدة: « ومنها»، وأورد الأصفهاني البيتين. وفي المغرب: « ظِلَّها » بدل « نُزْلَها ». وفي الأفضليات « جِبِلَّتُهُ » بدل « تَمَلَّكَهُ».

٥١ ـ في الأفضليات: « عَجَّلَهُ له. .إلخ». وهاء الضمير في « عَجَّلَها » تعود على جنة الدنيا.

٥٢ ـ سِنِمّار: هو بَنَّاءٌ روميٌّ بَنَى بظهر الكوفة قصرَ الخَوَرْنَق للنُّعمان بن آمرىء القيس بن عمرو بن عَدِيّ بن نصر آبن ربيعة اللخمي، وهو النُّعْمان الأكبر، ولمّا فرغ من بنائه عجبوا من حُسْنه وإتقان عمله فقال: لو عَلِمْتُ أنكم تُوْفُوْني أُجْرَتي وتصنعون بي ما أستحقُّه لَبَنَيْتُهُ بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت، فقالوا: وإنك لَتَبْني ما هو أفضل منه ولم تَبْنِه؟ ثم أمر =

٥٣ ـ وَجَزَاؤُهُ فيه نقيضُ جَزَائِهِ شَتَّانَ ما الإحياءُ والتَّحْيِيْنُ
٥٤ ـ عَفٌّ فلا مالٌ يُبَاحُ ولا دَمٌ بل آمنانِ: ذخيرةٌ وَوَتِيْنُ

= النُّعْمَان به فَطُرِحَ من رأسِ الجَوْسَق (القصر) فتقطّع. وقيل: فلما نظر النعمان إلى القصر كَرِهَ أن يعمل سِنِمَّارُ مثله لغيره، فلمّا فرغ منه ألقاه من أعلى الخَوَرْنَق فخرَّ مَيْتا، فضرب ذلك مثلاً لكل منْ فَعَلَ خيراً فَجُوْزِيَ بضدِّه، فقيل: (جَزَاءَ سِنِمّار). وقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة منها قول أبي الطمحان القيني الطويل):

جَزَاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها، وربِّها وباللّاتِ والعُزَّى، جَزَاءَ سِنِمّارِ

اللّات والعُزَّى: صَنَمَان.

ومنها قول سليط بن سعد (البسيط):

جَزَى بَنُوْهُ أبا الغيلان من كبرٍ وحُسْنِ فعلٍ كما يُجْزَى سِنِمَّارُ

أي إنَّ أولاد هذا الرجل جَزَوْهُ بعد كبره وحُسْن تربيته لهم كما جُوْزِيَ سِنِمّار. وقال أحدهم (الطويل):

جَزَتْنَا بَنُوْ سَعْدٍ بِحُسْنِ فِعَالِنا جَزَاءَ سِنِمّارٍ، وما كان ذا ذَنْبِ

عن سنمّار وما قالته الشعراء تمثلاً به راجع خزانة الأدب (ج ١ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، والأفضليات (ج ١ الورقة ٤٦) والعمدة(ج٢ ص ٢٢٩)، ومجمع الأمثال (ج ١ ص ١٥٩)، ولسان العرب ومحيط المحيط، مادة (سنمر).

ويريد آبن الحداد أن يقول: إنَّ قصر المعتصم يضاهي قصر الخَوَرْنَق حُسْناً وإتْقان عملٍ بحيث أجاد بانيه في صناعته إجادة سِنِمّار في صناعة قصر النُّعْمان.

٥٣ ـ في الأفضليات: «خِلَافُ» بدل «نقيضُ». والتَّحْيين: الهلاك؛ يقال: حَيَّنَهُ الله فَتَحَيَّنَ أي أهلكه الله فهلك. يقول: شَتَّانَ ما الحياةُ والموت؛ فباني قصر المعتصم جُوْزِيَ بالثناء والتقدير؛ وباني الخَوَرْنَقَ جوْزِيَ بالقتل.

٥٤ ـ في الخريدة: «ومنها في المدح»، وأورد الأصفهاني الأبيات. وفي الخريدة طبعة دار نهضة مصر: «فالآمنان» بدل «بل آمنان»؛ قال المحقق: «في الأصل: فالأمتان، وهو تحريف». والذخيرة: أي بيت مال المعتصم. والوتين: عِرْقٌ في القلب إذا آنقطع مات صاحبه. يقول: إنَّ المعتصم لا يُنْفِقُ أمواله في غير طاعة، ولا يُبِيح دَمَ رعيَّته وجُنْده في معارك لا طائل تحتها.

٥٥ ـ وإذا دَعَا داعٍ بِطُوْلِ بَقَائِهِ   خَـرَقَتْ لـه سَمْـعَ السَمَـا آمِيْنُ
٥٦ ـ مَلَكَ القلوبَ بِسِيْرَةٍ عُمَرِيَّـةٍ   يَحْيَـا بهـا المَفْـرُوْضُ والمَسْنُـوْنُ
٥٧ ـ لا تَأْلَفُ الأحكامُ حَيْفاً عنده   فكـأنَّـهـا الأفعـالُ والـتَّنْـويْـنُ
٥٨ ـ لَـوْ كانَ أَدْنَى بِشْـرِهِ وَذَكَائِـهِ   لِلنَّصْـلِ ما شَحَـذَتْ ظُبَـاهُ قُيُـوْنُ
٥٩ ـ لَوْ كانَ لُجُّ البَحْرِ مِثْلَ نَوالِهِ   غَمَـرَ الـرُّبَى مَسْجُـوْرُهُ المَشْحُـوْنُ

---

٥٥ ـ آمين: كلمة تقال في إِثْر الدُّعاء، وقد حكي عن الحسن رحمه الله، أنه قال: آمين آسْمٌ من أسماء الله عزَّ وجلّ. يقول: إذا دَعَا داعٍ بطول عُمْر المعتصم آستجاب الله تعالى كلامه. قال عمر بن أبي ربيعة (البسيط):

يـا رَبِّ، لا تَسْلُبَنِّي حُبَّهَـا أبـداً،   وَيَـرْحَـمُ اللهُ عَبْـداً قـالَ: آمـينـا

انظر لسان العرب (أمن). والبيت لم يرد في ديوان عمر بن أبي ربيعة.

٥٦ ـ بسيرة عمريَّة: أي بسيرة الخليفة عمر بن الخطاب، الذي يضرب بعدله المثل. يقول: اقتدى المعتصمُ بسيرة عمر بن الخطاب فَسَنَّ رعيَّته وأَحْسَنَ سياسَتَها، عاملاً بما فرضه اللهُ تعالى على عباده وبما سنَّهُ لهم.

٥٧ ـ في نفح الطيب: «ومنها في المديح»، وأورد المقَّري البيت، وجاء فيه: «تُلْقَحُ» بدل «تَأْلَفُ». والحَيْف: الظُّلْم. والتَّنوين: من العلامات المميِّزة للأسماء؛ لأنه لا يكون في الأفعال. وهنا يصف الشاعر عَدْلَ المعتصم فيقول: فكما الأفعال لا يدخلها التنوين، كذلك فإنَّ الأحكام الصادرة عن المعتصم ليس فيها حَيْفٌ ولا ظُلْم. وهنا لا يُخْفَى أنَّ الشاعر يستعمل عن قصد بعض الاصطلاحات الفِقْهية والنَّحْويَّة ليظهر معارفه في عِلْمَي الفِقْه والنَّحْو معا.

٥٨ ـ رواية صدر البيت في الخريدة طبعة دار نهضة مصر هي:

لـو كـانَ أُوتِيَ بِـشْـرُهُ وذكـاؤه

والبِشْـرُ: الطَّلاقَةَ. والنَّصْلُ هنا بمعنى السَّيف، والجمع نُصُوْلٌ وأَنْصُلٌ ونِصال. والظُّبَى: ج ظُبَة وهي حَدُّ السَّيف. والقُيُوْنُ: ج قَيْن وهو الحدّاد. يقول: لو أنَّ شيئاً من طَلاقَة وجهه وحِدَّةِ ذكائه تحوّل إلى السُّيُوْفِ لَمَا آحتاجَ الحدّادون إلى شحْذها لتصبح رقيقة الحدِّ مرهفةَ المضاء.

٥٩ ـ لُجُّ البحر: عُرْضُهُ، وماؤه الكثير الذي لا يُرَى طَرَفاه. ومَسْجُوْره: مملوؤه. والنَّوال: العطاء. يقول: لا يَنْفَكُّ بَحْرُ نَوَال المعتصم يتموَّج حتى غَمَرَ الناسَ كما يغمر البحرُ الرُّبَى. وبمعنىً آخر، إنه أكثر عطاءً من البحر.

٦٠ ـ وبَدَا هِلالُ الأُفْقِ أَحْنَى نَاسِخاً عَهْدَ الصِّيامِ كأنَّه العُرْجُوْنُ
٦١ ـ فكأنَّ بين الصَّوْمِ خَطَّطَ نَحْوَهُ خَطّاً خَفِيّاً بَانَ منه النُّوْنُ

---

٦٠ ـ في النفح: «ومنها»، وأورد المقّري البيتين. والهِلالُ هنا القمرُ لليلتين من آخر الشهر سِتٍّ وعشرين وسبع وعشرين. والأَحْنى: الأحدب. وقوله: ناسخاً عَهْدَ الصِّيام: يريد أنه يُزِيْلُ عَهْدَ الصِّيام؛ يقال: نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ إذا أزالته. والعُرْجُوْن: أصل العِذْق الذي يَعْوَجُّ وتُقْطَعُ منه الشَّمَارِيْخُ فيبقى على النَّخل يابساً، والجمع عَرَاجِيْن. يقول: بدَا هِلَالُ الأُفْقِ أَحْدَبَ كالعُرْجُوْن، مشيراً إلى نهاية شهر رمضان المبارك.

٦١ ـ يقول: لم نَعُدْ نَرَى من الهِلَالِ سوى خَطٍّ خَفِيٍّ بَانَ منه حرفُ النون، مما يُبَشِّرُ بقدوم عيد الفِطْر.

وقال يَرْثِي والدةَ المعتصمِ بنِ صُمادِح (الكامل):

- ٥٩ -

١ - هَيْهَاتِ ما تُغْنِي ٱلقَنابِلُ والقَنَا والمَشْرَفِيَّةُ في مُلَاقَاةِ ٱلمَنَى

٢ - فَعَلَامَ تُشْتَاقُ العِتَاقُ وإنْ جَرَى وَجَرَيْنَ جَاهِدَةً وَنَيْنَ وما وَنَى ؟

٣ - وعَلَامَ تُجْتَابُ الدِّلَاصُ فإنَّها لَيْسَتْ مَوانِعَ سُمْرِهِ أَنْ تَطْعَنَا؟

التخريج: الخريدة (ج ٢ ص ٢٨٧ - ٢٨٨) طبعة الدار التونسية، وطبعة دار نهضة مصر ص ٢٠٥ - ٢٠٨. قال الأصفهاني: «وقوله في المراثي من قصيدة»، وأورد الأبيات.

١ - في الخريدة طبعة الدار التونسية: «القبائل» بدل «القنابلُ». والقنابل: ج قَنْبَلَة وهي طائفة من الناس ومن الخيل. والقَنَا: الرِّماح، واحدتها قَنَاة. والمَشْرَفِيَّة: السيوف المنسوبة إلى المشارف وهي قرى من أرض اليمن، وقيل: منسوبةإلى مشارف الشام وهي قرى من أرض العرب تَدْنُو من الرِّيْف. والمَنَى والمَنِيَّة: الموت لأنه قُدِّر علينا. يقول: لا القنابل ولا الرِّماح ولا السيوف المَشْرَفِيَّة قادرةٌ على الوقوف في وجه الموت. وهذا المطلع قريبٌ من حيث الشكل والمضمون من مطلع المتنبي في مرثيته التي قالها في والدة سيف الدولة في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (الوافر):

نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ والعَوَالِي وتَقْتُلُنَا ٱلمَنُوْنُ بلا قِتَالِ

العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ص ٢٧١. والعوالي: جمع عالية وهي صدر الرُّمْح، والمراد الرماح أنفسها. والمَنُوْنُ: المنية. يقول: نُعِدُّ السيوفَ والرِّماح لمقارعة الأعداء، وهي أسلحة لا تُغني عنّا شيئاً؛ لأن المنيّة تقضي علينا بدون قتال.

٢ - في الخريدة طبعة دار نهضة مصر: «نَشْتاقُ» بدل «تُشْتَاقُ» وقال المحقق: «في الأصل: فعلام تشتاق.. ولعل الصواب ما أثبتناه.». والعِتَاقُ: ج العَتِيْق وهو الفرس الرائع. وإن جَرَى: أي وإن جَرَى الموت. وَوَنَى: كَلَّ وأَعْيَا. يقول: لِمَ تُشْتَاقُ العِتَاقُ إلى حَلْبَة السِّباق طالما أنها ستخسر الرِّهان أمام الموت الذي في جَرْيِهِ لا يعرف الكَلَالَ أبدا؟

٣ - في الخريدة طبعة الدار التونسية: «فعلام» بدل «وعلام». وفي طبعة دار نهضة مصر: «نَجْتَابُ» بدل «تُجْتَابُ». وتُجْتَابُ: تُلْبَس. والدِّلاص: الدروع الملساء اللَّيِّنَة، مفردها دِلاص أيضا. والسُّمْر: أي الرِّماح السُّمْر، سُمِّيَتْ بذلك لأنَّ القناة إذا ٱنتهتْ وصلبت اسمرَّ لونها. يقول: لِمَ تُلْبَسُ الدروعُ طالما أنها لا تحمي أصحابَها من طَعْن رماح الموت؟

٤ ـ إنَّ المَنِيَّةَ ليس يُدْرَكُ كُنْهُهَا ... فَنَوَافِذُ الأفْهَامِ قد وَقَفَتْ هُنَا
٥ ـ في كلِّ شيءٍ للأَنَامِ مُحَذِّرٌ ... مـا كـانَ حَـذَّرَهُ شُعَيْبُ مَدْيَنَـا
٦ ـ وَحَيَاتُنَا سَفَرٌ وَمَوْطِنُنَا الرَّدَى ... لَكِنْ كَرِهْنَـا أَنْ نُحِلَّ المَوْطِنَـا
٧ ـ والعَيْشُ أَضْنَكُ إنْ تَعَذَّرَ مَطْلَبٌ ... كم مِنْ ضِنَاكٍ في مَطَالِبِهِ ضَنَى
٨ ـ وَلَرُبَّما أَعْطَى الزَّمَانُ مَقَادَهُ ... لا تَيْأَسَنَّ فَرُبَّ صَعْبٍ أَمْكَنَا
٩ ـ لا بُدَّ أَنْ تَتْلُو الحياةَ مَنِيَّةٌ ... مَنْ شَكَّ أَنَّ اليومَ يُزْجِي المَوْهِنَا؟

---

٤ ـ يقول: يقف العقل البشري حائراً أمام حقيقة الموت وجوهره.

٥ ـ الأنامُ: الخَلْق. وشُعَيْب: هو النبيُّ ﷺ، من قبيلة مَدْيَنَ، وآسمُهُ يثرون، وهو حَمُو موسى النبيّ، وكان يسمَّى خطيبَ الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه أَمْرَهُمْ بعبادة الله تعالى، ثم لنهيهم عن أن يَنْقُصُوا المِكْيَالَ والميزانَ لأنهم كانوا، مع كفرهم، أهلَ تطفيف؛ قال الله تعالى: ﴿ وإلى مَدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيْباً قال يا قوم ٱعبُدُوا الله ما لَكُمْ من إلَهٍ غَيْرُهُ ولا تَنْقُصُوا المِكْيَالَ والميزانَ إنِّي أراكُمْ بخيرٍ وإنِّي أخاف عليْكُمْ عذابَ يومٍ محيط﴾ انظر القرآن الكريم وتفسير الجلالين، سورة هود ١١، الآية ٨٤، وجمهرة أنساب العرب ص ٥١٠، ومحيط المحيط (شعب). وَمَدْيَنُ: هي قبيلة مَدْيَنَ بن إبراهيم عليه السلام. انظر جمهرة أنساب العرب ص ٩، ٥١٠، وقلائد الجمان ص ٣٥، ومعجم البلدان (ج ٥ ص ٧٧ ـ ٧٨). يقول آبن الحداد: إنَّ الموتَ يُحَذِّرُ الناسَ في كل ما يقومون به، كما كان شعيبٌ يحذِّر قبيلة مَدْيَنَ من عقاب الله تعالى.

٦ ـ الرَّدى: الموت والهلاك. يقول: رغم آعترافنا بأنَّ الحياةَ رحلةُ سَفَرٍ وأنَّ الموتَ مَوْطِنُنا الأخير، فإننا كَرِهْنَا ذلك الموطن وكرهنا أنْ نُقِيمَ به.

٧ ـ أَضْنَكُ: أَضْيَقُ، والضَّنْكُ: الضِّيْق من كلِّ شيء. والضِّناكُ: المُوَثَّقُ الخَلْقِ الشديد، للذكر والأنثى. والضَّنى: المرض. يقول: إنَّ لنا معيشةً ضَنْكاً؛ لأنَّ مطالبنا لا تتحقَّق إلَّا بعد جُهْدٍ ومَشَقَّة.

٨ ـ رواية العجز في الخريدة طبعة الدار التونسية هي:
لَا تَيْأَسَنْ من قُرْبِ صَعْبٍ أَمْكَنَا
وأعطى الزمانُ مَقَادَهُ: انقاد وأذعن لنا. يقول: لا تيأسوا، فلربَّما آنقادَ الزمانُ لنا فسهلت الأمورُ وتحسَّنَتِ الأحوال.

٩ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية: «يرجي» بدل «يزجي». ويُزْجيه: يسوقه ويجريه؛ قال الله تعالى: ﴿ رَبُّكُمُ الذي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ في البحرِ لِتَبْتَغُوا من فَضْلِهِ﴾ سورة الإسراء =

١٠ ـ لا تَرْجُ إبقاءَ البَقاءِ على آمرىءٍ كُلُّ النُّفُوسِ تحِلُّ أَفْنِيَةَ الفَنَا

١١ ـ تَجِدُ الحياةَ نفيسةً، ونُفُوسُنَا غُربَاءُ تَرْغَبُ عندها مُتَوطَّنَا

١٢ ـ لَوْ أَنَّهَا شَعَرَتْ لها وَسَقَتْ دَرَتْ أنَّ الوَفَاةَ هي الحَيَاةُ تَيَقُّنَا

١٣ ـ لكنَّها عَمِيَتْ ولم تَرَ رُشْدَهَا ما كُلُّ مَنْ لَحَظَ الأمورَ تَبَيَّنَا

١٤ ـ فَتَبَصَّرَنَّ مُصابَ سَيِّدَةِ الوَرَى تُبْصِرْ دَنَاءَةَ ذي الحياةِ وذي الدُّنَى

١٥ ـ أَعْظِمْ به مِنْ حادثٍ جَبُنُوا له ما ظَنَّ قَبْلُ شُجَاعُهُمْ أنْ يَجْبُنَا

= ١٧، الآية ٦٦. والفُلْك: السفن. والمَوْهِنُ والوَهْنُ: نَحْوٌ من نصف الليل؛ أو بَعْدَ ساعةٍ منه. يقول: فكما الليلُ يَتْلُو النهارَ، فإنَّ الحياةَ يتلوها الموت. والاستفهام يفيد التقرير؛ أي إنه يقرّر أنَّ الليل يتلو النهار.

١٠ ـ أَفْنِيَةُ الفَنَا: ساحاتُ الفَنَاء، جمع فِناء بكسر الفاء، والفَنَا: الفَنَاءُ وهو خلاف البقاء، وقد حذفت الهمزة للضرورة الشعرّية. ويشير الشاعر في هذا البيت إلى قول الله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عليها فانٍ، ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلَالِ والإكرام**﴾ سورة الرحمن ٥٥، الآيتان ٢٦ ـ ٢٧.

١١ ـ يقول: إذا رَغِبْتَ في أن تكون الحياةُ الدُّنْيا موطناً لك، لا تَنْسَ أنَّك فيها غريب، وأنَّ يوم الحِمَامِ منك لَقَرِيب.

١٢ ـ رواية البيت في الخريدة طبعة دار نهضة مصر هي:

لـو أنَّهـا شَعَـرَتْ لـهـا وَتَيَـقَّـنَـتْ دَرَتِ الوفاةَ، هي الحياة، تَيَقُّنَا

وقال المحقق: «في الأصل: دَرَتْ أنَّ الوفاةَ، وبها يختلُّ الوزن». وفي قوله «سَقَتْ» يجعل الحياةَ الدنيا حديقة تُسْقَى. يقول: رغم أنَّ نُفُوسَنَا أَحَبَّتِ الحياةَ الدنيا، فإنها تعلم أنَّ الدنيا مُدْبِرَةٌ وأنَّ بَعْدَ الموتِ حياةً أخرى.

١٣ ـ تبيَّنَ: أي تَبَيَّنَ الأمورَ فرآها بَيِّنَةً واضحة. يقول: ضَلَّتْ نُفُوسُنَا رُشْدَها، وأصبحت عيونُنا غافلةً عن الحقيقة؛ **ذلك أنَّ المعاينة تكون غالباً بالقلب لا بالعين.**

١٤ ـ سَيِّدَةُ الوَرَى: هي والدة المعتصم، والـوَرَى: **الخَلْق. والدُّنَى: ج دُنْيا وهي نقيض الآخرة. يقول: إنَّ هذا الأمرَ المكروهَ الذي حَلَّ بنا اليوم بِفَقْدِنَا سيدةَ الوَرَى، يُؤكِّد لنا دناءةَ الحياة الدنيا وسُمُوَّ الحياة** الآخرة.

١٥ ـ قال الأصفهاني: «ومنها» وأورد الأبيات. يقول ابن الحداد: **إنه حادث عظيم، جَبُنَ له الشُّجْعَانُ** الذين **ما كانوا من قَبْلُ يعرفون الجُبْن.**

١٦ - وَتَرُوا وما عَلِمُوا بِوِتْرٍ ضَائِعٍ   مَنْ ذا يُطَالِبُ بالتِّرَاتِ الأَزْمُنَا؟

١٧ - ذَابَتْ سُيُوفُهُمْ أسىً، فَظُبَاتُها   تَحْكِي المَدَامِعَ والجُفُونُ الأَجْفُنَا

١٨ - وَتَقَصَّدَتْ أَرْمَاحُهُمْ إنْ لم تَكُنْ   شَجَراً وَشِيْكُ المَوْتِ منه يُجْتَنَى

١٩ - لم يَذْكُرُوا إحْسَانَهَا إلَّا نَسُوا   حُسْنَ العَزَاءِ، وبَعْدَهَا لَنْ يَحْسُنَا

٢٠ - فكأنَّما أنفاسُهُمْ وَمَقَالُهُمْ   نارٌ تُحَرِّقُ بَيْنَهُمْ عُودَ الثَّنَا

٢١ - ما جَفَّ مِنْ دَمْعٍ عليها مَدْمَعٌ،   الحُزْنُ ما وَالَى الدُّمُوْعَ الهُتَّنَا

---

١٦ - وَتَرُوا: ثَأَرُوا قَتْلاهُمْ. والوِتْرُ: الفَرْدُ، والوِتْرُ الضائع هو الفقيدة أمُّ المعتصم. والتِّراتُ: ج تِرَةٍ وهي الذَّحْلُ (الثأر). والأَزْمُنُ: ج زمان. يقول: ثَأَرُوا قَتْلاهُمْ إلَّا أنهم لم يَثْأَرُوا أمَّ المعتصم؛ لأنهم عاجزون عن الوقوف في وجه الموت. والاستفهام هنا يفيد النَّفْي؛ لأنْ لا أحد يطالب الزمان بإيقاف دورة الموت وثأر الفقيدة، لأنهم يعرفون مُسْبَقاً أنْ لا جَدْوَى من ذلك.

١٧ - الظُّبَاتُ: ج ظُبَة وهي حدُّ السَّيْف. والمَدَامِعُ: ج مَدْمَعَ وهو موضع الدَّمْع، والمراد هنا العيون. والجفون: ج جَفْن وهو غِمْدُ السَّيْف. والأَجْفُنُ: ج جَفْن وهو غطاء العَيْن. يقول: حتى إنَّ سيوفهم ذابتْ أسىً لفراق أمِّ المعتصم. وهنا يوفَّق في تشبيه السيوف بالمدامع، وأغمادَها بجفون العيون.

١٨ - في الخريدة طبعة دار نهضة مصر: «أنْ لم يكن سَحَراً وشيكُ..» وتقصَّدَتْ أرماحُهُمْ: تكسَّرَت. يقول: حتى إنَّ رماحهم تكسَّرَتْ أسىً لفراق أمِّ المعتصم. وهنا يوفَّق في تشبيه الرماح بشجرةٍ رَاحَ الموتُ يَجْني منها الثمر.

١٩ - في الخريدة طبعة الدار التونسية: «أَنْ يَحْسُنَا»، وقال المحقق: «في الأصل: لن يخسنا». يقول الشاعر: إذا ما عَدَّدُوا اليومَ محاسنَ الفقيدة نَسُوا العزاءَ، وبعدئذ لن يَحْسُنَ العزاء، وذلك لمرور الوقت على الوفاة.

٢٠ - في الخريدة طبعة دار نهضة مصر: «وكأنَّما» بدل «فكأنما». والثَّنا: الثناء، وقد حذفت الهمزة للضرورة الشعرية. يقول: لشدَّة تفجُّعهم على الفقيدة، لم يَعُدْ بآستطاعتهم النُّطق بكلمة ثناء عليها؛ لأن النارَ أحرقَتْ أَنْفَاسَهُمْ وحَبَستْ كَلَامَهُمْ في أَتُونِها.

٢١ - في الخريدة طبعة الدار التونسية: «والحُزْنُ» بدل «الحزن». والمَدْمَعُ: موضع الدَّمْع، وهو فاعل جَفَّ. وَوَالَى الدموعَ: تابعها ورافقها. والهُتَّنُ: الكثيرةُ الانصباب. يقول: رغم آنصباب دموعِنا لم تَجُفَّ مدامِعُنا، وما كثرةُ البكاء إلَّا دليلاً على شدَّة الحُزْن.

٢٢ ـ أَعَقِيْلَةَ الأَمْلاَكِ والمَلْكِ الذي　　لَبِسَ السَّنَاءُ بِه جَلاَبِيْبَ السَّنَا
٢٣ ـ فَسَقَاكِ مِثْلَ نَدَاكِ أَوْ كَدُمُوْعِنَا　　مُزْنٌ يُعِيْدُ ثَرَاكِ رَوْضاً مُحْزَنَا
٢٤ ـ إنْ كُنْتِ مِتِّ فَذَا ٱبنُكِ المَلِكُ الذي　　يُحْيِي البَرَايَا والعَطَايَا والمُنَى
٢٥ ـ كَثُرَتْ مَحَامِدُهُ فَحَقَّ بها ٱسمُهُ　　وَأَدَامَ إحْيَاءَ المَكَارِمِ فَٱكتَنَى
٢٦ ـ فإذا بَنَى الأعداءُ هَدَّمَ ما بَنَوْا　　والدَّهْرُ لا يَسْطِيْعُ يَهْدِمَ ما بَنَى
٢٧ ـ يا أيُّها المَلِكُ الذي أَوْصافُهُ　　تُعْيِي البليغَ ولا تُطِيْعُ الألْسُنَا

---

٢٢ ـ في الخريدة طبعة دار نهضة مصر: « الثَّناءُ » بدل « السَّناءُ ». وعقيلة الأملاك: سَيِّدة الأملاك، والأملاك: ج مَلِكٍ ومَلْكٍ وهو صاحب المُلْك. والمَلْك هنا هو المعتصم ٱبن الفقيدة. والسَّناء: الرِّفْعَة والمَجْد. والجلابيب: ج جِلْباب وهو القميص والثوب وما تُغَطِّي المرأةُ به ثيابها من فَوْقُ كالمِلْحَفَة. والسَّنا: الضَّوْءُ والنُّوْر.

٢٣ ـ المُزْنُ: السَّحابُ ذو الماء، مفردها مُزْنَة. والثَّرى: التراب النَّديّ. والروض المُحْزَنُ: الذي في مكان من الأرض غليظٍ مرتفع، يقال: حَزُنَ المكانُ حُزُوْنَةً، والحَزْنُ هو المكان الغليظ الخشن. وهنا يدعو لقبرها بالسُّقْيَا.

٢٤ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية: « الرَّضِي » بدل « الذي ». والبَرَايَا: ج البَرِيَّة وهي الخَلْق. والعَطَايَا: ج العَطِيَّة وهي الشيءُ المُعْطَى. وفي هذا البيت ينتقل الشاعر من الرثاء إلى المدح.

٢٥ ـ حَقَّ بها ٱسمُهُ: أي إنَّ ٱسم المعتصم، وهو محمد بن معن، وَجَبَ لهذه المحامد ووافقها وكان حقيقاً بها. وٱكتنى: أي ٱكتنى بإحياء المكارم فتسمَّى بها، وهنا إشارة إلى كنيته وهي أبو يحيى.

٢٦ ـ في الخريدة طبعة دار نهضة مصر: « يستطيع » بدل « يسطيع »، وبذلك ينكسر الوزن. ويَسْطِيْعُ: مضارع اسطاع، فحذفت التاء ٱستثقالاً لها مع الطاء، بمعنى يستطيع. ويَهْدِمَ: منصوبة « بأنْ» المحذوفة، والتقدير: « أنْ يَهْدِمَ». يقول: إنَّ المعتصم لَقَادِرٌ على هَدْم ما بناه الأعداءُ، وإنَّ الدَّهْرَ غير قادر على هدم ما بناه المعتصم. ومبالغة الشاعر عنا واضحة كل الوضوح.

٢٧ ـ يقول: إنَّ الكلام عاجز عن إيفاء المعتصم أَوْصَافَهُ التي جُبِلَ عليها.

٢٨ ـ إنْ كان عُظْمُ الرُّزْءِ أَصْبَحَ كافِراً بِتَجَلُّدٍ لا تُمْسِ إلاَّ مُؤْمِنَا
٢٩ ـ صَبْراً وإنْ جَلَّ المُصابُ، وَسَلْوَةً، فَإِلَيْهِمَا حَكَمَ الحِجَى أنْ تَرْكُنَا
٣٠ ـ والدَّهْرُ أَهْوَنُ أنْ يَجِيْءَ بحادثٍ لم يَثْنِهِ حُسْنُ التَّجَلُّدِ أَهْوَنَا
٣١ ـ والبِرُّ يَقْضِي أنْ تكونَ مُعَظِّماً والحِجْرُ يقضي أن تكونَ مُهَوِّنَا
٣٢ ـ فَلَئِنْ صَبَرْتَ فإنَّ فَضْلَكَ باهِرٌ ولَئِنْ حَزِنْتَ فَحُكْمُهُ أنْ تَحْزَنَا

---

٢٨ ـ عُظْمُ الرُّزْءِ: معظمه، والرُّزْءُ: المصيبة، والجمع الرَّزايا. يقول: إنْ أَصْبَحَ الرُّزْءُ كافراً، لا تَكُنْ إلاَّ صَبُوراً مؤمناً عاملاً بقول الله تعالى: ﴿ **كلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الموت** ﴾ سورة آل **عمران ٣، الآية ١٨٥**. وفي هذا البيت يُحْسِنُ الشاعرُ استعمال الطِّباق بين «كافرا» و «مؤمنا».

٢٩ ـ المُصَابُ: المُصِيْبَةُ وكلُّ أمرٍ مكروه يَحُلُّ بالإنسان، والجمع مصائب. وإليهما: أي إلى الصَّبْر والسَّلْوَة. والحِجَى: العقل، وجمعها أَحْجاء. وأنْ تَرْكُنَا إليهما: أي أنْ تميلَ إليهما وتسكن. يقول: مهما جَلَّ المُصَابُ، عليك أَنْ تَرْكُنَ إلى الصَّبْر والسَّلْوَة؛ لأنك ذو عقل راجحٍ وبصيرة ثاقبة.

٣٠ ـ التَجَلُّدُ: الصَّبْر. يقول: قد يجيء الدَّهْرُ بحادثٍ أكثرَ إيلاماً من هذا المُصَاب، بحيث لا يَثْنِيهِ صَبْرٌ ولا سَلْوَة.

٣١ ـ البِرُّ: الفؤاد. والحِجْر بكسر الحاء: العقل. يقول: يقضي فؤادُك أنْ تُعَظِّمَ هذا المُصَابَ، ويقضي عَقْلُكَ أنْ تُهَوِّنَهُ عليك.

٣٢ ـ فَحُكْمُهُ: أي حُكْمُ الله تعالى.

وقال في المعتصم بن صمادح (الكامل):

- ٦٠ -

١ - هُنَّ الأَمَانِي مُدْمِنَاتُ حِرَانِ ... فَصِلِ آعتِزاماً لَاتَ حِيْنَ تَوَانِ
٢ - وَإِذا آنقضَى زَمَنُ الفَتَاءِ عن الفَتى ... فَبَقَاؤُهُ وَفَنَاؤُهُ سِيَّانِ
٣ - لا تُخْدَعَنَّ فما لإِحْسَانِ الصِّبَا ... عِوَضٌ ولا لِرُوَائِهِ الحُسَّانِ
٤ - وآخلَعْ على رَيْعَانِهِ حُلَلَ المُنَى ... فَمَحَاسِنُ الأشياءِ في الرَّيْعَانِ

تخريج الأبيات: في الخريدة (ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٣) طبعة الدار التونسية، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٩٣ - ١٩٥: الأبيات ١ - ٢١، ٢٣ - ٣٠ .

وفي الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧١٨): الأبيات ١٥ - ١٧، ٢١ - ٢٣، ٣١ - ٣٤ .

١ - في الخريدة طبعة الدار التونسية: « جِرَانِ» بدل « حِرَان ». والأماني: ج أُمْنِيَّة وهي البُغْيَة وما يُتَمَنَّى. والحِرَانُ: اسمٌ من حرَنَتِ الدَّابَّةُ تَحْرُنُ حِراناً وهي حَرُوْن، وهي التي لا تنقادُ فإذا آستُدِرَّ جَرْيُها وقفت. وقوله: لَاتَ حين تَوَانِ: أي ليس الوقتُ وقتَ إعياءٍ وكَلَال؛ والتَّواني والوَنَا: الضَّعْفُ والفُتُوْرُ والكَلَال والإِعْياء. يقول: إنَّ أماني الإنسان تَحْرُنُ كما تَحْرُنُ الدابّة، وإنَّ ما يبغيه صَعْبُ المَنَال، والوقت الآن ليس وقت إعياء وكَلَال. وهنا يحثُّ على مواجهة الصِّعاب .

٢ - الفَتَاء: الشَّباب. وهنا يُنَبِّهُ إلى آقتناص فرص الشَّباب فيقول: إذا ما آنقضتْ أيامُ الشَّباب ولم نستغلَّها فإنَّ بقاءنا أو فناءنا، فيما بَعْدُ، سواء. قال الشاعر(الوافر):

شَبَابُهُمُ وشِيْبُهُمُ سَوَاءٌ، ... سَوَاسِيَةٌ كأَسْنَانِ الحِمَارِ

انظر لسان العرب (سوا).

٣ - قال الأصفهاني: « ومنها»، وأورد الأبيات. والصِّبا: الاسم من صَبَا الرجلُ أي مال إلى الصَّبْوَة أي جَهْلَةِ الفُتُوَّة. والرُّوَاءُ: المنظرُ الحَسَن. والحُسَّانُ: أحسن من الحسن. وهنا يُنَبِّهُ إلى حلاوة أيام الشباب فيقرُّ بأنَّها فرصةٌ لا تُعَوَّضُ بثمن .

٤ - الهاء في « ريعانه » تعود على « الصِّبا » في البيت السابق. ورَيْعَانُ الشَّبابِ ورَيْعَانُ كلِّ شيءٍ: أَوَّلُهُ وأَفْضَلُه. يريد أن يقول: تَمَتَّعْ بشبابك قبل أن يَتَوَلَّى.

٥ - وزيادَةُ الأَقْمارِ بَدْءُ شُهُوْرِهَا وَتَعَقُّبُ الأَعْقَابِ بالنُّقْصَانِ
٦ - والشَّمْسُ في الحَمَلِ الذي هو أوَّلٌ تَسْمُو كما تَنْحَطُّ في المِيْزَانِ
٧ - ليس الصِّبَا زَمَنَ الصِّبَا لكنَّهُ قَمْعُ العِدَى ورِعَايَةُ الخُلَّانِ
٨ - حالٌ يَحُوْلُ آلهِمُّ فيها يافعاً والخَمْرُ تَثْنِي الشِّيْبَ كالشُّبَّانِ
٩ - فَيَرَى تَتَيُّمَهُ وتَقَلِبُ قَلْبَهُ حَدَقُ آلمَهَا وسَوَالِفُ الغِزْلَانِ

---

٥ - في الخريدة طبعة دار نهضة مصر: « شهودها» بدل «شهورها ». يقول: يكون القمر بَدْراً تَمّاً في أول الشهر، ثم يَنْمَحِقُ في آخر الشهر فلم يَعُدْ يُرَى. وهنا إشارة إلى تفضيل مرحلة الشباب على مرحلة الشيخوخة، وهما مرحلتان متناقضتان، كما هي الحال في الطباق بين « زيادة » و« النقصان » .

٦ - الحَمَلُ: أول بُرُوْجِ الفَلَك، وأول الحَمَلِ الشَّرَطَانِ وهما قَرْنَا الحَمَل وهما كوكبان أبيضان، ثم البُطَيْن وهي ثلاثة كواكب، ثم الثُّرَيَّا وهي أَلْيَةُ الحَمَل؛ هذه النجوم على هذه الصفة تسمَّى حَمَلا. انظر لسان العرب (حمل) (وبرج). والمِيْزَان: اسم برج من بروج السماء، وهي آثنا عشر برجا. وهنا يوفِّق الشاعر في آستعمال الطباق بين « تسمو » و « تنحطّ ».

٧ - زمن الصِّبَا: يريد زمن اللَّعِب. والخُلّانُ: ج خليل وهو الصديق المختصّ، وهذا ما ينطبق على آبن الحداد الذي آختصَّ بالمعتصم وأكثر من آمتداحه. يقول: ليس الشباب مرحلة لعب وضياع وقت بل مرحلة قَمْع العِدَى ورعاية الخُلَّان. وهنا يحثُّ المعتصمَ على محاربة الأعداء من جهة وعلى معاملته إيّاه بالحُسْن واللِّين من جهة أخرى .

٨ - في الخريدة طبعة دار نهضة مصر : « يجول » بدل « يحول » . والهِمُّ ، بكسر الهاء : الشيخ الفاني . والشِّيْبُ : جمع الأَشْيَب وهو الرجل الذي آبيضَّ شَعْرُه . يقول : إنها حالٌ يصبح الشيخُ فيها فتىً يافعاً كما تبعث الخمرُ في شاربيها الشِّيْبِ حَيَوِيَّةَ الشَّباب وحلاوته .

٩ - في الخريدة طبعة الدار التونسية : « غَيْرِي » بدل « فَيَرَى » . والحَدَقُ : ج حَدَقَة وهي سواد العين ، والمراد العيون . والمَهَا : ج المَهَاة وهي البقرة الوحشيَّة تُشَبَّهُ بها المرأةُ في جمالها وحسن عَيْنَيْهَا. والسَّوَالِفُ: ج السَّالِفَة وهي صفحة العنق. يقول: في هذه الحال يَرَى الشيخُ الفاني تَتَيُّمَهُ ويصبح قلبُه قلبَ شابٍّ يافعٍ يهيْمُ بعيونِ الحسناوات وأجيادهنّ .

١٠ ـ فالنَّفْسُ تَزْدادُ النَّفاسَةَ،والهَوَى	هُـوْنٌ ، ومـا أَرْضَى لهـا بِهَـوَانِ
١١ ـ وَلَرُبَّ ذي أَيْدٍ سَعَى لِيَضُمَّهَا	فَـرَمَـتْـهُ بـالإِيْـهَـاءِ والإِيْـهَـانِ
١٢ ـ وَوَعِيْدُ أَقْوَامٍ صَمَمْتُ لِسَمْعِهِ	سَـمْـعُ الأَذَى مـن آفَـةِ الآذانِ
١٣ ـ وتَغَطْرُسٌ من مَعْشَرٍ قد أَنْبَأُوا	أَنَّ الـوِهَـادَ تَـعُـوْدُ شُمَّ رِعَـانِ
١٤ ـ قَلَبَ الزمانُ عِيَانَهُمْ وعِيَالَهُمْ	وكَـذَا الـزَّمَـانُ مُغَيِّـرُ الأَعْيَـانِ
١٥ ـ يا سَائِلِي عَمَّا زَكِنْتُ من الوَرَى	والسِّـرُّ قـد يُفْضِي إلى الإِعْـلَانِ
١٦ ـ إِيْها سَقَطْتَ على الخَبِيْرِ بِحَالِهِمْ	عنـد العَـرُوْضِ حَقَـائِقُ الأَوْزَانِ

---

١٠ ـ الهُوْنُ والهَوَانُ : نقيضُ العِزّ . ويريد الشاعر أن يقول : إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوْء ، تخضع لسلطان الهوى دون رادع ، وأنا لا أرضى لنفسي الذُّلَّ والهَوَان .

١١ ـ الإِيهاء : الضَّعْفُ ؛ يقال : أَوْهَاهُ إِيْهاءً إذا جعله ضعيفا . والإيهان : الضَّعْفُ أيضاً ؛ يقال : أَوْهَنَهُ إِيْهَاناً إذا أضعفه . ولعله يقول : ربّ قادرٍ خالٍ من هموم الحب غلبتْه نفسه فآستسلم لـسلطان الهوى .

١٢ ـ الوَعِيْدُ : التَّهْديد . وصَمَمْتُ : أصبحت أَصَمَّ ؛ يـقـال: صَـمَّ الرجلُ يَصَمُّ إذا آنسدَّتْ أذنه وثَقُلَ سَمْعُه . وهنا يُنَبِّه الشاعر من أَذَى الآخرين .

١٣ ـ التَّغَطْرُسُ : الإِعجاب بالشيء ، والتكبّر . والوِهادُ : الأماكن المطمئنّة كأنها حُفَرٌ ، مفردها وَهْدَة . والرِّعَانُ : جمع رَعْن وهو أنف يتقدّم الجبل ، والجبل الطويل . والشُّمُّ : ج أَشَمّ وهو المرتفع . يقول : إنَّ هؤلاء المتغطرسين يَقْلِبُوْنَ الحقائقَ العلميَّة فيجعلون الأماكن المنخفضة جبالاً مرتفعة . وهنا يحذِّر الشاعرُ من آلاختلاط بهذه الفئة من البشر .

١٤ ـ يقول : كما غَيَّرَ الزمانُ حقائقَ الأشياء فإنَّه قَلَبَ لهؤلاء الأشخاص ظَهْرَ المِجَنِّ فَجَنُوا المُرَّ ليس غير . وهؤلاء الأشخاص الذين يتحدّث عنهم الشاعر قد يكونون من حُسَّاده أو منافسيه .

١٥ ـ في الخريدة : « يا سائلاً » بدل « يا سائلي » . وزَكِنْتُ : عَلِمْت . والوَرَى : الخَلْق . وكأنَّ الشاعرَ لا يريد أن يُفْضي بما خَبِرَه عن الأشخاص الذين مِنْ حَوْله .

١٦ ـ الخبير هنا هو الشاعر نفسه ، وهو الذي يَخْبُرُ الشيءَ بعلمه . وقوله : « سَقَطْتَ على الخبير » يشير إلى المثل : « على الخبير وَقَعْت » أو « على الخبير سَقَطْت » . يُضْرَبُ لوُقُعِ الرجل على صاحب المعرفة والدِّراية بالأمر ، والمعنى : إنك سأَلْتَ عن الأمر خبيراً به . انظر مجمع الأمثال (ج٢ ص ٢٤) والمنجد في اللغة والأعلام ص ٩٨٣ . =

١٧ ـ هُمْ كالقَرِيْضِ وَكَسْرُهُ من وَزْنِهِ يَبْـدو من التَّحْـرِيْـكِ والإسْكَـانِ
١٨ ـ ومتى تَحُلْ حالاهُما عن كُنْهِها أَنْكَـرْتَ منـه واضِـحَ العِـرْفَـانِ
١٩ ـ كم من خليلٍ سَاعَدَتْهُ سَعَادَةٌ وطَوَى بها كَشْحاً على الأَضْغَانِ

= والعَرُوْضُ : ميزان الشِّعْر لأنه به يظهر المُتَّزِنُ من المُنْكَسِرِ ، أو لأنه يُعَارَضُ بها أو يُعْرَضُ عليها ، مؤنثة . يقول الشاعر : كما أنا خبيرٌ بالعروض عالمٌ بها ، فإنني خبير بحال هؤلاء الأشخاص .

١٧ ـ في الخريدة : « وكَسْرُهُمْ » بدل « وكَسْرُهُ » . والقريض : الشِّعْر . وكَسْرُهُ من وزنه : أي بميزان الشِّعْر يظهر المُنْكَسِرُ من المُتزِن . يقول : كما أعرف مُنْكَسِرَ الشِّعْر من مُتَّزِنِهِ فإنني أَخْبُرُ هؤلاء الأشخاص على حقيقتهم . وهنا يهدف ٱبنُ الحداد إلى إبراز ثقافته في علم العروض ؛ إذ لا ننسى أنّه عروضي ، وله مُصَنَّفات في العروض لا نظير لها نبلاً وإفادة .

وهذا البيت كقول أبي العلاء المعري (المتقارب) :

غَدَا النَاسُ كُلُّهُمُ في أَذىً فَرُجَّ حَيَاتَكَ في مَنْ يُزَجْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ طويلَ القَرِيْـ ـضِ مِنْ مُتَقَارِبِهِ والهَزَجْ ؟

اللزوميات (ج ١ ص ٢٨٠) . وفي الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧١٩) ورد البيتان بٱختلاف عما هنا .

١٨ ـ رواية صدر البيت في الخريدة طبعة الدار التونسية هي :

ومتى يحـل حـالاهمـا مـن كُنْههـا

ومتى تَحُلْ حالاهما : أي متى تتحوَّل حالاهما ؛ يقال : حَالَ الشيءُ وأحالَ إذا تَحوَّل . وحالاهما : أي حالا التحريك والإسكان . وكُنْهها : أي كُنْه العَرُوْض ، والكُنْهُ جوهر الشيء وحقيقته . ومنه : أي من القريض . والعِرْفان : المعروف . ويريد الشاعر أن يقول : إذا لم نعتمد في الشعر طريقةَ التحريك والإسكان باتَ من الصَّعْب معرفة مُتَّزَنِهِ من مكسوره .

١٩ ـ الأضغان : ج ضِغْن وهو الحِقْد ، وقوله : طَوَى كَشْحاً على الأضغان : أي أَضْمَرَ الأضغان . ويريد الشاعر أن يقول : كم من خليلٍ فَضَّلَ العداوةَ على الصداقة ، والشَّرَّ على الخير .

٢٠ ـ مِنْ كلِّ ذي حَسَدٍ يُشانِيءُ شانىءٍ	إنَّ التَّحَـاسُـدَ بـاعِـثُ الشَّنْـآنِ
٢١ ـ هَاجُوا سُكُوني فٱلتَدَمْتُ هِياجَهُمْ	إنَّ الـحَـرَاكَ دَلاَلَـةُ الـحَـيَـوَانِ
٢٢ ـ فٱنجَابَ عن شَمْسِي دُجَى إجْلاَبِهِمْ	وَلَـرُبَّ بُـرْءٍ كـانَ فـي بُحْـرانِ
٢٣ ـ لَمَّا فَضَلْتُ رَمَوْا بكلِّ عَضِيْهَةٍ	والفَضْـلُ مـوضـعُ أَسْهُمِ البُهْتَـانِ
٢٤ ـ يا ما لِدَهْرِي ليس يَعْدُلُ حُكْمُهُ	أَتَـرَاهُ خَالَ العَـدْلَ في العُدْوَانِ ؟

---

٢٠ ـ في الخريدة طبعة دار نهضة مصر : « حَسَدٍ لِشَاءٍ شانىءٍ . . إلخ » ، وقال المحقق : « في الأصل : يشأى شاءٍ ولعلَّ الصواب ما أثبتناه » . والشَّانِيءُ : المُبْغِض . والشَّنْآنُ : البُغْضُ والبِغْضَة .

٢١ ـ في الخريدة : « هياجه » بدل « هياجهم » ، و « لاَلَةُ » بدل « دَلاَلَةُ » . والحَرَاكُ ، بالفتح : الحركة ، ضِدُّ السكون . والحيوان : الحياة ونقيض المَوْتَان ، أبلغ من الحياة لما في بناء « فَعَلاَن » من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ، والحيوان في الجنَّة ، والحياة في الدنيا ؛ قال الله تعالى : ﴿ وإنَّ الدارَ الآخرةَ لَهِيَ الحيوان ﴾ أي دارُ الحياة الدائمة . انظر سورة العنكبوت ٢٩ ، الآية ٦٤ . يقول : طلبوا مني أن أخرج عن صمتي وأقول شعراً ، أَمَا دَرَوْا أن الحركة (قول الشعر) دلالة الحياة ؟ وهنا يُحْسِنُ الشاعر آستعمال الطباق بين السكون والحَرَاك .

٢٢ ـ انجاب : انكشف ؛ يقال : انجابتِ آلسَّحَابَةُ إذا آنكشفتْ وآنقطعتْ ، وآنجابَ السَّحابُ عن المدينة إذا آنجمع وتقبَّض بعضُه إلى بعض وآنكشف عنها . وشمسي : أي شمس معارفي . والإجلاب : مِنْ أَجْلَبَ القومُ أي جَلَبُوا فٱختلطتْ أصواتُهم وصَاحُوا وضَجُّوا وتجمَّعوا من كل وجه للحرب . والبُرْءُ : الشِّفَاء . والبُحْرَانُ : التَّغَيُّرُ الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة . ويريد الشاعر أن يقول : انقشعتْ غيوم جهلهم عن شمس معارفي فَبَرِئوا من مرضهم (جهلهم) وتَعَافَوْا .

٢٣ ـ في الذخيرة : « عظيمة » بدل « عضيهة » . وفي الخريدة : « موقع » بدل « موضع » . والعَضِيْهَةُ : الإفْكُ والبُهْتان والنَّميمة . يقول : لَمَّا فَضَلْتُ عليهم رَمَوْني بكل كَذِبٍ وبُهْتان .

٢٤ ـ في الخريدة طبعة دار نهضة مصر : « واهاً لدهري » بدل « يا ما لدهري » ، و « حال » بدل « خال » . يقول : ما بال دهري لا يَعْدِل ؟ أيظنُّ أنه ، في آعتدائه عليَّ ، يقضي بالحق ؟ وآلاستفهام يفيد النَّفْي ؛ أي إنَّ الدهرَ ، في آعتدائه عليَّ ، لا يظنُّ أنه يقضي بالحق .

٢٥ ـ أو رَدَّ حَظِّي في الحُظُوظِ مُصَلِّياً؟ أنْ كـان ذِهْنِي سَابِقَ الأذْهَـانِ
٢٦ ـ هَلاَّ تَنَاءَتْ في التَّسَابُقِ حَلْبَةٌ حتى يُبَـرِّزَ رَبُّ كُـلِّ رِهَـانِ ؟
٢٧ ـ لو مُدَّ مَيْدَانُ التَّنَاظُرِ بيننا عَلِمَ الـوَرَى مَنْ فَـارِسُ المَيْدَانِ
٢٨ ـ ذِكْرُ الفَتَى يُبْدِي خَفِيَّ سِنَانِهِ والنَّـارُ حَـامِيَـةٌ بِغَيْـرِ دُخَـانِ
٢٩ ـ وعَسَى إثَـارَتُـهُ تُـرِي آثَـارَهُ وَلَـكَـمْ تُـدَالُ إدَالَـةٌ بِـطِعَـانِ

---

٢٥ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « أَوْرَدْتُ » بدل « أو رَدَّ » . والمُصَلِّي : تالي السابق ؛ يقال : صَلَّى الفرسُ إذا جاء بعد السابق لأنَّ رأسه يلي صَلاَ (وسط الظهر) المُتَقَدِّم ، ويقال للسابق الأول من الخيل المُجَلِّي ، وللثاني المُصَلِّي ، وللثالث المُسَلِّي ، وللرابع التالي ، وللخامس المُرْتَاحُ ، وللسادس العاطفُ ، وللسابع الحَظِيُّ ، وللثامن المُؤَمَّلُ ، وللتاسع اللَّطِيْمُ ، وللعاشر السُّكَيْت . لسان العرب (صلا) . ويريد الشاعر أن يقول : عندما علم الدهرُ بتفوّقي على شعراء بلدي جعلني تالياً لهم . لذلك شبَّه حَظَّه بالفرس المُصَلّي ولم يُشَبِّهْه بالمُجَلِّي .

٢٦ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « تُبَرِّزَ » بدل « يُبَرِّزَ » . وتَنَاءَتِ الحَلْبَةُ : اتَّسَعَت . وربُّ كلِّ رِهان : الفرس الذي يُرَاهَنُ على سباقه . يقول : هَلاَّ آتَّسَعَتْ حلبةُ ميدان التسابق ليظهر المُبَرِّزُ في السباق ؟ .

٢٧ ـ الوَرَى : الخَلْق . يقول : لو مُدَّ ميدانُ التَنَاظُرِ بيننا ، نحن الشعراءَ ، لَعَلِمَ الخَلْقُ أنني الفارسُ المُجَلِّي والمُحرِزُ قَصَبَ السَّبْق .

٢٨ ـ خفيُّ سِنَانِهِ : أي خفيُّ سِنان رُمْحِهِ ، أي نَصْلُ رمحه ، والجمع أَسِنَّة ، ولعلَّ القول : « خَفِيَّ سِمَاتِهِ » . ونَارٌ حَامِيَةٌ : ذاتُ حَمِيٍّ ، أي اشتدَّ حَرُّها ، قال الله تعالى : ﴿ تَصْلَى ناراً حَامِيَةً ﴾ سورة الغاشية ٨٨ ، الآية ٤ .

٢٩ ـ رواية صدر البيت في الخريدة طبعة دار نهضة مصر هي :

وعَـسَـى أبـاريـه بِـزِيٍّ إثـارةٍ

وقال المحقق : « ورد البيت مضطرباً بالأصل ،وقد صَحَّحْناه بما يناسب المعنى والسياق » . وفي الخريدة طبعة الدار التونسية : « بِضَمَانِ » بدل « بِطِعَانِ » . وإثارته : أي إثارة الفتى وهي تَهَيُّجُ العاطفة . وتُدَالُ : تتحوَّل ؛ يقال : دَالَ الزمانُ إذا آنقلب من حال إلى حال . والإِدَالَةُ : الغَلَبَة . والطِّعَانُ : مِنْ طَعَنَهُ بالرُّمح أي ضربه ووَخَزَه ؛ يقال : تطاعنوا في الحرب تطاعناً وطِعَاناً إذا طعن بعضهم بعضا . يقول : عَسَى في إثارة الفتى نَصْرٌ له ؛ لأنَّ النصر غالباً ما يكون في القتال .

٣٠ - ومَلاكُ بُغْيَتِكَ المَلِيْكُ مُحَمَّدٌ يَمِّمْهُ تُحْمَدْ صَرْفَ كُلِّ زَمَانِ
٣١ - شَادَ آبنُ مَعْنٍ في تُجِيْبَ مَكَارِماً ليستْ لِمَعْنٍ في بني شَيْبَانِ
٣٢ - يا مَنْ يُضِيْفُ إليه حاتمُ طَيِّءٍ مَرْعىً ولكنْ ليس كالسَّعْدَانِ
٣٣ - أعْطَتْهُ أهواءَ القلوبِ سياسَةٌ خَفِيَتْ لَطَائِفُها على سَاسَانِ

---

٣٠ - مَلاكُ الأمر : قِوَامُهُ الذي يُمْلَكُ به ، وصَلاَحُه . وصَرْفُ الزمان : حِدْثَانُهُ ونَوَائِبُهُ ، وجمعه صُرُوْف . والمليك محمد : هو المعتصم بن صمادح . يقول : اقْصِدِ المعتصمَ بن صمادح ؛ فهو مِلاكُ بغيتك ؛ يُعِيْنُكَ على طلبك ، ويُبْعِدُ عنك صُرُوْفَ الدَّهْر ونوائبه . وهنا يدخل الشاعر في باب المديح .

٣١ - ابن معن : هو المعتصم بن صمادح . وتُجِيْبُ : هي قبيلة المعتصم وتنسب إلى تُجيب بنت ثَوْبان بن سُلَيْم بن رُهاء ، من مَذْحِج ، وهي أم عَدِيّ وسعد ، ابْنَيْ أَشْرَس بنِ شبيب بن السَّكُوْن بن أَشْرَس بن كِنْدَة . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٩ ، ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٣١) والمطرب ص ٣٤ . وبنو شيبان : قبيلة عربية تنسب إلى شَيْبان بن معن بن مالك بن أَعْصُر . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٥ . يقول : إنَّ مكارم المعتصم لا تدانيها مكارم معن بن مالك بن أَعْصُر .

٣٢ - حاتمُ طَيِّءٍ : هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَج بن آمرىء القيس بن عديّ بن أَخْزَم بن ربيعة بن جَرْوَل بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّءٍ ، وأُمُّه عنبة بنت عفيف ، من طيء . كان جواداً شاعراً جيد الشعر . انتهى إليه وهَرِم بن سِنان وكَعْب بن مامة الإيادي الجودُ في الجاهلية ، ولكن المضروب به المثل ، كما يقول آبن عبد ربه ، هو حاتم وحده . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٢ ، والشعر والشعراء ص ١٦٤ - ١٦٥ ، والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٧) . والسَّعْدان : نبت ذو شوك كأنه فَلْكَةٌ ، ينبت في سهول الأرض ، وهو من أطيب مراعي الإبل ما دام رطباً ، والعرب تقول : أطيب الإبل لَبَناً ما أكلَ السَّعْدانَ ، ولذلك قيل في المثل : « مَرْعىً ولا كالسَّعْدان » . انظر لسان العرب (سعد) ومجمع الأمثال (ج ٢ ص ٢٧٥) . ويريد الشاعر أن يقول : إنَّ حاتم طيء نقطة في بحر مكارم المعتصم .

٣٣ - ساسان : هو ساسان بن بَهْمَن ، جَدُّ أسرة الساسانيين الذين أقاموا في القرن الثالث الميلادي دولة إيرانية ذات دين قومي هو الدين الزَّردشتي ، وحكموا على ما يزيد على أربعة قرون . انظر في أدب الفرس وحضارتهم ص ١٧٠ وما بعدها ، وجمهرة أنساب العرب ص ٥١١ . يقول : إن المعتصم لقريبٌ من قلوب الناس ؛ فشتَّانَ ما بين سياسته وسياسة الساسانيين .

٣٤ ـ وبَدَتْ إلينا منه صورةُ سِيْرَةٍ تُنْبِيْـك عَمَّـا سَنَّـهُ العُـمَـرَانِ

٣٤ ـ العُمَرَان : هما أبو بكر وعُمَر ؛ قالوا لعثمان يوم الدار : تَسْلُكُ سيرةَ العُمَرَيْن . لسان العرب (عمر) . يقول : إنَّ سيرة المعتصم كسيرة أبي بكر وعمر .

ومن المنسوب إليه في النساء (البسيط) :

- ٦١ -

١ - خُنْ عَهْدَها مثلَ ما خَانَتْكَ مُنْتَصِفاً وٱمنَحْ هَوَاهَا بنسيانٍ وسُلْوَانِ
٢ - فالغِيْدُ كالرَّوْضِ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ إنْ مَرَّ جَانٍ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ جَانِ

التخريج : نفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٥) .

١ - في هذا البيت يعارض آبنَ زيدونَ في المعنى ويتفق معه في الوزن والقافية في قوله :
عَاوَدْتُ ذِكْرَى الهَوَى من بَعْدِ نِسْيانٍ، وٱستَحْدَثَ القلبُ شَوْقاً بعد سُلْوَانِ
ديوان ابن زيدون ص٥٦ . كذلك ورد البيت في نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٨٤) بآختلاف يسير عما هنا .
٢ - الغِيْدُ : جمع غَيْداء وهي المرأة المتثنِّية من اللِّيْن ، وقد تغايَدَتْ في مَشْيها . يقول : إن الحسناوات كالروض منظراً ومخبراً ؛ فالواحدة منهنَّ تستقبل عدداً من الشُّبَّان مداورةً فتقدِّم لهم كلَّ ما يشتهونه من ضمّ إلى قُبَلٍ لِطاف . . . وفي صدر البيت يتأثّر بآبن عمّار في قوله من قصيدة مديح في المعتضد بن عبّاد (الكامل) :
مَلِكٌ يَرُوْقُكَ خَلْقُهُ أو خُلْقُهُ كالرَّوْضِ يَحْسُنُ مَنْظَراً أو مَخْبَرا
انظر نفح الطيب (ج ١ ص ٦٥٦) . وعجز البيت قريب من قول أبي بكر الأعمى المخزومي في هجاء نزهون بنت الوزير القلاعي (الطويل) :
قَوَاصِدُ نزهونٍ تَوَارِكُ غَيْرِها ومَنْ قَصَدَ البحرَ آستقلَّ السَّوَاقيا
انظر نفح الطيب (ج ١ ص ١٩٢) .

وقال من قصيدة في وصف ضيافة (الكامل) :

- ٦٢ -

١ ـ سُمْتَ السَّوَامَ به الحِمَامَ كأنَّما أُخِذَتْ بِشَأْنٍ من ذوي الشَّنْآنِ
٢ ـ وتَبِعْتَها ذاتَ الجَنَاح كأنَّما فَعَلَتْ جُناحاً قَبْلُ في الطَّيَرَانِ
٣ ـ حتى غَدَا حَمَلُ السَّماءِ وثَوْرُها حَذِرَيْنِ مما حَلَّ بالحُمْلانِ

التخريج : الخريدة (ج ٢ ص ٢٧٧) طبعة الدار التونسية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

والأفضليات (ج ١ الورقتان ٤٩ ـ ٥٠) . قال آبن الصيرفي : « وقال محمد يصف سِمَاطا » ، وأورد الأبيات . وسِمَاطُ الطعامِ : ما يُبْسَطُ ليوضع عليه .

١ ـ في الخريدة طبعة الدار التونسية : « كأنّها أُخِذَتْ لشأنٍ . . » . وفي الخريدة طبعة دار نهضة مصر : « كأنما أُخِذَتْ بثأرٍ . . » ، وقال المحقق : « في الأصل : أخذت لشأنٍ ولعلَّ الصواب ما أثبتناه» . والسَّوَامُ والسائمة : الإبل الراعية ؛ يقال : سامَتِ الماشيةُ والغنمُ تَسُوْمُ سَوْماً إذا رَعَتْ حيث شاءتْ ، فهي سائمة . لسان العرب (سوم) . والحِمامُ : قدر الموت . وقوله : سُمْتَ السَّوَامَ به الحِمامَ : أي إنَّك ذَبَحْتَ هذه السَّوَامَ وقَدَّمْتَها لضيوفك . والشَّنْآن : البُغْضُ والبِغْضَةُ . يقول : إنك ذَبَحْتَ هذه الأنعامَ السائمة إكراماً لضيوفك ، فأوردْتها وِرْدَ الحِمَامِ كأنّما قتلْتَ أخذاً بثأرٍ قديم من الأعداء المُبْغِضِيْن . راجع حاشية الخريدة طبعة دار نهضة مصر .

٢ ـ ذاتُ الجَنَاحِ : الطيور . والجُناحُ : الإثْم . يقول : ذَبَحْتَ طيوراً إلى جانب السَّوَام وقَدَّمْتَها لضيوفك ؛ ذَبَحْتَها لأنها آرتكبت إثْماً في طيرانها .

٣ ـ في الأفضليات : « ونَسْرُها » بدل « وثَوْرُها » ، وعاد آبن الصيرفي وأورد كلمة : « وثورها » . والحَمَلُ : أول بروج السَّمَاء ؛ أوله الشَّرَطَانِ وهما قَرْنا الحَمَل ، ثم البُطَيْن ثلاثة كواكب ، ثم الثُّرَيَّا وهي أَلْيَةُ الحَمَل ، وهذه النجوم على هذه الصفة تسمَّى حَمَلا . لسان العرب (حمل) . والثَّوْرُ : بُرْجٌ من بروج السماء . يقول : أصبح هذان البُرْجان ، الحَمَلُ والثَّوْرُ ، خائفين من الذَّبْح . ولقد استعملهما الشاعر على التشبيه لاشتراكهما مع الحَمَل والثور بآلاسم .

٤ - نارٌ بأَرْجَاءِ المَرِيَّةِ، سِقْطُها مُـزْرٍ ببيتِ النـارِ فـي أَرْجَـانِ
٥ - فَلَوِ المَجُوسُ تَجُوسُ بين ديارِنا أَمَّـتْ لَـدَيْـكَ عبـادةَ الـنِّيْرَانِ

---

٤ - في الأفضليات : « المدينة » بدل « المريَّة » . وسُقْطُ النارِ ، بكسر السين وضمِّها وفتحها : ما يسقط منها عند القَدْح . وأَرْجَان : مخفَّفة أَرَّجَان بفتح أوله وتشديد الراء ، وأكثر الناس يقولون : إنها بالراء المخفَّفة ، وعامّة العجم يسمّونها أَرْغان ، وهي مدينة كبيرة من كُوَرِ الأهواز من بلاد خُوْزستان بإيران ، كثيرة الخير ، بها نخيل وزيتون ، وبينها وبين شيراز ستون فرسخاً ، وكان أول من أنشأها ، فيما حَكَتْهُ الفرسُ ، قُبَاذُ بن فيروز والد أنو شروان العادل . كذلك آستعملها المتنبي في شعره مخفَّفة فقال (الكامل) :
أَرْجَانَ أَيَّتُهَا الجِيَادُ ، فَإِنَّه عَزْمِي الذي يَذَرُ الوَشِيْجَ مُكَسَّرَا
وتسمَّى الآن باباهان . ولقد نصب المتنبِّي أرجانَ على الإغراء ، أي آقصدي أرجانَ أيتها الجيادُ ، والجياد : الخيل . والضمير في « إنه » ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد . ويَذَرُ : يترك ويدع . والوشيج : شجر الرِّماح . يقول لخيله : اقصدي أرجانَ ولا تَخْشَيْ أنْ يصدَّني عنها شيءٌ فإنَّ عزمي يُكسِّر الرماحَ ولا يجعلها تعوقه . انظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ص ٥٦٧ ، ومعجم البلدان (ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣) ، ووفيات الأعيان (ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٥) ، وحاشية الخريدة طبعة دار نهضة مصر . ويريد آبن الحداد أن يقول : رغم عظمة نار أَرْجانَ وأهميّتها عند الفرس فإنَّ نار المعتصم أكثر شهرة منها . ولقد كَنَى بها عن صفة كرم المعتصم ؛ لأن كثرة إحراق الحطب تستدعي كثرة الطَّبْخ ، وكثرة الطَّبْخ تستدعي كثرة الآكلين ، وكثرة الآكلين تستدعي الضِّيْفان ، وكثرة الضِّيْفان تستدعي صفة الكرم .
٥ - في الأفضليات : « حَوْلَ » بدل « بَيْنَ » . والمَجُوْسُ : أُمَّةٌ يعبدون النار ، وقيل : يعبدون الشمس والقمر ، الواحد مَجُوْسِيٌّ ، معرَّب مِيْخ كُوْش بالفارسية ومعناه صغير الأذنين ، والمجوسي يُنْسَبُ إلى المجوسيَّة وهي نِحْلَة . ونار المجوس معروفةٌ ، لذا خَصَّها الشعراءُ في أشعارهم كقول التَّوأم اليشكري (الوافر) :
كَنَارِ مَجُوْسَ تَسْتَعِرُ آستعارَا
انظر لسان العرب ومحيط المحيط (مجس) . وتَجُوْسُ بين ديارنا : تتردَّدُ بينها للغارة ، أو تتخلَّلُها فتطلب ما فيها . ويريد الشاعر أن يقول : إذا جاست المجوس بين ديارنا إنّما تفعل ذلك لتعبد نار المعتصم التي تستعر بأرجاء المريّة ، وليس بقصد الضرر والأذى .

وقال من قصيدة في تشبيه الرُّمْحِ والنَّبْل (الكامل) :

- ٦٣ -

١ - والسُّمْرُ من قُلُبِ القُلُوْبِ مَوَاتِحٌ وكـأنَّهـا مَـوْصُـوْلَـةُ الأَشْـطَانِ
٢ - والنَّبْلُ في حَلَقِ الدِّلَاصِ كأنَّها وَبْـلُ الحَيَـا في مـائـجِ الغُـدْرَانِ

التخريج : الخريدة (ج ٢ ص ٢٧٥) طبعة الدار التونسية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٣ .

والأفضليات (ج ١ الورقة ٤٦) ؛ قال آبن الصيرفي : « ومحمد بن عثمان من المُكْثِرين المُبْدِعين والمُتَصَرِّفين المُتَوَسِّعين ، ومن مليح تشبيهاته » ، وأورد البيتين .

١ - في الخريدة طبعة دار نهضة مصر : « قَلْبِ » بدل « قُلُبِ » . والسُّمْرُ : أي الرِّماحُ السُّمْرُ ، سُمِّيت كذلك لأنَّ القناة إذا آنتهتْ وصلبت اسمرَّ لونها . والقُلُب ، بالضم : جمع قَلِيْب وهو البئر ، وهنا يشبِّه قلوب الأعداء بالآبار . ومواتح : ج ماتِحة وهي الدَّلْو التي يُسْتَقَى بها الماءُ من الآبار . والأشطان : ج شَطَن وهو الحَبْلُ ، وقيل : الحبل الطويل الشديدُ الفتلِ يُسْتَقَى به . وفي صدر البيت يشبِّه قلوبَ الأعداء بآبار ممتلئة دماً ، ويشبِّه الرِّماحَ ، وهي تطعن قلوب الأعداء بأسنَّتها ، بِدِلَاءٍ دَلَاها مقاتلو الممدوح في قُلُب القلوب ثم نزعوها منها مَلأى دما . وقريب من صدر البيت قول علي بن أبي الحسين الأندلسي (الخفيف) :

وكـأنَّ الـرِّمـاحَ طَـيْـرٌ تـرى الـورْ دَ ظِـمَـاءً فـي مَـنْـهَـلِ الأوداجِ

انظر التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص ٢٠١ .

وقول آخر في الرُّمْح أيضاً (الكامل) :

ظَـمْـآنُ إلَّا أنْ يـوافـقَ مَـنْـهَـلاً بـيـن الـجَـوَانِـحِ مـن دَمٍ مُـتَـدَفِّقِ

المصدر نفسه والصفحة نفسها . وقريب من عجز البيت قول عنترة العبسي (الكامل) :

يَـدْعُـوْنَ عَـنْـتَـرَ، والـرِّمَـاحُ كـأنَّـهـا أَشْـطانُ بئـرٍ في لَـبـانِ الأَدْهَـمِ

ديوان عنترة ص ٩٥ ولسان العرب (شطن) .

٢ - في الخريدة طبعة دار نهضة مصر: « ماتح » بدل « مائج » . والنَّبلُ: السِّهام العربية وهي مؤنَّثة لا واحد لها من لفظها ، وواحدها السَّهْم ، وقد جمعوها على نِبَال وأَنْبال . والحَلَقُ : ج حَلْقَة وهي كل شيء استدار . والدِّلاص : الدروع اللَّيِّنة . =

= والوَبْلُ : المطرُ الشديدُ الضَّخْمُ القَطْر . والحَيَا : المطر ..والغدران : ج غدير وهو النهر أو مستنقع الماء أو القِطْعة من الماء يُغادِرُها السَّيْل . وهنا يشبِّه النَّبْلَ ، وقد أدركَتْ صدور الأعداء فمزَّقتْ دروعهم وسالت بها دماؤهم ، بسقوط المطر الشديد في مائج الغدران ، وعلاقة المشابهة هي الصوت والغزارة والكثرة . وقريب من هذا المعنى قول آبن هذيل الأندلسي (البسيط) :

تَعَاوَرَتْهُمْ نِبالٌ عن مَعَابِلِها كالنَّحْلِ أو كشآبِيْبِ الحَيَا الزَّجِلِ

انظر التشبيهات ص ٢٠٣ . والمعابل : ج مِعْبَلَة وهي نَصْلٌ عريض طويل .
والشآبيب : الدفعات من المطر . والحَيَا الزَّجِلُ : المطر ذو رَعْدٍ أي الراعد المصوِّت .

وله في الغزل مستهلاً قصيدة مدح قالها في المقتدر* بن هود (الطويل) :

- ٦٤ -

١ - أَسَالَتْ غَدَاةَ البَيْنِ لُؤْلُؤَ أَجْفَانِ وأَجْرَتْ عَقِيْقَ الدَّمْعِ في صَحْنِ عِقْيَانِ
٢ - وأَلْقَتْ حُلاَهَا مِنْ أَسىً فكأنَّما أَطَارَتْ شَوَادِي الوُرْقِ عن فَنَنِ البانِ

التخريج : في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٥) : الأبيات كلها . قال آبن بسام : « ومن شعره أيضاً في بني هود ، ولَحِقَ آبنُ الحداد بِسَرَقُسْطَةَ سنة إحدى وستين (وأربعمائة) ، فأكثر المقتدرُ بالله من برِّه ، وعَلِمَ أنه متشوّفٌ إلى شعره ، فمدحه بقصيدة أَوَّلُها » ، وأورد الأبيات .

وفي مسالك الأبصار (ج ١١ الورقة ٤٠٣) : الأبيات ١ - ٢ ، ٥ - ٦ .

* تقدمت ترجمته في مقدمة الديوان ص ١٥ حاشية ١ .

١ - اللُّؤْلُؤ : ج لُؤْلُؤَة وهي الدُّرَّة . والعَقِيْقُ : خَرَزٌ أحمرُ تُتَّخَذُ منه الفُصُوْصُ ، الواحدة عَقِيْقَة . والعِقْيان : الذَّهَبُ الخالص . يقول : لمَّا رأتْ عزمي على الفراقِ آنهلَّتْ دموعُها بِيْضاً كاللآلىء ، ثم عادت حُمْراً كالعقيق تسيل على وجنتين بريقهما كبريق الذهب الخالص . وهذا المعنى كقول آبن عبد ربه (الكامل) :

وكأنَّما غَاصَ الأَسَى بجفونِها حتى أَتَاكَ بلؤلؤٍ مَنْثُوْرِ

انظر التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص ١٥٢ .

ويشبه أيضاً قول محمد بن عبد العزيز الأندلسي (الكامل) :

لَمَّا رأتْ عَزْمِي بَكَتْ فَتَوَرَّدَتْ بِيْضُ الدُّمُوْعِ بِخدِّها المُتَوَرِّدِ
تَنْهَلُّ وَهْيَ لآلىءُ وتعودُ في توريدِ خَدَّيْها كَلَوْنِ العَسْجَدِ

المصدر السابق ص ١٥٣ .

٢ - الحُلَى : ج حِلْيَة وهي ما تُزَيَّنُ به المرأةُ من مَصُوْغ المَعْدِنِيّات أو الحجارة . وشوادي الوُرْقِ : أي الوُرْق التي تشدو ، والوُرْق هي الحَمَامُ التي في لونها بياضٌ إلى سواد ، واحدتها وَرْقاء . والفَنَنُ : الغُصْنُ المستقيم . والبان : ضرب من الشجر ، واحدتها بَانَة . وهنا يشبِّه إلقاء الحُلَى على الأرض بطيران الحَمَام عن فَنَن البان ، بجامع الصوت الذي يولِّده كلٌّ منهما .

٣ ـ وأَذْهَلَهـا داعِي النَّوَى عن تَنَقُّبٍ فَحَيَّـا مُحَيَّـاهَـا بِتُفَّـاحِ لُـبْنَـانِ
٤ ـ وقد أَطْبَقَتْ فوق الأَقَاحِي بَنَفْسَجاً كما خَمَشَتْ وَرْداً بِعُنَّابِ سُوسَانِ
٥ ـ وليـلٍ بَهِيْمٍ سِرْتُـهُ ونُجُـوْمُـهُ أَزَاهِـرُ رَوْضٍ أو سَوَاهِـرُ أَجْفَـانِ

---

٣ ـ النَّوَى : التَّحَوُّلُ من مكان إلى مكانٍ آخرَ أو من دار إلى دارٍ غَيْرِها كما تَنْتَوي الأَعْرَابُ في باديتها . والتَّنَقُّبُ : شَدُّ النِّقابِ وهو قِناعٌ تَسْتُرُ به المرأةُ وجهها . ولبنان : جبل مطلٌّ على حمص ويتصل بالشام وفيه من جميع الفواكه والزرع من غير أنْ يزرعها أحد . معجم البلدان (ج ٥ ص ١١) ومعجم ما آستعجم (ج ٤ ص ١١٥٠) .
يقول : إنَّ داعي النَّوَى جعلها ترتبك بحيث نسيت أن تَسْتُرَ وجهها بالنِّقاب ، فبدا ذلك الوجه الجميل كأنَّما كُسِيَ حُمْرَةَ تفاح لبنان .
٤ ـ الأقاحي : ج أُقْحُوان وهو نَبْتٌ له زَهْرٌ أبيضُ وأوراقُ زهره مفلَّجةٌ صغيرة يُشبِّهون بها الأسنان . والبَنَفْسَجُ : نبات من نجوم الأرض ينبت في الأماكن الظليلة ، زهره شذيُّ الرائحة أسما نجوني اللون ، يرمز به للذكرى ، معرَّب بَنَفْشَه بالفارسية . وخَمَشَتْ وجهها : خَدَشَتْه . والعُنَّاب : شجر يقارب الزيتون في الارتفاع ، وحَبُّه يشبه حبَّ الزيتون في شكله ، وأجوده الأحمر الحلو ، الواحدة عُنَّابة . والسُّوْسان : نبات من الرياحين طيب الرائحة ، وأجناسه كثيرة وأطيبه الأبيض ، أعجمي معرَّب . يقول : عَضَّتْ شَفَتَيْها وخَمَشَتْ خدودها بأنامها المخضوبة . وهنا يشبِّه أسنانها المفلَّجة بالأقحوان ، وشفتيها بالبَنَفْسَج ، وأصابعها البيضاء بالسُّوسَن ، وأناملها المخضوبة بالعُنَّاب ، وخدودها بالورد . ورغم إدخاله خمسة تشبيهات في البيت الواحد فإنه لم يفقده حلاوته . وقريب من هذا النمط الشعري قولُ أبي الفرج الوأواء في وصف فتاة (البسيط) :

فَـأَسْبَلَتْ لُؤْلُؤاً مـن نَـرْجِسٍ وسَقَتْ وَرْداً وعَـضَّتْ على العُنَّـابِ بـالبَـرَدِ

ويروى : فأمطرتْ . انظر العمدة (ج ١ ص ٢٩٤) .
٥ ـ في الذخيرة : « ومنها » ، وأورد آبن بسام الأبيات الثلاثة . ورواية العجز في مسالك الأبصار هي :
أزاهِيـرُ روضٍ أو أسـاهِيـرُ أَجْفَـانِ
والليل البهيم : الذي لا ضوء فيه إلى الصَّبَاح . والأزاهر والأزاهير : ج أزهار ، والأزهار جمع زَهْر وهو نَوْرُ النبات . والسواهر : ج ساهرة وهي التي لم تنمْ ليلا . وأجفان : مجاز مرسل ، والمراد العيون . ويريد الشاعر أن يقول : إنَّ النجوم الزُّهَرَ ، وهي منثورة في =

٦ ـ كأنَّ الثُّرَيَّا فيه كأسُ مُدَامةٍ   وقد مَالَتِ الجَوْزَاءُ مِيْلَةَ نَشْوَانِ
٧ ـ وما الدَّهْرُ إلاَّ لَيْلَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ   وشَمْسُ ضُحَاهَا أحمدُ بنُ سُلَيْمَانِ

= كبد السماء ، أزاهر روض أو وجوه حسناوات لا تعرف عُيُوْنُهُنَّ النوم . ووجه الشبه هنا هو البياض والإشراق . وقريب من هذا المعنى قول طاهر بن محمد الأندلسي (الوافر) :

وليلٍ بِتُّ أَكْلَؤُهُ بَهِيْمٍ   كأنَّ على مفارقه غُرَابَا
كأنَّ نُجُوْمَهُ الزُّهْرَ الهوادِي   وجوهٌ أَخْضَلَتْ تَبْغي الثَّوَابَا

انظر التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص ٢٢ .

وقول آبن دراج القَسْطَلِّي (الطويل) :

وقد حَوَّمَتْ زُهْرُ النُّجُوْمِ كأنَّها   كَوَاعِبُ في خُضْرِ الحدائقِ حُوْرُ

المصدر نفسه ص ٢٤ وديوان آبن دراج القسطلي ص ٣٠٠ .

٦ ـ الثُّرَيَّا : سبعة كواكب في عُنُق الثَّوْر ، سمِّيَتْ كذلك لكثرة كواكبها مع صغر مَرْآتها ، فكأنَّها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضِيْق المحلّ . والمُدَامة : الخمر . والجَوْزاء : نجم ، سمِّيت بذلك لاعتراضها في جَوْز السماء أي في وسطه . والنَّشْوان : السَّكْرَان . ومالت : زالت عن كبد السماء . وهنا يشبّه الثريَّا بكأس خمر ، والجوزاءَ بشاربها . وتشبيه الجوزاء بشارب الخمر متداولٌ من قَبْلُ ؛ هاك طاهرَ بنَ محمدٍ الأندلسي يقول (الوافر) :

كأنَّ كواكبَ الجَوْزَاءِ شَرْبٌ   تعاطِيْهِمْ ولائِدُهُمْ شَرَابَا

والشَّرْب : ج شارب . والولائد : الإماء والجواري. انظر التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص ٢٢ . وقد ترجم هذا البيت إلى اللغة الاسبانية في مجلة الأندلس ، العدد ١٨ ، سنة ١٩٥٣ ، ص ٤٤١ ، في مقال لـ Enrique perpiña بعنوان Las pleyades y la poesia arabe

٧ ـ مُدْلَهِمَّةٌ : مُظْلِمَة . وأحمد بن سليمان : هو المقتدر بن هود ملك سرقسطة . وهنا يدخل الشاعر في موضوعه الرئيسي وهو مدح المقتدر بن هود . وصدر البيت هو صدر بيتٍ قاله آبن الحداد من قصيدة مديح في المعتَصِم بن صمادح :

وما الدَّهْرُ إلاَّ لَيْلَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ   وكَوْنُ آبنِ مَعْنٍ صُبْحُها المُتَبَالِجُ

وهو البيت السادس من القصيدة الجيمية ذات الرقم ٩ .

وله من قصيدة يعتذرُ من خروجه عن المَرِيَّة بعد آعتقال أخيه ، وكتب بها من مُرْسِيَة* وهي تدخل في باب الحكمة (الكامل) :

- ٦٥ -

١ - الدَّهْرُ لا يَنْفكُّ مِنْ حَدَثَانِهِ	والمَـرْءُ مُنْقَـادٌ لِحُكْمِ زَمَـانِـهِ
٢ - فَدَعِ الزَّمَانَ فإنَّـه لم يَعْتَمِدْ	بِـجَـلاَلِـهِ أحـداً ولا بِـهَـوَانِـهِ
٣ - كالمُزْنِ لم يَخْصُصْ بنافعِ صَوْبِهِ	أُفقـاً ولم يَخْتَـرْ أَذى طُـوْفـانِـهِ
٤ - لكنْ لِبَـارِيْـهِ بَـوَاطِنُ حِكْمَـةٍ	في ظـاهـرِ الأضـدادِ مِنْ أَكْـوانِـهِ
٥ - وعَلِمْتُ أنَّ السَّعْيَ ليس بِمُنْجِحٍ	مـا لا يكونُ السَّعْـدُ من أَعْوَانِـهِ

التخريج : في الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٢٤ - ٧٢٥) : الأبيات كلها .
وفي نفح الطيب (ج ٣ ص ٥٠٤) : الأبيات ١ ، ٥ - ٦ .

* تقدم الحديث عنها في مقدمة الديوان ص ١٤ حاشية ١ .

١ - حِدْثَانُ الدَّهْرِ وَحَدَثَانُهُ : نوائبه .
٢ - بِجَلاَلِهِ: بعظمته . وبهَوَانِهِ : بذُلِّه .
٣ - المُزْنُ : السَّحاب ذو الماء ، واحدته مُزْنَة . والصَّوْبُ : نزول المطر . والطُّوْفان : الماء الذي يَغْشَى كلَّ مكان ، وقيل : المطر الغالب الذي يُغْرِقُ من كثرته . يقول في هذا البيت والذي قبله : إذا رَفَعَ الدَّهْرُ من شأنِ أحدٍ أو ذَلَّه فإنَّه لا يفعل ذلك عن تعمُّدٍ أو سابق تصميم ؛ ويكون بذلك كالمُزْن الذي قد يُفِيْدُ صَوْبُهُ ناحيةً وقد يَضُرُّ أخرى دون آختيار منه أيضا . وكما طابق الشاعرُ في البيت السابق بين الجَلاَل والهَوَان فإنه يطابق في هذا البيت بين « نافع صَوْبه » و « أذى طُوْفانه » .
٤ - الباريْ : الخالق الكريم تعالى . والأكوان : ج كَوْن . وهنا يُرْجِعُ الشاعرُ بواطنَ الحكمة في ظاهر الأضداد إلى الله تعالى ، وليس إلى الزمان أو المُزْن .
٥ - قال آبن بسام في الذخيرة : « ومنها » ، وأورد البيتين . وفي نفح الطيب : « وعَلِمْتُ أنَّ السَّعْدَ . . » . ويريد الشاعر أن يقول : مهما سَعَى الإنسانُ فإنَّه لن يصل إلى مُبْتَغَاهُ ما لم يَكُنْ حَظِيْظا .

٦ ـ والجِدُّ دُوْنَ الجَدِّ ليس بنافعٍ   والـرُّمْـحُ لا يمضي بغيـر سِنَـانِـهِ
٧ ـ وسَمَا إلى المُلْكِ الرِّضَى آبنُ صُمادحٍ   فَـأَدَالَنِي بـالسُّخْطِ من رِضْـوانِـهِ
٨ ـ وهَوَى بَنَجْمِي من سماءِ سَنَائِهِ   وقَضَى بِحَـطِّي من ذُرَى سُلْطَانِـهِ

---

٦ ـ الجِدُّ ، بكسر الجيم : آلاجتهاد في الأمر . والجَدُّ ، بفتح الجيم : الحَظّ . وسِنَانُ الرُّمْحِ : نَصْلُه . يقول : إذا لم يقترنِ آجتهادُ الإنسانِ بحظٍ كان كالرُّمْح الذي لا سِنَان له . وهنا يعود الشاعر إلى آلاعتماد كلِّيّاً على الحَظِّ ، ويتلاعب بالكلام فيجانس بين « الجِدّ » و « الجَدّ » . ولقد علَّق المقّري على هذه الأبيات بقوله ؛ « وبَلَغَتِ الأبياتُ المعتصمَ فقال : شِعْرُهُ أعقلُ منه ، صَدَقَ ، فإنَّه لا يتهيَّأُ له صلاحُ عيشٍ إلَّا بأخيه ، وهو منه بمنزلة السِّنَانِ من الرُّمْح ، ثم أمر بإطلاقه ولحاقه به » .

٧ ـ قال آبن بسّام في الذخيرة : « ومنها » ، وأورد البيتين . والرِّضَى آبنُ صُمَادح : هو المعتصم ملك المريَّة . وهكذا يخلص آبنُ الحداد من الحِكْمة في الأبيات السابقة ليصوِّر لنا في هذا البيت والذي يليه سُخْطَ المعتصم عليه .

٨ ـ إذا شَكَا آبنُ الحداد في هذا البيت ـ وهو في مرسية ـ من المعتصم الذي هَوَى بنجمه من سماء الرِّفْعة ، فقد شكا في بيت آخر ـ وهو في المريّة ـ من سُخْط الدَّهْر فيقول (الكامل) :

فَقَضَى بِحَـطِّي عن سَمَـائِـيَ وآقْتَضَى   رِحَـلاً تُـطِيْـحُ رَكَـائِـبِـي وتُـطَلِّحُ

وهو البيت السابع من القصيدة الحائيّة ذات الرقم ١١ .

قافية الهاء

وقال من قصيدة مَدْحٍ طويلة (الطويل) :

- ٦٦ -

١ - وسُقْمُ فؤادِي مِنْ سَقامِ جُفُوْنِهِ فـإنْ نَقِهتْ عَيْنَـاهُ فـالقَلْبُ نَـاقِـهُ
٢ - مَرَادُ هوىً حَفَّتْ به مُرُدُ العِدَى ودُوْنَ جِنَـانِ الخُلْدِ تُلْقَى المَكَارِهُ

التخريج : في الخريدة (ج ٢ ص ٢٧٧) طبعة الدار التونسية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٨٥ - ١٨٦ : الأبيات كلها .

وفي الأفضليات (ج ١ الورقة ٤٧) : الأبيات ٣ ، ٥ - ٦ .

١ - السُّقْمُ والسَّقَمُ والسَّقَامُ : المرض . ونَقِهَتْ : تَعافَتْ وبَرِئَتْ . وقريبٌ من هذا المعنى قول ٱبن عبد ربه (الكامل) :

وكـأنَّ عَـيْـنَـيْـهـا تَـضَـمَّـنَـتَـا مـا في فؤادِكَ مِـنْ جَـوَى الـسُّـقْـمِ

انظر التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص ١٣٦ .

٢ - المَرَادُ : الموضع ، وهو مَفْعَلٌ من رَادَ يَرُوْد . لسان العرب (رود) . والمُرُدُ : العُتَاةُ ، وقد جَمَعَها الشاعرُ على غير القياس ، والجمع الصحيح : مَرَدَةٌ وهي جمع مارِد ؛ يقال : مَرَدَ على الأمر يَمْرُدُ فهو ماردٌ إذا أقبل وعَتَا . لسان العرب (مرد) . والجِنَانُ : ج جَنَّة وهي دار النعيم في الدار الآخرة ، سمِّيَتْ بالجنَّة لشدَّة ٱلتفاف أغصانها وإظلالها . ويريد الشاعر أن يقول : إنَّ الطريق للوصول إلى محبوبتي محفوفةٌ بمخاطر الأعداء الذين يَكِيدُوْنني ويتربَّصون بي ، ولا غرابة في ذلك طالما جِنان الخُلْد محفوفةٌ أيضاً بالمكاره . وهنا يشير إلى الحديث الشريف : « حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكَارِهِ وحُفَّتِ النارُ بالشَّهَوَات » . انظر عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (ج ١٠ ص ٣٢) وأساس البلاغة (حفف) .

٣ ـ وما خُيَلاءُ الخَيْلِ فيها سَجِيَّةً ... ولكنَّها لمَّا آمتَطَوْها تَوائِهُ

٤ ـ فلا تَكْرَهَنْ إنْ خاسَ قَوْمٌ بِعَهْدِهِمْ ... عَسَى الخَيْرُ في الشيءِ الذي أنتَ كارِهُ

٥ ـ فَنَصْرُكَ أيّاً ما سَلَكْتَ مُسايِرٌ ... وفَتْحُكَ أيّاً ما آتَّجَهْتَ مُواجِهُ

٦ ـ ففي أنْفُسِ الحُسَّادِ منها هَزاهِزٌ ... وفي أَلْسُنِ النُّقَّادِ منها زَهازِهُ

---

٣ ـ في الأفضليات : « آمتطيتَ » بدل « آمتَطَوْها » . والخُيَلاءُ : الكِبْرُ والعُجْب . والهاء في « فيها » تعود على « جِنَان الخُلْد » في البيت السابق . والسَّجِيَّة : الطبيعة . ويريد الشاعر أن يقول : رغم أنَّ الخُيَلاء من طبائع الخيل وهي في ميدان السِّباق ، فإنها غير ذلك في جِنَان الخُلْد حيث خانتْ فوارسَها وضَلَّتْ طريقها المرسوم . والبيت شارحٌ لعجز البيت السابق .

٤ ـ خاس القوم بعهدهم : أخلفوا عهدهم . وهنا يشير الشاعر إلى قول الله تعالى : ﴿ **وعَسَى أنْ تكرَهُوا شيئاً وَهُوَ خيرٌ لكم** ﴾ . سورة البقرة ٢ ، الآية ٢١٦ .

٥ ـ يدخل الشاعر هنا في باب المديح فيصف نَصْرَ الممدوح على أعدائه .

٦ ـ قال في الأفضليات : « وقال في وصف هذه القصيدة » ، وأورد البيت . وقال في الخريدة : « ومن وصفها » ، وأورد البيت . والهاء في « منها » تعود على القصيدة . والهَزَاهِزُ والهَزْهَزَة : تحريك البَلاَيَا والحروب للناس . القاموس المحيط (هزز) . وزهازه : كلمة غير عربية استعملها الشاعر بصيغة جمع « زِهْ » ، و « زِهْ » كلمة تقولها الفرس عند آستحسان شيء ، وكان يستعملها كثيراً كسرى أنو شروان . والشاعر يريد أن يقول : لما سمع الشعراء الحاسدون هذه القصيدة شعروا وكأنَّهم صُعِقُوا وأنَّ البَلاَيَا تتحرك لهم ، ولما سمعها النُّقَّادُ وأمعنوا في قراءتها أعجبوا بها وآستحسنوها .

قافية الواو

وقال في نويرة من قصيدة (الطويل) :

- ٦٧ -

١ - ومَنْ جَـرَحَتْهُ مُقْلَتَـاكِ نُـوَيْـرةُ ... فليس يُرَجِّي مِنْ جِرَاحِ الأَسَى أَسْوَا

٢ - أَرَى كلَّ ذِي سَلْوَى رآكِ، مُتَيَّماً ... فما أَكْثَرَ البَلْوَى بِحُسْنِكِ والشَّكْوَى !

٣ - ونارُ الأَسَى تَخْبُو بِقُرْبِ نويرة ... ومَنْ لِي بأنْ آوِي إلى جَنَّةِ المَأْوَى ؟

التخريج : الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٧) .

١ - الأَسَى : الحُزْن. وقوله : ليس يُرَجِّي من جراح الأسى أَسْوَاَ: أي لا يرتجي لجراحه علاجاً ؛ يقال : أَسَا الجُرْحَ يأسوه أَسْواً إذا داواه . يقول : مَنْ جَرَحَتْهُ مُقْلَتَاكِ فَقَدَ الأملَ في الشِّفاء ؛ لأنَّ جراح الأسى لا تلتئم .

٢ - السَّلْوَى : كلُّ ما سَلَّاكَ . يقول : مَنْ كان في سَلْوَةٍ من عَيْشِهِ ورأى محاسِنَكِ ، تَيَّمْتِهِ وذَهَبْتِ بلُبِّه كلَّ مَذْهَبٍ ، فبقي طوال حياته في بَلْوَى وشَكْوَى بسبب صَدِّك له وإعراضك عنه .

٣ - يقول : إنَّ القُرْبَ من نويرة جَنَّةُ مأوىً تُوْرِي الشَّوْقَ وتُطْفىء نارَ الوَجْد ، ولكن هيهاتَ منها القُرْبُ هيهات .

قافية الياء

وقال فيها أيضاً (الطويل) :

- ٦٨ -

١ - وفي شِرْعَةِ التَّثْلِيْثِ فَرْدُ مَحَاسِنٍ	تَنَزَّلَ شَرْعُ الحُبِّ مِنْ طَرْفِهِ وَحْيَا
٢ - وأُذْهِلُ نَفْسِي في هَوَى عِيْسَوِيَّةٍ	بها ضَلَّتِ النَّفْسُ الحَنِيْفِيَّةُ آلهَدْيَا
٣ - فَمَنْ لِجُفُوْنِي بآلتماحِ نُوَيْـرَةٍ	فَتَاةٌ هي المَرْدَى لِنَفْسِيَ والمَحْيَا ؟
٤ - سَبَتْنِي على عَهْدٍ من السِّلْم بيننا	ولَوْ أَنَّها حَرْبٌ لكانتْ هي السَّبْيَا

التخريج : الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٩) والخريدة (ج ٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩) طبعه الـدار الـتونسـية ، وطبعة دار نهضة مصر ص ١٧٤ - ١٧٥ ، وقد نسبها الأصفهاني ضمن أبيات أخرى إلى الأسعد بن بلِّيْطة المتوفى في حدود ٤٤٠ هـ .

١ - الشِّرْعَةُ والشريعة : ما سنَّ الله تعالى من الدِّيْن وأمرَ به كالصَّوْم والصلاة والحجّ والزكاة وسائر أعمال البِر . والتثليث عند النصارى : وجود الله تعالى في ثلاثة أقانيم ؛ الأب وآلابن وروح القدس . وقوله : فَرْدُ محاسن : أي إنَّ جمال نويرة فريدٌ لا نظير له . وتَنَزَّلَهُ : أَنْزَلَهُ ونَزَّلَهُ . والطَّرْفُ : العَيْنُ . يقول : بين تلك المسيحيَّات لي نصرانيَّةٌ في غاية الحسن والجمال ، من طَرْفها أَنْزَلَتْ شريعةُ الحُبِّ على المُحِبِّيْن وَحْيا . وهنا إشارة إلى نزول الوحي على الرسول الكريم والأنبياء . وفي الخريدة طبعة الدار التونسية : « وفي شرع التثليث . . » .

٢ - العِيْسَوِيَّةُ : هي نويرة المسيحية نسبة إلى عيسى أي يسوع المسيح عليه السلام . والنَّفْسُ الحنيفيَّةُ : أي المُسْلِمَة . يقول : جعلْتُ نفسي تلهو بهوى تلك الفتاة النصرانيّة حتى ضَلَّتْ شِرعَةَ الإسلام وآتَّبَعَتْ دِيْنَ النَّصارى .

٣ - جفوني : مجاز مرسل والمراد عيوني . والمَرْدَى : مَفْعَلٌ من الرَّدَى وهو الهَلاك . والمَحْيَا : مَفْعَلٌ من الحياة . وهنا يُحْسِنُ الشاعرُ آستعمال الطباق بين « المَرْدَى » و « المَحْيَا » . وفي الخريدة : « ومن » بدل « فمن » .

٤ - يقول أَسَرَتْني نويرة بحبِّها ، فكان ذلك في أيام السِّلْم . وإذا ما وقعت الحربُ بيننا وبين النصارى لكانت نويرة سبيَّة بين السَّبَايَا . وهنا يطابق الشاعر بين « السِّلْم » و « حرب » .

ومن شعره في المُعَمَّى * في آسم هُنَيْدَة** (السريع) :

- ٦٩ -

١ - يا لَيْتَ مُلْكِي مائةٌ لَيْتَها فَهْيَ آقتراحِي فآفهمِ التَّعْمِيَهْ
٢ - وليس في الأعدادِ لِي بُغْيَةٌ لكنْ لها آسمٌ وَافَقَ التَّسْمِيَةْ

التخريج : الخريدة (ج ٢ ص ٢٨٨) طبعة الدار التونسيّة ، وطبعة دار نهضة مصر ص ٢٠٨ .

* المُعَمَّى من الشِّعْر هو ما عُمِّيَ مَعْنَاهُ أي شُبِّهَ فَتَعَمَّى وتَعْمَهُ فيه الأبصارُ والبصائر . انظر حاشية البيت الأول من البيتين رقم ٤٢ .

** هِنْدٌ وهُنَيْدَةُ : اسم للمائة من الإبْل خاصة ، وقيل : اسم للمائة ولما دُوَيْنها ولما فُوَيْقها ، وقيل : هي المائتان ، وقيل : الهُنَيْدَة مائة سنة ، والهِنْدُ مائتان . وقد ذكرها الشاعر هنا وأراد بها محبوبته المُسَمَّاة هُنَيْدة .

١ - مائة : يرمز بها الشاعر إلى محبوبته المسمّاة هنيدة فيقول : ليتني أملك تلك الفتاة المسماة هنيدة .

٢ - يقول : ذكرْتُ لفظة « مائة » ولم أُرِدْ بها عدداً مُعَيَّناً ، وإنما أردْتُ بها آسم محبوبتي هنيدة .

وقال في نويرة (البسيط) :

- ٧٠ -

١ ـ صُنْتُ آسمَ إلْفِي فَدَ أْباً لا أُسَمِّيْهِ	ولا أزالُ بـإلـغـازِي أُعَـمِّـيْـهِ
٢ ـ وصاحبِي عَدَدِيٌّ قد رَمَزْتُ به	بِـذِكْرِ أعـدادِ ما تَحْـوِي مَبَانِيْـهِ
٣ ـ فَجَـذْرُ أوَّلِهِ رُبْـعٌ لآخِـرِهِ	وجَـذْرُ آخِـرِهِ رُبْـعٌ لِـثَـانِـيْـهِ
٤ ـ وإنَّ ثَـانِيَـهُ خُمْسٌ لِثَـالِثِـهِ	فـآفهَمْ فقد لاَحَ لـلأفهام خَـافِيْـهِ

التخريج : الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٦ ـ ٧٠٧) .

١ ـ يقول : من عادتي ألَّا أجاهر بآسم محبوبتي ، وإذا ما جاهرْتُ به كان ذلك بالرَّمْز والتَّعْمية ليس غير .

٢ ـ العدديّ : نسبة إلى العدد . والهاء في « مبانيه » تعود على آسم نويرة . يقول : إنَّ آسم محبوبتي يوافق بعض الأعداد ، لذلك أرمز به بذكر ما يوافقه من أعداد . وسبق أنِ آستعملَ التَّعْمية في آسم مَنْ يحبُّ في البيتين رقم ٦٩ فآنظرهما .

٣ ـ في هذا البيت والذي يليه يهدف آبن الحداد إلى إبراز معارفه في العلوم الرياضيّة .

وقال فيها أيضاً (البسيط) :

- ٧١ -

١ - أَمَّا الذي بي فإنِّي لا أُسَمِّيْهِ   لكنْ سَـأُلْقِي رُمُـوْزاً جَمَّـةً فيْـهِ
٢ - إذا أَرَدْتَ من الأعدادِ نِسْبَتَهُ   فَجَـذْرُ، أَوَّلِـهِ عُـشْـرٌ لِثَـانِيْـهِ
٣ - وإنْ أَضَفْتَ إلى ذي الجَذْرِ رابعَهُ   رأيْـتَ ثـالثَـهُ زُهْـراً مـعـانيْـهِ
٤ - ونِصْفُهُ أُوْلِعَتْ أختُ الرَّشيد به   فـقـد تَبَيَّنَ مـاضيْـهِ وبـاقيْـهِ

التخريج : الذخيرة (ق ١ م ٢ ص ٧٠٧ .

١ - يستعمل الشاعر هنا التَّعْمية والرَّمْز كما في الأبيات السابقة .
٤ - الرشيد هو أبو جعفر هارون الرشيد ابن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي ، خامس خلفاء العباسيين في العراق . بويع له سنة ١٧٠ هـ صبيحة الليلة التي توفي فيها أخوه الهادي ببغداد . كان يحبُّ الفقهاء والشعراء والأدباء والعلماء . توفي سنة ١٩٣ هـ فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوماً ، وقيل : وثمانية عشر يوما . انظر تاريخ بغداد (ج ١٤ ص ٥ - ١٣) ، ومروج الذهب (ج ٣ ص ٣٣٦ - ٣٦٧) ، والكامل في التاريخ (ج ٦ ص ٩٦ - ١٠٠ ، ١٠٦ - ١٠٩ ، ٢١١) ، والبداية والنهاية (ج ١٠ ص ٢١٣) والأعلام (ج ٨ ص ٦٢) . وأخت الرشيد هي العباسة بنت المهدي ، صاحبة العباس ابن محمد ، نديم هارون الرشيد وعمِّ أبيه . زَوَّجَها أخوها الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي . انظر تاريخ بغداد (ج ١٤ ص ١١) ، ومروج الذهب (ج ٣ ص ٣٧٥ - ٣٨٠) ، والكامل في التاريخ (ج ٦ ص ١٧٥) ، ووفيات الأعيان (ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٤) .
وفي هذه الأبيات ، كما في غيرها ، يهدف الشاعر إلى إبراز ثقافته في الرياضيّات .



الفهارس العامة



١ ـ فهرس قصائد ومقطوعات الديوان

٢ ـ فهرس قوافي الأبيات الواردة في مقدمة الناشر وحواشي الديوان

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
سنمّارُ	البسيط	سليط بن سعد	٢٧٦
القهّارُ	الكامل	ابن هانىء الأندلسي	١١٣
حُوْرُ	الطويل	ابن دراج القسطلي	٣٠٠
زُهْرُ	الطويل	ابن عبد ربه	٢٠٣
أعطرا	الكامل	ابن عمار	١٨٣
استعارا	الوافر	التوأم اليشكري	٢٩٥
سافرا	الطويل	يوسف بن عبد الله بن أيوب الفهري الداني	٢١٢
مثمرا	الكامل	ابن عمار	١٢٣
مخبرا	الكامل	ابن عمار	١٢٩، ٢٩٣
مكسّرا	الكامل	المتنبي	٢٩٥
الحمارِ	الوافر	-	٢٨٥
حَوَرِ	البسيط	أبو الفضل جعفر بن شرف	٨١
الستورِ	الوافر	ابن عبد ربه	٢٠٨، ٢٥٤
سِتْرِ	الوافر	ابن المعتز	٢٥٤
سنمَّارِ	الطويل	أبو الطمحان القيني	٢٧٦
منثورِ	الكامل	ابن عبد ربه	٢٩٨
والنَّشْرِ	الكامل	يحيى بن بقي	١١٧
المطرْ	الرجز (مخمسة)	ابن الحاج اللورقي	٨٤
س			
التماسا	المتقارب	ابن بَشْتَغَيْر	٢٢٥
ببلقيسِ	البسيط	أبو الشِّيْص	١١٠
البُرْنُسِ	الكامل	المعتمد بن عباد	٩٧
مجلسِ	الطويل	ابن خفاجة	٨٥
للنواقيسِ	البسيط	ابن حزم	٧٢
الأندلسْ	المتقارب	ابن حزم	١٦٨

٣ - فهرس الأعلام

[أ]

[ب]

[ث]

[ج]

[ح]

[خ]

[ز]

[س]

[ش]

[غ]

[ف]

[ق]

[ك]

[ل]

[م]

[ن]

[هـ]

[و]

[ي]

٤ ـ فهرس الأمم والقبائل والجماعات والطوائف والبطون والفرق

٥ ـ فهرس الأمكنة والبلدان والبقاع

[أ]

[ب]

[خ]

[د]

[ر]

[ز]

[س]

[ش]

[ص]

[ط]

[ع]

[غ]

[م]

[ن]

[هـ]

[و]

[ي]

٦ ـ فهرس الآيات القرآنية

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية	نص الآية	الصفحة
١٢	يوسف	٣١	﴿ فلمّا سمعتْ بمكرهنَّ أَرْسَلَتْ إليهنَّ وأَعْتَدَتْ لهنَّ مُتَّكأ وأتتْ كلَّ واحدةٍ منهنَّ سكيناً وقالتِ آخرجْ عليهنَّ فلمَّا رأيْنَهُ أكبرْنَهُ وقطَّعْنَ أيديهُنَّ وقُلْنَ حاشَ لله ما هذا بشراً إنْ هذا إلَّا مَلَكٌ كريم ﴾ .	١١٣
١٧	الإسراء	٦٦	﴿ رَبُّكُمُ الذي يُزجِي لكمُ الفُلْكَ في البحر لِيَبْتَغوا مِنْ فَضْلِه ﴾ .	٢٨٠
١٨	الكهف	٩٤	﴿ قالوا يا ذا القَرْنَيْنِ إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مُفْسِدُون في الأرضِ فهلْ نَجْعَلُ لكَ خَرْجاً على أنْ تجعلَ بيننا وبينهمْ سَدّا ﴾ .	١٨٥
١٩	مريم	٢٩	﴿ مَنْ كان في المَهْدِ صَبِيّا ﴾ .	٢٤٠
٢٠	طه	١٢	﴿ إنِّي أنا رَبُّكَ فآخلعْ نَعْلَيْكَ إنَّك بالوادِ المُقَدَّسِ طُوى ﴾ .	١٤٠
٢٧	النمل	٢٠	﴿ وتفقَّدَ الطَّيْرَ فقالَ ما ليَ لا أرى الهُدْهُدَ أم كان من الغائبين ﴾ .	١١٠
٢٧	النمل	٢٢	﴿ فَمَكَثَ غير بعيد فقال أَحَطْتُ بما لم تُحِطْ به وجئْتُكَ مِنْ سَبَإ بنبإٍ يقين ﴾ .	١١٠
٢٨	القصص	٧٦	﴿ إنَّ قارونَ كان من قومِ موسى فبَغَى عليهمْ وآتيناه من الكُنُوزِ ما إنَّ مفاتِحَهُ لَتَنُوْءُ بالعُصْبَةِ أُوْلِي القوّة ﴾ .	٢٧٣
٢٨	القصص	٧٩	﴿ قال الذين يُريدون الحياةَ الدنيا يا ليْتَ لنا مِثْلَ ما أُوْتِيَ قارونُ إنّه لذو حَظٍّ عظيم ﴾ .	٢٧٣

* * *

٧ ـ فهرس الأحاديث النبوية

٨ - فهرس الأمثال

المثل	الصفحة
دُوْنَهُ النَّجْم .	١١٥

٩ - فهرس مقدمة المحقق

الموضوع | الصفحة

١٠ ـ فهرس مواضيع الديوان

الموضوع	رقم القطعة
المدح	١ ، ٢ ، ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٦ .
الغزل والنسيب	٦ ، ٨ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ .
النصائح والحكم	٣ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥.
الحماسة	١٠ ، ٤٩ ، ٥٠ .
الهجاء	١٢ ، ٤٥ .
الفخر	٤ .
الرثاء	٥٩ .
الزيارة	١٩ ، ٢٩ .
الفلسفة	٣٠ .
النساء	٦١ .
الشكوى	٥٦ .
الردّ علِى المنافسين	٣٣ .
تفضيل الكِتاب على الأصدقاء	٣٦ .
المعمَّى	٤٢ ، ٦٩ .
وصف قوس	٥ .
وصف أسطول المعتصم	١٤ .

١١ ـ ثبت بأسماء المصادر والمراجع العربيّة والأجنبية الواردة في مقدمة الديوان ومتنه وحواشيه

أولاً ـ المصادر والمراجع العربية

١ ـ الآثار الأندلسيّة الباقية في إسبانيا والبرتغال للأستاذ محمد عبد الله عنان . القاهرة ، ١٩٥٦ .

٢ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (١ ـ ٤) . تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان . مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧ .

٣ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب . جزءان في مجلد واحد .

٤ ـ أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي . تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣ .

٥ ـ أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري (١ ـ ٣) . تحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، ١٩٤٠ .

٦ ـ أساس البلاغة للزمخشري . تحقيق عبد الرحيم محمود . دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٧ ـ الأعلام للزِّركلي (١ ـ ٨) . دار العلم للملايين . بيروت ، ١٩٨٠ .

٨ ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب . القسم الثاني ، تحقيق الأستاذ إ . ليفي برونفسال . دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٦ .

٩ ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط لابن الخطيب . القسم الثالث ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني . دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ .

١٠-الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١ ـ ٢٥) . طبعة دار الثقافة . بيروت ، ١٩٥٥ ـ ١٩٦١ .

١١ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١ ـ ٢٥) . طبعة بولاق .

١٢ ـ الأفضليات لابن الصيرفي (١ ـ ٢) . نسخة مصورة عن مخطوطة محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت تحت رقم Ms. 89 27 S 27 a A .

١٣ - الإقناع في العروض وتخريج القوافي للصاحب بن عباد . تحقيق الشيخ محمد حسين آل ياسين . منشورات المكتبة العلمية . بغداد ، ١٩٦٠ .

١٤ - أندلسيات للدكتور عبد الرحمن الحجي . دار الإرشاد . بيروت ، ١٩٦٩ .

١٥ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للبغدادي (١ ـ ٢) . إستانبول ، ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ .

١٦ ـ بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي . تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ، ١٩٧٠ .

١٧ ـ البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير (١ ـ ١٤) . مصر ، ١٣٥١ ـ ١٣٥٨ هـ .

١٨ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي . دار الكاتب العربي . القاهرة ، ١٩٦٧ .

١٩ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي . دار المعرفة ، بيروت .

٢٠ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (١ ـ ٤) . تحقيق ج . س . كولان وإ . ليفي بروفنسال والدكتور إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت .

٢١ ـ تاريخ ابن خلدون (ثمانية مجلدات في أربعة عشر جزء ١) . دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨١ .
٢٢ ـ تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) للدكتور إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت ، ١٩٧٤ .
٢٣ ـ تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية . تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري . دار الكتاب اللبناني . بيروت ، ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢ م .
٢٤ ـ تاريخ الأندلس لابن الكردبوس . تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي . معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٧١ .
٢٥ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١ ـ ١٤) . دار الكتاب العربي ، بيروت .
٢٦ ـ تاريخ التمدن الإسلامي للأستاذ جرجي زيدان (١ ـ ٢) ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
٢٧ ـ تاريخ عبد الرحمن الناصر لمجهول . تحقيق وترجمة الأستاذين إ . ليفي برونفسال وإميليو غرسية غومس . مدريد ـ غرناطة ، ١٩٥٠ .
٢٨ ـ تاريخ العرب بقلم الدكتور فيليب حتِّي والدكتور أدوارد جرجي والدكتور جبرائيل جبور . الطبعة الخامسة ، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ، ١٩٧٤ .
٢٩ ـ تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري للدكتور عبد العزيز الدوري . الطبعة الثانية . دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧٤ .
٣٠ ـ تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس للدكتور السيد عبد العزيز سالم . دار النهضة العربية . بيروت ، ١٩٦٩ .
٣١ ـ تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها للدكتور محمد أحمد أبو الفضل . تصدير الدكتور السيد عبد العزيز سالم . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الإسكندرية ، ١٩٨١ .
٣٢ ـ تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس لابن هذيل الغرناطي . نشر لويس مرسي . باريس ، ١٩٣٦ .

٣٣ ـ التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني . تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت ، ١٩٦٦ .
٣٤ ـ تفسير الجلالين . دار الفكر ، بيروت .
٣٥ ـ التفسير المبين لمحمد جواد مغنية . دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧٨ .
٣٦ ـ تقويم البلدان لأبي الفداء . تحقيق رينود وماك كوكين دي سلان . باريس ، ١٨٥٠ (يطلب من مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر) .
٣٧ ـ التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (١ ـ ٢) . عني بنشره وصحّحه السيد عزت العطار الحسيني . مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ .
٣٨ ـ تكملة المعاجم العربية لرنيهارت دوزي . نقله إلى العربية الدكتور محمد سليم النعيمي . وزارة الثقافة والفنون بالعراق .
٣٩ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ .
٤٠ ـ جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري . تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجي . دار الإرشاد . الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٨ .
٤١ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم . تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون . دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .
٤٢ ـ جيش التوشيح لابن الخطيب . تحقيق الأستاذ هلال ناجي . مطبعة المنار بتونس .
٤٣ ـ الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف للأستاذ ألبير مطلق . المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، ١٩٦٧ .
٤٤ ـ حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون . ترجمة عادل زعيتر . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ .
٤٥ ـ حضارة العرب في الأندلس للأستاذ ليفي بروفنسال . ترجمة ذوقان

قرقوط . منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت .
٤٦ - الحُلَّة السِّيَرَاء لابن الأبار (١ - ٢) . تحقيق الدكتور حسين مؤنس . الشركة العربية للطباعة والنشر . القاهرة ، ١٩٦٣ .
٤٧ - الحلل المَوْشِيَّة في ذكر الأخبار المراكشية للسان الدين بن الخطيب . مطبعة التقدم الإسلامية بتونس ، ١٣٢٩ هـ . وهناك طبعة الرباط (١٩٣٦) بتحقيق الأستاذ علوش مصدرة بعبارة « مجهول المؤلِّف » ، وهي عبارة صحيحة لأنه لا يصحّ أن ينسب هذا الكتاب إلى ابن الخطيب لأسباب عدة ، منها الصياغة والمضمون . ونحن اعتمدنا طبعة تونس .
٤٨ - خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهاني (قسم شعراء المغرب والأندلس ، الجزء الثاني) . تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم . دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة ، ١٩٦٩ .
٤٩ - خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهاني (قسم شعراء المغرب والأندلس ، الجزء الثاني) . حققه آذرنوش ونقّحه وزاد عليه محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي . الدار التونسية للنشر ، ١٩٧١ .
٥٠ - خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهاني (القسم الرابع ، الجزء الثاني). تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم. دار نهضة مصر للطبع والنشر. القاهرة، ١٩٦٩ .
٥١ - خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهاني (الجزء الثالث) . حققه آذرنوش ونقحه وزاد عليه محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي . الدار التونسية ، ١٩٧١ .
٥٢ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي (١ - ٤) . القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .
٥٣ - الخطابة لأرسطو . ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي . دار الرشيد . العراق ، ١٩٨٠ .
٥٤ - دائرة المعارف (١ - ١٤) بإدارة الدكتور فؤاد أفرام البستاني . بيروت ، ١٩٥٦ - ١٩٨٣ .

٥٥ - دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني (١ - ١١) . مطبعة المعارف . بيروت ، ١٨٧٦ - ١٩٠٠ .
٥٦ - دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين للدكتور أحمد محمود صبحي . مؤسسة الثقافة الجامعية . الإسكندرية ، ١٩٧٨ .
٥٧ - ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي . تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية . دمشق ، ١٩٧٢ .
٥٨ - ديوان ابن خفاجة . تحقيق الدكتور مصطفى غازي . دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ .
٥٩ - ديوان ابن خفاجة ، دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت ، ١٩٨٠ .
٦٠ - ديوان ابن دراج القسطلي . تحقيق الدكتور محمود علي مكي . منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ، ١٩٦١ .
٦١ - ديوان ابن الزقاق البلنسي . تحقيق عفيفة ديراني . دار الثقافة ، بيروت .
٦٢ - ديوان ابن شهيد الأندلسي . عني بجمعه Charles pellat . دار المكشوف . بيروت ، ١٩٦٣ .
٦٣ - ديوان ابن هانىء الأندلسي . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت ، ١٩٨٠ .
٦٤ - ديوان أبي تمام . شرح الدكتور شاهين عطية . دار صعب ، بيروت .
٦٥ - ديوان أبي نواس . حققه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي . دار الكتاب العربي . بيروت .
٦٦ - ديوان عنترة بن شداد العبسي . مصر ، ١٨٩٨ .
٦٧ - ديوان عمر بن أبي ربيعة . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت ، ١٩٨٤ .
٦٨ - ديوان النابغة الذبياني . تحقيق فوزي عطوي . دار صعب . بيروت ، ١٩٨٠ .
٦٩ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (أربعة أقسام في ثمانية مجلدات) . تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٨ - ١٩٧٩ .
٧٠ - الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (١ - ٦) . تحقيق الأستاذين

محمد بن شريفة وإحسان عباس. دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ .
٧١ - رايات المبرزين لابن سعيد الأندلسي . تحقيق الدكتور إميليو غرسيه غومس . مدريد ، ١٩٤٢ .
٧٢ - رحلة ابن جبير . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت ، ١٩٧٩ .
٧٣ - رسائل ابن حزم الأندلسي (١ - ٤) . تحقيق الدكتور إحسان عباس . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ - ١٩٨٣ .
٧٤ - الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام) للحميري . تحقيق الدكتور إحسان عباس. مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ١٩٨٠ .
٧٥ - الزجل في الأندلس للدكتور عبد العزيز الأهواني . القاهرة ، ١٩٥٧ .
٧٦ - الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ، ١٩٤٢ .
٧٧ - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي . تحقيق الدكتور إحسان عباس . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ .
٧٨ - سقط الزند لأبي العلاء المعري . دار صادر . بيروت ، ١٩٦٣ .
٧٩ - سير أعلام النبلاء للذهبي (١ - ٢٣) . تحقيق مجموعة من الأساتذة . مؤسسة الرسالة . بيروت ، ١٩٨١ - ١٩٨٥ .
٨٠ - شرح مقامات الحريري للشريشي (١ - ٢) . مصر ، ١٣٠٦ هـ .
٨١ - الشعر والشعراء لابن قتيبة (١ - ٢) . دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩ .
٨٢ - شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكة . ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي . دار الآفاق الجديدة . بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨١ .
٨٣ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (١ - ١٤) . نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية. المؤوسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
٨٤ - الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (١ - ٢) . نشر وتحقيق السيد عزت العطار . القاهرة ، ١٩٥٥ .

٨٥- صورة الأرض لابن حوقل . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ، ١٩٧٩ .
٨٦- صور من الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة . دار النهضة العربية . بيروت ، ١٩٧١ .
٨٧- طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل الأندلسّي ، ومعه تاريخ الأطباء والفلاسفة لابن حنين . تحقيق فؤاد سيد . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ .
٨٨- طبقات الشعراء لابن سلام . نشر الألماني جوزف هل . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ .
٨٩- الطبيعة في الشعر الأندلسي للدكتور جودت الركابي ، دمشق ، ١٩٥٩ .
٩٠- طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم . تحقيق الأستاذ فاروق سعد . دار مكتبة الحياة . بيروت ، ١٩٧٢ .
٩١- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي (الجزءان التاسع والعاشر) . دار الكتب العلمية ببيروت .
٩٢- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب للشيخ ناصيف اليازجي . دار القلم ببيروت .
٩٣- العقد الفريد لابن عبد ربه (١ - ٧) . شرح الأساتذة أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، ١٩٤٩ - ١٩٦٥ .
٩٤-عقود الجمان لوفيات الأعيان للزَّرْكشي (الجزء الثالث) . نسخة مصورة عن مخطوطة محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت تحت رقم Ms. 920. 02Z37 a A .
٩٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق (جزءان في مجلد) . تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد . دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢ .
٩٦- عيون الأخبار لابن قتيبة (١ - ٢) . شرح وضبط الدكتور يوسف طويل؛ (٣- ٤) شرح وضبط الدكتور مفيد قميحة. دار الكتب

العلمية. بيروت، ١٩٨٦ .
٩٧ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة. تحقيق الدكتور نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت. ١٩٦٥ .
٩٨ - فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية) للدكتور حسين مؤنس. القاهرة. ١٩٥٩ .
٩٩ - فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة للدكتور حكمة علي الأوسي. مكتبة النهضة. بغداد، ١٩٧١ .
١٠٠ - فضائل الأندلس وأهلها (ثلاث رسائل لابن حزم وابن سعيد والشقندي) نشر الدكتور صلاح الدين المنجّد. بيروت، ١٩٦٨ .
١٠١ - الفن الإسلامي في إسبانيا لمانويل جوميث مورينو. ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم ومراجعة الدكتور جمال محرز. الدار المصرية للتأليف والترجمة .
١٠٢ - الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق. دار الثقافة ببيروت.
١٠٣ - الفهرست لابن النديم. تحقيق الأستاذ رضا تجدد. طهران ١٩٧١ .
١٠٤ - فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (١ - ٥). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة ببيروت، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ .
١٠٥ - في أدب الفرس وحضارتهم للدكتور محمد عبد السلام كفافي. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٠ .
١٠٦ - في التاريخ العباسي والأندلسي للدكتور أحمد مختار العبادي. دار النهضة العربية. بيروت، ١٩٧١ .
١٠٧ - القاموس المحيط للفيروزآبادي. مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٩٨٦ .
١٠٨ - قرآن كريم. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ .
١٠٩ - قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس للدكتور السيد عبد العزيز سالم (١ - ٢) دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١ - ١٩٧٢ .
١١٠ - قصة الأدب في الأندلس للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجة (١ - ٢) دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢ .

١١١ ـ قضاة قرطبة للخشني. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢ .
١١٢ ـ قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب (عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة) .نشرها الدكتور لطفي عبد البديع في مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد الأول، الجزء الثاني .مطبعة مصر، ١٩٥٥ .
١١٣ ـ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني. بيروت، ١٩٨٢ .
١١٤ ـ قلائد العقيان في محاسن الأعيان لابن خاقان. القاهرة، ١٢٨٤ هـ .
١١٥ ـ الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي. تحقيق الحساني حسن عبدالله. نشر خانجي وحمدان. بيروت.
١١٦ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير (١ ـ ١٣) دار صادر. بيروت، ١٩٨٢ .
١١٧ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١ ـ ٢) إستانبول ١٩٤١ ـ ١٩٤٣ .
١١٨ ـ كُناسة الدكان بعد انتقال السكان لابن الخطيب (حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري). تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٦ .
١١٩ ـ لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة للدكتور عبد العزيز مطر. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٧ .
١٢٠ ـ لزوم ما يلزم (اللزوميات) لأبي العلاء المعري (١ ـ ٢) دار صادر ـ دار بيروت، بيروت، ١٩٦١ .
١٢١ ـ لسان العرب لابن منظور (١ ـ ١٥) دار صادر، بيروت.
١٢٢ ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية لابن الخطيب. نشره الأستاذ محب الدين الخطيب. المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٤٧ هـ .
١٢٣ ـ مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الرابع عشر، مدريد، ١٩٧١ .
١٢٤ ـ مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول، ١٩٧٧ .

١٢٥ ـ مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني، ١٩٧٩ .
١٢٦ ـ مجلة عالم الفكر، الثاني عشر، نيسان ـ أيار ـ حزيران، ١٩٨١ .
١٢٧ ـ مجمع الأمثال للميداني (١ ـ ٢). تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية. ١٩٥٥.
١٢٨ ـ المحمدون من الشعراء وأشعارهم لعلي بن يوسف القفطي. تحقيق الأستاذ حسن معمري. جامعة باريس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٧٠ .
١٢٩ ـ محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧ .
١٣٠ ـ مختار الصِّحاح للرازي. مؤسسة الرسالة. دار البصائر. بيروت، ١٩٨٥ .
١٣١ ـ مختارات من الشعر الأندلسي. جمعها وحققها الدكتور أ. ر. نيكل. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٩.
١٣٢ ـ مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة. نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال. دار المعارف بمصر، ١٩٥٥ .
١٣٣ ـ مروج الذهب للمسعودي (١ ـ ٤). دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١ .
١٣٤ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لشهاب الدين ابن فضل الله العمري (الجزء الحادي عشر). مخطوطة مصورة بالميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأميريكة في بيروت تحت رقم MIC - A -80
١٣٥ ـ مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله). نشر وتحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي. مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ .
١٣٦ ـ المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دِحْية. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد الحميد والدكتور أحمد أحمد بدوي. دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٥٥ .
١٣٧ ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس لابن خاقان. دراسة وتحقيق الأستاذ محمد علي شوابكة. دار عمار، مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٩٨٣ .

١٣٨ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي. مطبعة السعادة بمصر.
١٣٩ - معجم البلدان لياقوت الحموي (١ - ٥) دار صادر - دار بيروت، ١٩٨٤.
١٤٠ - معجم الشعراء للمرزباني، ومعه المؤتلف والمختلف للآمدي. تصحيح الدكتور ف. كرنكو. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.
١٤١ - معجم ما آستُعْجِم للبكري (١ - ٤) تحقيق الأستاذ مصطفى السقّا. دار عالم الكتب. بيروت، ١٩٨٣.
١٤٢ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ - ١٥) مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٩.
١٤٣ - المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الأبار. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. القاهرة، ١٩٦٧.
١٤٤ - معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا (١ - ٥). دار مكتبة الحياة. بيروت، ١٩٥٨ - ١٩٦٠.
١٤٥ - المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي (١ - ٢) تحقيق الدكتور شوقي ضيف. دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.
١٤٦ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس لابن حيان القرطبي (تتمة السفر الثاني ويؤرخ من سنة ٢٣٢ حتى ٢٦٧ هـ) تحقيق الدكتور محمود علي مكي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣.
١٤٧ - المقتبس في أخبار بلد الأندلس لابن حيان القرطبي (ويؤرخ من سنة ٣٦٠ حتى ٣٦٤ هـ). تحقيق الأستاذ عبد الرحمن الحجي. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.
١٤٨ - المقتبس لابن حيان القرطبي (الجزء الخامس ويؤرخ من سنة ٣٠٠ حتى ٣٣٠ هـ). نشره ب. شالميتا وف. كورنيطي والدكتور محمود صبح. المعهد الإسباني العربي للثقافة. كلية الآداب بالرباط - مدريد، ١٩٧٩.
١٤٩ - المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الأبار. تحقيق الأستاذ إبراهيم

الأبياري. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣.
١٥٠ ـ الملل والنحل للشهرستاني (١ ـ ٢) تحقيق الأستاذ محمد سيد كيلاني. دار المعرفة ببيروت.
١٥١ ـ ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام لدوزي. ترجمة الأستاذ كامل كيلاني. مطبعة الحلبي بمصر، ١٩٣٣.
١٥٢ ـ المنجد في اللغة والأعلام. دار المشرق، بيروت، ١٩٧٨.
١٥٣ ـ موسوعة المعرفة (موسوعة علمية). المجلد الأول. مطبعة داغر، لبنان.
١٥٤ ـ نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك لأحمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي. تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني. مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٦٥.
١٥٥ ـ نفاضة الجراب في عُلالة الاغتراب لابن الخطيب. تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ومراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.
١٥٦ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقّري (١ ـ ٨) تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
١٥٧ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١ ـ ٢١). مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٣ ـ ١٩٧٦.
١٥٨ ـ هدية العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المصنِّفين من كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي (١ ـ ٢) إستانبول، ١٩٥١ ـ ١٩٥٥.
١٥٩ ـ وصف إفريقية والمغرب والأندلس. جزء من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري. نشرة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب. مطبعة النهضة بتونس، ١٣٣٩ هـ.
١٦٠ ـ الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (١ ـ ٢٢) إستانبول وفيسبادن، ١٩٣١ ـ ١٩٨٣.
١٦١ ـ وفيات الأعيان لابن خلّكان (١ ـ ٨). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨.

١٦٢ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي (١ ـ ٤). دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩ .

ثانياً ـ المراجع الأجنبية .

1 — Almería islamica: Leopoldo Torres Balbás . Al — Andalus, Vol . XXIi , fasc .2 . .Madrid — Granada , 1957.

2 — Ampliación y tamaño de varias mezquitas: Leopoldo Torres Balbás . Al — Andalus ,Vol. XXI. fasc.2 Madrid — Granada' 1956.

3 — Cementerios hispanomusulmanes: Leopoldo Torres Balbás , Al — Andalus , Vol .XXII , fasc .1 . Madrid — Granada ,1957 .

4 — El miḥrāb de la mezquita mayor de Almería: Christian Ewert . Al — Andalus , Vol .XXXVI , fasc . 2 . .Madrid — Granada ,1971 .

5 — Encyclopédie de L'Islam (1 — 5) . Nouvelle édition . Leiden , 1960 — 1986 .

6 — El reino de Zaragoza en el siglo XI de Cristo (V de la Hégira): Dr. Afif Turk . Madrid, 1978 .

7 — Histoire de L'Espagne Musulmane (1 — 3): E. Lévi — Provençal .Paris — Leiden ,1950 — 1953 .

8 — Historia de la literatura arabigoespanola: Angel Gonzales Palencia . .ed . Madrid ,1945 .

9 — La Mezquita mayor de Almería: Leopoldo Torres Balbas . Al — Andalus , Vol .XVIII , fasc .2 . Madrid — Granada , 1953 .

10 — La poésie andalouse en arabe classique en XI ͤ Siécle:Henri Pérès . Paris ,1953 .

11 — Las pléyades y la poesía arabe: Enrique Perpina. Al — Andalus , Vol . XVIII ,fasc .2 . Madrid — Granada ,1953 .

12 — Los palacios del Taifa almeriense al — Mu' tasim ,en Cuadernos de la Alhambra (Vol. .III): Luis Seco de Lucena .Madrid , 1967 .

13 — Poemas arábigoandaluces: Emilio García Gómez .4e. ed . Madrid , 1959 .

14 — Viaje por España y Portugal (1494 — 1495): Jerónimo Munzer. Traducción de José López toro . Madrid ,1951 .

فهرس المحتويات